**الدكتور سيد جلال الدين المدني**

**مقدمة الناشر**

**على الرغم من مرور أكثر من عقد كامل من الزمن على انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران وقيام الجمهورية الإسلامية فيها، وعلى الرغم من هذه الانجازات الباهرة التي تمت خلال هذه الفترة، فإن كثيرين ما يزالون يحملون صوراً غامضة عن الدوافع الحقيقية التي أدت الى قيام هذه الثورة المباركة وخلفياتها، ومن ثم نجاحها، وعلى الأخص عند أولئك الذين لم يواكبوا الأحداث ولم يعايشوا التطورات من الداخل.** **لقد كانت هذه الثورة المظفرة بمثابة الانفجار الذي هز أركان الاستكبار الذي بدوره لم يخطر بباله لحظة واحدة أن إيران المهيضة الجناح يمكن أن تحطم القيود التي كبلها بها منذ قرون في يوم من الأيام.** **لذلك كان من اللازم على الإسلام المنتصر في إيران أن يبين للعالم المضطهد المحروم المكبل بقيود الاستكبار ـ لا العالم الإسلامي فحسب ـ كيف يحذو حذو إيران الإسلامية، وكيف يتحرر من تلك القيود وينتزع حقوقه المشروعة من براثن مضطهديه وغاصبي حقه.** **والكتاب الذي بين يديك، أيها القارئ العزيز، شرح لجوانب مهمة من تاريخ ايران السياسي المعاصر ولكيفية وقوف أبناء الشعب الإيراني المسلم كالبنيان المرصوص وراء قيادتهم الشرعية التي اوصلتهم الى تحقيق الهدف الأول المنشود، وهو قيام الدولة الإسلامية الأولى في هذه العصور المتأخرة.** **و(العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي) في إيران إذ تقدم هذا الكتاب الجليل للقارئ الكريم في كل مكان، إنما ترجو أن تكون قد وفت بجزء مما عليها تجاه الأخوة المسلمين في العالم العربي.** **والله من وراء القصد.** **العلاقات الدولية** **في منظمة الاعلام الإسلامي**

**مقدمة المؤلف** **بسم الله الرحمن الرحيم** **{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ \* هذا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ \* وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}\*.**

**لا يخفى على أحد أن الثورة الإسلامية التي انتصرت في شباط عام 1979 قد أربكت كل الحسابات القائمة على التوازن الدولي بين الشرق والغرب، وفتحت آفاقاً جديدة في العالم خارج نطاق المعايير المعهودة.** **ولعل أهم ما لفت أنظار المراقبين الدوليين، وأثار دهشتهم؛ هو الإرادة الشعبية الصلبة بإنهاء عمر النظام الملكي الذي استمرّ عدّة آلاف من السنين، وامتثال الشعب لقيادة مرجع ديني شيعي هو آية الله العظمى الإمام الخميني + مؤسس الجمهورية الإسلامية، والالتزام بحالة وحدة لا نظير لها، وحدة في الفكر والعمل والتحرّك بثبات نحو الهدف.** **وقد جسّدت هذه الثورة التي لم يشهد القرن العشرون لها مثيلاً، الدور الكبير للإيمان والعقيدة والقيادة التي تعتمد المعايير الإسلامية الأصيلة في تحقيق المعجزات، وقدّمت للعالم ـ وللمرة الأولى ـ ظاهرة التجمعات السياسية المليونية. إنها الثورة التي هزت أركان الاستكبار، وزفَّت الى جميع مستضعفي العالم بشرى الحريّة والمساواة والأخوّة، بمعناها الحقيقي. فقد أصبحت إيران منطلقاً لنداء الحق والعدل الإسلامي الى شعوب العالم، لإنقاذهم من الفساد والتحلل والظلم، التي فرضها المستكبرون والسلطويون.** **وفي هذه الأثناء، كانت الجهة الأخرى التي ترى الخطر يهدد وجودها مشغولةً بالاستعداد للمواجهة في الوقت المناسب، من أجل تعكير صفو هذا الينبوع الصافي وإطفاء هذا النور الساطع ـ بالضبط كما حدث عند ظهور الإسلام في القرن السادس الميلادي ـ حيث كانت الشعوب غارقةً في ظلام القرون الوسطى، فبدأ الإسلام مسيرة جديدة دفع فيها الناس باتجاه العلم والحق والوعي، لكن هذا التقدم باتجاه المعنويات، والسير نحو الله، واجه تكالب القوى الطاغوتية، والقوى المادية وقوى الظلم والجور التي تعمل باسم التحضر والتقدم الغربي، وقد توغلت هذه القوى في نهجها، حتى أصبح إعداد أدوات القتل والبطش من ضروريات عملها.** **وطيلة قرون عديدة شهدنا الحرب والعنف والقمع من جانب هذه القوى التي تستهدف بسط نفوذها أكثر فأكثر، وليس خدمة الشعوب. فبعد الحرب العالمية الثانية ظهر القطبان الرأسمالي والاشتراكي ليتقاسما العالم بشرقه وغربه، وأخذ كل منهما ينهب الشعوب من أجل زيادة قوته في سبيل الحفاظ على التوازن فيما بينهما. وفي ظل هذا الوضع، أصبح ما يسمى باستقلال دول العالم الثالث عنواناً فارغاً من أي مضمون، وأضحت القوى الكبرى تبيح لنفسها التطاول على حقوق الشعوب كيفما أرادت ومتى ما شاءت، وتؤسس المنظمات الدولية لتكون غطاءً للمتسلطين الغاشمين ـ أعداء البشرية ـ والأنظمة الفاسدة والعميلة تولت زمام الأمور في البلدان الضعيفة، لتكون أداةً بيد القوى الكبرى، تخنق أنفاس الأحرار بالسجن والقتل والتنكيل والتعذيب.** **ومن بين أكثر من 150 دولة مستقلة استطاعت إيران، بعد انتصار الثورة الإسلامية، أن ترفع وتجسِد شعار (لا شرقية ولا غربية) البسيط في ألفاظه، الكبير في مضمونه، عبر التضحية بدماء الآلاف من خيرة أبنائها الأبطال، وتحت وطأة أشكال المؤامرات والعدوان، وأن تعرض للعالم العقيدة الإسلامية كأساس فكري لها، وأن توصل الثورة الى جميع جوانب الحياة، وتواصل ـ في نفس الوقت ـ دعمها ومساندتها لباقي المحرومين والمظلومين في العالم.** **جلال الدين المدني**

**الفصل الأول**

**مقدمات النهضة الإسلامية في إيران**

**القسم الأول**

**مقدمات النهضة**

**1ـ الإطار العام للبحث:** **شهد تاريخ إيران المعاصر حتى الآن حوادث وتغيرات عديدة أفرزت كلها حركات دينية وشعبية بأشكال وأنماط خاصة بها، وعرضت في كثير من الأحيان السلطة الحاكمة ـ التي غالباً ما كانت مرتبطة بالأجنبي ـ للخطر، ولكن وبالرغم من التضحيات الجسام التي قدمت ، فإن السلطة والحكم لم يصبحا في أي يوم من الأيام في يد الشعب بالمعنى الكامل، وكلما تحركت جماهير الشعب العظيمة نحو الوعي ونحو إدراك واقعها وتقرير مصيرها بنفسها؛ برز هنالك العملاء بأشكال وعناوين مختلفة، وهم موجهون من قبل مراكز ودوائر من خارج البلاد؛ ليتولوا تقويض هذه النهضة الشعبية، وبث روح اليأس لدى الأمة، بل والقيام أحياناً بالتعرض لقادة النهضة وطلائعها، وشنّ حملات إعلامية مكثفة لتضليل الرأي العام وإبعاده عن إدراك الحقيقة.** **وقد بذل بعض الأشخاص جهوداً جبارة امتازت ببعد النظر وإسلامية المنطلق، من أجل تحقيق وحدة الشعوب الإسلامية، إلا أن القوى السلطوية المتأصلة في المنطقة عملت على معاداتهم ومحاربتهم وعزلهم بشكل لا يدعهم يفكرون بالتحرك في المستقبل، وبهذا تبقى الجماهير المليونية عاجزة عن التحرُّك المنّظم ذي الجذور والأبعاد الإسلامية والعقائدية.** **وقد سعت هذه القوى إلى إظهار القوانين الإلهية الإسلامية التي شرّعت لتبقى في كل زمان ومكان، على أنها رجعية وقديمة، ولا يمكن أن تلبّي حاجة العصر، وأنها غير قابلة للتطبيق والتنفيذ، كما عمدوا إلى استخدام تعابير وتحليل وتنظيرات مظلِلة من أجل إبعاد الشبّان عن مراكز الوعي والتحرّك الإسلامي، وجذبهم باتجاه الأوساط التي أوجدت خصيصاً لحرفهم وإفسادهم، مستغلين الأساليب المادية والتأثير على الأهواء النفسية لإبعاد الشبان عن أية فرصة لمعرفة الحقيقة، والتفكير في المسائل المعنوية والإنسانية، أي إنهم سعوا إلى إغلاق جميع الأبواب في وجوه الشبان تاركين الباب المؤدي إلى التحضر والتقدم المزعومين فقط مفتوحاً لإغراقهم في عالم من التقليد الأعمى للغرب في جميع المجالات؛ من الثقافة واللغة، إلى الصناعة والزراعة وحتى عملية التقنين.** **وقد سيطر هذا التقليد على المجتمع الإيراني على نطاق واسع، بحيث شلّه عن التفكير في خصوصياته وهويته وأصالته وطاقته الكامنة في المجالات الفنية والعلمية.** **وفي هذا البحث نسعى الى دراسة بدايات النهضة الإسلامية التي تعود الى عامي 1340و 1341 هـ.ش الموافقين لعامي 1961 ـ 1962م بما امتازت به هذه النهضة من خصوصيات، وما استفادته من تجارب الماضي، وما واجهته من عقبات وعراقيل وهجمات، ذلك أن هذه النهضة ـ وخلافاً لما كان يتوقع ـ تكللت وبعد (15) بالنصر الكامل... إنها نهضة أربكت الكثير من المعايير والموازين العالمية. وهي نهضة عمَّت جميع الفئات والمجموعات والأحزاب والتيارات، ودفعت العديد منها الى الامتثال لها واتباعها بالرغم من اختلافهم معها في الفكر والنهج.** **وقد كان المسجد هو القاعدة الأساس للثورة باعتباره قاعدة إلهية عبادية لها منزلتها المقدسة والرفيعة، وتحظى بالاحترام من لدن شعبنا. وقد عمل المسجد على تعبئة الملايين من المؤمنين وحشدهم ودفعهم لأتباع القيادة دون الحاجة الى أساليب الإجبار والانتماء والتقسيمات المتبعة في الحركات والأحزاب، وهذا ما كانت النهضة بحاجة إليه آنذاك.** **إن تجسّد القيادة وتبلورها في شخص الإمام الخميني (رض) كان خلافاً لكلِ ما حدث من ثورات وليس له نظير إلا في رسالات الأنبياء، ويكفي في أهميتها القول بأنها وضعت نهاية لحقبة تاريخية بلغت عدة آلاف من السنين، وأوجدت عصراً جديداً يتميز بكل خصوصياتها الجديدة في مركز الشرق الأوسط صار يسمى عصر الثورة الإسلامية التي جاءت بمفاهيم وقيم تتطلب تقويماً ونظرة جديدتين.** **وفي هذا الفصل سنقوم بدراسة المراحل الأولى لهذه النهضة، كما سنتعرف على أسباب انطلاقتها واستمرارها واقترانها بالعديد من الحوادث:** **لماذا بدأت هذه النهضة في عام 1962 بالذات؟** **ولِمَ ظهر علماء الدين كفئة مؤثرة في عملية المواجهة السياسية؟** **وكيف تحققت التعبئة العامة بالدين؟** **2ـ الجهاد والسياسة من وجهة نظر الإسلام والمذهب الشيعي:** **تؤكّد النظرية السياسية الشيعية أن النظام السياسي في الإسلام يعتمد عنصر النصّ على الإمام سواء كان بالنص التعييني على المعصوم، أو بالنص على صفات عامة تؤهل المتصف بها لمنصب القيادة، فشيعة علي(ع)[1] يخوضون ـ منذ أربعة عشر قرناً ـ جهاداً متواصلاً تراوح بين السرِ والعلن، ضد القوى المتجبرة والمعتدية في كل عصر.[2]** **إنّ المذهب الشيعي يعتبر الحكومة حكومة حقٍ وعدل متى ما استندت الى الإسلام الحقيقي، وسارت على نهج التوحيد والاتجاه الى الله.** **إنّ الإسلام يولي التبدلات والأحداث التاريخية اهتماماً كبيراً، ويرى أن الصراع بين الحق والباطل مستمر في كل مراحل التاريخ البشري وعلى كل المستويات. ففي جبهة الحق توجد مفاهيم من قبيل: الله، والإيمان، والبحث عن الحقيقة، والإيثار، والعدالة والصدق، والطهارة وفي جبهة الباطل نرى مفاهيم: البحث عن التفوق، والشرك، والقوة، والاعتداء، والفساد، والتفريق والتمييز، والتجبر، وانتشار الرذيلة، وانعدام الفضائل الإنسانية، وحب التسلط، كلها أساس العمل والتحرك في هذه الجبهة.** **هاتان الجبهتان كانتا تخوضان دائماً صراعاً واسع الأبعاد، وقد أدى ظهور الأنبياء الى ايجاد تغييرات في جبهة الحق، فقد استطاعوا استقطاب الأتباع والمؤيدين لهم من المؤمنين، وعبأوهم لمحاربة الظلم والفساد والشرك، ليقيموا مكانها العدل والحق، إلا أن الأهواء النفسية وحب الذات والانحرافات كانت تأخذ طريقها الى القلوب والأنفس تدريجياً، فتشيع النفاق وروح الاعتداء والاختلافات، وحين يصل هذا التحلل والظلم والتسلط الطاغوتي الى ذروته، ويبلغ أقصى مداه، ينتشر نور الحق ليقضي على الباطل.** **إنّ الإسلام يرى أن المجتمعات البشرية تستحق تلك الحكومة العادلة لذا فهو يضع هذا الهدف المنشود كبارقة أمل في المسيرة التكاملية للتاريخ، والمدرسة الشيعية ترى ظهور المهدي(عج)[3]نهاية سعيدة وطيبة لحياة البشرية، وإن الإرادة الإلهية هي المخططة لهذه المسيرة التكاملية نحو التوحيد.** **والنهضة التي نحن بصدد دراستها الآن، تمتاز بخصوصية أساسية تتمثل بالعقيدة الإسلامية، إذ إنها انطلقت من هذه العقيدة، وقادت الجماهير وفقاً للخطِ الفكري الإسلامي.** **لقد قدم الإمام الخميني مشروع الحكومة الإسلامية في ذروة الكبت والاستبداد اللذين كان النظام البهلوي يمارسهما، وقد وضح الخطوط العامة لهذه الحكومة في كتابه(ولاية الفقيه).** **فالحكومة من وجهة نظر الإسلام ـ وكما ورد في دستور الجمهورية الإسلامية ـ تجسد الهدف السياسي لشعب يحمل أفراده عقيدةً وفكراً واحداً وينظم تحركه ليسير في طريق التغيير الفكري والعقائدي باتجاه الهدف النهائي، ألا وهو السير الى الله؛ ليبني مجتمعاً يكون أسوة للآخرين، مجتمعاً يتربى على القيم الإسلامية الرفيعة والشاملة، ويتبع قائداً فقهياً جامعاً للشرائط تنتخبه الأمة ليكون صمام أمان يضمن، عدم انحراف المؤسسات المختلفة عن الواجبات الإسلامية الأصيلة وهذا هو الهدف الذي قاد الإمام الخميني الشعب باتجاه تحقيقه دون تباطؤ أو كلل.** **القسم الثاني** **الحوادث الأولى للنهضة** **1ـ وفاة آية الله البروجردي وآية الله الكاشاني عام 1961:** **في مارس 1961م توفّي آية الله البروجردي وقد جرت مراسيم تشييع جثمانه بشكل منقطع النظير، واهتزت إيران لتلك الحادثة... وأعلنت الحكومة حداداً وعطلة عامة، وتقاطر عشرات الآلاف من الناس على قم المقدسة من أنحاء البلاد كافة. فكان هذا التجمع الكبير تجسيداً لمنزلة المرجعية وقوتها. وفي مارس 1962م توفي آية الله الكاشاني فكان التأبين الشعبي له فريداً من نوعه، إذ حملت جموع المشيّعين جنازته على الأكفّ من طهران الى مدينة (شهرري) القريب حيث استغرق التشييع ساعات طويلة، كل ذلك دفع الباحثين والمحققين الى التساؤل: ألا يمكن استغلال هذه القوة الدينية العظيمة في إيجاد تحرُّك منظم؟ وهل يمكن أن يكون للإسلام ـ وخاصة المدرسة الشيعية ـ حزب منظم قويٌّ، أعضاؤه المؤمنون الذين لا حصر لهم يتجمعون وقت الحاجة تلقائياً ودون استخدام الأساليب المتبعة لدى باقي الأحزاب؟** **إن وفاة هذين العالمين الكبيرين حدثت في وقت كانت إيران تشهد فيه تغييرات عديدة فكلٌّ من هذين العالِمَين كان يمثل نهجاً فكرياً إسلامياً في الوسط الديني(الحوزة)؛ فآية الله البروجردي كان يمتع بمنزلة كبيرة في قم، ومرجعيته تحظى بتأييد الجميع.[4]وله العدد الأكبر من المقلدين في داخل البلاد وخارجها، ولهذا كان القسم الأكبر من الحقوق الشرعية(الخمس والزكاة وأمثالها) يسلَّم إليه، ليُنفَق على الشؤون الدينية، كبناء المساجد، وتوسيع الحوزة العلمية وتقويتها وإرسال مبالغ الى خارج البلاد. لقد كان مشهوراً بمستواه العلمي، وقوة ذاكرته. وكان قدت ولى المرجعية بعد وفاة آية الله السيد أبي الحسن الأصفهاني، وعلى الرغم من أن المراجع الآخرين كانت لهم رسائل عملية إلا أنهم كانوا أدنى مستوى منه.** **وفي مجال السياسة، كان الأصل عند آية الله البروجردي هو عدم التدخل فيها، فلم يكن مستعداً ـ مهما كانت الظروف ـ لمعارضة النظام أو مواجهته، أما النظام الحاكم فقد سعى الى حفظ احترامه له وتحاشي كل ما قد يثيره ويغضبه، وتسويغ الأجراءات المنافية للدين بذرائع مختلفة، كضرورات العصر وغيرها، وكان يقدم الوعود بإصلاح هذه الإجراءات وتعديلها.** **وطبيعي أن آية الله البروجردي كان على علم بما يمارسه الجهاز الحاكم من ظلم واعتداءات وإعدامات، إذ لا يمكن القول بأنه لم يكن مطلعاً على مجريات الأمور في إيران على الرغم من ضعف حاسة السمع لديه إلاّ أنه كان يرى أن الحكومة قوية جداً، ومدعومة من قبل الأجانب، وأن ظروف العصر كانت تلائم إقامة مثل هذه الحكومة، ولذلك فإن ادعاء المسلمين بأن هذه الحكومة غير إسلامية لا يمكن أن يصل الى نتيجة، كما كان يعتقد أن توفير الأمن في هذا العالم المليء بالمخاطر؛ قضية مهمة بالنسبة للإسلام وأن هذا النظام استطاع ـ على أية حال ـ إقرار هذا الأمن، وإذا ما ضعف هذا النظام فإن وجود بعض ضعاف الإيمان وأدعياء الإسلام قد يؤدي الى استبدال الفاسد بالأفسد، وإذا كان هذا النظام يتظاهر بترويج الإسلام ويعطي الأموال لبعض المتلبسين بزي العلماء، فإن النظام القادم قد يجهر بكونه معادياً للدين أو على الأقل متجاهلاً له، خاصة وأنه كان يرى توسع نشاطات الشيوعيين وهجومهم على الإسلام ومقدساته. فضلاً عن ذلك، كان آية الله البروجردي قد كرّس كل جهده ووقته للشؤون غير السياسية، منصرفاً ـ بالكامل ـ للأمور العلمية المثمرة، وبقي على هذا النهج طوال عمره. إلا أنه في نفس الوقت لم يكن راضياً عن وضع الحكومة لكنه لم يتجاوز حدود توجيه التوصية والنصيحة والاعتراض الخفي.** **أما آية الله الكاشاني فقد كان يمثل الوجه الثاني لنهج العلماء والحوزة، فلم يكن يؤمن بالفصل بين الدين والسياسة، وكان يعتبر المواجهة والمعارضة والاحتجاج وحتى الحرب؛ جزءاً من واجبه الشرعي. ولم يسعَ آية الله الكاشاني للوصول الى المرجعية التي تقترن بإصدار رسالة عملية في الأحكام الشرعية، ففي عهد شبابه شارك مع جماعة من علماء العراق في إشعال حرب العصابات التي وجَّهت للإنكليز ضربات مؤثرة.** **وعندما صدر عليه الحكم بالإعدام، عاد الى إيران وأصبح في عهد الدكتاتور رضا خان من مشاهر مدرّسي الحوزة العلمية. إذ جعل من منزله مركزاً للتدريس، إلا أنه لم يركن الى المساومة والتسليم. فقد استهدفت تحركاته السياسية الأولى مكافحة نفوذ الإنكليز الذين كانوا قد أوجدوا لهم في ذلك الوقت قواعد للتسلط والنفوذ في الشرق الأوسط تحت عناوين مختلفة، حتى أنهم كانوا ـ أحياناً ـ يسيّرون المؤسسات والمراكز الدينية بشكل خفي. ومن الطبيعي أن يلجأ هؤلاء الى استغلال الخلافات الدينية في تحقيق مآربهم. والكاشاني الذي لم يكن له ماكان للبروجردي من جاه ومركز، ولم يكن تأتيه الحقوق الشرعية، سلك طريقاً جعل حتى مركزه الديني معرّضاً للخطر، حتى أن الشبهات والشكوك بدأت تحوم حوله، وبدأت تدور التساؤلات: هل إنه شخصية دينية أم سياسية؟ وتدخله في السياسة ألا يوجب طرده من الوسط الحوزوي والديني؟ فقد كان التصور العام هو أنه لا يمكن الجمع بين الدين والسياسة. ويبدو أن الكاشاني سعى مرة أو مرتين الى جر البروجردي الى السياسة، إلاّ أنه لم يفلح في ذلك، وآل الأمر الى حالة من القلق وعدم الرضا.** **ونتيجة لولوجه عالم السياسة واعتقاله ونفيه عدة مرات فقد اكتسب آية الله الكاشاني شهرة عالمية. وقد ظل خلال السنوات العشرين الأخيرة من عمره (1942ـ 1962م) معارضاً لجميع الحكومات التي توالت على حكم إيران والتي كانت مرتبطة بسياسات الأجانب، ولم يقف يوماً موقف المؤيد للحكومة إلا عندما تمت عملية تأميم النفط. وكان يبذل جهوداً كبيرة من أجل وحدة الشعوب الإسلامية، وكان يُتهم في هذا السبيل باتهامات عديدة مثل (جاسوس، ورجعي، وعميل للإنكليز والأمريكيين) كما أن هذه التهم وُجهت حتى لبعض الذين لم يكونوا في خضم الأحداث، وكان كثير من الطلبة وعلماء الدين يعتبرون مواجهة الكاشاني لهذه الاتهامات، أو تحمله السجن والنفي، أمراً يتنافى وشأن عالم الدين ومقامه، وكانوا يقولون:أي دنيا هذه التي يلوث عالم الدين نفسه فيها بهذه الأمور؟!** **وقد كان من الصعب أن تختار الجموع الشعبية المليونية طريق آية الله الكاشاني فهم يرون سكوت ووقار آية الله البروجردي أمام الحكومة وهو الذي يتمتع بدعم مطلق من علماء الحوزة وطلبتها. ولهذا لم يكن باستطاعتهم اتباع الكاشاني عن يقين وعقيدة؛[5] خاصة وأن النظام كان يسعى الى إظهار سلوك آية الله البروجردي ـ الذي امتاز بالهدوء والوقار، وإبعاد الحوزة عن شؤون البلاد ـ على أنه المقياس الصحيح والقدوة المثلى، وبالمقابل كان النظام يشيع بأن نهج آية الله الكاشاني وتدخله في السياسة، وخلقه المشاكل والمتاعب للحكومات؛ أمر مخالف للدين وشؤون الحوزة، وقد أفلح النظام في ذلك الى حدٍ ما.** **وقد كان لوفاة هذين العالمين الكبيرين عامي(1961 و 1962م) معنيان مختلفان لدى كلٍ من النظام العميل من جهة، والعلماء والشعب من جهة ثانية. فآثار الارتياح كانت بادية على النظام لوفاة آية الله البروجردي، إذ كان يعتقد أنه بالرغم من كونه لا يشكّل عقبة في طريق النظام ولا يبدي مقاومة واضحة له إلا أنه يبقى مرجعاً ذا مركز راسخ ومكانة رفيعة لدى المسلمين، مما يتطلب من النظام أن يحسب له حسابه عند أي إجراء ينوي اتخاذه، كما يضطر النظام ـ بوجوده ـ الى عدم اتخاذ بعض الإجراءات أو الى تسويغها وإصلاحها. ولهذا سعى النظام الى العمل على حرمان مركز الحوزة من قوته السابقة لئلا يشكل عامل ضغط عليه، وقد انصبت جهود البلاط على السعي لأن يكون المرجع القادم شخصاً يسكن خارج إيران.** **ويتضح من برقية التعزية التي ارسلت الى النجف بمناسبة وفاة آية الله البروجردي، أن النظام كان مسروراً لوفاة آية الله الكاشاني الذي كان النظام يرى فيه العالم اليقظ والمنافس الذي يقف له بالمرصاد، والذي لا يعرف التعب ولا الملل، ويعتبر نفسه صاحب الحق والقرار وممارسة السلطة. ولهذا نرى النظام يتخذ ـ بعد وفاة البروجردي والكاشاني مباشرة ـ سلسلة إجراءات لم يكن يجرؤ على القيام بها في حياة هذين العالمين الكبيرين.** **لقد اعتقد النظام أن العلماء قد انتهوا في إيران، فكانت المصادقة على مشروع مجالس الولايات بمثابة جس نبض للوضع الجديد، كما كانت حكومة (علم) والنظام عموماً يتوقان الى التخلص ـ الى الأبد ـ من عقبة الدين ومؤسساته وأوساطه من خلال سنّ مجموعة قوانين جديدة خاصة في غياب البرلمان.** **لقد دفعت وفاة هذين العالمين الكبيرين العلماء وطلاب الحوزة العلمية الشباب الى إعادة تقويم الأوضاع دون أن يعمدوا الى عقد اجتماعات خاصة، وكانت النتيجة أنهم توصلوا الى مجالات ومسائل لم يسبق أن طرقت في أوساط الحوزة من قبل، فتبلورت لديهم النظرة العالمية للإسلام ومستلزماتها شيئاً فشيئاً. وقد أدرك علماء الدين ـ بعد الهزَّة التي أحدثتها وفاة الكاشاني والبروجردي في كل مكان ـ أن القوى الشعبية الشيعية الكبرى تمتلك العنصر الأساس للوحدة، وهي مهيأة لتقديم مصاديق لهذه القوة الإلهية والمعنوية، هذا الوضع أفرز مؤشرات لإمكانية استغلال هذه القوى والطاقات الخلاّقة، من خلال توعيتها وقيادتها، وعندها لن تتمكن أية قوة أو حزب أو مجموعة من منافستها، وإذا ما وُجِدت الوحدة الإسلامية؛ فإن وجود مليار مسلم سيساعد على نشر القيم والموازين الإسلامية بشكل كبير، كما أدركوا تدريجياً أهمية المسجد باعتباره قاعدة عقائدية راسخة وقوية ظلت معطلة عن أداء دورها الطبيعي طيلة قرون، ولاحظوا أن آية الله الكاشاني قد ترك تأثيره العميق في إدارة البلاد، بالرغم من أنه كان وحيداً تقريباً، فقد قام بتغييرات عديدة، وكان سيقوم بأكثر من ذلك لو أنه كان قد تولّى المرجعية، ولو كان آية الله البروجردي قد تحرك ودفع بالقوى الشعبية الى ساحة الصراع بما كان يتمتع به من منزلة دينية ومرجعية عامة، لما تمكنت أية حكومة ونظام من الوقوف في وجهه مهما كانت معتمدة على القوى الكبرى، فكانت هذه الدروس والتجارب القيّمة تبعث على الأمل بالمستقبل... وسنلاحظ من خلال الموضوع التالي كيف استفيد من تجارب الماضي ودروسه.** **2ـ ظهور الإمام الخميني في موقع القيادة والمرجعية:[6]** **بدأت نشاطات الإمام السياسية منذ عام 1962م تزامناً مع اتساع نطاق مرجعيته التي شملت أرجاء البلاد كافة. والسؤال الذي كان يتردد دائماً هو: لماذا ظهر الإمام على الساحة السياسية فجأة؟ ولماذا لم تكن تحركاته الجهادية تشاهد قبل هذا الوقت؟** **إن مراجعة سريعة لتاريخ النشاطات العلمية والتحركات الجهادية للإمام تفرز لنا مرحلتين واضحتين:** **الأولى: تنتهي في عام 1340هـ.ش(1961م)،** **الثانية: تبدأ منذ عام 1341هـ.ش(1962م).** **وفي كلتا هاتين المرحلتين كان الإمام يتحلى بالروح الثورية والجهادية، وكان يعتبر الدين والسياسة أمرين متلازمين لا فصل بينهما.** **وفي المرحلة الأولى من هاتين المرحلتين، ألف الإمام كتاب (كشف الأسرار) الذي ضمنه تعاليم الإسلام الجهادية، ودافع عن الثورة الإسلامية المسلحة، بل إنه دعا المسلمين الى ذلك،[7] وسعى الى إيصال نداء الإسلام القرآني الثوري الى الجميع، فهو يقول:** **(يا عديمي العقول!** **أيمكن للإسلام الذي يقول: {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً}[8] أن يقول لكم اقعدوا حتى تصبحوا فريسة للآخرين؟!** **أيمكن للإسلام الذي يقول: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ}،[9] أن يقول لكم ضعوا يداً على يد واتركوا الآخرين يسيطرون عليكم؟** **أيمكن للإسلام الذين يقول: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}[10]أن يقول لكم استسلموا للآخرين؟** **أيمكن للإسلام الذي يقول: (الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنّة والنار، وللجنة باب يقال له باب المجاهدين)[11] ـ إضافة الى مئات الآيات والأحاديث الأخرى الخاصة بمحاربة الأجانب، واستقلال البلاد ـ أن يمنع الأمة من الحرب!؟)[12].** **وهنا يلاحظ أن الإمام يرسم نهج الأمة الإسلامية بطرحه هذه التساؤلات الاستنكارية المستندة الى كلام الله الصريح. فهو باستناده الى الآيات التالية يحدد الطريقة الإسلامية في اختيار النهج، وهذا هو الواجب الملقى على عاتق كل مسلم:** **{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا\*الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا}(النساء: 138و 139).** **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}( المائدة: 51).** **{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} (الأنفال: 60).** **ففي نفس المرحلة التي كان يبدو فيها الإمام وكأنه لا يمارس نشاطاً سياسياً، نراه يستند الى الآيات السالفة ويقول في (كشف الأسرار):** **(يا أبناء وطني الأعزاء، أيها القرّاء الكرام، يا إخوتي في الإيمان، أيها الشباب المحبون لإيران، أيها الإيرانيون الساعون الى العظمة، أيها المسلمون الساعون الى العزَّة، أيها المتدينون الساعون الى الاستقلال، هذه هي الأوامر السماوية، هذه هي الأوامر الإلهية، هذه هي النداءات الغيبية التي أنزلها إليكم إله العالم ليحقق بها استقلال بلاد المسلمين، وليقيم صرحاً شامخاً لأمة القرآن، فاقرأوها وكرّروها، وأمعنوا النظر فيها، وضعوها في موضع التنفيذ، ليعود لكم استقلالكم وعظمتكم، وتستعيدوا نصركم وشموخكم، وفي غير هذا ستعيشون حياة الذلّ وستصبحون فريسة للغزاة الدوليين)[13].** **وهكذا فإن كلام الإمام هذا، يوضح أنه كان يتابع الأمور عن كثب، بل ويشارك في الجهاد خلال السنوات التي تلت شهر أيلول من عام (1941م)[14]. وشخصية الإمام الدينية والثورية وطريقة تفكيره، دفعت بالمرحوم آية الله الكاشاني الى أن يقول:** **(السيد الخميني هو الرجل الوحيد الذي يؤمل أن يهتم من بعدي بآمال الشعب الإيراني وتطلعاته)[15].** **وفي عام(1942م) طبع كراس بمناسبة الذكرى السنوية لوفاة أحد الأشخاص[16]ضمّ موضوعاً يحمل توقيع (روح الله الخميني) يشرح فيه القيام في سبيل الله، ويعتبره الطريق الوحيد لإصلاح العالم، كما اعتبر أعمال وممارسات السلطة الحاكمة آنذاك قياماً لأجل النفس وحمل عليها بشدة، ثم دعا جميع فئات المجتمع الى القيام في سبيل الله وفي سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية، ونظراً للأهمية التاريخية لهذه الوثيقة وقوة وصراحة العبارات الواردة فيها فإننا نورد نصها في الهامش.[17]** **ومع كل ذلك فإن الإمام الخميني كان خلال سنوات ما قبل عام 1340هـ.ش(1961م) مشهوراً على صعيد التدريس، وليس السياسة، إلا أن العلماء الخواصَّ من الذين مارسوا السياسة كانوا يعرفونه جيداً، ولعل ذلك عائد الى أن الإمام كان خلال تلك الفترة مهتماً بإعداد الأنصار وتربية الأشخاص الذين يستطيعون حمل عبء مسؤولية الجهاد الثقيلة بكل شجاعة، قبل أن يظهر نفسه للأمة.** **وفي المرحلة الثانية، كان الإمام يتطلع الى الوقت المناسب، وقد حان ذلك عقب وفاة آية الله البروجردي، فقد سعى النظام الى تسيير المؤسسة الدينية في قم في ركاب ما يسميه بـ(الثورة البيضاء) وتقويصها والقضاء على قوة تأثيرها الديني من خلال إيجاد دور السينما التي يريدها، ومراكز الفساد وإشاعة الخمور لدفع قم الى اللحاق بما أسماه بـ(ركب التقدم والتحضر). وقد قام طلبة العلوم الدينية الشبان بتنبيه علماء قم الى ذلك، ودعوهم الى اتخاذ إجراءات ومواقف حازمة، وكان الإمام هو الوحيد الذي تحرك من بين العلماء لمواجهة هذا المخطط، إذ استدعى مدير شرطة وأعلمه بخطورة العمل الذي أقدمت الدولة عليه كما اشاد بمعنويات طلاب الحوزة الشبان وأوقفهم ـ في تصريح له ـ على عظم مسؤوليتهم، ولما لم تعقب السلطة هذا الأمر فقد اعتبر منتهياً.** **وقد ورد في الصفحة 107 من كتاب (بررسي وتحليل از نهضت امام خمني) في هذا الخصوص ما يلي: (ولكن كان من الضروري قبل كل شيء أن يوفر الدافع والمحرك الذي يمكنه تحريك الناس وشدّهم إليه وإلفات أنظارهم نحوه، وبغير امتلاك مثل هذا الدافع المحرك للجماهير والمحفّز لفئة العلماء لضم صوتهم الى صوته فلا يمكن القيام بالنهضة.** **أما طرح شعارات النضال ضد الإمبريالية والإستعمار والنظام الملكي، والنضال من أجل ضمان حقوق الطبقات المحرومة و.. الخ ـ في تلك الظروف التي كان يعد الحديث فيها عن السياسة والقضايا السياسية مخالفاً للشرع ـ بالرغم من أنه يمكن أن يحرّك معه مجموعة من المثقفين والتحريين ويمكن أن يستجيبوا لهذه الشعارات، إلا أنه لا يمكن أن يحرك الذين يعتبر تحريكهم ضرورياً للنهضة.** **وفضلاً عن أن طرحها كان يخلو من أي عامل تحريك، فإنه يؤدي الى تشويه سمعة العالم وعزله جانباً من خلال إلصاق صفة (المعم السياسي) به. فقد كان المعممون المزيفون وعامة الناس الذين ابتعدوا كثيراً عن الإسلام الأصيل لا يعتبرون تدخل القائد الروحي والعالِم الإسلامي في السياسة أمراً حراماً وحسب، بل يعتبرون حتى الحديث عن محرومية الكادحين ومعاناتهم أمراً بعيداً عن شؤون الدين! فهم يعتقدون أن واجب العلماء يقتصر على حثّ الأغنياء على مساعدة الفقراء! أما إذا أراد العالم الجهاد لانتزاع حقوق الفقراء من الأثرياء والرأسماليين فإنه لن يعد عالماً وقائداً روحياً إسلامياً بل (معمّماً سياسياً يجب الابتعاد عنه..)!** **وقد كانت الأوضاع تشير الى أنه لم يكن للتحركات المعارضة للحكومة ـ التي كانت تظهر على شكل تظاهرات وإضرابات وتوزيع منشورات ضد الحكومة ـ أي تأثير على الأوساط الشعبية. أما الأحزاب والمجموعات السياسية فلم تكن فعّالة بسبب سوء ظن الناس بها واتهام بعضها بالعمالة للأجنبي مما أدى الى أن تكون تحركاتها ونشاطاتها مضرة بدل أن تكون مؤثرة ونافعة.. وفي ظل هذه الأوضاع كان على الإمام الخميني التحرُّك من موقع المرجعية، وطرح شعار الثورة والنهضة في قالب ديني، مستفيداً من الجذور الفكرية والدينية العميقة لدى الأمة.** **3ـ سقوط حكومة أميني عام 1341هـ.ش(1962م):** **استطاع أميني الذي وصل الى رئاسة الوزراء بدعم أمريكي أن ينفذ عدة برامج في غياب المجلس النيابي، أدت الى التخفيف من حدّة الأزمة وإعطاء وعود عديدة للشعب. ومن بين تلك البرامج؛ تطبيقه ما يسمى بـ (قانون لإصلاح الزراعي) على الطريقة الأمريكية طبعاً.** **أما الشاه فقد كان قوته ونفوذه قد تقلصا، وكان يرى في رئيس وزرائه أميني شخصاً غير مطيع له إطاعة تامة، لذلك بدأ يفكر ويخطط لعزله كي يتظاهر بكونه هو صاحب هذه الاصلاحات.** **وقد كانت هناك مؤشرات واضحة على هذا الأمر خلال فترة السنة وبضعة أشهر التي شغل فيها أميني منصب رئاسة الوزراء، منها تهيؤ تيمور بختيار لتولي رئاسة الوزراء، وحادثة الجامعة[18] في 22/ 12/1961 التي أدت أغلاق الجامعة. وأخيراً فقد فشل أميني في الحصول على المزيد من المساعدات الأمريكية وقدّم استقالته بشكل مفاجئ. وقد اعتبرت الاستقالة بمثابة هزيمة لحكومته.** **4ـ الشاه يمسك بزمام الأمور:** **أتاحت استقالة أميني الفرصة للشاه ليتسلم زمام الأمور بيده وينصّب شخصاً ظلَّ طوال سنين عديدة خادماً مطيعاً في قصره، ليصبح رئيس وزراء شكلي، هذا الشخص هو (أسد الله علم) الذي يفخر بكونه عبداً مطيعاً في بيت الله.** **وبمجئ( أسد الله عَلم) قُضي على جميع محاولات أميني لإعطاء حريات صورية والسماح بممارسة نشاطات محدودة، وعادت من جديد سياسة الكبت الشديد، وتوسعت نشاطات أجهزة الأمن والمخابرات الشاهنشاهية، وضُيِق على الشخصيات الوطنية والمعارضة، كما اعتقبل عدد كبير منهم، وعملت أجهزة الإعلام على تسميم الأجواء. وقد سعى الشاه وبدعم من (عَلَم) الى تثبيت هيمنته وترسيخها على جميع الشؤون، وممارسة الدكتاتورية بأقصى حدودها، كما عمد الى تسمية أعماله هذه بـ(الابتكارات) وإظهار نفسه كنابغة، فمن هذه (الابتكارات) كانت لائحة مجالس الولايات التي تستوجب وضع القضايا الدينية جانباً ليرى الغربيون والمتطلعون الى الاصلاحات الشاهنشاهية كيف أنه يسنّ قوانين (تحررية) لا دينية.** **وقد واصل (علم) برنامج أميني للاصلاح الزراعي، كما سعى ضمنياً الى اقتلاع جذور أية قوة معارضة وترسيخ اسس الدكتاتورية في البلاد.** **5ـ أول مواجهة للدولة ضد علماء الدين:** **رأينا فيما مضى أن أميني سعى الى التقرب من الحوزة وعلماء الدين لتنفيذ أهدافه، أما أسد الله علم فقد كان مرتبطاً بالخارج ارتباطاً تاماً، بحيث كان يعتبر الشاه منفذاً لأوامر الأجانب فقط، ويعتقد أن تنفيذ الأوامر بالشكل المطلوب دون معارضة من أحد يتطلب رفع الشاه الى مستوى الربوبية، ولم يكن يرغب في ان يحظى أي شخص بأية درجة من الاهتمام والعناية، أو أن ينهض أي أحد لمعارضة الشاه، وقد تصور أنه وجد الفرصة المناسبة خاصة بعد وفاة آية الله الكاشاني نهاية عام 1340هـ.ش(1962م) بعد أن قضى سنوات طويلة في الجهاد ضد السلطة الحاكمة، واقض مضاجع الحكومات العميلة للأجانب.** **وبعد وفاة آية الله البروجردي في عام 1961 ولما كانت المرجعية لم تتبلور في شخص واحد بعد؛ بادر (عَلَم) الى المصادقة على قانون مجالس الولايات في 8/ تشرين أول/ 1962. وقد كان قانون حكومة (علم) هذا بمثابة جسّ نبض للحوزة، إذ ساد الاعتقاد بأن القيادة الدينية تعاني حالياً من التفرقة والتشتت، وليست لها القدرة على اتخاذ موقف موحد، كما كانت الحكومة تتصور أن شريحة المثقفين وحَمَلة الشهادات قد ابتعدوا عن الدين، وأن الدين لم يعد يمتلك قاعدة له إلا في أوساط محدودي الدخل كالفلاحين والعمال، وهؤلاء قد استمالتهم الحكومة عن طريق (الاصلاح الزراعي)، وإشراك العمال في ملكية المعامل! وفي ظل هذه الظروف يمكن تشكيل برلمان قادر على استبعاد القوانين الإسلامية، وإخراج إيران من مجموعة الدول الإسلامية.** **وفي هذا القانون، اغفل القسم بالقرآن كما أغفل اشتراط كون المرشّح لعضوية المجلس مسلماً. وقد نهض العلماء وعلى رأسهم الإمام الخميني(قدس سره) لمعارضة هذا القانون، وقد أكد الإمام في خطابه في ذلك اليوم أن دور العلماء السياسي ليس لم ينته فحسب، بل إنه مستمر بقوة واتساع أكثر من ذي قبل.** **القسم الثالث** **مراحل الهزيمة الأولى لنظام الشاه** **1ـ مصادقة حكومة علم على قانون مجالس الولايات:** **بعد أن قام أميني بحل البرلمان العشرين عام (1961م)، أخذت الحكومة تصادق على القوانين التي تحتاجها بأسلوبها الخاص. أما الشعب فلم يكن يرى فرقاً بين أسلوب مصادقة حكومة (علم) على القوانين والمصادقة على القوانين في البرلمان؛ خاصة عندما رأى الدور التاسعة عشرة للبرلمان، وطبيعة النواب فيه، وأسلوب مصادقته على القوانين، بل كان يفضّل أحياناً أن تتم المصادقة على القوانين بعيداً عن مثل ذلك البرلمان الذي شاهده.** **والمادتان 91و 92 من ملحق الدستور، قد حددتا الشروط التي يجب توفرها في الناخبين والمرشحين لمجالس الولايات، وقد وردت هذه الشروط في المادتين 7 و 9من نظام المجالس المصادق عليه في الدورة الأولى للبرلمان وهذه الشروط هي كالآتي:** **1 ـ أن يكون مسلماً وليس لديه انحراف عقائدي.** **2ـ أن يكون القسم بالقرآن الكريم.** **3ـ لا يحق للنساء الترشيح أو انتخاب أحد المرشحين.** **وفي 8 تشرين الأول من عام 1962 أعلنت الصحف أن الحكومة صادقت على اللائحة الجديدة لمجالس الولايات، وقد نشرت الصحافة نصها حيث تبيّن أن الشروط الثلاثة السابقة قد حُذفت غذ لم يعد كون المرشّح والناخب مسلماً شرطاً، واستعيض عن القَسَم بالقرآن بالقسم بأي كتاب سماوي آخر، كما مُنحت المرأة حق الانتخاب والترشيح,[19] وقد استهدف النظام من هذا التغيير في القانون عدة أمور منها:** **أولاً: ممارسة ضغط على الحوزة والمتدينين لعزلهم وإضعاف قوتهم لئلا تكون الحكومة مجبرة على التحفظ حيال العلماء والمراجع، وقد وجدت الحكومة الوقت مناسباً لذلك.** **ثانياً: بإلغاء مادة كون الإسلام الدين الرسمي للمرشح والنائب، وكذلك الاستعاضة عن الحلف بالقرآن بالحلف بأي كتاب سماوي آخر ـ كما مر ـ فتح الباب على مصراعيه للأحزاب والمجموعات غير المعتقدة بالإسلام وحتى من غير الأقليات الدينية المعترف بها (كالزرادشت اليهود والمسيح) التي تمسك عملياً بزمام أمور البلاد لممارسة دورها بشكل علني وتحت غطاء القانون.** **ثالثاً: إلقاء تبعة حرمان المرأة وتخلّفها؛ على الإسلام، والدستور السابق من خلال إعطائها حق الانتخاب والترشيح وبعض الحريات الزائفة.** **رابعاً: القضاء على آخر عقبة في طريق التبعية الكاملة للغرب.** **2ـ الفرصة المواتية للبدء بالتحرك:** **كان لابد أن تبدأ عملية المواجهة مع النظام بتوعية الأمة، وكما تصور النظام الحاكم أن الفرصة كانت مواتية لإلغاء الدين، فإن الإمام أيضاً كان بانتظار الفرصة المناسبة ليبدأ منها عملية تغيير كبير، وسنرى فيما بعد كيف أنه واصل طريق الجهاد دون توقف، حيث استمرت النهضة حتى أعطت ثمارها بسقوط الحكم الملكي وإقامة الجمهورية الإسلامية.** **وقد ذكرنا مراراً بأن الظروف الاجتماعية وضعف وعي الأمة لم يكونا ليسمحا بتدخل عالم الدين في السياسة، ولهذا كان لابد من خوض عملية توعية الأمة ودفعها الى المواجهة من خلال قضية دينية، والولوج منها الى السياسة، كما أنه لابد من زج فئة العلماء بأسرها في حركة النضال؛ لأن التحرك الفردي كان من الممكن أن يواجه شكوكاً وشبهات تثار حوله في المجتمع غير الواعي أيامذاك.** **وقد توفّرت هذه الجوانب في اللائحة الجديدة لمجالس الولايات والتي صادقت عليها حكومة (عَلَم).** **وكان من اللائق أن ينهض العلماء وطلبة الحوزة للاحتجاج وألا يبدي المتلبسون بلباس الدين والعلماء أي معارضة لأي احتجاج ضدها. ذلك أن حذف شرط الإسلام والقَسَم بالقرآن لم يكن بالإمكان التغاضي عنه من قبل أي ملتزم بالدين مهما كانت درجة معارضته للتدخل بالسياسة، لأن قانون حكومة (عَلَم) كان بمثابة إعلان حرب على الإسلام والقرآن ومحاربة هذا القانون تعتبر واجباً شرعياً، أما من وجهة نظر المجموعات السياسية والوطنية فقد كان هذا القانون بمثابة تلاعب بالدستور في زمن تجميد المجلس، وتدخلٍ في الدستور، واعتداءٍ على مبادئ الحركة الدستورية، وهذا مسوّغ كافٍ للوقوف في وجهه.** **وهكذا فقد كان بإمكان عملية المواجهة هذه أن تستقطب كل الطاقات والقوى لتتحول الى حركة شاملة بإمكانها كشف طبيعة النظام. وفي 8 تشرين الأول عُقد في منزل آية الله الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم أول اجتماع ضم الإمام الخميني (رض) وعدداً آخر من كبار العلماء؛ حيث شرح فيه الإمام الخميني طبيعة نظام الشاه ومخططاته المعادية للأمة، ومساعيه لحماية المصالح الاستعمارية والامبريالية في إيران، والتي تؤدي بالنهاية الى القضاء على الإسلام والأمة الإسلامية، كما ذكر بمسؤولية العلماء والزعماء الدينيين حيال المخططات الخطيرة لعملاء الاستعمار ضد الإسلام واستقلال الدول الإسلامية، وحذر من أن التهاون في هذا الواجب سيحملهم مسوؤلية كبرى أمام الباري(عزوجل) وأمام النبي الأكرم(ص).[20]** **وأخيراً انتهى الاجتماع بالاتفاق على جملة أمور، منها؛ أن يرفع كلٌّ من العلماء ـ على انفراد ـ برقية الى الشاه يطالبه فيها بإلغاء هذا القانون،[21] ومنها الاتصال بالعلماء في طهران وباقي المدن وتحذيرهم من أبعاد هذا القانون ونتائجه، ودعوتهم الى النهوض لمواجهته، كما قرروا عقد اجتماعات أسبوعية لتوحيد جهودهم وتنسيق وجهات نظرهم في عملية المواجهة هذه.** **لكن رد الشاه على برقيات العلماء كان يتضمن معاني اخرى، فقد كان يكشف عن أنه آلة تنفيذية فقط، وليس المقرر الأصلي، وذلك يتضح من عبارة (الفت نظر حضرتكم الى الظروف الحالية والوضع في باقي الدول الإسلامية). ألمهم أن الشاه أنهى الأمر بتحويله الى الحكومة.** **3ـ شن الحملات على حكومة عَلَم:** **مثلما هو واضح لم يكن جواب الشاه مقنعاً، ولما كان قد أحال الموضوع الى الحكومة فقد قرر مراجع قم ـ في اجتماع لهم ـ توجيه برقيات الى (علم) ومطالبته بإلغاء هذا القانون. وفي 20 تشرين الثاني 1962 أرسلوا إليه برقيات بعبارات مختلفة.** **فالإمام لم يخاطب (علم) بأي لقب، كما تجاوز حدود الاحتجاج على قانون المجالس مؤكداً أن تجميد المجلس يعتبر عملاً مخالفاً للدستور والحركة الدستورية، وحذّره من ردود الفعل العنيفة من قبل الأمة على مخالفة الأحكام الإسلامية ويضع الأمة في مواجهة مباشرة مع الحكومة.** **وأخيراً صرح بأن العلماء الأعلام في إيران وفي العتبات المقدسة والى جانبهم جميع مسلمي العالم لن يقفوا مكتوفي الأيدي حيال انتهاك حرمة الشريعة الإسلامية، وأنهم لن يدعوا هذا الانتهاك يأخذ صفة رسمية. وقد حملت برقية الإمام لهجة الأمر عندما طالب فيها (علم) بأن يعالج الأمر في أسرع وقت، وأن يحذر من تكراره، وإذا كان لديه ثمة إبهام فليأتِ الى قم من أجل التفاهم لحلّه.** **أما آية الله الحكيم وآية الله الخوئي فقد أبرقا الى آية الله البهباني يطالبانه بمخاطبة الشاه والحكومة لإلغاء هذا القانون. فقد جاء في برقية آية الله الحكيم: (أبلغوا أولياء الأمور بضرورة الوقوف في وجه إصدار أمثال هذه القوانين الكافرة المخالفة لقوانين الإسلام المقدسة والمذهب الجعفري الحق، وأن لا يفرّطوا بهذا المركز الإسلامي الذي هو محطُّ أنظار وآمال العالم، ولا يجعلوه معرضاً للبلايا والأعاصير التي تعصف به، وأن يعتبروا بالحوادث التي وقعت في البلدان الإسلامية مؤخراً...).** **أما باقي المراجع فقد طالبوا (عَلَم) ـ في برقياتهم ـ بأن يبادر الى إلغاء هذا القانون. ولم يقف الاحتجاج عند هذا الحد، بل تعدّاه ليشمل حتى المساجد والأوساط العامة. فقد كان علماء طهران يعقدون الاجتماعات ليبحثوا فيها كيفية التحرك، وراح الوعّاظ والخطباء يعقدون الاجتماعات لبحث الأمر، وأما فئات الشعب فقد راحت تتصل بالعلماء للاستفسار عمّا يمليه عليها واجبها الشرعي.** **وبعد فترة قصيرة تعدى الأمر حدود والبازار(السوق الرئيسية في طهران) ليشمل حتى الجامعة ومراكز الدراسة، وعمّت موجة السخط كل أوساط الأمة. وبدأت رسائل وعرائض الاحتجاج الشعبي والدعم لموقف العلماء تنهال على القصر الملكي ورئاسة الوزراء والمراجع، وبدأ الخطباء بمناقشة الموضوع في الأوساط والاجتماعات العامة، وقراءة البرقيات والنداءات الصادرة في هذا الشأن من على المنابر.** **أما الحكومة فقد بدأت من جانبها بفرض رقابة مشددة على الصحف للحيلولة دون نشر أي خبر عما يدور في الأوساط والاجتماعات العامة في محاولة منهم للتعتيم على الأمور والتقليل من أهميتها، كما عمدت الى التغاضي والمماطلة ظناً منها أن العلماء سيتعبون أخيراً ويصرفون النظر عن المواجهة، إلا أنهم لم يكونوا كما تصورت الحكومة، فهم حين بدأوا الاحتجاج والمواجهة إنما بدأوهما انطلاقاً مما يمليه عليهم واجبهم الشرعي ولهذا فقد كانوا يفكرون دوماً في سبل تصعيد عملية المواجهة أكثر فأكثر. وقد فتح موضوع نشر الرسائل والبرقيات والخطابات آفاقاً جديدة أما معملية تصعيد المواجهة. ففرضت الحكومة حظراً شديداً على نشر أي خبر في الصحف يتعلق بتحركات العلماء ونشاطاتهم، مما دفع علماء الحوزة في قم الى إيلاء اهمية لعملية النشر والتوزيع في طول البلاد وعرضها، وطلب الدعم من جميع المسلمين والدعوة الى رصّ الصفوف.** **أما (علم) هذا العميل والخادم المطيع للاستعمار ـ فقد التزم سكوتاً مطبقاً حيال كل حملات الاحتجاج والاستنكار، وكأن المحتجين لا يستحقون الرد ـ في نظره ـ محاولاً، من خلال ذلك، التظاهر بمظهر مستشاري فترة ما قبل الحركة الدستورية، مثل أتابك وعين الدولة. وهنا لابد لنا من التوقف عند برقيتين شديدتي اللهجة بعث بهما الإمام الى الشاه ورئيس وزرائه (علم) حيث يتبين من خلالهما أن الإمام لا يريد ترك هذا الأمر، بل إنه يضيف كل يوم أبعاداً جديدة وواسعة لعملية المواجهة. فقد وجه سهامه بالدرجة الأولى الى (علم) باعتباره المسؤول عن الأمر وفقاً للدستور حيث ظل في منصبه دون وجود مجلس للشورى مخالفاً بذلك الحركة الدستورية ومتجاهلاً الدستور.** **أما الشاه فلم يكن الإمام يخاطبه بصفته المسؤول المباشر، رغم أنه مسؤول شخصياً عن الفساد والتبعية للأجانب، وقد كان الاستناد الى الدستور محور عملية المواجهة، وهذا بحد ذاته عامل يساعد في عملية كشف ضعف الحكومة وخيانتها، فقد جاء في برقية الإمام الى الشاه:** **(على الرغم من أنني نبهت السيد أسد الله علم الى هول البدعة التي يريد إيجادها في الإسلام إلا إنه لم يرضخ لأمر الواحد القهار، ولم يولِ اهتماماً للدستور وقانون المجلس، ولم يصغ لنصيحة العلماء، ولم يرضخ لإرادة الشعب المسلم. لقد فرض السيد علَم حظراً على إبداء الرأي العام في الصحف، كما يمارس أعوانه الإرهاب والتهديد ضد الشعب المسلم الذي يريد إيصال صوته إليكم والى علماء الأمة. لقد كشف السيد علم للجميع انتهاكه لقوانين الإسلام والدستور. لقد تصوّر السيد علّم أنه سيتمكّن من إلغاء القرآن رسمياً من خلال الاستعاضة عنه بأي كتاب سماوي آخر في عملية القَسَمَ والحلف.** **إن هذا الشخص يمارس كل هذا الانتهاك لقوانين الإسلام تحت شعار الالتزامات الدولية. إن التحجج بالالتزامات الدولية في انتهاك القرآن الكريم والإسلام والدستورية ومحاربة الشعب لهو ذنب كبير لا يُغتفر.** **إنني وحرصاً مني على خير الأمة الإسلامية ومصلحتها ألفت انتباه حضرتكم الى ضرورة عدم طرح الثقة بالمتملقين الذين يرتكبون الأعمال المنافية للدين والقانون وينسبونها إليكم، كما ينتهكون حرمة الدستور من خلال إصدارهم القوانين الخيانية المنحرفة... أجبروا السيد علم على تقديم استغفاره لما صدر منه من تطاول على القرآن الكريم وإلا فسنكون مضطرين الى تذكيركم بمواضيع أخرى في رسالة أكثر صراحة وتفصيلاً..).** **أما برقيته الى (علم) فقد جاء فيها:** **(.. يبدو أنك لا تنوي الاستجابة لنصيحة علماء الإسلام. لقد تصورت بأن في إمكانك الوقوف في وجه القرآن الكريم والدستور وأحاسيس الرأي العام ومشاعره، فإن تصوّرت أن بإمكانك تغيير القَسَم بالقرآن الى (افستا) الزرادشت أو الإنجيل وبعض الكتب الضالة الأخرى لعدة أيام مستعيناً بالقوة والإكراه، وإن تصورت أنك تستطيع أن تلغي ـ رسمياً ـ القرآن الكريم وهو الكتاب السماوي الوحيد لعدة ملايين من مسلمي العالم، وتعيد عبادة الكهنة؛ إذا تصورت أن بإمكانك ذلك، فقد وقعت في خطأ كبير، وإن تصوّرت أن إصدارك قانوناً باطلاً مخالفاً للدستور يمكن أن يوجه ضربة مدمرة لأسس الدستور الذي هو ضمان استقلال البلاد، ويفتح الطريق أمام أعداء الإسلام وإيران فقد وقعت في خطأ كبير.** **إنني أجدد هنا نصيحتي لك بأن تذعن لطاعة الله والدستور، وأن تفكّر ملياً بعاقبة انتهاكك للقرآن وأحكام علماء الأمة وزعماء المسلمين، وأن لا تعرِض البلاد الى المخاطر دون مبرر، وإلا فإن علماء الإسلام لن يتوانوا عن إبداء آرائهم...).** **(بررسي وتحليلي از نهضت امام خميني / ص 155).** **وقد أدى نشر برقيات الإمام وما جاء فيها من عبارات جريئة مثل (عَلَم يريد إلغاء الإسلام رسمياً) و(إنه يعمل خلافاً للقرآن جهراً ولا يذعن للأوامر الإلهية) و(لقد تجاهل علم دستور البلاد)و... الخ الى تأجيج شعلة الغضب الشعبي في أنحاء البلاد، وروح الله الذي كان اسمه ـ والى وقت قريب ـ لا يتردد إلا في الأوساط العلمائية الخاصة حيث يُشاد بمنزلته العلمية والدينية، أصبح الآن يستقطب الأنظار كعالم مجاهد صلب.** **4ـ رد فعل أسد الله علم على موجه الاحتجاجات:** **لقد حاول (علم) إنهاء هذه الأزمة عن طريق التزام الصمت حيالها الى جانب فرض أجواء من الكبت والقمع بواسطة الشرطة وجلاوزة الأمن، وكذلك استخدام مختلف الحيل والخدع والأساليب الخبيثة التي كانت من سماته المعروفة، لتفكيك التلاحم الشعبي، إلا أنه لم ينجح في ذلك، واضطر أخيراً الى تولي عملية القمع شخصياً وعلنياً، وهكذا فقد أصدر بياناً قُرى من الإذاعة جاء فيه(أنه اصدر أوامره لقوى الأمن الداخلي بقمع أية تحركات معارضة بكل شدة والحيلولة دون الإخلال بالنظام والأمن، كما أعلن رده الأخير لبعث اليأس في نفوس المعارضين حين قال:** **(إن عجلة الزمن لن تعود الى الوراء، والحكومة لن تتراجع عن برنامجها الاصلاحي الذي تستعد لتنفيذه). لكن هذا الحديث الفارغ لهذا العبد الذليل لم يُثير أي خوف في أوساط الشعب وقادته العلماء، بل وسع أبعاد المواجهة، ودفع بالكثير من الناس الذين كانوا غافلين عما يجري الى المساجد للاطلاع على تفاصيل الأمر. وقد دفع تنامي موجة الاستياء العام من (علم) وأمثاله، حتى الأشخاص المحايدين الى الوقوف في وجه ابن شوكت الملك البيرجندي ـ الجزّار العريق في الإجرام ـ ومناصرة الحق. وقد أصبح بيان (علم) مادة دسمة لخطباء المنابر الذين راحوا يتناولون عباراته بالتحليل والاستهزاء.[22]** **أما حكومة علم، والبلاط الملكي فقد راحوا ـ وبالتعاون مع قائمقام الملك رفيع[23]الذي كان على صلة ببعض الأوساط الدينية يرسمان خطة خبيثة تقضي بتحويل عملية الاحتجاج على قانون مجالس الولايات الى الاحتجاج على قضية الاصلاح الزراعي الذي كان قد مضى عليه حوالي عام في محاولة للإيقاع بين الناس والفلاحين من جهة، والعلماء من جهة أخرى، وعندها تتدخل الحكومة كسلطة عليا وتُظهر العلماء على أنهم يؤيدون الملاكين والإقطاعين، وتشنّ حملة إعلامية واسعة عن طريق الإذاعة والصحف مفادها أن الرجعيين يؤيدون الإقطاع ويعارضون تقسيم الأراضي على الفلاحين.** **وقد تصور الشاه وحكومة علم أن بإمكانهما استغلال ذلك لإثارة فئات الشعب على العلماء، لكن هذه الخطة فشلت، إذ بادر العلماء المجاهدون الى تحليل أبعاد القضية وكشفها وواصلوا جهادهم دون اكتراث بما تشيعه الحكومة التي أجبرت على التراجع عن هذه الخطة.** **والطريف هنا هو أن الإقطاعيين والملاكين الكبار كانوا هم أنفسهم وراء المطالبة بتنفيذ قانون الإصلاح الزراعي وقد ظلوا بعد تطبيق هذا القانون يملكون الأراضي كما في السابق مع فارق بسيط هو أنهم واصلوا النهب والسطو تحت عناوين وأسماء مختلفة إضافة الى إدخال الماكنة الى مزارعهم، وتبديل اسم الفلاح الى عامل زراعي دون أن يتغير من جوهر الموضوع شيء.** **5ـ التراجع التكتيكي لحكومة الشاه:** **عندما رأت السلطة أن التهديد والقمع والتخويف لن تثني العلماء عن جهادهم، وبعد أن حددت مركز المعارضة ومصدرها، وأدركت أن روح الله الخميني مجاهد صلب غطت آراؤه وأفكاره على الآخرين، وأنه هو الذي يقود حركة الاحتجاج، وهو الذي أرسل تلك البرقية الشديدة اللهجة، لهذا كله بدأت السلطة تفكر في تفكيك صفوف العلماء، وبث الفرقة بينهم و(فصل رأس الفتنة عن الباقين!) كما تصورت عقولهم البالية. إذ فكرت بالإطراء على باقي العلماء واحترامهم وبالتالي بإرضائهم دون الإمام. وهكذا نرى (علم) الذي امتنع مدة شهر ونصف عن الردّ على البرقيات، واستخدم أسلوب التهديد والوعيد، نراه فجأة يبرق الى ثلاثة من المراجع يخاطبهم فيها بلقب أرفع قليلاً مما خاطبهم به الشاه إذ خاطبهم بلقب آية الله، وقسّم لهم الموضوع الى ثلاثة اقسام. وقال: إنّ الحكومة تؤيد رأي العلماء في وجوب كون الناخبين والمرشّحين مسلمين، كما إن القَسَمَ يجب أن يكون بالقرآن الكريم، أما عن اشتراك النساء في الانتخابات فذكر أن الحكومة ستقوم بنقل رأي السادة العلماء الى المجلس وهو الذي سيتخذ القرار اللازم بشأنه.** **وتزامناً مع ذلك عقد (علم) مؤتمراً صحفياً فصّل فيه ما ورد في البرقية التي تعتبر أول إجراء رسمي يتخذه الشاه ضد الإمام. فالسلطة كانت تتصور أن عدم ردِ(علم) على الإمام سيوجّه ضربة معنوية إليه، وسيكسر هيبته أمام المجتمع، لكن النتيجة كانت معكوسة تماماً، إذ أدى ذلك الى رفع شأن الإمام أكثر فأكثر، كما ظهرت تحليلات ووجهات نظر كثيرة حول سبب استثناء الحكومة للخميني في مخاطبتهم للعلماء، وكم كانت الضربات التي وجهها الإمام للحكومة مؤثرة ومؤلمة لها بحيث تسببت في اتخاذ هذا الموقف. وهكذا بدأت كلمات الإمام وأحاديثه تخضع للتفسير والتحليل أكثر من السابق، أما طلاب الحوزة عموماً فقد ازداد إقبالهم على الإمام، وزادوا من تحركاتهم لنشر أحاديثه وتعليماته، وأما الذين كانوا يخوضون المواجهة منهم فقد ضاعفوا من دعمهم له. وهكذا فقد كان تظاهر حكومة (علم) بتجاهل الإمام قد رفع من شأنه، كلما أن اسلوبه الحاد الذي خاطب به علم قد ضاعف من يأس (علم) من إمكانية ترويض الإمام وجرِه الى المساومة.** **6ـ استمرار نهضة علماء الدين:** **لم تستطع برقية (علم) إقناع علماء قم، إذ بادروا الى عقد اجتماع بحثوا فيه أبعاد القضية، ورفضوا اعتبار الموضوع منتهياً، كما اعتبروا هذه الخطوة من جانب(علم) خدعة ليس إلا. ذلك أن القانون الذي صودق عليه لا يُلغى بتصريح متردد لرئيس الحكومة، ثم إنه أحال الموضوع الى المجلس الذي لم يكن له وجود آنذاك.** **وقد بادر الإمام الى فضح دسائس الحكومة، وحذر العلماء من خطورة هذه اللعبة التي يمارسها النظام، ودعا الجميع الى مواصلة الجهاد والمواجهة، وهكذا فقد أبطل مفعول كل الاحتفالات والأفراح المفتعلة بمناسبة برقية (علم). وقد أعلن الإمام أمام جموع من زوّاره عن مواصلة الجهاد، كما بذل جهوداً مضنية لثني أولئك الذين كانوا يفكرون في إنهاء القضية، عن تفكيرهم ذلك.** **أما علماء قم فقد أبرقوا الى (علم) معلنين أن برقيته غير كافية لاقناعهم، كما أوضحوا في البرقية احتجاجهم انتقاداتهم بكل صراحة. ثم طالبوا بإلغاء القانون، إلا أن الإمام وضّح تفاصيل الموضوع خلال ردّه الذي تلخّص في ست نقاط، جواباً عن سؤال لأصحاب المهن، حيث أوجب في هذا الجواب مواصلة التصدي فقد كتب يقول:** **(يجب أن نقول للسيد رئيس الوزراء إنه ليس بامكان أي مجلس أو مسؤول إصدار قانون مخالف للشرع الإسلامي والمذهب الجعفري. إرجعوا الى المادة الثانية من ملحق الدستور فشعبنا وعلماؤنا واعون ولله الحمد، وسيقطعون كل يد تحاول خيانة الإسلام وشرف المسلمين، والله غالب على أمره).[24]** **وفي هذا الجواب حذّر الإمام ـ ولأول مرة ـ من خطر الصهيونية التي تهيمن على مقدرات الدول الإسلامية واقتصادها، وطالب المسلمين بعدم السكوت أمام هذا الخطر.[25] ومنذ ذلك الحين لم تنحصر مطالب الإمام بالمطالبة بإلغاء قانون مجالس الولايات، بل بدأ يتناول كل ممارسات الحكومة بالنقد والتعريض، ويطرح مطاليب تفوق طاقة الحكومة، فالحكومة المرتبطة بأمريكا كلياً كيف يمكنها قطع الدعم عن إسرائيل!؟ كما إن الإمام يركز على الأسئلة التالية:** **لماذا استمر تعطيل نشاطات المجلسين كل هذه المدة؟** **لماذا كل هذا الانتهاك للدستور؟** **لماذا سُلِبت حرية الصحافة؟** **لماذا كلُّ هذا التدهور في حياة الناس؟** **وكان لذلك أكبر الأثر في توسيع نطاق عملية المواجهة، إذ لم تعد ترتكز على مطاليب من قبيل: القَسَم بالقرآن الكريم، وكون الناخب والمرشَّح مسلمين، وإشراك النساء في الانتخابات، كما لم تعد عملية المواجهة تقتصر على العلماء بل وقفت الى جانبهم كل فئات الشعب الأخرى من جامعيين وكسبة ومجموعات وأحزاب سياسية. وفي جامعة طهران تجمهر الطلاب واتجهوا الى قم المقدسة في تظاهرة حاشدة أكدوا خلالها دعمهم وتأييدهم للعلماء.[26]** **7ـ الدعوة الى مجلس دعاء في مسجد السيد عزيز الله:** **إن رفض العلماء لبرقية (علم) وطرح الإمام الخميني لقضايا جديدة، وتوسيع نطاق الاجتماعات العامة، وتصاعد موجهة المحاضرات التي يلقيها الخطيب الشيخ الفلسفي في مسجد أرك، كل ذلك لم يُخرج الحكومة والصحافة من حالة الصمت التي التزاماتها، وهذا ما اعتبره الشعب تجاهلاً من قبل الحكومة للمؤسسة الدينية والإسلام عموماً.** **فالحكومة كانت تتصور أن تجاهلها لتحركات الإمام سيكسبها دعم الغالبية العظمى من العلماء، لكن النتيجة كانت على العكس من ذلك تماماً، فحتى العلماء الذين كانوا حتى ذلك الوقت يلتزمون الصمت أو عدم التدخل في السياسة[27]، أو كانوا يدافعون عن ممارسات الحكومة[28]، نزلوا ـ بشكل من الأشكال ـ الى ساحة الصراع، وكانت دعوة جماعة العلماء لإقامة مجلس دعاء في مسجد السيد عزيز الله بطهران صباح يوم الخميس المصادف للأول من شهر رجب ـ اتباعاً لسنة النبي الأكرم (ص)ـ بمثابة موجة عارمة عمّت كل أرجاء العاصمة طهران، والحكومة التي عملت منذ وفاة آية الله البروجردي على بث الفرقة والخلاف في أوساط العلماء والحوزة، أصبحت هي نفسها سبباً في جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم. فحتى العلماء الذين كان الشاه يريد مرجعيتهم التحقوا بصفوف المعارضة بشكل من الأشكال، وأصبح رأي الجميع في الحكومة المطيعة للشاه هو (أن علم غير مستعد لطاعة الإله القادر القاهر، ولا الالتزام بالدستور). وقد صدر بيان عن حوالي مئتين من علماء طهران بمختلف اتجاهاتهم جاء فيه:** **(إن حكومة علم تريد التصدي لموجة الاحتجاجات من خلال ايجاد جوٍ من الكبت والارهاب والتهديد بدلاً من أن تقوم بتصحيح أخطائها، وإعادة الاستقرار الى أوضاع البلاد، وتوفير العمل لآلاف الشباب الخريجين العاطلين، والالتفاف الى وضع اقتصاد الشعب الذي يرزح تحت نير الهيمنة، ومعالجة آلاف الآلام والمصائب الاجتماعية الأخرى.** **أيها الشعب المسلم!** **لقد أوصل السيد علم ضغوطه وتجاهله للرأي العام الى حد منع الصحافة ـ التي تنشر كل صغيرة وكبيرة ـ من نشر حتى جوانب من الاحتجاجات الشعبية في قم وطهران وباقي أرجاء البلاد لكي لا يطلع العالم على غضبة الشعب الإيراني التي لم يسبق لها مثيل، كما قامت الحكومة مؤخراً بمنع المطابع من طبع أحاديث العلماء والرأي العام وآرائهم وأفكارهم على شكل منشورات.. إن على السيد علم أن يعلم أنه بممارساته هذه قد وضع نفسه أمام الغضب الشعبي العارم).** **ولم يكن موضوع قانون الانتخابات بحد ذاته يستلزم كل هذه الضجة. إذ كان يكفي أن يطلب آية البهباني ـ الذي كان مقرباً من البلاط ـ من الشاه أن يلغي هذا القانون، كما كان يحدث في كثير من الأحيان، وهكذا ينتهي الأمر إلا أن القضية اتخذت أبعاداً أكبر، تمثلت في تلاحم وتراصِ صفوف مختلف فئات الشعب مع العلماء في وجه الحكومة، إضافة الى طرح مسائل أخرى عديدة.** **إن إلغاء قانون الانتخابات كان من شانه أن يعرض الحكومة الى عدم الاستقرار والثبات، ويحرمها من تحقيق ما أسمته بـ(المبادئ الثورية!) التي كانت تنوي إقرارها. وبهذا يبقى المشروع الأمريكي ناقصاً، مما سيثير سخط الحكومة الأمريكية التي ستفقد ثقتها بقدرة نظام الشاه على تنفيذ ما تريد داخل إيران، ولهذا لم تكن الحكومة راغبة في التراجع، خاصة بعد مرور تلك الفترة من المواجهة المتصاعدة.** **أما العلماء فهم أيضاً لم يكن بإمكانهم التراجع عن مطاليبهم والتزام الصمت؛ لأن هذا سيؤدي الى سقوط هيبتهم أمام المجتمع، إضافة الى أن المقاومة اعتبرت واجباً دينياً وتكليفاً إلهياً اشترك فيه جميع العلماء الذين كانوا يرون أن طبيعة الموضوع والمرحلة والوحدة الحاصلة بين فئات الأمة قد هيأت الظروف المناسبة لمواصلة الجهاد وصولاً الى نهضة إسلامية شاملة.** **لكن الحكومة شعرت أن الأمر قد ينتهي بقيام ثورة، مما اضطرها للتراجع رغم ما يحمله هذا الأمر من سلبيات وتبعات سيئة بالنسبة لها. وهكذا عقدت الحكومة اجتماعاً طارئاً لها بتاريخ 28/11/1962م حيث كان من المقرر أن يقيم الناس في اليوم التالي مجلس الدعاء، وقد صادقت في هذا الاجتماع على عدم تنفيذ قانون انتخابات مجالس الولايات المتحدة المؤرخ في 5/10/1962. وفي نفس الليلة أبرق أسد الله علم الى علماء قم[29] لإطلاعهم على النتيجة، لكن (علم) استثنى الإمام الخميني هذه المرة أيضاً.** **8ـ آخر مقاومة للإمام الخميني في خصوص القانون:** **أدى الإعلان عن إلغاء القانون الذي تم عن طريق البرقيات والرسائل التي بعثت بها حكومة (علم) الى اقناع علماء طهران بانتهاء الأمر. وقد راح الناس يقيمون الاحتفالات والمهرجانات، كما راح بعض العلماء يبرقون شاكرين. أما الإمام الخميني فلم يقنعه ما جرى، بل ظل مصراً على وجوب قيام الحكومة بإعلان نبأ إلغاء القانون عن طريق الصحف، وأن الأمر لم ينته بعد.** **وقد استهدف الإمام من خلال ذلك الحيلولة دون خبوت شعلة الجهاد ضد النظام، إذا كان يتعين عليه استخدام أساليب وطرق مشروعة ومؤثرة، خاصة وأن بعض الأشخاص قد أصابه الملل من تعطيل الدراسة الحوزوية لمدة شهرين، كما أن التعب اصاب بعض التيارات السياسية أو أنها صارت تخشى من احتمال التلاعب والتفريط بهذا النصر الذي حققوه، ولهذا فقد بعث الإمام برسائل الى طهران وباقي المدن الأخرى لفت فيها نظر العلماء الى أن المواجهة ما زالت مستمرة حتى الإعلان رسمياً عن إلغاء القانون من خلال الصحف.** **وفي الحقيقة فإن المواجهة بين الحكومة والشعب بقيادة الإمام الخميني كانت قد بدأت لتوها. فبعد اطلاع أبناء الشعب على رأي الإمام القاطع في هذا المجال قاموا بجميع البيانات والمنشورات التي تضمنت انتهاء الموضوع والغوا إقامة الاحتفالات والأفراح، وأعلنوا وقوفهم الى جانب الإمام، وطاعتهم لتوجيهاته، وقد أدى هذا الأمر تدريجياً الى أن يتألق نجم الإمام ويتميز عن باقي العلماء الكبار، وقد لقي الموقف المتصلب للإمام ترحيباً واسعاً من لدن أوساط الأمة التي كانت تريد إضعاف الحكومة وارباكها لأنها تعمل خلافاً لطموحات أفراد الأمة، وتسلب الجميع حرياتهم وتشيع أجواء الكبت والقمع، الأمر الذي دفع الأمة الى مساندة عالم مجاهد أصبح محوراً للمقاومة والثبات، وكان يتطرّق في خطاباته الى العديد من الشؤون والقضايا.** **وفي يوم الجمعة 30 تشرين الثاني 1962م اتجهت جموع شعبية حاشدة من طهران وباقي المدن الى قم للقاء الإمام في منزله، وقد تحدث سماحته الى تلك الجموع فقال:** **(رغم أن مضمون البرقية التي أرسلت الى علماء قم يعتبر مقنعاً إلا أننا لا نستطيع ترتيب أي أثر على ذلك ما لم يتم إعلان إلغاء القانون رسمياً ومن خلال الصحف. ولتعلم الزمرة الحاكمة إنه ما لم يتم ذلك فإننا لا نعير أهمية للإلغاء غير الرسمي وسنواصل جهادنا).** **وفي هذا التجمع الحاشد تحدث العديد من الأشخاص فخاطبوا الإمام بعبارة (زعيمنا الرشيد). وفي اليوم التالي عقد (أسد الله علم) مؤتمراً صحفياً قال فيه: (إن الحكومة قررت عدم تنفيذ قانون انتخابات مجالس الولايات، وأن الحكومة تعرب عن شكرها للسادة العلماء الذين بذلوا مساعي حثيثة لإقرار الأمن، وقاموا ـ بإصدارهم البيانات ـ بسدِ الطريق أمام المخربين المنتهزين للفرص.[30]** **وهكذا بدا أن الأزمة قد انتهت ظاهرياً، وهُزم علم في هذه المواجهة هزيمة منكرة، لكنه عرف في نفس الوقت المصدر الأساس للخطر الذي يواجهه. فالإمام الخميني الذي حقق هدفه كاملاً في إلغاء قانون انتخابات مجالس الولايات لم يكن يريد ترك النظام لحاله. ولهذا نراه يصدر بياناً يقول فيه:** **(... أن نهضتكم الدينية الشاملة أصبحت عبرة للأجانب، لكنني أرى من الضروري التذكير هنا بأن على المسلمين التزام الحذر، والتحلّي باليقظة والوعي، ومراقبة أوضاعهم، والمحافظة على مصالح الإسلام. إن عليهم أن يرصوا صفوفهم أكثر فأكثر ليتمكنوا من قطع أية يد قذرة قد تمتد الى مقدساتهم ـ لا سمح الله...).** **9 ـ النهاية التي أصبحت بداية لمواجهة جديدة:** **عندما بدا واضحاً للجميع أن الحكومة هُزمت في موضوع قانون مجالس الولايات الذي تحوّل الى أزمة دينية سياسية، اصبح لابد من تنحية (علم) وإحلال خادم آخر محلّه ـ حفاظاً على الشاه وذلك وفقاً للعرف السائد لدى باقي الحكومات ـ إلا أن درجة قرب (علم) من البلاط حالت دون تطبيق هذا العرف، فقد ظل في منصبه ليقوم بما يسمى بـ(الثورة البيضاء)، ويتحين الفرص لإطفاء شعلة الخميني الذي كان قد تألق نجمه حينذاك. لكن الإمام الخميني ظل في تلك الفترة متصدياً للمسؤولية، ونزل الى ساحة المواجهة بكل ما أوتي من قوة وإمكانية، وبدا يطبق عملياً ما جاء في كتبه وبياناته من عبارات (القيام لله). لكن تراجع الحكومة عن قانون مجالس الولايات لم يبق منفذاً يسوّغ استمرار المواجهة.** **وقد كان استئناف الدراسة في الحوزة بعد تعطيلها مدة شهرين أمراً مثيراً لمشاعر الطلبة وأحاسيسهم. فقبل ظهر الثالث من كانون الأول 1962 توافدت جموع غفيرة من العلماء والفضلاء وطلاب الحوزة وأبناء الشعب على المسجد الأعظم في قم للاستماع الى إعلان انتهاء الأزمة. وقد تحدث الإمام الخميني (قدس سره) بمناسبة استئناف الدراسة في الحوزة فتطرق الى أمور عديدة كان يُشم منها رائحة الإعداد لنهضة جديدة في المستقبل. فقد تحدث الإمام عن دعم فئات الشعب للعلماء وأسبابه ونتائجه، كما قام بتحديد نقاط الضعف في ثقافة البلاد، وحمّل الحكومة مسؤولية ذلك، وذكر الجوانب التي تستحق الدعم من الدستور، لكنه أكد أن الدستور الأفضل والثابت والراسخ هو القرآن الكريم، وذكر العلماء والمبلغين وناشري الإسلام بمسؤولياتهم، وأعاد الى أذهانهم النتائج الإيجابية للتلاحم والاهتمام بمصلحة الأمة.** **ثم وجه حديثه الى الحكومة فطالبها بأن تكون في خدمة الأمة وإلا فإن الوضع سيستمر كما هو الآن، وقد بدأ الإمام خطابه بهذا الشكل:** **(منذ ظهور الإسلام، والمسلمون هم دائماً حماة هذا الدين المبين، حتى أنهم تنازلوا عن الكثير من حقوقهم حفاظاً على بيضة الإسلام، وأبرز مثال على ذلك سيرة أمير المؤمنين في زمن الخلفاء الذين سبقوه واستمر الوضع هكذا حتى جاء معاوية الى الحكم وانحرف عن نهج الخلفاء، وبدل الخلافة الى ملك، فاضطر أمير المؤمنين (ع) الى التصدّي له، ولم يكن أمامه غير ذلك لأن موازين الشرع والعقل تمنعه من إبقاء معاوية على كرسي الخلافة حتى يوماً واحداً.** **أما أولئك الذين كانوا ينصحون الإمام علياً ـ عن جهل وغفلة ـ بأن يترك معاوية لحاله حتى تترسخ أركان الخلافة ومن ثم يعزله، فلم يكونوا يعلمون بأن صبر الإمام وتوانيه في ذلك كان سيثير احتجاج المسلمين، كما أن التواني في ذلك سيقوّي سلطة معاوية ويرسّخها، وعندها سيكون من الصعب عزله. وحين رأى الإمام علي(ع) حكومة ظالمة تريد حكم المسلمين، أدرك أن عليه أن يقف في وجهها، وهكذا فعل.** **وهكذا نهض الأئمة المعصومون(ع) رغم قلّة من معهم ـ ولم يثنهم ذلك ـ حتى قتلوا وأقاموا فرائض الله، ومن كان منهم لا يرى مصلحة في النهوض؛ يجلس في بيته ويؤكد للناس بأن هذا النهج موجود منذ ظهور الإسلام، وقد سار علماء الإسلام وزعماؤه على هذا النهج، فهم يدعون الناس الى السكوت إذا اقتضت المصلحة، أما عندما يرون الخطر يحدق بالإسلام، فإنهم يسعون في البداية الى حل المشاكل عن طريق النداءات وكشف الحقائق والتفاوض وإرسال المبعوثين الى الجهاز الحاكم قدر المستطاع، وإذا ما رأوا عدم جدوى ذلك، يرون أنفسهم مضطرين الى النهوض لمواجهة الخطر.** **فلم يمضِ زمن طويل على قضية المرحوم الميرزا حسن الشيرازي ـ هذا الشيخ المفكّر صاحب العقل الكبير الذي كان يقيم في مدينة سامراء العراقية الصغيرة، ويحيط به حوالي ثلاثمائة طالب فقط ـ فعندما لاحظ هذا العالم الجليل أن الخطر يهدد كيان الإسلام، وأن الملك المتجبر (في إيران) آنذاك كان يريد القضاء على الإسلام بواسطة الشركات الاحتكارية باستهتار وسوء أدب وعبارات والفاظ بذيئة، وجد نفسه مضطراً لاتخاذ موقف أكثر حزماً.** **وهكذا اطلق كلمته المشهورة كي يعود الاستقلال، بالرغم من أنه كان يدعو دائماً الى الهدوء.. وبعد ذلك نرى الميرزا محمد تقي الشيرازي عندما رأى العراق معرّضاً للخطر، أطلق نداءه واستنفر العراقيين ودفعهم الى كسب الاستقلال، ولولاه لقُضي على العراق.** **إن استقلال جميع الدول الإسلامية مرهون بهذه الفئة، فهؤلاء هم الذين دافعوا ـ وما زالوا ـ عن استقلال الدول الإسلامية لحد الآن، هؤلاء هم ذخر للمجتمع، ولطالما استطاعوا بنصائحهم تهدئة الناس المتمردين. لكن الأمر يختلف عندما يرون الخطر محدقاً باستقلال البلاد، إذ إن الإسلام يوجب عليهم في هذه الحالة النهوض لصدِ هذا الخطر، كما حدث في نهضة العلماء الأخيرة التي هي نهضة قرآنية دينية قام بها العلماء انطلاقاً من واجبهم الديني.** **إنني وقبل الليلة التي كان مقراً فيها عقد مجلس الدعاء في مسجد السيد عزيز الله أخبرت أن الحكومة تنوي استخدام العنف، ووقتها رأيت أن واجباً آخر يقع على عاتق العلماء، وقد اتخذت أنا قراراً نهائياً إضافة الى الدعاء، بيد أنني لم أخبر أحداً بالأمر.** **وقد منَّ الله على الحكومة والشاه والشعب بأن تنبَّهت الحكومة بعد منتصف الليل الى خطورة عملها، وأيقنت أنها لن تستطيع الوقوف في وجه قوة الشعب، وكنتُ قد اتخذت قراراً خطيراً فيما لو قامت الحكومة بالتعدي على العلماء، لكن الحكومة تراجعت وقامت في نفس الليلة باستحصال توجيهات من علماء طهران الى الناس بانتهاء الأزمة، وأرسلت الى علماء قم برقيات أعلنت فيها إلغاء القانون، ولكن ظلت هناك مخاوف من أن تكون في الأمر حيلة، لكن الأمر انتهى أمس وبعد محادثات طويلة بين قم وطهران إلى إعلان نبأ إلغاء القانون رسمياً في الصحف.** **ونحن الآن نعتبر الأمر منتهياً، ونحمد الله على أن ما جرى كان بمؤازرة الشعب ونهضته، وانتهى دون عنف ودون إراقة حتى قطرة دم واحدة، ففي انتفاضة محدودة وحرب محلية؛ يسقط عادة العديد من القتلى، ويُجرح الكثيرون، ولكن لا يمكن أن نتصور أن انتفاضة يقوم بها عشرون مليون إنسان تنتهي دون أن تسقط قطرة دم من أنف أحدهم، فهل تعلم الحكومة من الذي حافظ على هذا الهدوء وحال دون تفاقم الأزمة؟!** **فليأتوا ويروا الرسائل التي وصلتنا، والأشخاص الذين اتصلوا بنا، ويروا ماذا كتبوا وماذا قالوا. لقد جاء إلينا أشخاص بعيون دامعة ويقولون بلهفة: أصدروا أوامركم واعطونا الدعم المعنوي فقط، وسترون ما سيحدث. فلو صدرت كلمة واحدة لحدث انفجار.** **فمن الذي أطفأ هذه الشعلة؟** **لماذا لا يريدون إدراك هذه الحقيقة؟** **لماذا هم يريدون تدمير هذه الدعامة بكل الوسائل؟** **لماذا هم يستخدمون كل قواهم في تدمير هذه القوة الكبرى التي هي دعامة أساسية للاستقلال؟** **يعلم الله كم أنا آسف إذ لماذا تقف الحكومة هذا الموقف من العلماء الذين يسايرون هذا الوضع، ويخدمون استقلال البلاد بهذا الشكل؟** **ولماذا أوصلوا ثقافتنا الى هذا الوضع؟** **لماذا لا يستندون الى العلماء؟** **لماذا يتوتر الوضع عندما يموت أحد العلماء، لكن الشعب يحتفل عندما تسقط الحكومة؟!** **إن على الحكومة أن تكون بشكل بحيث يعلن الشعب الحداد إذا سقطت أو هُزمت، وأن يقف الى جانبها من أجل الحفاظ عليها. فلو رأى الشعب أن الحكومات تسعى الحفاظ على مصالح الإسلام والمسلمين وتقوم بخدمته، فسيقوم الشعب بدعمها بكل وسيلة ممكنة، سيبيع حتى بيوته من أجل دعمها، ولكن الحكومات ـ وللأسف ـ لا تدرك هذه الحقائق. إنها غافلة عن أنه لولا وجود العلماء، فلن تكون للحكومة دعامة تسندها.** **إن علماء الدين هم حراس الدولة الإسلامية ودعامتها القوية، فلماذا يريدون تحطيم هذه الدعامة؟ لماذا يلصقون كل هذه التهم بالعلماء؟** **لماذا يبثون سمومهم ضد علماء الدين عن طريق الصحف والإعلام؟** **لماذا يطلقون العنان للصحافة لتنشرها ما يحلو لها من الأراجيف ضد العلماء ومقدسات الإسلام؟** **لماذا يسمحون بالاحتفال بالسابع من كانون الثاني بكل حرية[31]؟** **إن كل هذا يثير سخط الشعب تجاه الحكومة والمسؤولين. لا تثيروا بهذه السموم سخط الناس على الحكم ولا تسمحوا بوقوع فضائح السابع من كانون الثاني، فالبلاد لا تتقدم بهذه الأمور، بل تتطور وتتقدم بالجامعات وهذه هي الأخرى جعلتموها جامعات صورية، فالجامعات موجودة عندنا في الظاهر منذ مئة عام ولكن لوزتي السلطان عندما تحتاج الى عملية جراحية يجب استدعاء طبيب من الخارج لمعالجتها، وسدّ (كرج) لا ينجز إلا بأيدي الأجانب، والطرق لا يشقها إلا المهندسون الأجانب! فهل إن الالتزامات الدولية تقتضي هذا الوضع؟! فلو كان عندكم المهندس والطبيب فستكون لديكم الثقافة المقدمة.** **لماذا تستقدمون الأشخاص من الخارج للعمل في مجال العمران والصحة؟** **لماذا تعطون مئة ألف تومان شهرياً للأجنبي؟ أجيبوا!** **إن كنتم تفتقرون الى الكادر ـ فيا للأسف ـ توجد في هذا البلد جامعة وثقافة منذ مئة عام، لكنه يفتقر الى المهندس والطبيب الخبير. هذا هو كلام علماء الدين، إنهم لا يعارضون التقدم الاقتصادي والاجتماعي للبلاد. إن هذه تهمة توجه لعلماء الدين. إنهم يديرون الأمور في أرجاء الأرض منذ خمسمئة عام.** **إرجعوا الى التاريخ، فرغم وجد خلفاء الجور والظلم ألم يكن للإسلام منهج تقدمي؟ وهل أن علماء الدين ضد التقدم والتطور؟ فأي موضوع تقدمي لقي معارضة من العلماء؟ هل وقفوا في وجه بناء المدارس؟ هل عارضوا إنشاء المعامل؟ ماذا فعلتم بمشروع صهر الحديد في كرج؟ هل أردتم ـ مثلاً ـ صناعة الطائرات والتحليق في السماء لاحتلال باقي الكواكب وعارضكم العلماء!؟ نحن نقول لا تجروا النساء الى الفساد باسم الحرية والتقدم، لا تحرفوهنّ عن الصراط المستقيم، فلقد مضى على كشف الحجاب عشرون ونيِف من الأعوام، فما الذي جناه الرجال من ذلك؟ وما الذي جنته البلاد كلها من ذلك؟ فالذين تقلدّونهم تقليداً أعمى يصلون اليوم الى أعالي السماء، وأنتم تصلون الى النساء؟! لا تلصقوا التهم والألقاب السيئة بعلماء الدين، فذلك عيب عليكم.. كفوا عن هذه الترَّهات.. لا تستهينوا بالإسلام والقرآن.. لا تتغاضوا عن الدستور باسم التقدم والالتزامات الدولية.** **يجب أن يتم التذكير بهذه النقطة وهي أن تمسكنا بالدستور واستنادنا إليه هو من باب (ألزموهم بما الزموا به أنفسهم) وليس ذلك دليلاً على كمال الدستور، فعندما يتحدث العلماء فإنهم يستندون الى المادة الثانية من ملحق الدستور التي تنص على أن سنَّ أي قانون يخالف القرآن؛ لا يكتسب أية صفة رسمية، وإلاّ فمالنا والقانون الوضعي؟ فنحن لدينا الإسلام وقوانينه، ولدينا القرآن والأحاديث النبوية وأحاديث الأئمة (عليهم السلام).** **إننا نؤيد ونرضخ ـ وبكل تواضع ـ لكل ما يتفق مع الإسلام وقوانينه، ونعارض كل ما يتنافى مع الدين والقرآن ولو كان ذلك الدستور أو الالتزامات الدولية. هذه حقائق يجب أن تقال، ونصائح يجب أن تُقدَّم، ولكن ما الفائدة ما دام الذين يجب أن يسمعوها غير موجودين هنا، وإن وُجِد أحد منهم؛ فلن يوصل ما يعتلج في صدورنا الى من يمه الأمر.** **إن هذا التجمع يحدث بكلمة واحدة منا، لكن الآخرين لا يستطيعون ذلك إلاّ بشق الأنفس، ويكلّفهم بالتالي الكثير، لأن الناس تيقنوا أننا أصدقاؤهم، والناس يحبون أصدقاءهم. رجل طاعن في السن يكتب عند منتصف الليل(اجتمعوا للدعاء) فتتحرك طهران كلها، أو إن آخر يكتب من هنا (نريد أن نقوم بالابتهال الى الله بآية (أمّن يجب المضطرَّ إذا دعاه ويكشف السوء) انظروا ما يحدث. لأن الشعب أدرك أن العلماء يريدون خير هذه الأمة وصلاحها، إنهم مصلحون وليسوا مفسدي. نحن نريد من الحكومة أن تكون هكذا؛ إن أعلنت حداداً لبس الجميع السواد وألغوا جميع الاحتفالات، وأن يكونوا رهن إشارة الحكومة كما هم رهن إشارة العلماء، يتجمَّعون ويحتشدون متى ما دُعوا الى ذلك.** **لقد كتب لنا أهل مدينة (شهرري) رسالة يقولون فيها: نحن خمسة آلاف شخص نرتدي الأكفان ونقف رهن الإشارة، ومن جابلق بعث لنا مئة ألف شخص برسائل يعلنون فيها استعدادهم لتنفيذ ما يُطلب إليهم، ومن لُرستان بعثوا لنا برسائل يقولون فيها: إن عشائر اللُّر ارتدت الأكفان وتستعدُّ للتحرُّك. وهكذا فإن الأمة ولله الحمد واعية، فهل إن الأمة الواعية رجعية ومتخلّفة؟!** **ألقوا سلاحكم جانباً، وارفعوا حرابكم من فوق رؤوس المواطنين لتروا مع من يكون الشعب، ومن الذي يتمتَّع بالدعم الشعبي؟! لنأتِ نحن الى طهران وندعو الى اجتماع جماهيري غرب طهران، وتعالوا أنتم وادعوا الناس الى التجمع شرق طهران، أو تعالوا أنتم الى قم واطلبوا من الناس التجمع في مركز المدينة، وسندعو نحن الناس الى التجمُّع على بعد فرسخين من المدينة، إفعلوا ذلك في أي مكان آخر وسترون كيف أن الأمة معنا، تقف الى جانبنا كما نقف الى جانبها ونفي لها، وعلى هذا، فلا تفرِطوا بهذه الدعامة، وأنا أنصح الشاه بأن لا يخسر هذه القوة!** **لقد رأى الجميع ـ مرتين ـ مدى وفاء الأمة لعلماء الدين. فخلال قضية قانون مجالس الولايات رأى الجميع كيف انتفض الشعب اتباعاً وتأييداً لعلماء الدين. والمرة الثانية عند وفاة آية الله البروجردي حيث اهتزت البلاد كلها. فمنهم يموت شخص ومنا يموت، لكن الفرق هو كعبد السماء عن الأرض، ثم يأتون ليقولوا بأن المعمَّم لا قيمة له، كيف يمكن ذلك؟ إنه يقول بأنني لا شأن لي بالمعّممين! لكن المعمّمين لهم شأن بك.** **إنّ الاستماع الى نصائحهم هو من الواجبات وتركها يعدُّ من الكبائر، سواء فعل ذلك الشاه أو أصغر موظف وشرطي، فالجميع يجب أن يأخذوا بنصيحة العلماء وإرشادهم، فهذه واجبات علماء الدين.** **إن استمالة قلوب الأمة الإسلامية تأتي بالالتزام بالإسلام واتباع القرآن (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)، فالله هو مقلب القلوب، فاتجه الى الله لتتجه القلوب إليك.** **إن استمالة قلوب المسلمين تأتي من خلال التسليم أمام قوانين الإسلام، وهذا هو شأن أهل العلم، فكونوا أنتم كذلك. نحن لا نقول إلبسوا العمامة أيضاً، بل نريدكم أن تدركوا ما أدركه عالم الدين، فهو يقول: إن الحكومات يجب أن تكون في خدمة الشعوب، تعالج مشاكلها وترعاها لكي تستميل قلوب الناس، وإلا فإن الوضع يصبح كما هو الآن بحيث ينتظر الشعب أياً من الحكومات ستقضي عليه! أيتها الحكومات! أيها المساكين! إن فتح البلاد ليس بالأمر الصعب ـ وهو مالا تستطيعون فعله والحمد لله ـ لكن المهم فهو فتح القلوب، فإن شئتم فهذا هو الطريق وإن لم تشاءوا فالأمر إليكم).** **(بررسى وتحليلى از نهضت امام خميني/ص 195 وما بعدها)**

**أما حكومة (علم) فقد سعت الى التعويض عن هزيمتها؛ بشنها حملة إعلامية ضد علماء الدين، متهمة إياهم بالرجعية(خاصة فيما يتعلق بمسألة حقوق المرأة وحريتها) وأخذت الصحافة تصف علماء الدين بأنهم ضد التحضّر والحرية وحقوق الإنسان، ودعموا هذه الهجمة بتنفيذ سيناريو تظاهرة في (7/1/1963م) لإلقاء تبعة كل التخلف والمآسي على عاتق(الرجعيين) ويقصدون بذلك الإسلاميين الذين هم ـ حسب ادعاء النظام ـ يعارضون كل عمل إصلاحي.** **وقد لعبت الحف دوراً كبيراً في التمهيد لهذا الأمر الذي تم إحباطه في النهاية، كما أعلن العلماء أنه إذا ما واصلت الحكومة هذه الممارسات فسيقومون بإحياء الذكرى السنوية للهجوم على مسجد گوهرشاد وقتل المسلمين فيه.** **ـــــــــــــــــــــــــــــــــ** **\* آل عمران: 137 ـ 139.** **[1] الإمام (ع) يتصف بخاصية الجذب والدفع، جذبُه ودفعه قويان جداً، ولعلنا لا نجد ـ على مر العصور ـ قوة جذب ودفع لدى أحدٍ كما هي عند الإمام علي(ع). له أصدقاء وأتباع عجيبون، تاريخيون، مضحّون، يعتبرون التضحية بأرواحهم من أجله من أهدافهم ومفاخرهم، وهم ينسون كل شيء في حبه، وعلى الرغم من مضي كل هذا الزمان على شهادة الإمام علي(ع) فما زالت قوة جذبه تخيم بظلالها على مواليه.. فقوى الجذب قد تكون أحياناً ذات بعد واحد، وأخرى ذات بعيدين، وقد تكون ذات ثلاثة أبعاد، وهي عند الإمام علي(ع) من النوع الأخير، فهي تجذب أكبر عدد من الناس، كما أنها لم تقتصر على قرن أو قرنين، بل ظلت باقية على مر العصور، وتنامت وتوسعت أكثر فأكثر، كما ترسخت وتأصلت في القلوب، وهذا هو أقوى أنواع الجذاب. فلو لم يكن الإمام علي(ع) رجلاً إلهياً لنُسي وانمحى ذكره، مثل علي كمثل قوانين الفطرة الخالدة، إنه نبع فياض لا ينضب.** **(جاذبه ودافعه على (الجذب والدفع عند علي) للاستاذ الشهيد مطهري/ ص 29).** **[2] مدرسة التشيع العلوي تقسم تأريخ البشرية الى أربع مراحل:** **المرحلة الأولى مرحلة الرسالة والنبوة: وتبدأ منذ خلق آدم(ع) حتى التحاق خاتم الأنبياء(ص) بالرفيق الأعلى.** **والمرحلة الثانية: مرحلة الوصاية: وتبدأ منذ عهد الإمام علي(ع) وحتى نهاية الغيبة الصغرى، وخلال هذه المرحلة كانت القيادة في أيدي الأئمة الاثني عشر، وفي الأعوام التي كان فيها الإمام الثاني عشر في غيبته الصغرى، كان له أربعة نواب يسمّى كل منهم بـ(النائب الخاص) على اتصال مباشر به وهم يتولون قيادة المسلمين.** **والمرحلة الثالثة: مرحلة الغيبة الكبرى: تبدأ منذ بداية الغيبة الكبرى أي عام (250) هجري قمري، ونهايتها مجهولة، وتختم بظهور الإمام المهدي (عج).** **والمرحلة الرابعة: مرحلة الظهور: حيث يقوم الإمام المهدي(عج) بثورة عالمية كبرى فيبسط العدل في المجتمع البشري، ويتولى هو قيادة العالم أجمع. ( راجع كتاب: روش علي(نهج علي) للسيد جلال الدين المدني).** **[3] إنّ فكرة الانتصار النهائي لقوى الحق والعدالة على الباطل، وتوسع الإسلام عالمياً، وإحياء القيم الإنسانية بشكل واسع وشامل، وإيجاد المدينة الفاضلة أو بالاخرى تنفيذ هذه الفكرة على يد شخصية مقدسة عبّرت عنها الروايات الإسلامية بأنها المهدي(عج) هذه الفكرة تؤمن بها جميع الفرق والمذاهب الإسلامية بشكل أو بآخر، ذلك أن لها أسساً قرآنية، فالقرآن هو الذي بشر بالنصر النهائي والأكيد للإسلام والصالحين على الظالمين والجبابرة، ووعد بمستقبل زاهر وسعيد للبشرية. (يراجع كتاب(قيام وانقلاب مهدي ازيددگاه فلسفه تاريخ)(ثورة المهدي من وجهة نظر التاريخ والفلسفة) للشهيد مطهري).** **[4] آية الله العظمى السيد حسين البروجردي، ينتهي نسبه الى الإمام الحسن(ع). ولقد في بروجرد عام 1292هـ.ق وانتقل الى اصفهان فيا لثامنة عشرة من عمره لإكمال دراسته. وبعد عشر سنوات ذهب الى النجف الأشرف في العراق ليدرس على يد آية الله الخراساني، وبعد عودته الى بروجرد بعدة سنوات انتقل الى قم ليتولى المرجعية حيث ظل مدة (16) عاماً مرجعاً عاماً للمسلمين.** **[5] لقد ساند آية الله البروجردي الكاشاني ودعمه عدة مرات، وخاصة عندما كان الكاشاني يتعرض لأخطار السجن أو النفي أو الأعدام؛ إذ كان يقوم ـ وبأساليبه الخاصة ـ بالاتصال بالنظام والعمل على التخفيف من هذه الأخطار. أما الحوزة العلمية في النجف وقم فلم تقف مكتوفة الأيدي حيال الإهانات التي وجهت الى آية الله الكاشاني في آواخر عهد حكومة مصدق، بل قام العلماء في النجف وقم باتخاذ إجراءات جماعية في هذا السبيل، وخلال حوادث تأميم النفط أصدر آية الله محمد تقي الخونساري الذي كان من المرجع حكماً شرعياً قال فيه: (... إن أي إنسان ـ مهما كان غافلاً ـ يدرك أن تسليط الأجانب على النفط الذي هو عماد حياة هذه الأمة، يدل على خفة العقل، وعدم الاكتراث بالمجتمع، وعدم الالتزام بالتعاليم والواجبات الدينية، ودم مراعاة مصلحة المجتمع، وعلى أي حال، فإن النبي يقول (من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم) فهل هناك مصداق للاهتمام بأمور المسلمين أفضل من هذا، حيث يعاني ملايين المسلمين الذل والهوان والبؤس. ولو لم نكن قد فقدنا عواطفنا الإنسانية لكنا نبكي دوماً، أمن اللائق أن يتجاهل الإنسان هذا الموضوع المهم؟! إن مما يتنافى مع الضمير والوجدان أن يقول أحد إن ذلك ليس اهتماماً بأمور المسلمين، فإذا لم يشمل الحديث هذا الموضوع المهم، فما الذي يعنيه إذن؟ إن رفض هذا الحكم يعني رفض حديث رسول الله(ص)، لقد ألقيت الحجة علينا، خاصة وأن حضرة آية الله الكاشاني دامت بركاته، الذي هو المجتهد العادل والحريص الشهم، والمضحي من أجل دين الأمة ودنياها، يقوم بكل جدٍ بتوعية أبناء الأمة، وهو بهذا يلقي الحجة على الجميع.. الأحقر محمد تقي الخونساري). أما آية الله الشاهرودي فقد اصدر هو الآخر فتوى في هذا الخصوص قال فيها:** **بسم الله الرحمن الرحيم** **(.. رداً على سؤالكم حول حكم الشرع والدين فيما يخص قطع أيدي الأجانب والخونة عن البلاد(تأميم النفط في أرجاء البلاد) فإن من المعلوم والثابت ـ دون أدنى شك ـ أن كف أيدي الأجانب عن بلاد المسلمين وتأميم النفط في أرجاء البلاد، هو أمر واجب، وعلى كل مسلم العمل بجدية في هذا الأمر الحيوي والمهم، خاصة وأن شخصاً كآية الله الكاشاني يقف في طليعة هذه النهضة المقدسة، وخصص كل أوقاته الشريفة للعمل على رفع الظلم والجور، وتوفير الراحة والسعادة للمسلمين، وهو يقف في طليعة المضحين من أجل الشرع والإسلام والمجاهدين ضد الظلم. وهو العارف بأمور البلاد وتفصيلاتها من خلال تحركاته ونشاطاته التي استمرت سنوات طويلة وعلى المسلمين معرفة مكانته، والاستفادة من وجود أمثاله، وليست هناك أية شبهات من حيث الموازين الشرعية والدين الإسلامي المقدس في الإقدام على تأميم صناعة النفط في كل أنحاء البلاد..) (الأحقر عباس علي الشاهروي). ويلاحظ من الوثائق المرقمة 9 و 10 و 11 في الصفحات 58و 59 من كتاب (روحانيت ونهضت صنعت نفت) (موقف العلماء من قضية تأميم النفط ـ بالفارسية) أن الحوزات العلمية لم تلتزم الصمت المطبق حيال الشؤون السياسية، إلا أنها في نفس الوقت لم تقم بتحرك هادر يتخذ من العلماء والحوزة محوراً له.** **[6] ولد الإمام الخميني في مدينة خمين عام 1320هـ.ق وكان أبوه آية الله مصطفى قد تولى الزعامة الدينية هناك، أثر عودته الى مدينة خمين بعد اتمام دراسته في النجف الأشرف وقد قُتل بأيدي الأشرار عندما كان في السابعة والأربعين من عمره، ولم يكن لابنه (روح الله الخميني) من العمر آنذاك أكثر من خمسة أشهر وعندما بلغ الإمام السادسة عشرة من العمر توفيت امه وعمته.** **تعلم الإمام الخط على يد شخص اسمه حمزة المحلاتي، درس المقدمات على يد أخيه الكبير، بعدها انتقل الى الحوزة العلمية في اصفهان لكن وجود آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي في آراك جعله ينتقل الى هذه المدينة، وعندما انتقلت الحوزة العلمية من أراك الى قم عام (1921م) انتقل إليها الإمام وكان آنذاك طالباً شاباً حيث سكن في مدرسة دار الشفاء. وفي قم واصل دراسته، حتى نال درجة الاجتهاد وأصبح من المجتهدين البارزين. وقد برع الإمام في علوم أخرى كالفلسفة والحكمة والعرفان، فضلاً عن احتلاله منزلة مرموقة في الفقه. وقد امتاز الإمام في هذه المرحلة بتهذيب النفس وبنائها وتربيتها على المفاهيم والقيم السامية. فلم يكن يفصل بين التحصيل العلمي واكتساب الفضائل الإنسانية وبلوغ الدرجات الروحية، وقد خطا خطوات موفقة في هذا الطريق.** **إنّ المنزلة التي حظي بها الإمام لدى طلاب الحوزة وفضلائها قد نبعت من قوة تركيز الجوانب المعنوية لديه قبل أن تنبع من منزلته العلمية. إنّ تعمق الإمام الخميني(رض) في العلوم العقلية؛ مكّنه من الرد ـ من موقعه في الحوزة العلمية في قم ـ على جميع الإشكالات والشبهات العقلية التي كانت تُثار حول الإسلام.وقد تجلى ذلك في كتابه (كشف الأسرار) الذي جاء رداً على أحد الكتب المنحرفة المضللة، وقد دفع الكثير من الفضلاء الى دراسة العلوم العقلية على يديه، معتبرين إياه الأستاذ الوحيد في هذا المجال. وقد كانت الدروس الأخلاقية للإمام تستقطب محبيه من الفئات كافة، حيث كانت المدرسة الفيضية تكتظ بالناس في أوقات الدرس الذي كان يقيمه يومي الخميس والجمعة. وعندما أراد الشرطة في عهد رضا شاه منع هذا الدرس ـ معتبرين أنه مخالف لمصلحة النظام ـ قال الإمام حينها: (إن واجبي يحتم عليّ إقامة هذا الاجتماع، فليأتِ الشرطة أنفسهم ويحولوا دون إقامته).** **وقد بدأ الإمام الخميني بتدريس البحث الخارج في الفقه والأصول منذ عام 1364هـ.ق أي عندما كان عمره (44) عاماً، وقد أوجد بذلك مركزاً لتخريج المجتهدين المتبحرين، واحتل أعلى منزلة تدريسية في مجال العلوم الإسلامية، وكان له من التلامذة أمثال الشهيد الأستاذ المطهري، ممن كانت قلوبهم تخفق شوقاً عند ذكر اسم الإمام القائد(قدس سره).** **[7] يقول الإمام في كتابه (كشف الأسرار): (أحياناً تجب الحرب الدفاعية دون وجود إمام أو من يعينه، كأن يكون الشخص ضمن مجموعة تتعرض لهجوم من قبل العدو، أو أن يهاجم العدو بلاد المسلمين ويستولي عليها، أو يأسر أهلها المسلمين أو ينهب مالهم، وفي كل هذه الحالات يجب على الناس الدفاع عن بلادهم وأرواحهم وأموالهم ودخول الحرب ضد الأجانب).** **[8] التوبة: 9 / 36.** **[9] البقرة: 2 / 191.** **[10] البقرة: 1/ 190.** **[11] من أحاديث الرسول الأكرم(ص)، وسائل الشيعة/ باب الجهاد/ ج11/ ص5/ ح 1و 2.** **[12] (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ ص 84) نقلاً عن (كشف الأسرار) ص 289، وكلاهما باللغة الفارسية.** **[13] (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ ص 85) نقلاً عن كشف الأسرار/ ص 223ـ 224.** **[14] في هذا العام تعرضت إيران لغزو الحلفاء (المترجم).** **[15] بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ص 96.** **[16] الكرّاس صدر بمناسبة ذكرى وفاة السيد علي الوزيري وهو شخصية علمية من أهل يزد، عُرف بولعه في اقتناء الكتب ومطالعتها، وقد بلغت كتبه الآلاف ما بين مخطوط ومطبوع (المترجم).** **[17] كتب الإمام الخميني موضوعاً في كرّاس تكريم ذكرى السيد علي وزيري فيما يلي ترجمته:** **بسم الله الرحمن الرحيم** **(قال الله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى}.** **لقد أوضح الله سبحانه وتعالى في كلامه الشريف هذا كل شيء، من البدايات المظلمة للطبيعة وحتى نهاية المسيرة الإنسانية، إنها من أفضل المواعظ التي اختارها الله وقدَّمها للبشر، هذا هو الطريق الوحيد لصلاح العالم، القيام لله هو الذي جعل من إبراهيم خليلاً لله وحرّره من كل قيود عالم الطبيعة... والقيام لله هو الذي مكّن موسى كليم الله من التغلُّب على أعوان فرعون بضربة واحدة من عصاه، وبالقيام لله قضى خاتم الأنبياء على كل عادات الجاهلية وتقاليدها وحطم الأصنام في بيت الله، وأقام محلها التوحيد والتقوى ـ إن حب الذات وترك القيام لله هما اللذان أوصلانا الى هذا اليوم الأسود، وسلطا علينا العالم كله، وأخضعا الدول الإسلامية لهيمنة الآخرين.** **إن القيام للنفس والمصالح الشخصية هو الذي قضى على روح الوحدة والأخوة بين أبناء الأمة الإسلامية، وهو الذي فرَّق عشرات الملايين من الشيعة بشكل أضحوا معه لقمة سائغة لمجموعة من عُباد الشهوات.** **إن القيام لجل المصالح الشخصية هو الذي يمكّن شخصاً واحداً من السيطرة على عدَّة ملايين من البشر، وإحراق الحرث والنسل بشهواته وأهوائه، وهو الذي يمكّن الآن مجموعة من الأطفال، من أبناء الشوارع، من السيطرة على أموال المسلمين ونفوسهم وأعراضهم في أرجاء هذا البلد. والقيام للنفس الأمارة بالسوء هو الذي جعل المدارس في قبضة حفنة من الصبيان السذّج، ومراكز العلم والقرآن تتحول الى مراكز للفحشاء وهو الذي جعل الموقوفات والمحافل والمؤسسات الدينية في قبضة مجموعة من المتسكعين عديمي الشرف؛ بينهما لا ينبس أحد أمام كل هذا ببنت شفة. والقيام للنفس هو الذي ساعد على نزع الحجاب من على رؤوس النساء المسلمات العفيفات، وهذا ما يحدث اليوم خلافاً للدين والقانون، ودون أن يواجه أي اعتراض. والقيام للنفس هو الذي جعل الصحف ـ التي هي الآن أدوات إشاعة الفساد ـ تواصل تنفيذ تلك الخطط التي تفرزها العقول المتحجرة. والقيام للنفس هو الذي فسح المجال لبعض النواب غير الشرعيين في البرلمان ليتفوهوا بما يريدون ضد الدين وعلمائه دون أن يرد عليهم أحد. أيها العلماء الإسلاميون! أيها العلماء الربانيون! أيها المفكرون المتدينون! أيها الخطباء والمتحدثون! إقرأوا الموعظة الإلهية، واسلكوا طريق الصلاح الذي فتحته أمامكم واتركوا مصالحكم الخاصة لتنالوا بذلك سعادة الدارين، إحيوا حياة طاهرة شريفة لتفوزوا في الدارين ـ اليوم هو اليوم الذي هبَّ فيه نسيم الروحانية الإلهية، وهذا هو أفضل يوم للنهضة الإصلاحية، فلو فرطتم بهذه الفرصة ولم تقوموا الله ولم تتمكَّنوا من إعادة المراسم الدينية، فسوف تسيطر عليكم غداً حفنة من المتسكعين عُبّاد الشهوات وتسخّر دينكم وشرفكم لتنفيذ مآربها الدنيئة. ما هي الذريعة التي تتذرعون بها أمام المحكمة الإلهية؟! ولماذا كل هذا الضعف الذي يسيطر عليكم؟!** **أيها السادة المحترمون الذين كتبتم هذه الصفحات وأوصلتموها الى علماء البلاد وخطبائها! حريُّ بكم اليوم أن تقوموا بتأليف كتاب يجمع الشمل ويسير الجميع معاً في طريق الأهداف الإسلامية، كان الأجدر بكم أخذ عهود ومواثيق من الجميع بالنهوض في أرجاء البلاد عندما يتعرض الدين لأية إهانة أو تعدٍ. على الأقل تعلَّموا من (...) فلو تعرض أحدهم في قرية الى أي أذى، نهض الجميع لمساندته... أي عذر لكم عند الله؟ فقد رأيتم جميعاً كيف قام شخص تبريزي تافه بتأليف كتاب يحتوي على كل هذا التطاول على دينكم ومقدساتكم، ووجه وهو في مركز التشيع كل هذه الإهانة للإمام الصادق (ع) والإمام المنتظر(عج) ومع ذلك لم تتفوهوا بكلمة واحدة. وعندما لم تنهضوا من أجل حقوقكم المشروعة نهض الظالمون، وبدأوا الهمس ضد الدين في كل مكان، وبهذه السرعة، تمكّن المفرّقون من السيطرة عليكم حتى أصبحت أوضاعكم أكثر سوءاً{ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ}. روح الله الموسوي الخميني ـ (11/ جمادى الأولى/ 1363هـ.ق كيهان/ العدد 10613، 15/1/1979م).** **[18] ظل تيمور بختيار يواصل جرائمه وإراقته للدماء وسلبه للحريات مدة عشر سنوات حتى ظهر في هذا التاريخ كمنافس لأميني، وبدأ يستعد لتولّي رئاسة الوزراء فقد كان يجري إظهاره للناس على أنه رجل السياسة الوطنية المحنّك، وقد كانت حصيلة هذا التنافس؛ الهجوم الذي تعرضت له جامعة طهران في 21/1/1962م والذي أسفر عن إصابة العديد من طلابها بجروح، وعقب ذلك ظلت الجامعة مغلقة حتى نهاية حكومة أميني. أما بختياري فقد هرب من إيران وظهر بعد عدة أعوام متلبساً بلباس المعارضة للشاه حتى لقي مصرعه في العراق على أيدي المخابرات الشاهنشاهية.** **[19] الحوزة العلمية كانت تستدل على معارضتها لإعطاء المرأة حق الانتخاب والترشيح بأن المرأة الإيرانية كانت ـ كالرجل ـ محرومة من أبسط حقوقها الإنسانية، والشاه خادم مطيع لأمريكا وإعطاءه المرأة حق الانتخابات لا يتعدّى كونه خدعة يستهدف منها جرَّ المرأة الى الفساد. فتعيين عدة نساء في مجالس الولايات لا يداوي جرحاً. إذن فمعارضة هذه الفقرة لم تكن معارضة لحرية المرأة، بل هي معارضة لتوسيع رفعة الفساد الذي سعى الشاه دائماً الى إشاعته وترسيخه، ولهذا فقد أوضح الإمام القائد في ذلك الوقت الأمر بقوله: (نحن لا نعارض تقدُّم المرأة، بل نعارض الفحشاء، نعارض هذه الممارسات الخاطئة، فهل أعطوا الرجل الحرية في هذا البلد لكي يدعوا الآن إعطاءها للمرأة؟ وهل إن حرية المرأة والرجل تتحقق بالكلام فقط؟).** **[20] بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ص 149(باللغة الفارسية).** **[21] بعث العلماء ـ كلاً على انفراد ـ ببرقيات الى الشاه بلهجة لينة ممزوجة بالاحترام والنصح بحيث لا تحمل أية دلالة على بدء عملية مواجهة ضده. لكن جواب الشاه الذي جاء بعد أسبوع، كان يحمل الكثير من النفاق والطعن، فهو أولاً: يلمح من خلال مخاطبة العلماء بـ(حجة الإسلام) الى أنه لا يعترف بمرجعيتهم، وثانياً: يهدف من عبارة (اتمنى لحضرتكم التوفيق في توجيه وإرشاد العوام) الى القول بأن واجبكم هو هداية العوام وإرشادهم، وليس التدخل في الشؤون السياسية. وثالثاً: كان يريد من خلال عبارة (ألفت نظر حضرتكم الى الظروف الحالية والوضع في باقي الدول الإسلامية) أن يقول للعلماء إنهم رجعيون وبعيدون عنما يدور في العالم، فلماذا يريدون إسلاماً غير ما هو موجود في البلدان الإسلامية؟ لنقرأ نص برقية الشاه الجوابية للعلماء وننعم النظر في عباراتها:** **(من القصر الملكي في سعد آباد** **الى قم: حضرة حجة الإسلام.. دامت إفاضاته ـ وصلتنا برقيتكم ونحن نشكركم على دعائكم الخالص. إن بعض القوانين التي تصدر عن الحكومة هي ليست بالشيء الجديد، ونذكر بأننا نسعى أكثر من غيرنا الى الحفاظ على الشعائر الدينية. وسترسل البرقية المذكورة الى الحكومة. وبالمناسبة نلفت نظركم الى الظروف الحالية الوضع في باقي الدول الإسلامية في العالم. نرجو لكم التوفيق في نشر الأحكام الإسلامية، وهداية أفكار العوام ـ 15 تشرين الأول 1962). (راجع: (نهضة الشهرين لعلماء إيران)/(بالفارسية: نهضة دوماهه علماى ايران) علي دواني عام 1962 ـ طبعة قم).** **[22] الخطيب الشيخ الفلسفي الذي كان يقوم آنذاك بإيصال أحاديث العلماء ونداءاتهم الى الناس من خلال المنبر أجاب على حديث (علم) من على منبر مسجد أرك قائلاً: (إنّ دماء التحرريين المسفوكة لم تجف بعد بينما نرى السيد علم يعطل المجلس التشريعي، ويعود ثانية على عملية اتخاذ القرارات، ويسن القوانين داخل الغرف المغلقة. إنه يريد إعادة الزمن الى الوراء.. يريد هدم أركان الحركة الدستورية (المشروطة) وإعادة فرض سلطة الاقطاعيين واستبدادهم علينا، لكن على السيد علم أن يعلم أن عجلة الزمن لن تعود الى الوراء، والحركة الدستورية لن تعود الى المستبدة، وقد أصبح هذا شعاراً يردّده الشعب في تظاهراته).(بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ ص 167).** **[23] (قائمقام الملك رفيع) عضو مجلس الشيوخ آنذاك، كما تولى مهام المشرف على أمور الحج والأوقاف لفترة معينة (المترجم).** **[24] النص الكامل لجواب الإمام على رسالة أصحاب المهن كما ورد في الصفحة 177 من كتاب (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى).** **[25] ورد في جانب من هذا الجواب ما يلي: (إنني وانطلاقاً من واجب الشرعي أحذر الشعب الإيراني ومسلمي العالم من أن القرآن والإسلام معرّضان للخطر، وأن استقلال البلاد واقتصادها هما في قبضة الصهيونية التي ظهرت في إيران باسم الحزب البهائي، ومع هذا السكوت القاتل للمسلمين؛ فلن يمضي وقت طويل حتى تهيمن الصهيونية ـ وبواسطة أذنابها ـ على اقتصاد هذا البلد بشكل كامل، وتقضي على أصالة هذا الشعب المسلم على الصُعُد كافة). (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ص 178).** **[26] نهضة الحرية أصدرت بياناً بعنوان (حول البيانات الأخيرة للعلماء الأعلام والمراجع العظام) أكدت فيه دعمها لنهضة العلماء وانتقدت الصحافة لعدم نشرها الأخبار المتعلقة بالاحتجاجات. كما أدرج البيان مقاطع من عبارات العلماء التي خاطبوا بها الشاه والحكومة. وجاء في البيان:( الأجدر بالسادة لا يحصروا احتجاجاتهم بموضوع انتخابات مجالس الولايات، وكذلك لا يتلوثوها بموضع الاصلاح الزراعي الذي أصبح أسلوباً تضليلياً ماكراً تستخدمه السلطة، بل إن الأفضل لهم أن ينظروا أبعد من ذلك، وأن يعالجوا مصدر كل هذه المفاسد والانحرافات؛ ألا وهو استبداد الحكم الفردي، وبذلك يدافعون عن أحكام الشريعة والدستور المعطلة، ويطالبون بإقامة الحكم الشعبي عن طريق الانتخابات الصحيحة). وفي هذا البيان أكدت (نهضة الحرية) أن ما يطالب به العلماء الأعلام وغالبية الشعب المسلم لا يعتبر رجعية وعودة الى الوراء أبداً. فهو ليس معارضةٌ للحرية ولا وقوفاً في وجه حقوق الشعب بما فيهم النساء والرجال، بل إننا جميعاً نطالب بالنظام البرلماني والحكومة الشرعية والحريات المشروعة. إن الدين الإسلامي والعلماء ليسا ضد المرأة ـ فالإسلام هو أول من أعطى للمرأة منزلتها المرموقة وحقها في التملك والتصرف بممتلكاتها الخاصة والنبي الأكرم(ص) يقول: (الجنة تحت أقدام الأمهات). إن اهتمام العلماء يتركز على الأغراض الخفية لهذه المخططات. إن السادة يخشون أن يؤدي جرُّ المرأة الى ساحة المعترك السياسي الى سلب المرأة عفتها ومنعها من أداء واجبها الطبيعي.** **[27] في بيان لآية الله السيد أحمد الخونساري جاء ما يلي: (منذ مدة والسادة المراجع المحترمون والعلماء الأعلام(دامت بركاتهم) وعامة المسلمين يقومون ـ حباً منهم للخير، وحرصاً على مصلحة البلاد، وأداء منهم للواجب الشرعي ـ بلفت نظر الحكومة الى بعض الأمور تحريرياً وشفهياً إلا أنه، وللأسف، لم تشاهد أية استجابة من قبل المسؤولين، ولهذا، واتباعاً لسنة الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) بالتوجه الى الله تعالى بالدعاء والتضرع إليه لحل مشاكل المسلمين فإن جماعة العلماء في طهران ستعقد يوم الخميس المصادف للأول من رجب مجلس دعاء، ونأمل من المؤمنين كافة الحضور والمشاركة في الدعاء والابتهال الى الله). (الأحقر السيد أحمد الموسوي الخونساري).** **[28] أما آية الله البهبهاني، فقد أصدر بياناً جاء فيه:(... إن قانون حكومة علم الأخير فيما يخص انتخابات مجالس الولايات، والذي يتعارض مع الشريعة الإسلامية والدستور، إنما هو دليل واضح على ارتكاب الحكومة أعمالاً منافية للقانون، كما يكشف عدم التزام الحكومة بمصلحة الشعب الإيراني المسلم وآماله.. وعلى هذا فإن علماء الدين مصممون على الوقوف في وجه هذه الممارسات قدر الإمكان). (العبد محمد الموسوي البهبهاني).** **[29] نص البرقيات التي بعث بها علم الى علماء قم كان كالآتي:** **(من قصر رئاسة الوزراء الى حضرة آية الله...** **رداً على برقية حضرتكم فيما يتعلق بتوضيح أكثر حول موضوع قانون مجالس الولايات، أعلن لحضرتكم بأن الموضوع وكما قلنا في البرقية المؤرخة (26/1/1962م) قد رُفع الى الحكومة حيث صادقت على عدم تنفيذ القانون المؤرخ(5/10/1962م). رئيس الوزراء أسد الله علم.** **وبعد منتصف الليلة نفسها بربع ساعة بعث (علم) ببرقيتين الى آية الله البهبهاني وآية الله الخونساري وطلب إليهما إلغاء مجلس الدعاء الذي كان مقرراً عقده في اليوم التالي، كما كان مقرراً عقده في اليوم التالي، كما كان عشرة من العلماء يعقدون اجتماعاً استمر حتى منتصف الليل بانتظار رد الحكومة، حيث قام هؤلاء العشرة ومعهم عماد تربتي مبعوث (علم) باستحصال طلب من أربعة من العلماء بإلغاء مجلس الدعاء حيث جاء في الطلب(بما أن حضرة السيد رئيس الوزراء أعلن أن الحكومة صادقت على عدم تنفيذ قانون انتخابات مجالس الولايات، لذا فإن اجتماع الخميس في الأول من شهر رجب.. لا مبرر له).** **[30] صحيفتا اطلاعات وكيهان ـ 1/ كانون الأول/ 1962م.** **[31] 7 كانون الثاني مظاهرات أعدَّ لها النظام تحت شعار: إعلان التأييد لما يسمى بالحريات والتطور والتحضر، وقد استهدفت الحكومة من ذلك إظهار العلماء وكأنهم معارضون لكل ذلك (المترجم).**

**الفصل الثاني**

**الثورة البيضاء! وانتفاضة الشعب ضدها**

**القسم الأول**

**الهيمنة الأمريكية تحت ستار ثورة الشاه**

**1ـ الشاه فارس الساحة بلا منازع:**

**نتناول في هذا الفصل مرحلة أصبح فيها الشاه ـ وبدعم من أمريكا، وموافقة الاتحاد السوفيتي وبريطانيا ـ فارس الساحة السياسية الإيرانية بلا منازع. فلم يكن في هذه الساحة حتى برلمان عميل، بل إن الشاه ـ ومن خلال أسد الله علم ـ كان يضع القوانين ويفرض على الشعب تنفيذها، ولكي يعطي الشاه أوامره وقوانينه صفة شعبية ويظهر حكومته أمام العالم بمظهر الحكومة الديمقراطية، أقدم على إجراء انتخابات عامة في البلاد، وبما أن الشعب لم يكن يحمل نظرة طيبة عن الانتخابات فقد قام الشاه بإطلاق مصطلح آخر عليها وهو (المصادقة الشعبية) ثم سمّاها بـ(الثورة) لتمريغ هذا المصطلح الجميل في الوحل، ولإبعاد أية فكرة للثورة من أذهان الناس. وبما أن القائمين بهذه (الثورة)! والمساندين لها هم الشاه نفسه وحكومته، وقد خرجوا منها سالمين؛ فقد أضاف إليها صفة البياض وأطلق عليها اسم (الثورة البيضاء) لتمييزها عن الثورة الحمراء.**

**هذه الإجراءات المضللة التي تمت بدعم من السياسة الاستعمارية؛ انطوت على أمر مهم، ألا وهو التصدي للدين معتقداته ومقدساته، والسعي للقضاء على ما أسموه بـ(القيود الخرافية القديمة التي تكبل الناس)! والتي كانوا يعتبرونها عقبة كأداء في طريقهم.**

**وفي قبال هذا التيار، ظهرت في أوساط الحوزة الدينية ـ التي تراقب النهج السياسي للحكم البهلوي طيلة خمسين عاماً ـ شخصية بلغت منزلة المرجعية القوية التي لا يمكن اختراقها، هذه الشخصية كانت دائماً في الطليعة، ترشد وتقترح وتبادر في الوقت المطلوب.**

**وفي هذا الفصل، سنتطرق أيضاً الى ظاهرة الوحدة والتلاحم بين أوساط الحوزة والعلماء في مواجهة النظام.**

**2ـ استمرار النفوذ الأمريكي:**

**تحدثنا فيما مضى عن سبب إصرار أمريكا على تسلم علي أميني منصب رئاسة الوزراء، وكذلك إصرارها على إنجاز ما يسمى بـ(الإصلاح الزراعي)، وعن سب تولي الشاه مباشرة مسؤولية القيام بهذا (الاصلاح) وتكليفه به عبده المطيع (أسد الله علم).**

**ومن المؤكد أن الحكومة الأمريكية وعبيدها من أمثال الشاه وعلم وأميني لم يكونوا يحرصون على مصلحة الشعب لكي يفكروا في توفير الرفاهية والسعادة له، وكيف يحدث ذلك وهم الذين صادروا كل حقوق الشعب وحرموه حقه في تقرير مصيره؟!**

**لقد كانت الحكومة المستبدة تستمد قوتها من القوى الخارجية، ولا تعرف في تعاملها مع الشعب غير منطق القوة والظلم، فأقل انتقاد للجهاز الدكتاتوري الحاكم او احتجاج ضده كان كافياً غير منطق القوة والظلم، فأقل انتقاد للجهاز الدكتاتوري الحاكم أو احتجاج ضده كان كافياً لأن يؤدي بصاحبه الى زنزانات التعذيب. لكن الاستقرار والثبات والتظاهر عالمياً ومحلياً بعدم الاستبداد كانت أموراً ضرورية للحكومة الدكتاتورية، وهذا الأمر يتم بالقيام بإصلاحات شكلية ترافقها حملات إعلامية واسعة لخداع عوام الناس.**

**إن أمريكا كانت تريد البقاء في المنطقة، وكانت تعلم أن الفلاحين والعمّال هما الخطر الأكبر الذي يهدد مصالح الإمبريالية في الدول الخاضعة لسيطرتها ولهذا كان لابد من القضاء على هذا الخطر من خلال القيام بمؤامرة (الإصلاح الزراعي)،ولعبة إشراك العمال في عائدات المصانع، فضلاً عن القضاء على السنن والاعراف والقوى التي تحظى باحترام الشعب وتوجهه معنوياً وعلى رأسها القوة الدينية، واستبدالها بظواهر وعناوين جذابة، كان من بينها إصلاح قانون الانتخابات. كما أن إلغاء نظام الطبقات المتمثل في طبقتي الإقطاع والرعية كان بإمكانه التخفيف من موجة التذكر والسخط الشعبيين، كما أن القيام بعملية استفتاء كفيلة بخداع الرأي العام.   [1]وعلى أي حال فقد كان الغرض من القيام بالثورة الأمريكية على يد الشاه ضد الشعب، هو إظهارها على أنها ثورة الشاه والشعب، وإظهار الشاه المستبد بمظهر البطل أمام الشعب.**

**3ـ ثورة الشاه البيضاء:**

**ولإنجاز المهمة المكلف بها، قام الشاه بتاريخ (9/1/1963م) بإعلان مشروعه (المبتكر!) حيث قال: (... المبادئ التي أعرضها على الرأي العام باعتباري ملكاً للبلاد ورئيساً للسلطات الثلاث من أجل مصادقة الشعب عليها مباشرة ودون أية واسطة هي كالآتي:**

**1ـ إلغاء نظام الاقطاع والرعية أو المصادقة أو المصادقة على بنود الإصلاح الزراعي على أساس لائحة تعديل قانون الإصلاح الزراعي التي صودق عليها في (9/1/1962م) وملحقاتها.**

**2ـ المصادقة على لائحة قانون تأميم الغابات في أنحاء البلاد.**

**3ـ المصادقة على لائحة قانون بيع اسهم المصانع الحكومية كدعم للإصلاح الزراعي.**

**4ـ المصادقة على لائحة قانون إشراك العمال في أرباح الوحدات الإنتاجية والمصانع.**

**5ـ لائحة تعديل قانون الانتخابات.**

**6ـ لائحة قانون تشكيل (جيش العِلم) بهدف تنفيذ التعليم الإجباري العام.**

**وقد بادرت وكالات الأنباء وأجهزة الإعلام الغربية ـ التي كانت بانتظار هذا الإعلان ـ الى تناقله مصحوباً بحملة ضجيج إعلامي كبير، وبدأت تتوقع إدلاء الغالبية العظمى من الناخبين بأصواتها بالإيجاب في هذا الاستفتاء، وقد كان الوضع آنذاك حساساً جداً، وكان معارضو السلطة يبحثون عن طريق يرشدهم الى اتخاذ موقف من ذلك، والعديد من السياسيين والأحزاب التي تدّعي زعامتها للمعارضة قامت بمباحثات ومشاورات عديدة تمخّضت عن إعلانها لشعار معيّن طُرح على أنه المنهج السياسي للمعارضة. هذا الشعار هو (نعم للإصلاحات... لا للدكتاتورية!)، حيث ملأوا به شوارع طهران، إضافة الى يافطة علّقت فوق المدخل الرئيس لجامعة طهران.**

**القسم الثاني:**

**تحرُّ علماء الدين بدعمٍ شعبيٍ**

**1ـ موقف علماء الدين من (ثورة الشاه البيضاء):**

**عمد علماء الدين ـ وقبل اتخاذ أي موقف ـ الى التحقيق في مغزى اللوائح الست التي قدمها الشاه، ولهذا فقد التقى آية الله روح الله كمال وند ـ وهو من علماء خرم آباد ـ بالشاه بعد اجتماعه بعلماء قم، وأبلغه معارضة علماء قم لما يُسمى بالإصلاحات والتي هي مخالفة للإسلام، لكن الشاه كان يعتبر بقاءه مرهوناً بعملية الاستفتاء التي فُرضت عليه، كما أنه لم يكن يتوقع ظهور شخصية بارزة في المؤسسة الدينية لتقف في وجهه، ولهذا فقد أبلغ آية الله كمال وند أن هذه المواد يجب أن تطبق، وقال: إن لم أطبق هذه المواد فسأنتهي، وسيتسلّم السلطة أُناس لا يؤمنون بكم ولا ينهجكم، بل سيهدمون هذا المساجد على رؤوسكم ويقضون عليكم.**

**وأضاف الشاه: إذا وافق علماء الدين على برنامجي الإصلاحي هذا ولم يضعوا العقبات في طريقه؛ فأنا اعدهم بأنني سألبي أي طلب أو حاجة لهم فيما يخص الحوزة! ثم شكا الشاه من العلماء وقال: عليهم أن يتعلموا حب الملك من علماء السنّة الذين يدعون لملوكهم بعد كل صلاة، لكن ما الذي يفعله علماؤنا!!؟ فردّ كمال وند على الجزء الأخير من كلام الشاه بقوله: إن علماء السنة هم موظفون لدى الحكومة، ودعاؤهم لرؤسائهم وملوكهم هو جزء من واجباتهم الإدارية. أما علماء الشيعة فلم يكونوا في يوم من الأيام موظفين لدى الحكومة أبداً.**

**كما قال للشاه: إن الاستفتاء لم يرد ذكره في الدستور، وحكومة مصدّق حوربت بسبب قيامها بعملية الاستفتاء. لكن الشاه ظل يسوّغ ذلك مدعياً بأنه سيقوم بعملية (مصادقة شعبية) وليس استفتاء. وقد سارعت الصحف بعد ذلك الى استخدام مصطلح (المصادقة الشعبية) بدل الاستفتاء.**

**أما آية الله العظمى الخميني فقد أوضح وجهة نظره حول عملية الاستفتاء أو المصادقة الشعبية على مبادئ ما سمي بـ(الثورة البيضاء!) وذلك في رده على استفتاء جمع من المؤمنين، حيث سنرى كيف أن رأي الإمام القاطع وسوابقه الجهادية في ذلك العام وكذلك آراء باقي المراجع والعلماء التي كشفت نوعاً من الوحدة النسبية بين علماء الدين، وسنرى كيف استطاعت كل هذه الآراء خلق مشاكل عديدة في طريق إجراء الاستفتاء فقد جاء جواب الإمام كالآتي:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**لم أكن راغباً في أن يصل الموضوع الى مرحلة إبداء رأينا مباشرة حول هذا الأمر ولهذا فقد ذكرت الشاه ـ ومن خلال السيد بهبودي ـ بالمصالح والمفاسد، وأدّيت بذلك واجبي، لكنه رفض ذلك، وأراني الآن مكلفاً بالعمل وفقاً لواجبي الشرعي. ففي رأيي أن الاستفتاء الذي سمي بالمصادقة الشعبية تحاشياً لبعض الإشكالات؛ هو أمر مخالف لرأي علماء الدين والغالبية العظمى من الشعب فيما لو لم تستخدم أساليب الترغيب والترهيب. ولن أتطرق في هذا المجال المحدود الى الجوانب الشرعية التي لا تعترف بأية قيمة للإستفتاء أو المصادقة الشعبي في مقابل الإسلام، ولا الى الإشكالات القانونية الرئيسية في هذه المصادقة، بل سأكتفي بالإشارة الى بعض الإشكالات:**

**1ـ القوانين الإيرانية لم تنصّ على الاستفتاء، ولم يحدث ذلك من قبل باستثناء مرة واحدة، وقد أُعلن آنذاك أن ذلك يفتقد الشرعية، بل إن الأذى لحق ببعض الأشخاص بسبب اشتراكهم فيه مما أدى الى حرمانهم من بعض الحقوق الاجتماعية، ولا ندري لماذا كان الاستفتاء عملاً غير قانوني آنذاك، وأصبح اليوم قانونياً.**

**2ـ لا ندري أي مسول له الحق في القيام بعملية الاستفتاء، فهذا أمر يجب أن يحدده الدستور.**

**3ـ في البلدان التي يجيز قانونها الاستفتاء يجب أن تعطى فرصة كافية للشعب ليطّلع على المواد التي يجري الاستفتاء عليها، لدراستها ومناقشتها من خلال الصحف ووسائل الإعلام الأخرى لتطرح آراء المؤيدين والمعارضين لها، لا أن يجري الاستفتاء بشكل مبهم وخلال ايام معدودة.**

**4ـ الناخبون يجب أن يكونوا على قدر كاف ٍ من الاطلاع بحيث يدركون لأي شيء يدلون بأصواتهم، وعلى هذا فلا أحد يملك الحق في الاشتراك في الاستفتاء على المواد الست ما عدا بعض أهالي المدن باعتبارهم يتمتعون بقوة تشخيص كبيرة، وهؤلاء هم معارضون لهذه المواد دون أي جدال.**

**5ـ الإدلاء بالصوت يجب أن يتمَّ في أجواء تسودها الحرية، ولا وجود فيها للضغط والترغيب والترهيب، وهذا الأمر غير موجود عملياً في إيران، فالمؤسسات الحكومية مارست ومازالت تمارس الإرهاب والمضايقة ضد غالبية الشعب وفي كل أرجاء البلاد.**

**وفي الأساس فإن الهدف من الاستفتاء؛ التعمية والتغطية على المخالفات القانونية التي يقوم بها المسؤولون والحيلولة دون متابعتها، وقد قام هؤلاء باستغفال حضرة الشاه وأظهروا له أنهم يقومون بهذا العمل من أجل النساء. فإن كان هؤلاء يريدون خدمة الشعب فلماذا لا يرجعون الى الإسلام وخبرائه ليطبقوا نظرياته وبرامجه، ويوفروا الرفاهية لجميع الطبقات، ويجلبوا سعادة الدارين لهذا الشعب؟**

**لماذا يؤسسون الصندوق التعاوني؟ وهل ف يذلك غير مصادرة حصيلة جهود المزارعين وأتعابهم؟ إن تأسيس هذا الصندوق سيقضي على البازار(السوق التجاري المركزي) وعلى جميع التجار والمزارعين. وستواجه جميع طبقات الشعب هذا المصير. فلو التزم الشعب الإيراني بأحكام الإسلام، وطالب الحكومات بتنفيذ النظام المالي الإسلامي بالاستعانة بعلماء الإسلام؛ لعاش حياة الرفاه والسعادة.**

**إن العلماء يستشعرون الخطر يداهم القرآن والدين، ويبدو أن هذا الاستفتاء الإجباري سيكون مقدمة للقضاء على المبادئ المتعلّقة بالدين، لقد أحسوا أن في قانون انتخابات مجالس الولايات خطراً على الإسلام والقرآن والبلاد، ويبدو أن الأعداء جاءوا بنفس مضمون ذلك القانون في شكل آخر، لينفذوه على أيدي مجموعة من الناس السذَّج المغفَّلين.**

**إنّ واجب علماء الإسلام أن يحذروا الشعب المسلم من أي خطر يواجه الإسلام والقرآن لئلا يكونوا مسؤولين أمام الله. أسأل الله تعالى أن يحفظ القرآن المجيد واستقلال البلاد).**

**روح الله الموسوي الخميني**

**2ـ تظاهرات طهران في 22/1/1963م:**

**بيان آية الله الخميني (قدس سره) القاضي بتحريم الاستفادة؛ انتشر بسرعة في طهران وفي باقي المدن الإيرانية، فتحركت له الأمواج البشرية، وتعالت الصرخات والتنديدات بالاستفادة المزيف المخالف للإسلام. (البازار) أقفل أبوابه، وجموع من الناس تحركت باتجاه منزل آية الله الخونساري وطلبت منه الانضمام الى التظاهرات الشعبية الإسلامية. كما تجمعت السيول البشرية في شارع بوذرجمهري وتقاطع سيروس وسط طهران وكان في طليعة المتظاهرين جمع كبير من علماء الدين، واستمر المتظاهرون بإطلاق شعاراتهم الاحتجاجية، أما آية الله البهبهاني فقد خرج لاستقبال المتظاهرين في مقدمتهم علماء الدين في تقاطع سيروس حيث تقاطر الناس على منزله وهناك خطب في الجماهير حجة الإسلام الفلسفي وأعلن إضراباً لمدة ثلاثة أيام احتجاجاً على الاستفتاء غير القانوني، كما قرئ بيان من قبل آية الله الخونساري، وآية الله البهبهاني، نصَّ على تحريم الاستفتاء، ودعا الى تجمُّع شعبي كبير في مسجد السيد عزيز الله في (البازار) عصر ذلك اليوم.**

**وقد واجهت تظاهرات الجماهير عصر ذلك اليوم واجتماعهم في مسجد السيد عزيز الله مضايقات من قبل الشرطة والجيش، فكانت المنطقة الواقعة ما بين الجامعة والبازار ساحةً للصدامات والاشتباكات وقد تعرض آية الله الخونساري لهجوم وإهانة من قبل أزلام النظام عندما كان في طريقه الى المسجد، فأجبر على العودة الى البيت.[2] كما لم يحضر آية الله البهبهاني الى المسجد معتذراً بأن رئيس الشرطة قال له: إذا أردت الخروج الى المسجد فعليك أن تعبر على جنازتي. أما المتظاهرون فقد تعرضوا لهجوم مرتزقة الشاه الذين قاموا بضرب الناس إهانتهم، واعتقال أعداد كبيرة منهم لتهيئة الأجواء المناسبة لإجراء الاستفتاء.**

**3ـ اجتماع العلماء في منزل آية الله الغروي والمقابلة الصحيفة لعلم:**

**عصر يوم 24/1/1963 إجتمع علماء طهران في منزل آية الله الغروي لاتخاذ قرار جماعي ضد الاستفتاء، وبينما هم مشغولون بالبحث والمداولة، قامت قوات الأمن بمداهمة المنزل واعتقال من تمكنت من اعتقاله، وهكذا كشفت هذه الممارسات الوجه الحقيقي لـ(الثورة البيضاء). فقد قامت قوات الجيش في ذلك اليوم بمهاجمة جامعة طهران لقمع تظاهرات الطلبة المنددة بهذا الاستفتاء.**

**إنّ الشاه أراد القيام بإصلاحات تظاهر بأنه يريد من خلالها مصلحة الشعب وتحقيق الرفاهية للعمال والفلاحين، لكنه واجه معارضة شديدة من قبل نفس هذا الشعب، والسبب واضح فالشعب لم يكن يرى في ادعاءات الشاه أية مصداقية، بل كان واضحاً لديه أنه ينفّذ ما يرسمه له الأجانب، والشعب يرفض بشدة هذا التدخّل، فهو يحس بالخطر لأنه يعلم أن هذه الإصلاحات تخفي وراءها مؤامرة جديدة، وأن مبتكريها لا تهمُّهم مصالحه أبداً.**

**وقد أجرى رئيس الوزراء ـ أسد الله علم ـ مقابلة صحفية حاول من خلالها التقليل من أهمية هذه المعارضة، والادعاء بأنه يسيطر على الأوضاع. كما قال: (إن الحكومة ستقمع بشدة كل القوى المخربة!... ولابد أنكم سمعتم اليوم قيام بعض الأشخاص ببعض التحركات بالقرب من البازار، والحقيقة أنني لا أعلم جذور هذه التحركات ومصدرها).**

**4ـ زيارة الشاه لقم في 22 كانون الثاني 1963م:**

**قرر الشاه القيام بنفسه بحسم الموقف مع العلماء وقم التي هي المركز الديني؛ فإما أن يُوقعَ ببينهم ويشغلهم في مواجهات داخلية، ويدفع بعضهم الى الانعزال والانزواء في دورهم، وإما أن يستخدم عنفاً أكثر لمنعهم عن التعبير عن آرائهم. ولهذا قرر الذهاب الى قم ليصوّر لباقي المدن أنه لقي استقبالاً حارّاً، وأنه لا صحة للتلاحم العلمائي في عملية المعارضة.**

**وهكذا، وعندما كان الناس يواصلون إضرابهم معلنين مقاطعة الاستفتاء، سارع رجال الأمن(الساواك) ومعهم القائمقامية الى إقامة أقواس النصر وتزيين الشوارع لاستقبال الشاه.**

**وفي 21 كانون الثاني أي قبل وصول الشاه الى قم بيوم واحد، تظاهر أهالي قم وهتفوا بشعار: (نحن أتباع القرآن، لا نرضى بالاستفتاء)، ووزعوا بيانات العلماء وفتاواهم بخصوص تحريم الاستفتاء، وقاموا بمواجهة أزلام الشاه ومزقوا صور الشاه، كما حطموا مقر مفرزة للشرطة، ودمروا قوس النصر الذي أعد لاستقبال الشاه، وهتفوا: (ليسقط الاستبداد فالإسلام منتصر).**

**وفي المقابل هاجم عدد كبير من أفراد الجيش المدرسة الفيضية والعديد من المحال التجارية المغلقة، وأطلقوا من خلال مكبرات الصوت في أرجاء المدينة عبارة (يحيا الشاه) وكانوا يقولون: (من أراد أن لا يسلب متجره فليفتح بابه فوراً، وليعلّق عليه العلم الملكي)[3]. وهكذا عملوا على فتح المحلات التجارية عنوة، وأعدوا المدينة لاستقبال الشاه، كما فرضوا رقابة شديدة على مداخل المدينة، ونشرت الصحف السائرة في ركاب النظام في نفس اليوم خبراً مفاده(أن مواجهة عنيفة حدثت بين المزارعين وعلماء الدين في قم، وأن علماء الدين طلبوا من الحكومة إعادة النظام والهدوء حيث بادرت الحكومة الى اتخاذ الاجراءات اللازمة فوراً).**

**وتزامناً مع ذلك حضر قائمقام قم اجتماعاً للعلماء وطلبة الحوزة، واقترح عليهم لقاء الشاه ومصارحته بموضوع إجراء العنف التي اتخذتها الحكومة ضدهم وطمأنهم الى أن الشاه سيؤيد العلماء. وكان المقصود من ذلك إطفاء طابع الجلال والهيبة على مراسم الاستقبال من خلال اشراك العلماء في استقبال الشاه، ولكن الإمام الخميني أجاب بأن الهجوم الوحشي لأزلام النظام على علماء طهران وأهاليها وتعاملهم السيء ضد أهالي قم والحوزة العلمية، وانتهاك حرمة الحوزة المقدسة، كل هذه الممارسات لم تبق أي مجال للتفاهم والتفاوض مع الجهاز الحاكم، كما أنها أغلقت أي باب يؤدي الى اللقاء بالشاه، وأصبح ذلك أمراً مستحيلاً إلا أن يقوم الشاه بإعلان مسؤولية السيد علم الكاملة عما جرى، وإقالته من منصبه، وإنها عملية الاعتقالات البوليسية، كخطوة عملية منه للتعويض عن الإهانة والاعتداء اللتين تعرضت لهما حرمت الحوزة المقدسة، وإذا ما حصل هذا، فسيكون الطريق مفتوحاً أمام لقاء مباشر مع الشاه.[4]**

**وقد كان جواب الإمام من القوة بحيث لم يفسح مجالا لطرح وجهة نظر أخرى، بل إن باقي المراجع والعلماء من الدرجة الأولى لم يكونوا يردّون على أي استفتاء أو سؤال في هذا الخصوص قبل الاطلاع على رأي الإمام. لكن ذلك لا يعني عدم وجود علماء لا يشاطرون الإمام الرأي، فقد كان بعضهم يرى أن موقف الإمام لن يوصل الى نتيجة طيبة لكن الموقع القيادي الذي احتله الإمام، سلب الباقين أية جرأة على الوقوف في وجهه أو طرح رأي معارض له.**

**المهم أنه قد تمت أخيراً تعبئة كل إمكانيات الدولة وأجهزتها من أجل الإعداد لاستقبال كبيرة للشاه في قم، كما قامت حافلات شركة (واحد) الكبيرة للنقل الداخلي، بنقل مجاميع كبيرة من المواطنين المرغمين من كل أطراف البلاد الى قم الرافضة تماماً لهذه الزيارة، كما تمركزت القوات العسكرية في كل مكان، لكن أحداً من أهالي قم لم يغادر منزله في ذلك اليوم، ولم يشارك في الاستقبال، وقد شمل هذا الأمر حتى بعض المسؤولين التابعين للحكومة.[5]**

**وما أن علم الشاه بعدم مجيء أي من العلماء لاستقباله حتى ثارت ثائرته ولم يدخل الحرم. وفي خطابه الذي ألقاه قال: (اننا نلاحظ دائماً وجود مجموعة من الجهلاء، وتلك الفئة التي لم تتحرك عقولها بعدُ، تقوم بوضع العراقيل أمامنا، فعقول هؤلاء ما زالت متحجرة وستبقى كذلك.**

**إنّ هذه الرجعية السوداء لا يمكن أن تفهم يوماً، فمنذ الف عام لم تتطور عقولهم.. لقد ولّى عهد التطفل.. إن لائحة المواد الست، عالجت كل شيء بما يناسبه، والقوانين التي وضعناها اليوم تعتبر في مستوى قوانين باقي الدول إن لم تكن أكثر منها تطوراً.. ولكن من هم الذين يعارضون هذه القوانين؟ إنهم الرجعيون الذين لا يدركون شيئاً. إنهم يحملون النوايا السيئة، إن نوايا المخربين الحمر معروفة، وأنا أقل حقداً عليهم، إنهم يقولون علناً بأنهم يريدون تسليم البلاد الى الأجنبي، وهم صادقون في ذلك، لكن الرجعية السوداء هي التي أعنيها، هؤلاء هم أنفسهم الذين حرضوا مجموعة صغيرة من التجار ليقوموا بتجمع مضحك لإثارة الضجيج في البازار، هؤلاء يتخذون من الحكومة المصرية قدوة لهم.. عبد الناصر الذي يوجد لديه على الأقل خمسة عشر ألف سجين سياسي هو قدوتهم... لاحظوا جيداً الى منطق هؤلاء السادة.. أنهم أكثر خيانة من حزب توده بمئة مرة).[6]**

**هذا الخطاب، انقلب فيما بعد ضد الشاه نفسه، كما أن زيارته الى قم التي تزامنت مع اقتراب موعد الانتخابات، لم تسفر عن أية نتيجة.**

**5ـ إجراء الاستفتاء في 26 كانون الثاني:**

**وأخيراً فقد أجري الاستفتاء بالرغم من كل الاحتجاجات والاعتراضات والتظاهرات التي شملت مدن البلاد عامة والمقدسة منها خاصة، فقد قال علماء الدين ما استطاعوا قوله للناس، والمساجد كانت مراكز إعلامية لمعارضي الاستفتاء الذين تم اعتقال العديد منهم، والمقاومة كانت عنيفة في بعض المناطق بحيث تحولت الى صدامات بين المتظاهرين وقوات الحكومة، أما الأبواق الإعلامية التابعة للسلطات الأمنية فقد سعت الى ممارسة ضغوط شديدة على فئات مختلفة كالعمال والموظفين والعاملين في الشركات لدفعهم الى الإدلاء بأصواتهم لصالح القوانين الجديدة.**

**ومع كل ذلك كانت مراكز الاقتراع خالية من الناس، لكن أجهزة إعلام النظام أعلنت بأن إقبال الناس على صناديق الاقتراع كان منقطع النظير، وأعلنت نتائج الاستفتاء على أنها خمسة ملايين وستمئة ألف صوتٍ مؤيدٍ مقابل أربعة آلاف ومئة وخمسين صوتاً معارضاً فقط، وبذلك فإن الإصلاحات المقترحة حازت على موافقة الشعب.![7]**

**وفور إعلان هذه النتائج بادر الرئيس الأمريكي كندي الى إرسال برقية تهنئة للشاه بهذا الانتصار جاء فيها (إنه لمن دواعي السرور أن نرى الغالبية العظمى من شعب إيران تمنح ثقتها وتأييدها لزعامة مقامكم العالي في نهجكم الذي يجسد إرادة هذا الشعب. ولا شك في أن هذا التأييد الشعبي المطلق سيكون سنداً قوياً للنهج القويم الذي اخترتموه، وسيزيد من عزمكم وأنتم تقودون بلدكم وتحققون الانتصار تلو الانتصار في عملية النضال من أجل تحسين أوضاع شعبكم).**

**أما السفير البريطاني فقد أبلغ أسد الله علم سرور ملكة بريطانيا وارتياحها لنتائج الاستفتاء، بينما أشاد راديو موسكو في برامجه لنفس اليوم بهذه (الاصلاحات) واعتبر معارضيها من الرجعيين وعملاء الغرب! كما أشادت الصحف العالمية، بقسميها الشرقي والغربي بهذه (الاصلاحات) وتجاهلت تماماً موجة المعارضة والاحتجاج الداخلية.[8]**

**أما علماء الدين فإنهم حينما واجهوا هذا الموقف من قبل الحكومة قرروا ـ باقتراح من الإمام الخميني ـ الامتناع عن الذهاب الى المساجد، وإبقاءها مغلقة خلال شهر رمضان الذي بدأ بعد يوم من الاستفتاء، على أن يقوموا بتوضيح أسباب ذلك للعالم، وهكذا عاشت البلاد وضعاً غير عادي، وأغلقت المساجد أبوابها، وقاطع الخطباء المنابر، كما طلب من علماء النجف الأشرف الانضمام الى هذه المقاطعة، لكن هذا الإضراب لم يستمر لأسباب عدة أهمها استخدام الحكومة لأسلوب التهديد والتطميع في طهران وباقي المدن، وهكذا فشل هذا الإجراء الجماعي الذي اتخذه علماء الدين. فقد عمل الشاه على استمالة بعضهم حيث ذهب في نفس الشهر الى مسجد سبهسالار وتظاهر بالتحدث الى طلبة العلوم الدينية، كما صعد الشاه من جانب آخر حملاته الإعلامية ضد العلماء.**

**وفي المؤتمر الاقتصادي في (27/ 2/1963م) كان الشاه يتكلم وكأنه محتمٍ بالدستور، وكان كلامه موحياً بأن (إصلاحاته) لا تتنافى مع الدستور، وعلاوة على ذلك فقد بدأ بطرح مفهوم فصل الدين عن السياسة بينما قامت الصحف المرتبطة به بتحليل هذا المفهوم وتفسيره.[9]**

**لقد أراد الشاه أن يجعل علماء الإسلام كعلماء المسيحية، وقد حاول بشكل ضمني أن يرسّخ في أذهان العامة بأن الغرب وأمريكا إنما حققوا التقدم لأنهم أخرجوا الدين من جميع شؤون الحياة، وأن على إيران أن تقوم بنفس الشيء، ولهذا فقد قال في خطابه الذي ألقاه في قاعدة (وحدتي) الجوية في دزفول، ردّاً على بيان علماء قم[10]: (إنّ ثورتنا الوطنية العظيمة تتقدم بسرعة دون إراقة دماء..)[11]!!**

**أما الإمام (قدس سره) فإنه ألقى خطاباً في طلاب الحوزة العلمية قائلاً: (... إستعدُّوا للموت.. للسجن والذهاب الى الخدمة العسكرية.. إستعدُّوا لتلقّي الأذى والإهانة.. إستعدُّوا للمصائب التي ستواجهونها في سبيل الدفاع عن الإسلام والاستقلال.. إستعدوا واصمدوا {الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا}). ولم يمضِ وقت طويل، حتى تحقق ما توقعه الإمام، إذ حدث الهجوم على المدرسة الفيضية وما تبع ذلك من حوادث.**

**القسم الثالث:**

**إعلان الحداد العام في عيد الربيع عام 1963**

**والهجوم على الفيضية**

**1ـ عيد نوروز عام 1963وإعلان الحداد العام:**

**عيد نوروز عام 1963م كان يختلف كثيراً عن أعياد الأعوام السابقة، إذ تشهد بداية كل عام ـ طبقاً لعُرف إيراني قديم ـ تقاطر الناس على المناطق المقدسة للدعاء الى الله تعالى بتحسين أحوالهم. ومدينة قم وهي من المدن المقدسة حيث تضم مرقد حضرة السيدة معصومة( فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر) تشهد تقاطر الناس عليها للزيارة والدعاء. لكن تجمُّع الناس في قم ذلك العام كان بمثابة الاستمرار في المواجهة ضد نظام الشاه، وإعلان الدعم للمراجع، والحصول على التوجيهات والتعليمات منهم، ومع اقتراب عيد نوروز، أعد الإمام الخميني كل مستلزمات توجيه ضربة قاضية للممارسات الشاه التي كان يعتبرها موجهة من قبل أمريكا والصهيونية. وفي عيد الفطر، القى الإمام الخميني أو خطاب له بعد الاستفتاء قال فيه:**

**(أيُّها السادة المحترمون أينما كنتم، قفوا في وجه الأعمال المخالفة للشرع، لا تخافوا هذه الحراب الصدئة المتآكلة، فسرعان ما ستتحطم. إنّ الجهاز الحاكم لن يتمكن من الوقوف في وجه مطاليب شعب هذه الحراب، بل سيهزم عاجلاً أم آجلاً.. نحن لم نكن نرغب في وصول الأمر الى هذا الحد.. لماذا يبتعد ملك البلاد عن الشعب هكذا؟! لم نكن نرغب في أن تحدث كل هذه الفضائح والهزائم لقادة البلاد.. فإن منعوا عدداً من العلماء والخطباء عن الحديث من خلال إلقائهم في السجون، فإن بقية السادة العلماء سيتحدثون وينتبون الشعب على الأمور، ترى هل يمكن قطع ألسن العلماء).**

**وبعد ذلك اقترح الإمام (قدس سره) على علماء قم تحويل عيد النوروز لهذا العام الى حداد عام، وهكذا انتشر هذا الموضوع في أرجاء البلاد من خلال النداءات والبيانات والرسائل التي بعث بها الإمام الى أرجاء البلاد، فقد جاء في الرسائل التي بعث بها الى العلماء في باقي المدن ما يلي:**

**16 ـ شوال 1382هـ.ق**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**حضرات العلماء الأعلام وحجج الإسلام دامت بركاتهم.**

**عظم الله تعالى أجوركم.**

**أنتم تعلمون بأن الجهاز الحاكم يبذل كل مساعيه من أجل هدم أحكام الإسلام الأساس، والقيام بممارسات تتنافى وتعاليم الإسلام، لهذا فإنني سأكون خلال عيد النوروز في حداد وتعزية لإمام العصر(عجل الله فرجه)، وسأقوم بتحذير الناس. لذا فالمرجو من حضرات السادة القيام بنفس هذا العمل لإطلاع الشعب المسلم على المصائب التي حلَّت بالإسلام والمسلمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

**روح الله الموسوى الخميني**

**وقد لقي اقتراح هذا العالم المجاهد الذي ظهر حديثاً على ساحة الجهاد ـ أي الإمام ـ ترحيباً لمدى وحدة أبناء الشعب وتلاحمهم حيث كان الأمر يتطلب تحويل الاحتفال بالعيد ـ الذي هو مظهر للبهجة والفرح منذ آلاف السنين ـ الى عزاء وحداد، وتحويل بطاقات التهنئة الى بطاقات تعزية ومواساة في المساجد والحسينيات والمنازل، وإقامة العلماء مجالس العزاء بدلاً من مجالس الفرح والتهاني بالعيد.. بينما يقوم الخطباء والوعاظ بلفت أنظار الشعب الى أن الحكومة القائمة آنذاك تشكّل خطراً على الإسلام، وهكذا غطى السواد معظم الجدران في الشوارع وأماكن الاجتماعات والمحافل العامة خاصة في مدينة قم، وعُلقت لافتات كُتب عليها: (لا عيد للمسلمين هذا العام) كما علّق الكثير من العلماء وطلبة العلوم الدينية قطعة قماش سوداء على صدورهم تعبيراً عن الحزن والحداد، كما صدرت منشورات وبيانات جماعية وفردية من قبل علماء الدين في مختلف مدن البلاد.**

**ومع بدء العام الجديد كانت جموع الشعب تتقاطر على حرم السيدة معصومة والصحن والمساجد المحيطة به، وبمجرد إطفاء الأنوار برهة ـ وهو علامة انتهاء السنة وتحول الفصل ـ قام طلاب الحوزة بتوزيع كميات كبيرة من المنشورات السياسية ومن بينها، منشور(علماء الإسلام لا عيد لهم هذا العام) المعروف والذي تضمن عبارات شديدة ضد النظام الحاكم، فقد قال الإمام الخميني في هذا المنشور:**

**(إن الجهاز الحاكم قد اعتدى على أحكام الإسلام المقدسة وهو ينوي التطاول على أحكام القرآن الثابتة، فأعراض المسلمين معرضة اليوم للهتك، والهيئة الحاكمة المتجبرة تريد جلب الذل والعار للنساء العفيفات من خلال قراراتها وقوانينها المخالفة للشرع والدستور... إنها تريد سوق الفتاة الشابة ذات الثمانية عشر ربيعاً الى الخدمة العسكرية الإجبارية ومعسكرات الجنود، أي إن الحكم يريد سوق فتياتنا العفيفات الى مراكز الفحشاء بقوة السلاح.**

**إنّ الأجانب يستهدفون القرآن وعلماء الدين. وإن الأيدي القذرة لهؤلاء الأجانب تتعاون مع هذه الحكومات من أجل القضاء على القرآن وعلماء الدين، نحن نتعرض للهتك والسجن والإعدام خدمةً لمصالح وأهداف الأجانب من يهود أمريكا وإسرائيل الذين يرون في الإسلام عقبة كبرى تعترض سبل تحقيق مصالحهم وأهدافهم المشؤومة، ولهذا فلابد من أن تزال هذه العقبة بأيدي الحكومات المستبدة. إن وجود هذا الجهاز الحاكم في السلطة مرهون بقدرته على إزالة هذه العقبة.**

**إنني أعلن هذا العيد عزاءً عاماً لألفت فيه نظر المسلمين الى ما يحيق بالقرآن وبلد القرآن من مخاطر، واحذّر الجهاز الحاكم المتجبر. إنني والله قلق من هذا الانقلاب الأسود. إن أجهزة الحكم تقوم ـ بسوء نية وسوء سلوك ـ بإعداد مقدمات هذا العمل، وإنني أرى أن الحل يكمن في إسقاط هذه الحكومة المستبدة بسبب مخالفتها لأحكام الإسلام وانتهاكها للدستور، لتحلَّ محلّها حكومة ملتزمة بأحكام الإسلام، وتعبّر عن طموحات الشعب الإيراني وآماله. اللهم إنني قد أديت واجبي. اللهم قد بلغت، ولئن بقيت على قيد الحياة، فسأؤدي واجبي القادم. اللهم أحفظ القرآن الكريم وأعراض المسلمين وشرفهم من شّرِ الأجانب.**

**(روح الله الموسوي الخميني)[12]**

**إن هذا البيان الذي صدر تزامناً مع الظروف التي سادت شهر آذار عام 1963 كانت له دلالات عديدة، كما امتاز بدقّة طرح المسائل؛ بحيث أصبح منهاجاً للمرحلة القادمة من المواجهة؛**

**فأولاً: كان النظام قد عبأ كل الطاقات الإعلامية لشن حملات واسعة بعد الاستفتاء في داخل البلاد وخارجها. حيث كان يُحكم قبضته على جميع وسائل الإعلام، كما أن جهاز أمنه كان قد عاود نشاطاته من جديد، إذ إن نفس موضوع صدور مثل هذا البيان من جانب الإمام كان يعني تصميمه على مواصلة الجهاد مهما كانت نتائجه.**

**وثانياً: فإن عبارات البيان تضمنت إشارة لموضوع القيادة، كما إنها حددت للأمة واجبها الشرعي بكل وضوح وصراحة (إنني أعلن هذا العيد عزاءً لجميع المسلمين).. (إنني أحذر الجهاز الحاكم المتجبر).. (إنني والله قلق من هذا الانقلاب الأسود).. (إنني أرى الحلّ في..) (إنني قد أديت واجبي..) (إن بقيت حياً فسأؤدي واجبي في المرحلة القادمة...) فالذين لم يكونوا يدركون الأسس والمفاهيم الإسلامية لم يدركوا معنى هذه العبارات بدقة، لم يكونوا يدركون بأن الذي أصدر هذا البيان إنما يتحدث انطلاقاً من واجبه الشرعي والرسالي.**

**ثالثاً: مطالبة البيان باقتلاع جذور (الجهاز الحاكم) يعني أن المواجهة لا تقتصر على الحكومة فقط، بل أصبحت تستهدف النظام ككل، فالشاه قد تصدى شخصياً لإجراء الاستفتاء بتوجيه من أمريكا ولم يضع الحكومة كواجهة له، كما إن خطاباته في كل أنحاء البلاد، وإطلاقه ألقاب الرجعية وأمثالها على معارضي الاستفتاء جعل عملية المعارضة تستهدف كيان النظام بأجمعه وليست الحكومة فقط. ولهذا نجد البيان يكرر عبارات مثل (الجهاز الحاكم) (الهيئة الحاكمة المتجبرة) (كيان الجهاز الحاكم) إشارة منه الى توجيه الأمة الى مواجهة النظام ككل.**

**رابعاً: إن الإمام قد هاجم في بيانه ـ وبكل صراحة ـ الأجانب الذين يدعمون الحكومة ويدفعونها الى العمل خلافاً للدين والحوزة بقوله: (إننا نتعرض للهتك خدمة لمصالح يهود أمريكا وإسرائيل.. هذه العقبة يجب أن تزال بأيدي الأنظمة المستبدة..).**

**خامساً: الملاحظ أن الإمام مزج في بيانه مفاهيم الدين والسياسة مع بعضها مزجاً تاماً، واعتبر تصديه للقيادة السياسية من أوليات واجبه الشرعي(هذه الحكومة المستبدة يجب إسقاطها بسبب انتهاكها للأحكام الإسلامية والدستور لتحل محلها حكومة...).**

**هذا البيان اتصف بالثورية والصرامة بحيث أثار الرأي العام ضد الشاه ـ رغم كل الحملات الإعلامية التي قام بها النظام ـ مما اضطر الشاه ـ الذي وصل الى ذروة غروره ـ الى الدفاع عن نفسه ونفي ما جاء في البيان، فخلال زيارته لمشهد في 12 فروردين(1/4/1963م) تراجع في خطاب له ألقاه هناك عن مواقفه السابقة التي كان يكررها باستمرار، واعتبر ما جاء في البيان، كذباً محضاً وافتراءً وإشاعات مضحكة، وقال: إنّ الفتيات يجب أن ينشغلن في أعمال المنزل وتربية الأبناء وواجبات الأمومة... الخ.**

**2ـ سبب الهجوم على المدرسة الفيضية:[13]**

**استطاع الشاه وحكومة علم أخيراً إجراء الاستفتاء الذي أرادته أمريكا، من خلال الاعتماد على قوة جهاز الأمن(الساواك)، وأصبح عليه الآن تهيئة أجواء مناسبة لبدء التنفيذ تحت مظلة المصادقة الشعبية على إصلاحاته، لكن الشعلة الجديدة التي توقدت في قم المقدسة أضحت مشكلة كبرى سلبت الجهاز الحاكم الراحة، فأي مسألة من المسائل كانت كافية لأن تصبح ذريعة لتوقد نار الانتفاضة الجديدة، وتؤدي الى صدور بيان جديد يلهب حماس الأمة، ويقوّي روح المعارضة لديهم. هذه الاجراءات المدوية تكلّلت بأكبر مظهر للمعارضة عندما تحول عيد النوروز في ذلك العام الى عزاء عمّ أرجاء البلاد.**

**لقد رأى الشاه نفسه أمام ظاهرة جديدة وقوة لم يعهدها من قبل، بحيث استطاعت تبديل سُنّة تاريخية لهذا الشعب واتخذت منها حملة إعلامية موجهة ضد الشاه إذ سرعان ما توسعت هذه الظاهرة وانتشرت في كل أنحاء البلاد لتصبح مشكلة كبرى أمام النظام لا يمكن حلُّها بالمفاوضات والطرق السلمية، فهذه الشعلة كانت تتوقد أكثر فأكثر، والبيانات الصادرة تزداد لهجتها شدة كما زاد من تفاقم الأمر تزامن هذه الظاهرة مع عيد النوروز، حيث تتوافد عشرات الآلاف من الناس على قم المقدسة، وتشارك في حضور المجالس التي أقيمت هناك.**

**وهكذا فقد فكر النظام في القضاء على هذه الظاهرة من أساسها، فأعد العدة للهجوم على المدرسة الفيضية وما تبعها من حوادث في آذار 1963، وذلك؛**

**أولاً: من أجل قمع علماء الدين وخاصة الشخصية الأولى من بينهم والذي برز على الساحة كشخصية مجاهدة ومعارضة.**

**ثانياً: التظاهر بأن هذا الهجوم تم تنفيذه من قبل أبناء الشعب وخاصة العمال والفلاحين منهم.**

**ثالثاً: إقناع الناس من خلال شن حملات إعلامية مكثفة بأن (أعداء التحضر والشعب ومعارضي الاستفتاء ـ كما يسميهم النظام ـ ليسوا في مأمن من الأخطار مهما كان الزي الذي يرتدونه).**

**3ـ توافد مرتزقة الشاه على قم:**

**يقول مؤلف كتاب (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى):**

**(... في صباح اليوم الثاني من أيام السنة الإيرانية 22/ آذار/ 1963م المصادف للخامس والعشرين من شهر شوال عام 1382هـ.ق، حيث ذكرى شهادة الإمام الصادق(ع)؛ تقاطرت على مدينة قم حافلات شركة (واحد)[14] حاملة أعداداً كبيرة من الركاب الذين لم يكن أحد يعرف هويتهم والهدف من مجيئهم، فقد تصوّر الناس أن الحافلات والسيارات الأخرى العاملة على خط خطران ـ قم لم تكفِ لنقل جموع الناس المتوافدين على قم مما اضطر المسؤولين الى الاستعانة وجلازوته الذين جاؤوا لإراقة الدماء الطاهرة للعلماء المجاهدين. بعد ذلك وصلت قم عشرات الشاحنات العسكرية حاملة أعداداً كبيرة من الجنود الحاملين للدروع والأسلحة الرشاشة الثقيلة، حيث قامت باستعراض في شوارع قم ثم عادت لتتمركز عند بوابات الحرم مقابل المدرسة الفيضية).**

**4ـ محاولة الاخلال بمجلس الإمام الخميني:**

**بعد أن تحول العيد الى عزاء عام، أقام العلماء مجالس عزاء كبرى في بيوتهم. أما منزل الإمام فقد شهد احتشاد أكبر تجمع جماهيري اثر صدور بيان عنوانه (علماء الدين لا عيد لهم هذا العام) المشهور الذي أصدره، وعندما بدأت مراسم العزاء ـ وكان الحشد كبيراً ـ اعتلى أحد الخطباء المنبر، وشرح بالحديث عن جهاد الإمام الصادق(ع) ضد الحكمين الأموي والعباسي، وربط البحث بأوضاع إيران والاعتداء الذي يقوم به الجهاز الحاكم على الإسلام، والحقوق العامة، وفجأة علا صوت أحد مصلياً على النبي وآله، ولم تكن هذه الصلاة في محلّها مما أثار شكوكاً حول نية هذا الشخص الذي قطع حديث الخطيب، فقام بعض الأشخاص بإبلاغ الإمام ـ الذي كان في إحدى غرف المنزل ـ، بهذا الأمر، حيث جاء بنفسه الى داخل المجلس، واستطاع الخطيب مواصلة البحث، وما أن بدأ بالتطرق لممارسات الحكومة حتى تكررت الصلاة على النبي في غير محلها وأدت الى قطع حديث الخطيب ثانية. مما حدا بالإمام الى أن يستدعي أحد طلبة العلوم الدينية (وهو الشيخ صادق الخلخالي) ويبلغه أوامره، حيث قام الطالب المذكور بإعلانها على الحشد الجماهيري بقوله: (إن آية الله يقول: إنني أحذر الذين جاءوا الى هنا للإخلال بالمجلس وإيجاد الضجيج فيه بأنهم إذا كرروا هذه التصرفات المغرضة التي تؤدي الى إرباك الوضع والإخلال بالمجلس لمنع وصول حديث السادة الخطباء الى أسماع الناس، فسأتوجه فوراً الى الصحن المطهر وألقي بجانب مرقد حضرة السيدة معصومة(ع) الخطاب اللازم على أسماع الجماهير). وبذلك كفّ هؤلاء عن أعمالهم وعاد الهدوء الى المجلس.**

**5ـ الهجوم على مجلس العزاء في المدرسة الفيضية:**

**عصر 23 آذار عام 1963م أقيم مجلس عزاء في المدرسة الفيضية حيث احتشدت الجماهير من الطبقات والفئات كافة بينما كان جلاوزة الأمن يحاصرون المنطقة.. الأوضاع كانت تبدو غير طبيعية.. وجوه غريبة كانت ترى لأول مرة في حرم المدرسة ومسجدها، وتحرك رجال الأمن كان يوحي بأنهم يبيتون أمراً ما.**

**اعتلى الخطيب المنبر وبدأ بالحديث عن الإمام الصادق(ع) وجهاده وقال: إن الحوزة العلمية في قم هي بمثابة جامعة الإمام الصادق، وإن عليها أن تقوم بواجبها في حماية أحكام الإسلام واستقلال البلاد وفجأة، رفع عدد من الحاضرين أصواتهم بالصلاة على محمد وآله دون أن تكونه هناك مناسبة لذلك، مما تعذّر على الخطيب مواصلة حديثه فطلب الى الناس عدم الصلاة في غير محلها، وحنذاك إحتج أحد علماء الدين الحاضرين على من حوله ممن يرفعون أصواتهم بالصلاة على محمد(ص) في غير محلها، لكنه تعرض لضرب واعتداء أزلام النظام المتوزّعين في أماكن متعددة في المجلس. وقد سعى الخطيب الى تهدئة الوضع عبر إلقائه بعض الطرائف. لكنه أدرك أن الوضع هو أخطر مما يتصور وأعقد، إذ إن عملية التشويش على حديثه استمرت دون انقطاع، عندها صاح في الحاضرين بأعلى صوته(أيها الناس! أيها المسلمون! يا من قطعتم مئات الفراسخ من الطريق لتأتوا الى هذه المدينة المقدسة! عندما تعودون الى مدنكم ودياركم أبلغوا الجميع بأن السلطة لا تسمح لعلماء الدين بالحديث عن رئيس المذهب الجعفري..) لكن صيحات الصلاة على محمد (ص) تعالت بشكل كبير وأصبح متعذراً على الخطيب مواصلة حديثه، فتقدم أحد أزلام النظام من المنبر وصاح: (الى روح فقيدنا الشاه رضا الكبير...!) لكن أسلاك الميكرفون قطعت وصرخ جميع من الحاضرين في وجهه: أخرس!. وهكذا انقلب المجلس رأساً على عقب، فهرب بعض الحاضرين بينما كان بعضهم الآخر يصيح بأعلى صوته لكن الغالبية أصيبت بالدهشة وهي ترى الهجوم والفرار.**

**وقد أدى تهافت الجماهير على باب المدرسة للخروج منها الى عرقلة عملية الفرار، ولم يمض وقت طويل حتى خلت المدرسة من الحاضرين إلا من طلبة العلوم الدينية وأزلام النظام الذين كانوا يتنكرون بملابس لكن شعورهم كانت مصففة على النمط الغربي! وكان عددهم يقارب الألف شخص وهم يهتفون (يحيا الشاه) تزامناً مع هجومهم على الطلبة.**

**أما طلبة المدرسة آثروا ضبط النفس حتى ذلك الحين فقد نهضوا للدفاع عن أنفسهم، وتحصنوا في الطابق الثاني، وكانوا يقتلعون القضبان الحديدية من سياج الطابق الثاني ويرمونها ـ ومعها الطابوق ـ على رؤوس أزلام النظام. عند ذاك تغير الوضع إذ دخلت قوات الشرطة بلباسها الرسمي الى ساحة المعركة لتلتحق ـ ومعها قوات الأمن التي كانت على أهبة الاستعداد خارج المدرسة ـ بجلاوزة الأمن المتنكرين بلباس المزارعين في داخل المدرسة وليحولوا المدرسة الفيضية الى ميدان قتال. إذ بدأ إطلاق الرصاص، ورمي بعدد من الطلاب من أعلى سقف المدرسة الى الأرض.**

**وأمام المدرسة وقف آلاف الناس يشاهدون هذا الهجوم الوحشي، بينما قامت قوات النظام بتفريقهم بالغازات المسيلة للدموع وحراب البنادق خوفاً من هجومهم على قوات النظام التي توزعت على مجموعات تضم كل مجموعة (5 ـ 6) أشخاص، قامت بمهاجمة غرف الطلاب وارتكبت جرائم قل نظيرها، وأخيراً قام أزلام النظام بإحراق ملابس الطلاب واشياءهم وممتلكاتهم الشخصية وسط ساحة المدرسة. وعندما حل الظلام، انسحب أزلام السلطة وهم مسرورون بعدما تركوا وراءهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى، وفي اليوم التالي عاودوا الهجوم على المدرسة وجرحوا عدداً آخر من الطلاب.**

**وتزامناً مع هذه الحادثة، تعرضت (المدرسة الطالبية) في تبريز لهجوم أزلام النظام بسبب إلصاق منشور الإمام الخميني على حائطها، وقد أدى استخدام المهاجمين للسكاكين والرصاص في الهجوم الى وقوع إصابات كثيرة بين الطلاب، هذه الممارسات زادت شيئاً فشيئاً من سخط الرأي العام على النظام، كما زادت في نفس الوقت من عزم علماء الدين على مواصلة الجهاد وعزّزت من قاعدة الإمام الخميني الجماهيرية ومركزيته.**

**وبعد فاجعة الفيضية قال مجرم البلاط البهلوي(أسد الله علم) في مقابلة أجريت معه: (علماء الدين المعارضون للإصلاح الزراعي تشاجروا مع الفلاحين الذين توافدوا على قم للزيارة مما أدى الى مقتل أحد الفلاحين).**

**أما الصحف السائرة في ركاب النظام فقد تحدثت كلها عن تعرض علماء الدين لهجوم من قبل الفلاحين ومقتل أحد الفلاحين دون أن تذكر اسم هذا (الفلاح) ومن أية قرية هو.**

**6ـ تأثير حادثة الفيضية في المجتمع:**

**لم يكن بالإمكان التعتيم على فاجعة الفيضية، فهي لم تقع في زنزانة معزولة كي يمكن إنكارها، بل وقعت أمام أنظار الآلاف من الزوار وأهالي مدينة قم، كما تناقلتها الألسن بسرعة فائقة.**

**لم يكن بالإمكان تسويغ الهجوم على مدرسة دينية، ولهذا فإن الخبر انتشر بسرعة كبيرة ووصل الى أعماق القرى، وتسبب في فضيحة كبيرة للحكومة التي كانت على وشك تنفيذ ما يسمى بالثورة البيضاء. فقد سيطر الخوف على الناس، وتصوروا أن عهد (رضا شاه) قد عاد مرة أخرى وأنه لا فائدة من مواصلة الجهاد، بعدها قارنوا حادثة الفيضية بحادثة الهجوم على مسجد (گوهرشاد) في عهد الدكتاتور رضاشاه. وهكذا قبع بعض علماء الدين في بيوتهم، كما سيطر القلق والاضطراب على مجموعة أخرى منهم. وفي المدن أُشيع بأن حظر التجول فُرض على علماء الدين في قم وطهران. ورغم شدّة عنف حادثة الفيضية فإن النظام حاول استغلالها في إخماد أصوات علماء الدين وعزلهم لمدة طويلة.[15]**

**7ـ الإمام يبدي رد فعل سريعاً حيال حادثة الفيضية:**

**عصر يوم 22/ 3/1963م كان منزل الإمام الخميني مركزاً لتجمُّع أعداد كبيرة من العلماء المجاهدين والناس. فمنذ الوهلة الأولى لوقوع حادثة الفيضية، لعب الإمام دور القائد الجدير، فامتنع عن إغلاق باب منزله بالرغم من تردد إشاعات باحتمال هجوم أزلام النظام عليه، وبقي هو بين الجموع فكان يشدُّ من عزمهم ويشحذ هممهم، حتى أنه قرر التوجه الى الفيضية. إذ كان يقول: (لأذهب وأنظر ماذا حلَّّ بتلاميذنا) ففي الوقت الذي كان بعض الناس يظن أن علماء الدين قد هُزموا، كان الإمام يرى في ذلك نصراً لهم، وكان يقدم لأتباعه درساً عملياً في المقاومة والشجاعة، ففي تلك الساعات الملتهبة، خطب الإمام وقال:**

**(لا تتألموا، أبعدوا الخوف عنكم، فأنتم أتباع شخصيات عُرفت بالصبر والاستقامة في مواجهة المصائب، وما نراه اليوم من مصائب أقل بكثير مما رأى أولئك. لقد واجه أئمتنا وقدوتنا مصائب عظيمة كعاشوراء وليلة الحادي عشر من المحرم.. ما الذي تخافونه اليوم؟ إن من يدّعي اتباع الإمام علي(ع) والإمام الحسين (ع) لا يليق به التراجع والتخاذل أمام هذه الممارسات المخزية التي يمارسها النظام. لقد فضح النظام ـ بارتكابه هذه الجريمة ـ نفسه أكثر فأكثر .. لقد جعل أمر سقوطه حتمياً.. لقد انتصرنا نحن، كنا ندعو الله أن يكشف هذا النظام عن حقيقته ويفضح نفسه.. إن واجبنا هو إعداد أنفسنا لكل هذه الحوادث لنتمكن من قطع أيدي خونة الإسلام).**

**(بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ص 358)**

**وقد تركت أحاديث الإمام الخميني، والدروس العملية التي قدمها؛ آثارها على كل الذين اتصل بهم أو أوصل إليهم صوته، كما أمر الإمام بنقل الجرحى الى المستشفيات وتوفير كل مستلزمات الراحة والعلاج لهم. وفي اليوم التالي شهد منزل الإمام تجمُعاً علمائياً وجماهيرياً كبيراً حيث سعى هو لإطلاع الجمهور على جريمة أزلام الشاه وفضح ممارسات النظام. بعد ذلك كانت سيول الجماهير تتدفق على المدرسة الفيضية والمستشفيات لمشاهدة آثار الجريمة، مما كان له أكبر الأثر في إثارة مشاعر الناس وأحاسيسهم، وتأجيج غضبهم ضد الشاه، ولم تنفع كل جهود أزلام النظام في محو آثار الجريمة وغسل جدران المدرسة من الدماء، مما اضطرهم الى محاصرة المدرسة ومنع غير علماء الدين من دخولها.**

**وحيال ذلك أصدر الإمام بيانه الشهير المعنون (الولاء للشاه يعني النهب) وأصدر فتواه التاريخية القائلة بأن (التقية حرام، وكشف الحقيقة واجب ولو بلغ ما بلغ). فقد كان الكثير من طلاب الراحة يشيعون مصطلح التقية و(حرمة الإضرار بالنفس) لحض الناس على السكوت وغضّ الطرف عما يحدث، لكن الإمام بشجاعته المعهودة انتزع هذه الحربة من أيديهم عبر هذه الفتوى الجريئة التي سرعان ما انتشرت وترسخت في نفوس أبناء الشعب في شتى أرجءا البلاد، مما سد الطريق أمام لعب العناصر المشبوهة، ووضع الأمة وجهاً لوجه مع الحقائق بعد أن اعتبر من واجباتهم فضح وإشاعة وتوضيح خطر نظام الشاه على الإسلام واستقلال البلاد.**

**لقد كانت هذه الفتوى من أكثر الأمور تأثيراً على الأمة خاصة علماء الدين منهم، فقد بعثت فيهم حركة وحماساً قبل نظيرهما، ورسخت في أذهانهم فكرة الرفض القاطع لأية مساومة ورضوخ وتراجع، فقد أعلن الإمام بصراحة قائلاً: (ما دام القلم في يدي فسأكشف للشعب كله الممارسات المنافية لمصالح البلاد) وقد جاء في بيان الإمام ما يلي:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**إنا له وإنا إليه راجعون...**

**حضرات العلماء الأعلام وأصحاب السماحة.**

**نشكركم على برقية التعزية بالفاجعة العظيمة التي حلت بالإسلام والمسلمين. إن هجوم الكوماندوز وأزلام النظام المتنكرين بلباس الناس العاديين ـ وبدعم من الشرطة ـ على مركز علماء الدين قد أعاد إلى الأذهان هجوم المغول. لقد هاجموا مركز الإمام الصادق ومركز أبنائه بشعار (يحيا الشاه) فرموا بالشباب ذوي الست عشرة أو السبع عشرة عاماً من فوق السطح، ومزقوا الكتب والمصاحف.**

**إنّ الطلبة وعلماء الدين لا يأمنون على حياتهم اليوم في هذه المدينة الدينية، وأزلام النظام يهددون بمهاجمة باقي المدارس على غرار مهاجمة الفيضية. إن هؤلاء يعتدون على حرمة المقدسات تحت شعار الولاء للشاه، فالولاء للشاه يعني عندهم الهجوم والنهب، وانتهاك حرمة الإسلام، والاعتداء على حقوق المسلمين وعلى مراكز العلم والمعرفة.**

**إن الولاء للشاه يعني توجيه ضربة الى القرآن والإسلام، والقضاء على معالم الدين.**

**الولاء للشاه يعني القضاء على العلماء ومعالم الرسالة. إن أصول الإسلام ومبادئه معرضة للخطر، وأن الخطر محدق بالقرآن والإسلام، وفي ظل هذا الوضع فإن التقية حرام، وكشف الحقائق واجب، ولو بلغ ما بلغ.**

**نحن نجد الآن شخصاً يتمتع بصلاحية القيادة والحكم لكي نشكو إليه، وإدارة البلاد تتم بشكل جنوني. إنني وباسم الشعب أسأل السيد علم الذي يحتل منصب رئيس الوزراء: بأي مسوغ قانوني أمرت بمهاجمة البازار (السوق المركزي) والاعتداء على العلماء والطلاب قبل شهرين؟ بأي مسوغ قانوني قمت باعتقال العلماء وباقي فئات الشعب حيث ما زالت أعداد كبيرة منهم في السجون؟ من الذي أجاز لك إنفاق أموال البلاد على إجراء الاستفتاء الذي يخص شخص الشاه وهو ـ ولله الحمد ـ من أغنى البشر!!؟ بأي مسوغ قانوني هاجمت البازار في قم، وأمرت بضرب طلبة العلوم الدينية واعتقالهم؟ بأي مسوغ قانوني أمرت رجال الكوماندوز والشرطة المتنكرين بلباس الناس العاديين بالهجوم على المدرسة الفيضية في يوم وفاة الإمام الصادق(ع) حيث ارتكبوا كل هذه الجرائم؟ إنني الآن أعد صدري لتلقي طعنات حراب أزلامك لكني لن أرضخ أبداً لمنطق القوة الذي تمارسه.**

**(روح الله الموسوي الخميني)**

**والخلاصة فإن حادثة الفيضية قد وضحت معالم شخصية القائد أكثر فأكثر، ورسمت بوضوح طريق المستقبل.**

**8ـ الدعوة الى الهجرة وتهديد الشاه:**

**بعد انتشار أخبار هذه الحوادث والموقف الذي اتخذته الحكومة حيال علماء الدين والذي بلغ ذروته في فاجعة الفيضية، دعا آية الله السيد محسن الحكيم ـ وهو من مراجع الشيعة المقيمين في النجف ـ دعاء علماء قم للهجرة الى العراق، لكن الحكومة اطلعت على نص برقية الدعوة قبل أن تصل الى العلماء حيث قامت بتدارسها لاتخاذ الموقف بشأنها، فكلّفت رؤساء الشرطة والأمن (الساواك) في قم ـ إضافة الى قائمقام المدينة ـ بإبلاغ رسالة من الشاه الى الإمام الخميني. لكن الإمام رفض استبقالهم بعد أن علم بأنهم يحملون رسالة من الشاه، ولم يعبأ لتهديداتهم، مما حدا بهم للذهاب الى أحد المراجع وإبلاغه بأن برقية آية الله الحكيم ستصلهم فإن قرروا الاستجابة لها فإن الحكومة على استعداد لتوفير كل تسهيلات الهجرة ومستلزماتها لهم، أما لو أرادوا اتخاذ البرقية ذريعة لافتعال ضجة؛ فإن الحكومة ستحرّض النساء والكوماندوز على مهاجمة منازل العلماء في كل مكان، وستقوم الحكومة بكذا وكذا.. الخ، كما أكدوا بأن هذه الرسالة هي من الشاه وأنه جاد في ما يقوله.**

**وفي اليوم التالي وصلت برقية آية الله الحكيم الى من ارسلت إليهم لكن علماء قم رفضوا تلبية هذه الدعوة. وقام الإمام بإرسال برقية الى النجف الأشرف موضحاً أسباب عدم الاستجابة كالآتي:**

**(17 ذي القعدة ـ 23/1/1342هـ.ش ـ 12/4/1963م.**

**النجف ـ حضرة آية الله الحكيم (دامت بركاته)**

**نشكركم على برقيتكم وتعازيكم بالفاجعة الكبيرة، نأمل أن يعمل علماء الإسلام ومراجع العصر كثَّر الله أمثالهم ـ وعبر وحدتهم ـ على صيانة استقلال البلاد، وقطع أيدي الأجانب، والدفاع عن حرمة الإسلام والقرآن الكريم، وأن لا يدعا يد الخيانة تمتد الى أحكام الإسلام الثابتة. إننا نعتقد بأن هجرة المراجع والعلماء الأعلام ـ أعلى الله كلمتهم ـ ستعرّض مركز التشيّع الكبير الى الانهيار وتجرُّه الى أحضان الكفر والزندقة، وسيتعرض الأعزّاء إخوتنا في الإيمان الى الأذى والعذاب الأليم.**

**إننا ندرك أن هذه الهجرة ستؤدي الى تغييرات وتطورات كبيرة تثير بالغ قلقنا. نحن الآن وسط هذه النار المحرقة، ونحن نصبر بالرغم من الأخطار المحدقة بنا دفاعاً عن حقوق الإسلام المسلمين وحرمة القرآن واستقلال البلاد، وسنعمل على صيانة المراكز الدينية، وتهدئة الأوضاع قدر الإمكان، فيما لو لم يضطرنا النظام المتجبّر على اتخاذ ما لا نرغب فيه.**

**إنني أمدُّ يد الإخلاص الى جميع المسلمين خاصة العلماء الأعلام والمراجع العظام (أطال الله بقاءهم) وأطلب الى فئات المسلمين كافة العمل على حماية أحكام الإسلام واستقلال البلاد، وإنني لعلى ثقة بأن وحدة كلمة المسلمين ـ سيما العلماء ـ كفيلة بتفريق صفوف الأجانب والمعارضين وتدميرهم، وإبعاد فكرة الاعتداء على الدول الإسلامية من أذهانهم، إننا سنواصل ـ وبعون الله ـ أداء واجبنا الإلهي، حتى ننال إحدى الحسنيين: إما قطع أيدي الخونة الممتدة الى حرمة الإسلام والقرآن الكريم، وإما مجاورة الحق جل وعلا (إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما). إنّ النظام الجائر يلجأ اليوم الى كل الوسائل والطرق الممكنة من أجل إطفاء نور الحق{ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.**

**روح الله الموسوي الخميني**

**9 ـ أربعينية حادثة الفيضية:**

**حادثة الفيضية كان يجب أن لا تنسى، فقد أوجدت موجة من التحرك ونهضة كان يجب تغذيتها وتوسيعها. وفي 21 نيسان من ذلك العام، أصدر النظام قانوناً بسوق طلبة العلوم الدينية الى الخدمة العسكرية في محاولة منه لإشغالهم عن القضايا السياسية، إلا أن يقظة القيادة الحكيمة للنهضة قد أحبطت هذه المحاولة، بل قامت باستغلال هذا الأمر لصالح الانتفاضة، إذ نقل مروراً أربعين يوماً على وقوع مجزرة الفيضية أقيمت في طهران وقم وباقي مدن البلاد مجالس تأبين حاشدة، عقب صدور بيان المراجع بهذا الشأن.**

**أما الإمام الخميني فقد شرح في بيانه بالتفصيل موضوع وقوف العلماء في وجه النظام الحاكم وقال:**

**(إنَّ ذنبنا هو الدفاع عن الإسلام واستقلال إيران... نحن بانتظار السجن والتعذيب والإعدام.. إنهم يطردون مرضانا من المستشفيات، فلم نستطيع خلال الأربعين يوماً الماضية الحصول على أرقام دقيقة عن عدد قتلانا وجرحانا والذين تعرضوا للنهب، مشكلتنا أننا كلما اتجهنا الى مسؤولي جهة حكومية، قالوا لنا: (إنّ ما حدث كان بأمر من معالي الشاه). كلهم يقولون هذا ابتداءً برئيس الوزراء وانتهاءً بمدير شرطة وقائمقام قم، كلهم يؤكدون أن الشاه هو الذي أمر بالهجوم على الفيضية، وهو الذي أمر بمهاجمة الجامعة وقتل الطلاب.. فإن لم يكن ذلك صحيحاً، وإذا كان ما حدث انتهاكاً للقانون، وأنهم ينسبون هذه الممارسات اللاإنسانية الى الشاه، فلماذا لا يدافع الشاه عن نفسه لكي يعرف الشعب عندها واجبه تجاه الحكومة؟**

**إنّ هذه الحكومة تريد القضاء على الإسلام، وما دامت هذه الحكومة الغاصبة تسيطر على البلاد، فلن يرى المسلمون الراحة أبداً...).**

**وقد دفع استمرار عقد مجالس التأبين الحكومة الى التحرك لمواجهة الأمر، فقام جلاوزة النظام بمحاصرة مسجد (أرك) في طهران حيث كان يُعقد مجلس تأبين من قبل آية الله الحكيم، ومنعوا الناس من دخول المسجد، فما كان من الجماهير الغاضبة إلا أن هاجمت أفراد الشرطة وحدث اشتباك عنيف أدى الى سقوط عدد من الجرحى، بعدها قامت قوات النظام بمنع إقامة مجلس تأبين آخر في إحدى المدن لكن كل ذلك لم يفتَّ في عضد قائد النهضة، فبعد مضي أربعين يوماً على فاجعة الفيضية نرى الإمام الخميني يلقي خطاباً مهماً بمناسبة بدء الموسم الدراسي للحوزة، يفضح فيه خليفات ما يسمى بـ(الثورة البيضاء) ويعدد أضرار ممارسات الشاه ومفاسدها، ويؤكد بأن مشاريعه هي مشاريع استعمارية أمريكية وصهيونية.**

**لقد أراد الإمام بصرخاته المدوية(الويل للنجف الساكتة، الويل لقم الساكتة) أن يستنهض باقي العلماء، ليسلكوا نفس السبيل الذي سلكه هو، وأن يحطموا القيود ويزيلوا السدود الموضوعة أمامهم، ويتقدموا الى الأمام، فقد كان الإمام الخميني يعارض بشدة كل حالات التقاعس والضعف والسكوت والعجز وإتلاف الوقت دون جدوى، ولو كان قد وقف الى جانب الإمام جمع من العلماء في تلك المرحلة لما استطاع النظام البهلوي الاستمرار في الحكم بعد مجزرة (5 حزيران) في طهران.**

**وعلى أي حال، فقد استغلَّ الإمام فاجعة الفيضية في مهاجمة أزلام الشاه وفضحهم، وكان لحذاقة الإمام واهتمامه بالقضايا بشكل شامل أكبر الأثر في ترسيخ شخصيته القيادية وتعاظمها في أوساط الأمة، إذ كان اسم الإمام وتوقيعه يضفي على البيانات أهمية وقيمة خاصتين، كما أن الشعارات التي كان يطرحها، كانت تنتشر بسرعة كبيرة. أما الشاه فقد قرر اللجوء الى أسلوبه السابق المتمثل بفتح ملفات اتهام، في محاولة منه لمواجهة الإمام، ولجأ الى أسلوب الاعتقال والاتهام والإدانة والمعاقبة.[16]وهي محاولة من الشاه لإلهاء الإمام وإشغاله بالإجراءات القانونية والمحاكمات.**

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] الطريف أن كل اللوائح الست التي طرحت على الشعب للاستفتاء بـ(نعم) أو (لا) كانت عبارة عن مجموعة واحدة لا تتجزأ. فالذي يعارض إصلاح قانون الانتخابات عليه أن يخالف جميع اللوائح الأخرى وهكذا.**

**[2] بعد هذه الحوادث ـ امتنع آية الله الخونساري عن حضور أي تجمع سياسي وبهذا فقد حقق معه النظام هدفه في ترهيب العلماء وإرعابهم.**

**[3] عندما بلغ الإمام الخميني نبأ الهجوم على الفيضية والعلماء يقال أنه سُر بذلك، وكرر عبارة (الحمد لله، فضح النظام نفسه وكشف عن حقيقته، وهذا ما كنت أتمناه). (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ص 251).**

**[4] أنظر (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ ص 254).**

**[5] مثل سادن وخدم روضة السيدة معصومة حيث استجابوا هم أيضاً لقرار المقاطعة، واستعدوا لتحمل التبعات المترتبة على ذلك من فصل ونفي وغيرها.**

**[6] صحيفتا اطلاعات وكيهان بتاريخ 24/1/1963م.**

**[7] الصحف الصادرة عصر يوم 27/1/1963م.**

**[8] إذاعة طهران ادعت أن علماء كربلاء شاركوا في الاستفتاء بشكل جماعي لكن هؤلاء العلماء نفوا ذلك نفياً قاطعاً وقالوا(إن هذه تهمة ألصقت بهم).**

**[9] صحيفة اطلاعات تكتبت في مقال لها يوم 5/3/1963 تقول: (.. الدين أمر منفصل عن السياسة. فالسياسة حديث اليوم والدين حديث الأزل. السياسة تقول اليوم شيئاً، وغداً تقول شيئاً آخر، أما ما يقوله الدين فلا يتغير بتغير الزمان، أما مظاهر الدين وممارساته فهي ثابتة لا تتغير؛ لان الدين هو الحدود والإطار، والسياسة محاطة، فانتم ترون اليوم كيف وصل الغربيون والأمريكيون الى أعلى قم التمدن والتحضر، وفي مجال العلم والمعرفة نراهم وصلوا الى مرحلة الوصول الى القمر، لكن الدين ظل أكبر سند روحي ومعنوي لهم، حيث ظلت الكنيسة من أكثر الأماكن قدسية واحتراماً لديهم).**

**[10] البيان كتبه الإمام الخميني ووقع أسفله تسعة من علماء قم، حيث شرح بالتفصيل الممارسات المخالفة للدستور التي قامت بها حكومة(علم)، كما حدد البيان واجب العلماء، واستند الى ست ممارسات اعتبر الحكومة على أثرها غير شرعية.**

**[11] قال الشاه(.. منذ حوالي أسبوعين، وأنا أرى وأسمع تصرفات هؤلاء الذين هم أشبه بالديدان الطفيلية، إنهم يغوصون في فضلاتهم، إنهم يعتقدون أن الوقت قد حان للغوص في فضلاتهم ثانية. إنّ هذه العناصر الساقطة! والرجعيين المؤيدين لهم، إن لم يستيقظوا من نومهم، فستنزل على رؤوسهم يد العدالة كالصاعقة مهما كان الزي الذي يرتدونه، وبذلك ستنتهي حياتهم المليئة بالخزي والعار). ( من كتاب (سخنان شاهنشاه) (حديث الشاه)/ ص 28).**

**[12] تزامنت ذكرى شهادة الإمام جعفر الصادق(ع) مع أيام عيد النوروز، ولذا فإن معظم البيانات والمنشورات كانت قد أعلنت الحداد العام بسبب المناسبتين معاً، فقد جاء في بيان جمع من علماء طهران: ( بمناسبة تزامن أيام النوروز مع ذكرى شهادة رئيس المذهب الإمام جعفر الصادق(ع) والحوادث المؤلمة التي واجهت الإسلام والمسلمين فإن جماعة العلماء تعلن الحداد ولن يكون لها عيد هذا العام).**

**[13] (الفيضية) هي مركز تدريس العلوم الدينية في مدينة قم المقدسة. (المترجم).**

**[14] شركة (واحد) هي الشركة الوحيدة لحفلات نقل الركاب داخل من إيران.**

**[15] صحيفة (اطلاعات) كتبت في عددها الصادر بتاريخ 6/1/1342هـ.ش(26/3/1963م) تقول: (..خلال صدامات في قم وتبريز قُتل ثلاثة أشخاص، وجرح عدد آخر. وتقول التقارير الواصلة من تبريز إن طلاب العلوم الدينية أصدروا في اليوم الأول من عيد نوروز، منشورات ضد النساء وحقهن في الانتخابات، وألصقوها على الجدران في الشوارع والمعابر، وقد أثار ذلك استياء النساء والمثقفين، حيث خرجت في اليوم التالي مظهرات احتجاجية حاول المشاركون فيها تمزيق هذه المنشورات الملصقة على الجدران مما أدى الى حدوث صدام بين المتظاهرين وجمع من علماء الدين، وقد توسّعت هذه الصدامات مما اضطر قوات الشرطة الى التدخل وإطلاق الرصاص في الهواء لتفريق الطرفين. ويقول هذا التقرير إن اثنين من المارة قد قتلا وجُرح عدد آخر، كما جُرح في هذه الحوادث أربعة من رجال الشرطة وهم يرقدون الآن في المستشفى، كما تقول التقارير الواردة من قم إن اشتباكات وقعت في اليوم الثاني من فروردين (22 آذار) في المدرسة الفيضية ومركز الحوزة العلمية قتل على أثرها شخص واحد كما جُرح عدة أشخاص، وطبقاً للمعلومات الواصلة فإن الاشتباك بدأ عندما كان علماء الدين يقيمون مجلس عزاء في المدرسة الفيضية بمناسبة ذكرى وفاة الإمام الصادق(ع) وقد حضر هذا المجلس جمع كبير منا لطلاب وزوار مرقد السيدة معصومة ومسافري العيد القادمين الى قم وبينما كان الحاج السيد الأنصاري وهو أحد الوعاظ يتحدث على المنبر رفع عدد من الحاضرين أصواتهم بالصلاة على محمد بشكل متواصل وهكذا ارتبك الوضع، وفي الاثناء بدأ رمي الحجارة حيث توفي إثر ذلك أحد الفلاحين المشاركين في هذا المجلس نتيجة اصابته بالحجارة.**

**[16] في ذلك الوقت التقى شخص ادعى أنه ممثل (جمال عبد الناصر) بالإمام وأبلغه رسالة عبد الناصر واستعداده لتقديم أي نوع من المساعدة، لكن الإمام رد بأنه ليس بحاجة الى أي دعم خارجي، وبعد اعتقال الإمام عُرف أن ذلك الشخص كان مبعوثاً من قبل النظام لافتعال تهمة ضده، وقد باءت هذه المحاولة بالفشل أيضاً. (راجع الصفحات 424 و 425 من كتاب بررسى تحليلى از نهضت امام خمينى) تحت عنوان (دبلوماسي مصري أم جاسوس إيراني) بالفارسية.**

# ****الفصل الثالث****

# ****أحداث محرم 1383هـ****

# ****ومقدمات انتفاضة 5 حزيران الدامية****

**1ـ بدء شهر محرم الدامي (عام 1383هـ.ق):**

**شهر محرم يذكّر كل عام بثورة الإمام الحسين بن علي (ع). فالحسين هو دائماً الشعلة الوهّاجة لكل النهضات والثورات الإسلامية، والشيعة يحيون ـ منذ قرون ـ ذكرى الحسين (ع) ويعتبرون دمه الطاهر مصدر حياة لوجود شجرة الحرية والعدالة واستمرارها. إنّ المسلم الشيعي أينما وُجِد، يعتبر الأيام العشرة الأولى من شهر محرم أيام عزاء وحزن ويسمي اليوم العاشر منها (عاشوراء الحسين) يدفعه فيها ارتباطه الروحي بالحسين (ع) الى التفكُّر والتأمل مليّاً في ثورة الدم والشهادة، ويتناقل فقرات من صرخة الحسين التي تناقلها الأجيال، وكم من الناس من عاش لحظات مع ذكرى الحسين (ع) دفعته فيما بعد الى نبذ الذل والخنوع، وانتهاج سبيل التضحية من أجل العقيدة، وهكذا فقد كان لشهر محرم ذلك العام معنى خاص، بعد أن فشلت الحكومة في تعطيل الحوزة العلمية خلاله.[1]**

**فقد كان ثبات الحوزة في ساحة الجهاد والمعارضة يعني وجود بصمات الحسين في هذه النهضة الكبرى، ولهذا كان على النظام الحاكم اتخاذ تدابير استثنائية ليمر شهر محرم بسلام. فقد تضمَّن البيان الذي أصدرته الشرطة العامة عبارات تكشف عن مدى قلق الحكومة، حيث جاء في البيان الذي نشرته الصحف الصادرة يوم 5 خرداد(26/5/1963م) ما يلي:**

**(ستتم إقامة مراسم العزاء المشروعة والمنطبقة مع موازين الإسلام المقدسة مع مراعاة النظام الكامل، أما التظاهرات والأعمال التي نهى عنها الشرع المقدس أيضاً، فهي ممنوعة منعاً باتاً، العاصمة المحترمون على النظام والهدوء ويحافظوا على شعائرهم الدينية ويقيموا مراسم العزاء بكل هدوء ونظام، ولو أراد بعض الأشخاص ـ لا سمح الله ـ استغلال المراسم الدينية لأغراض شخصية فسيعاقبون عقاباً صارماً).**

**لكن ذلك لم يثنِ قائد النهضة الذي راح يعد كل مستلزمات الأمر ليعيد لمحرم صورته الحقيقية، ولهذا فقد وجه الإمام الخميني(قدس سره) رسالة الى الوعاظ والخطباء وطلبة العلم جاء فيها:**

**(..إنّ الحكم المتجبر ينوي أخذ تعهُّد من المبلّغين وأصحاب مجالس العزاء بعدم التحدُّث عن المظالم، وأن يتركوا الحكم يفعل ما يريد. إنني أرى من الضروري هنا التذكير بأنه ـ فضلاً عن أن هذه التعهدات ليست لها أية قيمة قانونية ولا تترتب على مخالفتها أية آثار سلبية ـ فإن الذين يأخذون هذه التعهدات هم مدانون وتجب ملاحقتهم.. عجيب أمر هؤلاء الذين لا يخجلون، إنهم يدَّعون أن كل الشعب معهم ومع ذلك فهم يقومون ببث الرعب وممارسة القمع في أرجاء البلاد. فإن كان ادعاء هؤلاء صحيحاً، فليتركوا الشعب حرّاً خلال هذه الأيام لنرى عندها حجم الدعم الشعبي الذي يتمتعون به، وليرى العالم حقيقة الملايين الستة التي صادقت على الإصلاحات، وبغير هذا فإن إشاعة الأكاذيب لتشجيع الرأي العام على العمل خلافاً لمصالح الإسلام والبلاد؛ إنما هي جريمة تجب ملاحقة مرتكبيها.**

**على حضرات المبلغين، أن لا يخافوا من عدة أيام من السجن والأذى{ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}. على السادة أن يعلموا أن الخطر المحدق بالإسلام اليوم ليس أقل من خطر بني أمية، حذّروا الناس من خطر إسرائيل وأذنابها، أعلنوا احتجاجكم على إرسال الحكومة الخائنة لعدة آلاف من أعداء الإسلام والشعب والوطن، الى لندن للمشاركة في المحافل والمراسم المعادية للإسلام والوطن، فالسكوت في هذه الأيام هو بمثابة تأييد لحكم الجبابرة، ودعم لأعداء الإسلام.. خافوا سخط الله تعالى، فلو تلقى الإسلام ضربة بسبب سكوتكم، فستكونون مسؤولين أمام الله والأمة الإسلامية... لا تجعلوا للخوف من أساليب وممارسات الشرطة وأجهزة القمع الى قلوبكم طريقاً...).**

**وهنا نلاحظ كيف أن الإمام يؤدي واجبه، إذ لم يترك ممارسة مهام القيادة لحظة واحدة، بل كان يراقب الأوضاع ويدرسها بدقة متناهية ليقوم بوضع ما يتوصل إليه من نتائج تحت تصرف المجاهدين. ففي الوقت الذي منعت فيه الحكومة الوعّاظ والخطباء من التدخل في الشؤون السياسية؛ نرى الإمام يشجعهم على فضح النظام وكشف حقيقته، وهكذا كان الخطباء الذين يلتزمون بوصايا الإمام وينفذون تعاليمه يتمتعون بسمعة أفضل، ولهم في المجالس مستمعون أكثر.**

**وفي العشرة الأولى من محرم ذلك العام، نرى أن الخطباء لم يكتفوا بلعن يزيد الأموي، بل راحوا يكررون الأشعار الثورية ويذكرون بقتلى حادثة الفيضية الذين اندفعوا لنصرة نهج الحسين(ع)، كما كانوا يذكرون الأمة الإسلامية بخطر إسرائيل ويؤكدون أن الخطر المحدق بالإسلام من جانب الأنظمة العميلة، ليس أقل من خطر بني أمية الإسلام.[2]**

**2ـ مظاهرات العاشر من محرم 1383هـ.ق:**

**كل الدلائل كانت تشير الى أن مسيرات وتظاهرات عاشوراء ستكون ضخمة جداً، فالخطباء والوعّاظ تحدثوا خلال الأيام العشرة من المحرم بما يجب أن يقال، أما الصحف الحكومية ـ ومعها الإذاعة ـ فقد سعت الى تهدئة الأجواء، والتخفيف من حدة التوتر. فكانت تصوّر الأوضاع وكأنها عادية جداً، وتركّز في أحاديثها، على نتائج الاستفتاء وثورة الشاه البيضاء وثمارها المستقبلة، وتبشر الفلاحين والعمّال وباقي الطبقات الشعبية بحياة الرفاهية. وإذا كانت وسائل الإعلام هذه تتطرق من بعيد الى موضوع الدين وعلمائه فإنها تقصر الحديث على ما تسميه بالرجعية والأخطار والموانع التي تضعها في طريق ما يسمّى بالثورة البيضاء.[3]**

**وفي العاشر من المحرم، نزلت الى شوارع طهران عشرات الآلاف من مختلف فئات الشعب من الذين كانوا يتبعون نهج الإمام الخميني، وهم يحملون صور الإمام ويهتفون (يا خميني، فليحفظك الله، يا خميني، الشعب كله معك). وقد كان مقرراً أن يتم التجمّع في مدرسة أبي الفتح الواقعة في ساحة الملك (ميدان شاه) إلا أن الشرطة قامت بمحاصرة المدرسة منذ الصباح الباكر، لكنها فقدت سيطرتها على الأوضاع ولم تستطع مواصلة الحصار بعدما تأجج الغضب الجماهيري وتصاعدت شعارات المشاركين في مراسم العزاء منددة بالحكومة. فسيطرت الجموع الغاضبة على المدرسة وأطرافها وواصلت مسيرتها بإطلاق الشعارات المدوية[4]، وبعد أن اجتاز المتظاهرون تقاطع (أمين حضور) و(سرجشمة) وصلوا ساحة (بهارستان) حيث نصبوا صورة الإمام في الساحة ثم اتجهوا الى ساحة (فردوسي) وهناك أعلنوا تنديدهم بما يسمى بالثورة البيضاء من خلال الشعارات المدوية والخطب الحماسية، ومن هناك اتجهوا الى جامعة طهران حيث وصل حماس المتظاهرين ذروته وهم يهتفون (يا خميني يا محطم الأصنام فليحفظك الله) وفي طريق العودة وبدون تخطيط مسبق، تعالت هتافات(الموت لهذا الدكتاتور) ويقصدون به الشاه، ورغم محاولات المسؤولين عن التظاهر تغير الهتاف، والحد من تفاقم الوضع أكثر؛ فإن المتظاهرين ظلوا يهتفون بهذا الشعار الذي كان تلخيصاً لمعنى التظاهرة والهدف منها.**

**وقد انتهت التظاهرة في الساعة الثالثة من بعد الظهر بعودة المتظاهرين الى (البازار)، كما خرجت تظاهرات أخرى نظمها طلاب جامعة طهران دعماً لقيادة الإمام الخميني حيث هتفوا بشعار (الخميني منتصر)، فقد بدأت هذه التظاهرات من مسجد (الهداية) مروراً بشارع (إسلامبول) وانتهت في ساحة الملك حيث التحق المتظاهرون بمجلس عزاء كان يقام في مدرسة الحاج (أبو الفتح).**

**3ـ تظاهرات الحادي عشر من المحرم:**

**مراسم عزاء محرم المصحوبة بإعلان مرجعية الإمام الخميني السياسية الدينية هزت طهران، وجعلت من الموقع الذي تبوأه الإمام لدى الشعب الموضوع الأول الذي يحظى بالاهتمام البالغ.**

**فحتى ذلك اليوم كان المثقفون العلمانيون يتصورون أن تحركات الإمام هي دينية صرفة، لكن الاحتجاجات الجماهيرية الحاشدة، وشعارات عاشوراء، جعلتهم يوقنون بأن كلامه أكثر تأثيراً من كل الشعارات، وأن تأثيره هذا هو تأثير سياسي وديني؛ لذلك قررت المجموعات السياسية والجبهات الموجودة آنذاك القيام بتحرك واسع واستغلال هذه الاجتماعات الشعبية لإثبات وجود زعمائها وإخراجهم من العزلة التي يعيشونها.**

**ففي صباح الحادي عشر من المحرم تجمعت حشود جماهير طهران في مسجد الشاه (مسجد الإمام الخميني حالياً) في البازار، وبعد فترة قصيرة بدأت الحشود تهتف بشعار الأمس، وخرجت من المسجد الى شارع (ناصر خسرو) ثم ميدان توبخانه( ميدان الإمام الخميني حالياً) ثم دخلت شارع فردوسي حيث بدأت الخطابات الحماسية تتوالى هناك، وواصلت المظاهرات سيرها حتى وصلت الى جامعة طهران، فقابلها طلبة الجامعة بتعطيل الدراسة والالتحاق بصفوف المتظاهرين مما أدى الى تصاعد حالة الغليان لدى الجماهير الغاضبة.**

**وفي ذلك اليوم، كان الجو حاراً جداً، والهتافات كلها تدور حول قيادة الإمام الخميني، وبين الحين والآخر كانت الجماهير تهتف (ستستمر النهضة حتى موت الدكتاتوريين). وهنا حاول مؤيدو الدكتور مصدق وغيرهم ـ ولأسباب معينة ـ استغلال هذا الظرف للإشادة بمصدق ورفع اسمه[5] فأطلق جمع من أنصاره هتافاً يتضمن اسمه وأصروا على حمل المتظاهرين على ترديده وهو (الخميني زعيم شيعي ومصدق زعيم وطني) المهم أن التظاهرة استمرت حسب المسير الذي سارت فيه اليوم السابق ومقابل قصر المرمر هتف المتظاهرون: (الموت لهذا الدكتاتور).**

**وفي نفس اليوم ووفقاً لما ورد في خبر نشرته صحيفتا (اطلاعات وكيهان) قُتل أحد أفراد الشرطة إثر اشتباك وقع بين قوات الشرطة والناس كانوا يقرأون بياناً لآية الله الخميني ألصق على الجدار بعدما قامت الشرطة بتمزيقه.[6]**

**4ـ حوادث قم في يوم عاشوراء:**

**مدينة (قم) هي مركز الحوزة العلمية، ومع الأخذ بنظر الاعتبار ما أسلفناه من خصوصيات هذه المدينة، فقد كان يجب أن تشهد اجتماعات ومسيرات حاشدة في محرم، وهذا ما حدث فعلاً.**

**فقائد النهضة كان مقرُه هناك، كما أنه قرر في ذلك العام أن يقوم في كل ليلة بالمشاركة في مجالس عزاء إحدى مناطق المدينة، كما أن الخطباء كانوا يتحدثون عن الأوضاع السياسية للبلاد ويبلغون الناس رأي الإمام فيها، وهكذا كان الإمام يحظى باستقبال كبير في كل مجلس عزاء يزوره، كما كانوا يضعون المصابيح ويذبحون الأضاحي على طول الطريق الذي يسلكه الإمام باتجاه أحد المجالس كل ليلة. هذا الوضع أثار قلق السلطة وخوفها؛ ذلك أن فضحها كان يتم من قبل شخص له منزلته الخاصة في قلوب الناس. ولهذا فقد حاول كبار مسؤولي الحكومة الاجتماع بخطباء المنابر والتحدث إليهم في محاولة لثنيهم عن التشهير بالحكومة أو على الأقل التحدث ضمن حدود معينة، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، فالإمام الخميني اجتمع بكبار علماء قم وبحث معهم سبل إيصال النهضة الى ذروتها في شهر محرم، فاقترح أن يذهب العلماء الى المدرسة الفيضية يوم العاشر من المحرم ليخطبوا في جموع الناس التي توافدت على قم من كل حدب وصوب. وقد حظي هذا الاقتراح بموافقة العلماء.**

**أما الخطباء فقد راحوا يشيعون ذلك في مدن البلاد باعتباره خبراً طازجاً، وهكذا بدأت أمواج الناس تتدفق على قم التي شهدت زحاماً لم يسبق له مثيل، بينما راحت أجهزة الأمن تُعدُّ العُدة لمواجهة الموقف، فقامت أولاً ببث إشاعات تفيد بأن الشاه أمر الجيش بمهاجمة قم يوم العاشر من المحرم كما فعل في مسجد گوهرشاد . كما ذهب وعاظ البلاط الى قم واجتمعوا بالعلماء في محاولة لثنيهم عن تنفيذ قرارهم حيث نجحوا في إقناع الجميع ما عدا الإمام الخميني الذي أعلن أنه يرى من واجبه كشف الحقائق لعامة الناس ولتفعل السلطة ما تشاء. وقد أعلنها الإمام صريحة قاطعة:**

**(لقد اتخذت قراري النهائي، ولن تستطيع الإشاعات والتهديدات التي يمارسها النظام ثنيي عن تنفيذ قراري).**

**ولما لم يستطع النظام ثني الإمام عن قراره ـ بالطرق غير المباشرة ـ قرر سلوك الطرق المباشرة، ففي صبيحة العاشر من المحرم وعندما كان منزل الإمام مكتظاً بحشود الناس للمشاركة في مجلس العزاء، جاء رئيس جهاز الأمن (الساواك) الى هناك وقال للإمام (جئت من قبل معالي الشاه لأبلغك بأنه لو خطبت اليوم في الفيضية فسيهاجم رجال الكوماندوز المدرسة ويفعلون ما يفعلون). لكن الإمام ردَّ على الفور: (ونحن سنصدر الأوامر لرجالنا الكوماندوز ليقوموا بتأديب رجال معالي الشاه).**

**لكن هذه المواجهة الكلامية لم تكن المحاولة الأخيرة من قبل الحكومة، فقد واصلت جهودها ومحاولاتها بشتى الطرق حتى الساعة الرابعة عصراً.**

**5ـ الخطاب الذي جعل من صاحبه محطم الأصنام:**

**عصر يوم العاشر من المحرم، الذي يجدد ذكرى استشهاد الإمام الحسين(ع) تخيم على المجتمع الإسلامي في إيران أجواء خاصة لا يمكن وصفها. ولم تسنح الفرصة لعلماء الاجتماع في بلادنا لدراسة الحالة النفسية لأبناء هذا المجتمع وتحليلها في هذا الوقت. فلو درسوا هذه الظاهرة بإمعان لاكتشفوا أن حالة التضحية والفداء التي يمر بها هؤلاء يوم العاشر من المحرم تفوق في حجمها وتأججها أي وقت آخر، والكلام الذي يفوح بعبق الجهاد والثورة، والمعتمد على قيم وعقيدة إلهية سيترك تأثيراً يفوق تأثيره في الأوقات العادية بمئات المرات. فالحشود الهائلة التي تجمعت في عاشوراء ذلك العام في قم لم يسبق لها مثيل في السنوات السابقة، إذ كان هناك شوق عام لسماع خطاب الإمام، وكان لفشل محاولات النظام ثني الإمام عن إلقاء خطابه، وكذلك تخلّي باقي العلماء عن إلقاء الخطب، وإصرار الإمام على إلقاء كلمته بالرغم من كل الإجراءات التي اتخذتها السلطة؛ كل ذلك كان له أكبر الأثر في إكساب خطاب الإمام أهمية كبرى. وبالنظر لما تركه هذا الخطاب من آثار كبيرة على الساحة الإيرانية فقد آثرنا نشر نصه الكامل[7]:**

**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم**

**نحن الآن في عصر عاشوراء، وعندما كنت أتأمل حوادث يوم عاشوراء؛ خطر ببالي هذا السؤال: إذ كان يزيد يعادي الحسين فقط، فلماذا قام أزلامه بتلك الممارسات الوحشية المنافية للأصول الإنسانية بحق النساء والأطفال الأبرياء؟ ترى ماذا كان ذنب هؤلاء؟ ما الذي فعله طفل الإمام الحسين(عليه السلام) الرضيع؟ (بكاء الحاضرين).**

**أنا اعتقد أن أولئك كانوا يحاربون ويعادون أساس الموضوع، فبنو أمية وحكومة يزيد، كانوا يعادون آل النبي(ص)، وبني هاشم، وكانوا يريدون القضاء على هذه الشجرة الطيبة. وهنا يطرح هذا السؤال نفسه وهو إذا كانت حكومة الجبابرة في إيران تعادي العلماء والمراجع فما شأنها بالقرآن المدرسة الفيضية؟ ما شأنها بطلاب العلوم الدينية؟ ما الذي فعله الشاب ذو الثمانية عشر ربيعاً للشاه؟[8] (بكاء الحاضرين) ما الذي فعله للحكومة؟ ما الذي فعله لهؤلاء الجبابرة؟ (الحاضرون يبكون بشدة). الجواب هو أن هؤلاء يعادون أساس الإسلام والعلماء، ويريدون القضاء على هذا الأساس.**

**هؤلاء لا يريدون لصغير أو كبير منا أن يبقى، إسرائيل لا تريد بقاء علماء للإسلام في هذا البلد، إسرائيل لا تريد بقاء عالِم في هذا البلد. لقد شنّت إسرائيل هجوماً على الفيضية بواسطة عملائها هنا، هاجمتنا، ولازالت تهاجمكم يا أبناء الشعب، إنها تريد السيطرة على اقتصادنا، تريد القضاء على زراعتكم وتجارتكم، تريد نهب الثروات، ولذلك فهي تسعى ـ بواسطة عملائها ـ الى القضاء عن كل من يقف سداً منيعاً في وجهها، والمدرسة الفيضية وباقي مراكز العلم هي سدود في وجه إسرائيل ويجب أن تدمَّر! وعلماء الدين هم أيضاً سدٌّ يجب أن يحطَّم! وطلاّب العلوم الدينية قد يصبحون في المستقبل عائقاً في وجه إسرائيل، لذلك يجب أن يقتلوا! ويقذف بهم من السطوح! ويجب تحطيم رؤوسهم لتصل إسرائيل الى مآربها! ولأجل ذلك فإن الحكومة الإيرانية تقوم بإهانتنا خدمةً منها لمصالح إسرائيل ومخططاتها.**

**لقد شاهدتهم ـ يا أبناء قم المحترمين ـ كيف أن السلطة أجرت ذلك الاستفتاء ـ المفضوح ـ بالسلاح والتهديد، ذلك الاستفتاء الذي هو ضد مصالح الشعب الإيراني.**

**ففي شوارع وأزقة قم التي هي مركز علماء الدين، وبجوار مرقد السيدة معصومة (ع) أنزلوا الى الشوارع حفنة من الأوباش الأراذل ليقولوا للناس إن زمن التطفل قد انتهى، فهل إن طلاب العلوم الدينية الذين يقضون زهرة شبابهم وسنوات عمرهم في هذه الحجرات ويتقاضون رواتب شهرية تتراوح بين (40 ـ 100) تومان فقط أهؤلاء هم الطفيليون؟ أهولاء هم المعتاشون بجهود غيرهم؟ أليس الذين ينهبون ألف مليون تومان مرة واحدة هم الطفيليون والمعتاشون؟! أنحن نعتاش على الآخرين والمرحوم الشيخ عبد الكريم[9]فارق الحياة وترك ديناً مقداره (600) ألف تومان هي مجموع رواتب الحوزات؛ أهو يعتاش على الآخرين؟ أليس الذين يجمعون الثروات في بنوك العالم من تعب الفقراء وكدّهم، ويبنون القصور ومع ذلك لا يريدون ترك هذا الشعب وشأنه، بل يواصلون السعي لنهب ثروات البلاد واقتسامها مع إسرائيل، أليس هؤلاء معتاشين على جهود الآخرين؟ على العالم أن يحكم في هذا الأمر. على الشعب أن يعلن من هو الطفيلي الذي يعتاش على جهود الآخرين وعملهم؟ أنا أنصحك أيها الشاه، يا حضرة الشاه أنا أنصحك بأن تكفَّ عن هذه الممارسات، أنا لا أرغب في أن يأتي يوم يشاء فيه أسيادك أن تزول فيفرح الناس بذلك، أنا لا أريد أن تلقى نفس مصير أبيك.**

**أنتم يا أبناء الشعب الإيراني تتذكرون، والذين تبلغ أعمارهم الأربعين أو حتى الثلاثين عاماً يتذكرون أن قوات ثلاث دول قد شنَّت هجوماً على إيران خلال الحرب العالمية. فقد دخلت القوات الروسية والبريطانية والأمريكية الى إيران وسيطرت على مقدرات البلاد، وتعرضت أموال الناس للنهب، وأعراضهم للهتك، ومع كل ذلك فقد كان الناس فرحين لأنهم تخلصوا من رضا بهلوي. أنا لا أريد أن تلقى أنت نفس هذا المصير. لا أريد أن تصبح مثل أبيك. إسمع نصائحنا. إسمع كلام علماء الدين. خذ بنصائح علماء الإسلام فهؤلاء يريدون تحقيق مصلحة البلاد. لا تستمع لنصائح إسرائيل فإسرائيل لا تنفعك.**

**أيها المسكين لقد تجاوزت الخامسة والأربعين من العمر. فكّر قليلاً وتدبَّر فيما حولك. فكّر في عواقب الأمور. إعتبر بمصير أبيك. فلو صحّ ما يقال من أنك تعادي الإسلام وعلماء الدين فإنك على خطأ كبير، وإن كانوا يكتبون لك لتقرأ فتأمل فيما تقرأه. لماذا لا تعي ما تقول؟ هل إن العلماء نجسون؟ فلو كانوا كذلك فلماذا يقبل الناس أيديهم؟ هل أنا حيوان نجس؟! (بكاء الناس) آمل أن لا تكون قد قصدت ذلك وإلاّ فإن موقفنا منك سيكون أشد، وحسابك سيكون أشد أيضاً. فلن تستطيع البقاء بعد هذا، الشعب لن يدعك تواصل هذا النهج، هل إن العلماء هم رجعيون؟ وأنت الرجعي الأسود قمت بثورة بيضاء؟ أية ثورة بيضاء هذه؟ لماذا تريد استغفال الناس الى هذه الدرجة؟ لماذا تقوم بقمع الناس وتهديدهم.**

**لقد أخبروني اليوم بأن عدداً من وعاظ طهران وخطبائها قد استدعوا الى منظمة الأمن وطلب إليهم عدم التطرق في خطبهم الى ثلاثة مواضيع:**

**أولاً: أن لا يذكروا الشاه بسوء.**

**ثانياً: أن لا يهاجموا إسرائيل.**

**وثالثاً: أن لا يكرّروا عبارة: إن الإسلام في خطر.**

**وما عدا ذلك فإنَّهم أحرارٌ فيما يريدون قوله. إغنّ جميع مشاكلنا ومصائبنا تكمن في هذه النقاط الثلاث. فلو تركناها فلن يبقى بيننا أي خلاف.**

**عندما نقول إن الإسلام في خطر، أليست هذه حقيقة؟ أوليس الإسلام في خطر؟ وعندما لا نقول إن الشاه كذا وكذا فهل إنه ليس كذلك؟ وعندما لا نقول إن إسرائيل خطر على الإسلام والمسلمين فهل إنها ليست كذلك؟**

**ثم ما هي العلاقة بين الشاه وإسرائيل لكي يطلبوا منا عدم مهاجمتها؟ هل إن منظمة الأمن تعتبر الشاه إسرائيلياً؟ أم أنها تريد القول إن الشاه يهودي؟!**

**أيها الشاه! قد يريد هؤلاء الادعاء بأنك يهودي لافتي أنا بكفرك، ثم يقومون بإخراجك من البلاد! إنك غافل عن أن هؤلاء الذين يحوطونك الآن، سيتركونك وحيداً لو تغير الوضع. إنهم ليسوا أصحابك بل أصحاب الدولار، هؤلاء لا دين لهم ولا وفاء.**

**إنهم يُلقون بمسؤولية كل ما يحدث على عاتقك. أيها المسكين! ذلك الصعلوك الذي لا أريد ذكر اسمه الآن، بل سأترك ذلك لحين إصداري أمراً بقطع أذنه(تصاعد الحماس) هذا الصعلوك جاء الى المدرسة الفيضية، إهجموا... دمّروا كل شيء... إنهبوا كل الحجرات. وعندما تسأله عن سبب ارتكابه هذه الجرائم يجيبك بالقول: إنها أوامر الشاه. نعم فالأوامر الملكية تقضي بتدمير المدرسة الفيضية وقتل من فيها!**

**إنّ هناك الكثير من الحقائق التي يجب أن تقال، وهي أكثر مما تصورون، فبلادنا وإسلامنا معرّضان للخطر. إن ما يحدث الآن يدعو الى الأسى والأسف على وضع إيران؛ هذا البلد الذي يتعرّض للتدمير، وعلى وضع الجهاز الحاكم، وعلى وضع زعماء البلد. نسأل الله تعالى إصلاح الأمور).**

**هذا الخطاب البسيط في عباراته والذي فهمه الجميع واستوعبوه، قد استطاع من خلال الكلام الموجه الى الشاه، أن يكسر شوكته وهيبته. وبذلك فقد أدّى الإمام رسالته التاريخية. إذ وقف يواجه الشاه بشكل مباشر من خلال هجومه العنيف عليه بالرغم من أنه عُرف بهذا الموقف من قبل أيضاً.**

**وهكذا فقد اتخذت المواجهة أبعاداً أوسع، وبدأت قوة إسلامية ثورية مستقلة عن أي تأثير أجنبي تتبلور أكثر فأكثر، كما أن حاجز الخوف الشعبي من الشاه والحكومة قد تلاشى الى حدٍ ما.**

**فقد كان الشاه في نظر الناس بمثابة صنم كبير لا يملكون إلا الخضوع أمامه، فجاءت عبارات (روح الله) في الفيضية لتنزله من هذا الصرح الوهمي، ولتُدخل الشجاعة في قلوب أبناء الأمة للنهوض والعمل بواجبهم الشرعي عملاً بفتوى الإمام القائلة بتحريم التقية.**

**أما النظام وعلى رأسه الشاه، فقد رأى نفسه ـ بعد خطاب الإمام في الفيضية ـ أما مفترق طريقين، إذ درك أن هذه الشخصية الدينية القوية والعاملة في أوساط الأمة تشكّل خطراً كبيراً يهدد أساس النظام الملكي، ولا جدوى من أساليب الترغيب والترهيب لثني الإمام عن مواصلة الطريق الذي اختاره، ولهذا فقد أصبحت الحكومة خيارين: إما التسليم أمام غضبة الشعب، وإما ترسيخ الاعتماد على الامبريالية وارتكاب المزيد من الجرائم لتحافظ على نفسها من السقوط ولو مؤقتاً. وانتهى الأمر بأن اختارت الحكومة الطريق الثاني فكان أن أصدرت أمراً باعتقال الإمام.**

**6ـ اعتقال الإمام الخميني:**

**استطاع الإمام الخميني خلال تحركاته الجهادية التي لم تتجاوز العام الواحد، أن ينفخ في الحوزة العلمية روحاً جديدة ظهرت معالمها على شكل وحدة متينة بين علماء الدين لم يسبق لها مثيل، فقد أعلن أن التقية حرام، فتح أمامهم طريق الجهاد، ولم يكل أو يتعب بالرغم من كل الظروف والضغوط التي واجهها. فعباراته كانت تزداد قوة وحزماً، وفي كل مرحلة، كان يتخذ موقفاً أقوى، ويقوم بكشف حقيقة النظام. فقد كان مشروع مجالس الولايات، وهو الخطوة الأولى، وهزيمة الحكومة في هذه المرحلة فتحت الطريق أمام المراحل التالية حيث جاءت المرحلة الثانية من هذا الجهاد بإعلان الشاه المبادئ العامة للاستفتاء الوطني. وقد استغرقت هذه المرحلة فترة طويلة، إذ شهدت الحداد العام في شهر آذار 1963 وحادثة الفيضية واربعينيتها، واستمرت الحوادث حتى جاء محرم، شهر الدم والشهادة، فكان فرصة مناسبة جداً لإيصال نداءات العلماء ـ وفي مقدمتهم الإمام الخميني ـ الى أقصى مناطق البلاد.**

**الصحف كانت خاضعة لإشراف الحكومة تماماً، فقد خصصت أغلب صفحاتها للحديث عن (الثورة المقدسة)! للشاه. والإذاعة وباقي وسائل الإعلام كانت تهاجم المعارضين وتصفهم بالرجعيين والإقطاعيين وعملاء الأجانب، لكن كل هذه الحملة الإعلامية ظلت عاجزة أمام إعصار الرأي العام الذي نتج عن خطاب الإمام الخميني.**

**المظاهرات الواسعة في اليومين العاشر والحادي عشر من المحرم في طهران، والخطاب الناري للإمام في عصر اليوم العاشر من المحرم في مسجد مدرسة الفيضية، كل هذه أدّت الى شن هجوم واسع على علماء الدين، فقد شنت أجهزة الأمن حملة اعتقالات واسعة، وألقت بأعداد كبيرة من أنصار الإمام الخميني في السجون.**

**وفي منتصف ليلة الخامس عشر من خرداد (5 حزيران) إنطلقت عدة شاحنات تحمل أعداداً كبيرة من الجنود ورجال الأمن متجهة الى قم لاعتقال الإمام الخميني. المظليون وقوات الحرس الملكي قاموا بمحاصرة بيت الإمام واعتقلوه وانسحبوا بسرعة.[10]ولم ينتبه أهالي المحلة الى الأمر إلا صرخات ابن الإمام،[11] حيث خرج الناس من بيوتهم ولكن بعد فوات الأوان، إذ أن السيارة التي أقلت الإمام كانت قد ابتعدت عن قم. فأزلام النظام أرادوا إيصال الإمام الى طهران في أسرع وقت. وهكذا أبقوا الإمام في نادي الضباط في طهران حتى الصباح ومساء اليوم التالي، نقلوه الى سجن (القصر) وبعد (19) يوماً نقل الى زنزانة في معسكر (عشرت آباد).**

**وفي الفصول القادمة، سنتابع تفاصيل الحوادث السياسية في البلاد خلال الحقبة التي سبقت انتصار الثورة الإسلامية عام 1979.**

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] كتبت مجلة (أميد إيران) تقول: من المقرر أن يُعلن عن انتخاب آية الله الحكيم لمقام مرجعية الشيعة في العالم، فبعد وفاة آية الله البروجردي بدأت الأوساط الحوزوية في إيران تتحدث عن مرجعيته، كما أن الحكومة الإيرانية قد أبدت رغبتها بهذا الأمر. فبعد وفاة البروجردي، أرسل السيد وزير البلاط وباقي الوزراء برقيات تعزية الى سماحة آية الله الحكم فقط دون غيره من العلماء، كما أنه ـ أي الحكم ـ بعث برسالة الى إخوته العلماء، دعاهم فيها الى الهجرة الى النجف لتقوية موقفه. كما أن بعض السادة يبدون رغبة في نقل الحوزة العلمية من قم الى العراق(مجلة (خواندنيها) بتاريخ 14/4/1963م العدد 1919 نقلاً عن مجلة (أميد إيران).**

**[2] نظام الشاه كان يعتبر هذا الحديث مخالفاً لطبيعة مراسم العزاء الحسيني، بل كان يعتبر عمليات كشف الحقائق وتوضحيها أمراً مخالفاً للإسلام الذي تريده الحكومة، ولهذا قام بدعوة الخطباء الى مقر المخابرات (الساواك) وطلب اليهم الالتزام في خطبهم بالنقاط الثلاث التالية على الأقل:**

**1ـ عدم مهاجمة الشاه.**

**2ـ عدم التطرق لموضوع إسرائيل.**

**3ـ عدم تكرار عبارة: إن الإسلام في خطر.**

**لكننا نرى أن جميع المواضيع التي أمر الإمام بالحديث عنها تدور محاورها حول هذه النقاط الثلاث. وقد قال الإمام خلال حديثه بمناسبة عاشوراء: (إن جميع مصائبنا وخلافاتنا مع النظام تكمن في هذه المواضيع الثلاثة التي لولاها لما كان لنا خلاف مع النظام).**

**[3] في اجتماع لمنتسبي شركة (واحد) لحافلات نقل الركاب في (24/5/1963)، ادعى الشاه أنه رأى الإمام المهدي صاحب الزمان(عج) عندما كان طفلاً؟ وأن المشيئة الإلهية أرادت أن تتم الإصلاحات على يده هو، كما ادعى أن إجراءاته مطابقة لإحكام الشرع الإسلامي المقدس، وقال: إن أعداء هذا البلد، وأعداء هذا الشعب وأعداء الشيعة لم يكفوا عن إنفاق الأموال من أجل شراء أشخاص عديمي العقيدة والإيمان ليقوموا بتحريكهم وتحريضهم ضد هذا الشعب، هؤلاء الأشخاص مهما كانت زينتهم،هم أعداء هذا البلد وهذا الشعب، وتصرفاتهم ستضر بالدين وبالمذهب الشيعي المقدس. وفي كرمان وبتاريخ 27/5/1963م كرر هذا الكلام نفسه.**

**[4] الشعارات كانت كالتالي: (يا خميني يا محطم الأصنام، إن الشعب معك، وسيذهب عدوّك مصاص الدماء)و(يا خميني، فليحفظك الله، وليمت عدوك مصاص الدماء).**

**[5] كان الدكتور مصدق آنذاك على قيد الحياة وكان يعيش في منطقة أحمد آباد، وقد مارس صمتاً مطبقاً حيال نهضة الخميني وجهاده المتواصل، شأنه شأن الكثير من السياسيين آنذاك. أما أتباعه فكانوا يضعون العقبات في طريق جهاد علماء الدين، من خلال إطلاق شعار: (نعم للاصلاحات، لا للدكتاتورية). وكانوا يعارضون النهضة الإسلامية لأسباب عديدة.**

**إنّ إطلاق هتاف (مصدق منتصر) من قبل مجموعة من أنصارهم في تظاهرات اليوم الحادي عشر من المحرم، كان عملاً مدروساً بدقة، استهدف فصل التقدم الحاصل في الجهاد الإسلامي للأمة عن هويته الإسلامية، وإلا فما هي علاقة الإمام الخميني بمصدق في تلك الظروف. فبيانات الإمام، وخطب الوعاظ والخطباء الدينيين، وفاجعة الفيضية، ووحدة علماء الدين، وصلابة الإمام ومتابعته للأمور كلها عززت نهج النهضة الإسلامي، ومنحتها الجرأة والإقدام اللازمين حتى وصل الأمر الى خروج تظاهرات حاشدة هزت أركان النظام.**

**إنّ زجّ هتاف(مصدّق منتصر) بين هتافات المتظاهرين كان دليلاً للمطلعين والمتعمقين في الشؤون السياسية، على وجود انحرافات وأخطار تهدد مسيرة النهضة، وقد يكون الخطاب التاريخي الذي ألقاه الإمام عصر العاشر من المحرم أي قبل يوم من هذه التظاهرات هو الذي دفع بهؤلاء الى محاولة زج هذا الهتاف في تظاهرات اليوم التالي.**

**[6] صحيفة اطلاعات ـ الثلاثاء 4 حزيران 1963م ـ العدد 11106.**

**[7] خطاب الإمام في ذلك اليوم كان تاريخياً ومصيرياً ولولا الدعم الأجنبي الشامل للنظام، ولو أدرك الجيش أهداف الإمام بالضبط، ولو حظيت انتفاضة 5 حزيران بقليل من التوجيه والتنظيم؛ لكان سقوط النظام الملكي آنذاك أمراً حتمياً. ويبدو أن الشخصيات والحركات والأحزاب التي كانت تعتبر نفسها في مستوى الإمام، لم تكن تدرك سياسة الإمام ومدى تأثير شخصيته في أوساط الأمة. فكلما الإمام وأحاديثه كانت مبسطة بحيث يفهمها عامة الناس، إلا إنها كانت مع ذلك فوق مستوى الأحزاب والمجموعات السياسية. ففي التاريخ المعاصر، رأينا الكثير من الشخصيات والأحزاب والمجموعات السياسية تطرح الشعارات الخادعة، وتبذل مساعيها لكسب الطاقات الجماهيرية إلا أنها غالباً ما تفشل، وإن نجحت فذلك يعود لدور القيادة الإسلامية وتأثيرها.**

**[8] المقصود هو طالب العلم الشاب الذي استشهد في الهجوم الوحشي على الفيضية.**

**[9] المقصود هو الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم.**

**[10] عملية اعتقال الإمام شرحها كتاب (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى) كالآتي:**

**(العشرات من الكوماندوز والمظللين المسلحين قاموا بمهاجمة بيت القائد الكبير من السطح والباب؛ وبسرعة خاطفة انتشروا ف يكل مكان من البيت؛ في السطح وساحة الدار والغرف، لكنهم لم يعثروا على الإمام، وهنا تضاعف ما في قلوبهم من رعب وخوف، فقد تصوروا أن القائد يختفي في ملجأ حصين يخضع لحراسة مشددة من قبل أنصاره!. بعد ذلك، بعد أن يئسوا من العثور على الإمام، إنهالوا بالضرب على عدد من الذين يشرفون على إدارة مجالس الإمام والذين يبيتون في بيت الإمام، انهالوا عليهم بالضرب طالبين منهم إرشادهم الى محل اختفاء الإمام، وفي نفس الوقت كانوا يسعون لعدم إحداث ضجيج يلفت الأسماع، مما قد يؤدي الى إيقاظ الجيران وفشل الخطة. وقد قاوم هؤلاء الأبرياء وتحملوا شتى صنوف العذاب.**

**أما الإمام الخميني فقد اعتاد منذ بداية شهر محرم على المبيت في بيت ابنه السيد مصطفى الواقع مقابل بيته بسبب تخصيص بيته لإقامة مجالس العزاء. وفي تلك الليلة، كان الإمام قد نهض لتوه لصلاة الليل فسمع أصواتاً غير عادية فعرف أن أزلام الشاه قد هاجموا بيته، فأيقظ ابنه السيد مصطفى بهدوء قائلاً له: (إنهض يا مصطفى يبدون أنهم جاءوا). بعدها فتح باب الدار وانطلق صوته الهادر يدوي في الزقاق: (أنا روح الله. لماذا تضربون هؤلاء؟ أي سلوك وحشي هذا الذي تتبعونه مع الشعب؟).. وبخوف وحضر حاصر أزلام النظام، القائد الكبير وأركبوه في سيارة (فلوكس فاغن) سوداء كانت معدة لهذا الغرض، ودفعوها الى الشارع لئلا يحدث تشغيل محركها صوتاً ثم ركب معه عدد من الضباط والمسؤولين واتجهت السيارة الى طهران.**

**[11] هو السيد مصطفى الخميني، الأبن الأكبر للإمام، كان يرى ما يحدث من فوق السطح، فلم يتمالك نفسه، بل أراد رمي نفسه الى داخل الزقاق ليحول دون اعتقال الإمام قدر الإمكان، لكن القائد الكبير تنبه الى نية ابنه، فمنعه من داخل السيارة، كما شهر أحد الأزلام سلاحه في وجهه محذراً إياه من الإقدام على أية حركة، وقد امتثل السيد مصطفى لنهي والده، لكنه صرخ بأعلى صوته : أيها الناس لقد اعتقلوا الخميني). (بررسى وتحليل از نهضت امام خميني/ ص 472).**

# ****الفصل الرابع****

# ****انتفاضة 15 خرداد (5 حزيران 1963) ونتائجها****

**كانت انتفاضة 15 خرداد ـ 5 حزيران انعطافة مهمة في تاريخ إيران المعاصر. فقد جسدت التلاحم المعنوي والشعور الديني الراسخ لدى أبناء الشعب الإيراني، وجَسَدَت نهضة شعب يريد القضاء على الظلم والجور. لقد كانت هذه الانتفاضة تجسيداً لتاريخ الشيعة وجهادهم، ومقياساً لحجم التضحية ونكران الذات لأناس يتحركون باتجاه أهداف إلهية.**

**ولم تندلع انتفاضة 5 حزيران إثر تخطيط وتنظيم مسبقين[1]ولكنها ـ مع ذلك ـ استطاعت أن تهزَّ أركان النظام الملكي مما دفعه الى مواجهتها بكل ما أوتي من قوة. وقد استمرت هذه المواجهة بأساليب مختلفة حتى سقوط النظام.**

**لقد تحدثنا في الفصول السابقة عن بدء النهضة الإسلامية بشكلها وخصوصياتها الجديدة، وتعرفنا على دور القيادة ومحور التحرك في هذه النهضة، كما رأينا كيف انتقلت القيادة من حالة المعارضة المرنة الى مرحلة الهجوم في عامي 62 و 1963م وأدركنا الوضع الذي كان يعيشه الشاه آنذاك، والسبب في لجوئه الى (ثورته البيضاء)! وطبيعة الدعم الذي كان يتلقاه ـ داخلياً وخارجياً ـ كما قمنا بتقويم الوضع على جبهة قم وكيف وصلت حالة الجهاد الى ذروتها في محرم عام 1383هـ.ق اذ تكللت بالمظاهرات الصاخبة ـ التي تحدثنا عنها في الفصل الماضي ـ والتي وصلت أوج شدتها، أثر الخطاب التاريخي للإمام الخميني في عصر اليوم العاشر من المحرم حيث أنه أزاح الستار عن حقيقة الأوضاع، وفضح الشاه، وأظهر للملأ ضعف الملكية وخورها، واعطى للأمة بارقة أمل جديد.**

**كما أن المظاهرات الواسعة التي خرجت في اليوم الحادي عشر من المحرم قد أعطت لعملية النضال الشاه صبغة إسلامية كاملة، وجعلت الشاه وحكمه الملكي هدفاً مباشراً لهذا الجهاد. وقد كانت هذه الأوضاع تسير باتجاه معاكس لما استهدفته ما تسمى بـ(الثورة البيضاء). فالمشروع الأمريكي كان يستهدف تهدئة الأوضاع وتطويع المنطقة للسلطة الغربية على المدى البعيد، لكن الحوادث التي شهدتها البلاد، كانت تشير الى أن الوضع يسير على العكس تماماً مما يريده الأمريكان، ولهذا كان على النظام أن يطلع على الناس بلعبة جديدة من شأنها تغيير الوضع الموجود، وقد تصور أن العنف هو الطريق الوحيد لتحقيق هذا الغرض، وهكذا كان. ففي منتصف ليلة الرابع عشر من شهر خرداد(4 حزيران) تم اعتقال الإمام الخميني الذي كان يمثل بؤرة الثورة الإسلامية المشتعلة. ونواصل الآن متابعة باقي الحوادث.**

**1ـ انتشار خبر اعتقال الإمام:**

**انتشر خبر اعتقال الإمام بسرعة فائقة في أرجاء إيران كلها، ويبدو أن كثيراً من مسؤولي النظام تصوروا أن الطريق للقضاء على الثورة، هو اعتقال رموزها وقادتها، لكن الذي حدث كان معاكساً لذلك ففي قم، وقبل شروق شمس اليوم التالي(15 خرداد ـ 5 حزيران) تجمعت أعداد كبيرة من الأهالي في منزل الإمام ثم اتجهت مع نجله الى صحن مرقد السيدة معصومة. وقد حاول الشرطة تفريق الناس بإطلاق التهديدات عبر مكبرات الصوت. لكنهم تركوا الناس لشأنهم بعد أن عجزوا عن ذلك حيث حدث تجمع حاشد في الصحن، وبعد فترة وجيزة التحق بهم جمع كبير من العلماء الذين كانوا قد تجمعوا في بيت آية الله الگلبايگاني، بعد أن أصدروا بياناً بهذه المناسبة، وانطلقت من حناجر الجموع المحتشدة في الصحن هتافات(إما الخميني وإما الموت) مؤكدين أن اعتقال الإمام يعني معارضة النظام الحاكم للدين. أما نساء قم فقد التحقن بالنهضة وشاركن بشكل فعال في هذا الحشد الجماهيري.[2]**

**وبعد أن استمعت الجماهير الى بيان العلماء، بدأت مسيرتها خارجةً من الصحن الشريف، وما أن ابتعدت عن الصحن قليلاً حتى تصدّت لها القوات الحكومية بإطلاق النار عليها، من الرشاشات المنصوبة على الدبابات فراح المتظاهرون يقاومون الدبابات عبر رشقها بالحجارة وقِطع الخشب والحديد، وأحرقوا إحدى ناقلات الجنود وهرب سائق إحدى الدبابات بينما راحت الجماهير تواصل مسيرتها.**

**وفي الوقت نفسه، كانت الطائرات العسكرية تحلّق في سماء مدينة قم في مناورة لتقصّي الأخبار ومراقبة الأوضاع. حناجر المتظاهرين كانت تهتف بحياة الخميني مطالبةً بإطلاق سراحه. أما قوات الشرطة والأمن فقد حاصرت المتظاهرين وبدأت بإطلاق النار عليهم، حيث كتب شاهد عيان راقب المشهد من مخبأ في أحد الأزقة ما يلي:**

**(كنت أرى من النافذة الزقاق وجانباً من مفترق الطرق وقد امتلأ بجثث الشهداء والجرحى. فقد عددت في زقاق (نمازي) وحده (32) شخصاً بين شهيد وجريح.. صرخات الجرحى وأناتهم كانت تشق عنان السماء.. دماء الجرحى والشهداء شكّلت بركة حمراء في ذلك الزقاق وفي المتفرق رأيت بعيني الدماء وقد تحولت الى ساقية جارية وبعد ساعة توقف إطلاق الرصاص وعم السكوت أجراء المدينة التي لم يعد يُسمع فيها إلا صوت أقدام الجنود وأنين الجرحى.. كانوا يلقون بأجساد الجرحى في الشاحنات، حيث رأيت شاحنة مليئة بالمصابين وهي تتجه الى مكان ما. بعدها وصلت سيارات الإطفاء لتقوم بغسل الشوارع والأزقة وتنظيفها من الدماء). (أنظر كتاب: بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ص 408).**

**وبعد المذبحة، عاد الناس للتجمع في الصحن الشريف وهم في حالة غليان عظيم، ولم يكن أحد يجرؤ على أن يطلب منهم العودة الى بيوتهم، لكن السيد مصطفى الخميني فعل ذلك. المهم أن مقاومة أهالي قم قد استمرت في ذلك اليوم الدامي حتى الساعة الخامسة عصراً، وبعدها خيَّم على المدينة صمت رهيب.**

**وفي طهران خرج كسبة البازار وباعة الحبوب في تظاهرات صاخبة غاصبة. ولقد تدفقت على طهران جموع من فلاحي(ورامين) و(كن) و(جماران) وباقي القرى المحيطة بطهران. وهكذا وقف الناس في وجه الشاه، وأنزلوا اسمه من إحدى الساحات العامة وأحد المساجد ووضعوا مكانه اسم الإمام فأصبحت الساحة: (ساحة الإمام الخميني) وصار المسجد يعرف بـ(مسجد الإمام الخميني) بدلاً من ساحة الشاه ومسجد الشاه، وبدأ هتاف: (الموت للشاه) ينتشر شيئاً فشيئاً. فقد كان الناس يسعون للقيام بخطوة بناءة على طريق الإطاحة بالنظام. فقد هاجمت جموع من المتظاهرين مقر الإذاعة بهدف الاستيلاء عليه. لكن رصاص الرشاشات حال بينهم وبين ما يريدون، ومجموعة أخرى هاجمت مخازن أسلحة الجيش، ومجموعة أخرى هاجمت الدوائر الحكومية ومراكز الشرطة، كما أشعلت النار في عدد من شاحنات الجيش.**

**ولمواجهة هذا الموقف، أصدر الشاه أوامره بقمع الانتفاضة الشعبية العارمة. فامتلأت الشوارع المؤدية الى قصر الشاه بالجنود. المتظاهرون بدأوا يتعرضون لوابل من رصاص القوات الحكومية. فلاحو ورامين تعرضوا للتصفية من قبل رجال السلطة في منطقة جسر باقر آباد جنوبي طهران، الأجواء امتلأت بالغبار والدخان. لكن التحرك الشعبي لم يكن يتمتع بالتنظيم والإعداد المسبقين فالغضب الشعبي كان يستهدف النظام الذي لم يستطع الحصول على نتيجة ايجابية آنية بالرغم من استخدامه العنف والقمع الوحشي.**

**بعد ذلك لجأ الشاه الى استشارة القادة العسكريين ورجال السلطة المطيعين له، فعين الجنرال نصيري حاكماً عسكرياً لطهران، واستمرت موجة القمع الوحشي وإطلاق الرصاص العشوائي على الناس وإشاعة جوٍ من الرعب والخوف بينهم.**

**أما النظام الحاكم فقد قرر إصدار الأوامر بإطلاق الرصاص وقتل الناس مهما كان عددهم، من أجل إعادة الهدوء الى البلاد. وهكذا نزلت الدبابات والمدافع الرشاشة والخفيفة الى الشوارع والساحات وبدأت بقمع الجماهير الغاضبة وسفك دمائها. فلم يكن جنود الشاه يطلقون رصاصة واحدة إلا وتصيب أحد الناس بعد أن تلقوا التعليمات بذلك. ومع كل هذا الوضع خرجت صحيفة (اطلاعات) الحكومية على الناس لتكتب لهم (هاجمت مجموعة مؤلفة من مئتي شخص الجنود في محلة (گلوبندك) بالحجارة ولم يكن الجنود والشرطة قد تلقوا أمراً بإطلاق الرصاص، بل اكتفوا بإطلاقات عيارات نارية في الهواء. لكنهم تعرضوا للحصار من ثلاث جهات: الأولى جهة گلوبندك والثانية من (سبزميدان) والثالثة من زقاق مقابل وزارة الداخلية، ونتيجة لهذه الاشتباكات جرح ضابط وعدد من رجال الشرطة. مجموعة أخرى من المتظاهرين شنت هجوماً من الجنوب، إذ دخلت متنزه المدينة (پارك شهر) واتجهت نحو قاعة الألعاب الرياضية. وفي هذه الاثناء قام عدد من الأفراد بصب البنزين والنفط واشعال النار في الصالة.**

**وفي حوالي الساعة الحادية عشرة هاجمت مجموعة مؤلفة من 1000 ـ 1500 شخص قصر العدلية، وفي فترة قصيرة، قامت بإحراق قاعة الأضابير والملفات المحفوظة، المهاجمون الذين كانوا يرتدون القمصان السود ويحملون الهراوات قاموا بتحطيم أبواب وزارة الداخلية وشبابيكها ثم اتجهوا الى دائرة الإعلام والنشر لكن مقاومة الشرطة لهم أجبرتهم على التراجع، فقاموا بتحطيم جميع الهواتف العامة وأكشاك بيع تذاكر الحافلات العامة التي كانت في طريقهم).**

**وفي الوقت نفسه شهدت مدن أخرى تظاهرات شعبية كشيراز التي تعتبر من كبريات المدن التي شاركت في انتفاضة 5 حزيران، ولم يعرف بالضبط عدد القتلى في أنحاء البلاد في ذلك اليوم. وكالات الأنباء قدّمت أرقاماً متباينة تراوحت بين (4) و(15) ألف شهيد. كما كان لحجم التظاهرات وتوجيه الهتافات ضد الشاه مباشرة والمطالبة بسقوطه أثره الكبير على إرباك النظام الذي أيقن أن بإمكان القوة الدينية الإطاحة به.**

**وفي نهاية ذلك اليوم الدامي، قال مدير جهاز الأمن الشاهنشاهي المدعو(باك روان) إن عدداً محدوداً جداً من علماء الدين وبمساعدة ومؤازرة من عناصر غبية جداً، أرادوا ـ وخلافاً لرغبة عامة الشعب ـ استغلال نفوذهم المعنوي لدى الناس للوقوف في وجه الخطوات التحررية التي يريد جلالة الشاهنشاه القيام بها، ليرضوا بذلك أهواءهم ونفوسهم المريضة. ولما كان الشاه يشرف شخصياً على ضمان الاستقرار ويعمل على تحقيق استقلال البلاد وحددتها، فقد وجه هؤلاء الأشخاص هجومهم نحو جلالته، وقد تصورت في البداية أنني سأستطيع القضاء على ممارسات هذه الحفنة الخونة بالصبر والمسامحة، فهؤلاء يعلمون بأن السيدين الخميني والقمي قد اعتقلا مع عدد آخر، وبالرغم من تمتعهما بمنزلة مرموقة جداً في أوساط العلماء، غلا أنهما تأزرا مع كل العناصر الرجعية ووصل الأمر بهما الى حد الاتصال بعناصر أجنبية مستهدفين جرّ البلاد الى بلاء عظيم) (الصحف الصادرة عصر يوم 15 خرداد/ 5حزيران، كما نقلها كتاب الحركة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني/ ص 58).**

**2ـ آثار انتفاضة 5 حزيران وانعكاساتها:**

**انتفاضة (15) خرداد /5 حزيران كانت ذات آثار وانعكاسات واسعة جداً، فالبرغم من أنها لم تؤدِ في حينها الى تغيير حكومة (أسد الله علم) إلا أنها هزّت أركان عرش الشاه وحكومته، لأن حكومة (علم) كانت في الواقع حكومة الشاه نفسه.**

**وفي البداية حاولت الحكومة التعتيم على الانتفاضة وتجاهلها، ومن ثم تشويه سمعة هذه النهضة الشعبية والسعي لإلصاق تهمة العمالة بها، ليكون ذلك مسوغاً للنظام لاستخدام القسوة والعنف ضد الذين اعتقلهم. فقد رأينا أن صحيفة (اطلاعات) التابعة آنذاك لدائرة أمن النظام كتبت تقول: (في يوم 15 خرداد (5 حزيران) هاجمت مجموعة مؤلفة من مئتي شخص، مقر الجنود في محلة (گلوبندك) بالحجارة.. وقد جُرح إثر هذا الهجوم ضابط واحد وعدد من الحراس.. وفي حوالي الساعة الحادية عشرة دخلت مجموعة مؤلفة من (ألف الى ألف وخمسمئة شخص) الباب الغربي لقصر العدلية... ومنذ الساعة الثانية بعد الظهر خيّم على شوارع طهران سكوت مرعب، بينما كانت رائحة الدخان تشم في مناطق التظاهرات. وإثر هذه الحوادث وتدخُّل قوات الشرطة والأمن قُتل عدد مجهول من المتظاهرين).**

**وبعد يومين من الفاجعة ـ أي في السابع من حزيران ـ قال الشاه (للأسف، يجب أن أخبركم بهوية من افتعلوا حوادث 15 خرداد (5 حزيران). فقد اعترف الكثير من الجرحى والمعتقلين بأنهم حصلوا على مبلغ (25) ريالاً لكل فرد مقابل الخروج الى الشوارع والهتاف بحياة فلان وفلان)!!.**

**وفي كتاب (انقلاب سفيد) (الثورة البيضاء) يكتب الشاه رأيه بهذه الحوادث كما يلي:**

**(هذه الحوادث تمت بتحريض أعوان الرجعية من قبل شخصٍ يتظاهر بالدين... وقد كان مؤكداً أن لهذا الشخص علائق مشبوهة بالأجانب(!!) وقد رأينا كيف إن إذاعات حزب توده المحظور ـ أي الحزب الذي لا يعترف أساساً بوجود الله ـ لقبته بـ(آية الله) ورفعت منزلته الى منزلة العرش كما يقال، هذا بالرغم من أن هذا الشخص يجري تحريكه من جهات أخرى أحياناً.. إن فتنة (15) خرداد كانت نموذجاً بارزاً للتحالف غير المقدّس بين الجناحين الأسود والأحمر التخريبي، والذي تم بدعم مالي من الملاّكين المشمولين بقانون الإصلاح الزراعي).[3]**

**إذن، فالشاه يعتبر تحرُّك الخميني الإسلامي تحركاً رجعياً بالرغم من أنه وجه ضربات عديدة الى كيان الامبريالية الأمريكية والصهيونية. ويصف هذا التحرك بأنه عقبة في طريق الإجراءات الثورية التي بدأها، ويخلص الى هذه النتيجة وهي؛ أن عليه أن يقمع هذا التحرك بأي شكل، ليحول دون ظهور نظائر له، حيث أعد (أسد الله علم) عقوبة الإعدام لهذا الغرض عندما أعلن ذلك في مقابلة صحفية لم يجرِ نشرها داخل البلاد. ولو كان قد حدث ذلك لأثار حماس الجماهير الغاضبة وثورتها، ولما ظلَّ بمقدور الحكومة البقاء في سدّة الحكم. فقد قال في هذه المقابلة:**

**(إنّ خمسة عشر شخصاً من كبار الشخصيات الدينية كانا ضالعين في الاضطرابات المعادية للحكومة في مختلف المدن هذا الأسبوع سيحالون الى المحاكم العسكرية التي قد تحكم عليهم بالإعدام).**

**وأضاف علم:**

**(نتيجة لإطلاق الرصاص من قبل رجال الشرطة، قُتل حوالي عشرين شخصاً، وأن بعض رؤوس الفتنة قد اختفوا لكننا ألقينا القبض عليهم).**

**3ـ محاولات النظام اخفاء الحقيقة:**

**رأينا كيف أن انتفاضة 5 حزيران كانت أشبه بحالة غليان شعبي استهدف توجيه ضربة قاصمة للحكم الملكي. وبالرغم من أنها لم تسفر عن نتيجة إيجابية حاسمة، إلا أنها خلّفت آثاراً عديدة دفعت أعوان النظام الى استغلال وسائل الإعلام وجميع الأجهزة المتاحة لإلصاق مختلف التهم بهذه الانتفاضة وسلبها صبغتها الدينية الإسلامية، واتهامها بالعمالة والارتباط بجهات أجنبية.**

**وهذا ما كان يلاحظ على الخطوات الحكومية على عدة صُعُد، حيث عملت السلطة على خداع الرأي العام، وإعطاء الانتفاضة صبغة مادية بدلاً من صبغتها المعنوية الأصيلة، وقامت بقلب الحقائق كلها، فقد كان النظام يدّعي أن المتظاهرين قاموا بشن هجومهم على الحكومة بسبب حصول كل منهم على (25) ريالاً فقط!!**

**هذا الادعاء أطلقهُ الشاه وصار الباقون يرددونه لكن ذلك لم يكن كافياً، بل كان على الحكومة تحديد مصدر هذه الأموال. وهكذا بدأت أبواق النظام تتحدث عن قضية تسلُّم مسلم شيعي للمال من مسلم غير شيعي. وكان الهدف من ذلك؛ الادعاء بأن هذه الأموال مصدرها جمال عبد الناصر وأنه أرسلها الى إيران لإثارة القلاقل وقلب نظام الحكم. وبدأ أزلام النظام يعدون الناس بكشف الحقائق قريباً. بعدها قدّموا للناس ما أسموه بالمستمسك والدليل فقد كتبت صحف يوم 16/ حزيران/ 1963 تقول:**

**(بتاريخ الحادي عشر من خرداد (1 حزيران) وصل مطار مهر آباد في طهران شخص يدعى (عبد القيس جوجو) قادماً من لبنان. وقد أثار شكوك رجال الگمرك فقاموا باستجوابه ووجدوا معه مبلغاً يعادل مليون تومان، وقد أثبت التحقيق فيما بعد أنه جاء لإيصال هذا المبلغ من جمال عبد الناصر الى أشخاص محدَّدين في إيران. وسيتمُ قريباً الكشف عن تفاصيل هذا الموضوع).**

**بعد ذلك، أصدرت سفارة إيران في بغداد بياناً ذكرت فيه اسم هذا الشخص المزعوم وادعت أنه (محمد توفيق القياسي) زاعمةً أنه كان مكلفاً بتسليم هذه الأموال الى أشخاص معينين في إيران، وإن هذه الأموال أرسلت من عبد الناصر الى بيروت ومن هناك قام بنقلها الى أنحاء مختلفة).[4]**

**لقد كان عبد القيس(جوجو) شخصاً وهمياً اختلقته محيلة النظام، ولما لم يحصل النظام على النتيجة المطلوبة من ذلك، آثر الصمت حيالها والتجأ الى مهاجمة الاقطاعيين في إيران واتهامهم بالتعاون مع الشيوعيين لإثارة (الفتن) بينما الواقع هو أن حزب توده الشيوعي والقوة الكبرى التي ينتمي إليها ـ أي روسيا ـ لم يكونا يؤيدان هذا التحرك الإسلامي بل اعتبراه عقبة في الطريق. ففي مساء يوم (6 حزيران) حملت روسيا بشدة على النهضة الإسلامية ونهجت الصحافة الروسية هذا النهج نفسه حتى وصل بها الأمر الى توجيه شتى الاتهامات الى الإمام الخميني.**

**وقبل ذلك بيوم، أي مساء ذلك اليوم الدامي، قالت إذاعة موسكو في تحليل لها:**

**(تظاهرات اليوم في طهران وقم ومشهد عناصر رجعية إيرانية تعارض الاصلاحات في هذا البلد، وخاصة خطوات الإصلاح الزراعي، وترى في إعطاء حقوق المرأة أمراً يتعارض مع أهوائها.**

**وقد قام عدد من معارضي الاصلاحات بإشعال فتيل الاضطرابات بهدف معارضة الحكومة والوقوف في وجه هذه الاصلاحات التي تم التخطيط لها من قبل الحكومة أو هي توشك على تنفيذها. قادة ومحركو هذه الاضطرابات هم بعض الزعماء الدينيين والعناصر الرجعية، حيث قاموا بإشعال النيران في البازار(المركز التجاري) وهاجموا عدة محلات تجارية ونهبوا محتوياتها. كما دمروا السيارات وحافلات النقل العامة وهاجموا عدة دوائر حكومية).**

**أما صحيفة (ازفيستيا) الناطقة باسم الحكومة الروسية فقد كتبت في 7 حزيران تقول:**

**(شهدت مدن طهران ومشهد وقم اضطرابات وقلاقل بتحريك من رجال الدين المسلمين الرجعيين، بهدف معارضة الاصلاح الزراعي الذي تنوي الحكومة تطبيقه، وقد استغل الفوضويون أيام الحداد والعزاء التقليدية فحرضوا عدداً من الشبّان المتعصّبين المتخلّفين على مهاجمة عدد من المحال التجارية والسيارات وتدميرها).**

**أما مجلة (العصر الجديد) الروسية فقد كتبت تقول:**

**(... قام الخميني وحاشيته بتحريك المؤمنين ضد الحكومة مستغلين قرار تساوي حقوق النساء والرجال، ونتيجة للحملة الإعلامية التي شنها هؤلاء، نزل الى الشوارع جمع من الذين أعماهم التعصّب فأثاروا الاضطرابات والقلاقل(انظر: بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى/ ص 514 ـ 515).**

**4ـ موقف الأوساط السياسية والإعلامية والدينية العالمية:**

**عكست الصحف الأجنبية التي يتسم كلٌّ منها بنهج معين انتفاضة 5 حزيران بأشكال مختلفة فصحيفة (ديفلت) كتبت في العدد 129:**

**(قتل في طهران مئات الأشخاص، فيما أعلنت حكومة علم حالة الطوارئ.. الجيش نزل الى الشوارع بدباباته ورشاشاته وجنوده لمواجهة مؤيدي الخميني زعيم المسلمين الذي يحتجُّ على إصلاحات الشاه... شوارع طهران مليئة بمخلّفات الدمار، وقصر الشاه يخضع لحراسة مشدّدة).**

**أما اللوموند الفرنسية فقد كتبت تقول:**

**(اندلعت في قم وشيراز مظاهرات عنيفة حيث قام المتظاهرون ـ وكما حدث في طهران ـ بتدمير المحالّ التجارية، وإحراق عدد من الأبنية ودور السينما والسيارات التي كان بعضها يعود للشرطة..).**

**وفي مصر كتبت صحيفة الأهرام في 6 حزيران ـ أي بعد الانتفاضة بيوم واحد ـ ما يلي:**

**(بالامس كانت طهران تشتعل بنار الغضب الشعبي.. إذ شهدت أعنف مظاهرات ضد الشاه.. هذه التظاهرات بدأت عقب اعتقال (الخميني) الزعيم الديني وأنصاره، وقد هتف المتظاهرون بشعار (الموت للشاه) وهاجموا مؤسسة الإذاعة ودائرة النشر وحاولوا احتلالهما.**

**كما رجموا سيارات الجيش بالحجارة.. وأثر ذلك قامت قوات الشرطة بمهاجمة المظاهرات بالغازات المسيلة للدموع وبالرصاص، حيث قتل في الساعات الأولى للحادث المئات من المتظاهرين..).**

**لقد تناولت أكثر صحف العالم آنذاك حوادث انتفاضة 5 حزيران بعناوين بارزة، وقامت بتحليلها. وفي النجف والكاظمية وكربلاء؛ أرسلت الحوزات العلمية برقيات الى رؤساء البلدان الإسلامية والمنظمات الدولية أدانوا فيها هذه المذبحة. أما الحوزات العلمية في الداخل فقد واصلت متابعة القضية بتضامن واتحاد. كل ذلك كان يجري بينما الصحافة ووسائل الاعلام الحكومية الإيرانية لا تعكس أياً من حقائق هذه الانتفاضة ووقائعها.[5] فلم تنشر حول هذه المذبحة سوى عدة سطور وعدد من البلاغات التي أصدرتها الحكومة العسكرية وعدة جمل وتصريحات صحفية (للشاه) و(علم) و(باك روان) رئيس دائرة الأمن فمن كان يجهل حقيقة الحوادث لم يك يدري لماذا أعلنت حالة الطوارئ جرى تشكيل الحكومة العسكرية وما هو سبب الهجمات التي يشنها السالفو الذكر في تصريحاتهم الصحيفة.**

**5 ـ موقف العلماء بعد انتفاضة 5 حزيران:**

**انتفاضة 5 حزيران كانت انتفاضة دينية عامة ضد النظام دعماً للعلماء. هذا التحرك الثوري كان إسلامياً خالصاً لم تشارك فيه أية مجموعة غير دينية. المشاعر الدينية كانت هي الدافع لهذا التحرك الذي لم يجرِ تنظيمه والتخطيط له من قبل، ولهذا لم تستطع هذه الانتفاضة الإطاحة بالنظام، لكنها كانت درساً لباقي الحركات والمجموعات. فبعض الناس كان يتصوّر أن تحرك معارض للنظام لابد له من الاعتماد على جهة أجنبية تدعمه وتمهد له الطريق، لكن انتفاضة 5 حزيران أثبتت أن إيران تملك ـ ذاتياً ـ أكبر قوة محركة ودافعة يمكنها العمل بشكل مستقل عن الخارج، فهذا التحرك حدث في وقت كانت الجارة الشمالية لإيران (أي القوة الكبرى روسيا) قد بدأت لتوها بتحسين علائقها مع نظام الشاه بعد أن ظلت هذه العلائق متوترة لمدة طويلة، فكانت تعلن تأييدها لما يسمى بـ(الاصلاحات الشاهنشاهية) و(ثورة الشاه البيضاء)! وكانت تتهم معارضي هذه (الاصلاحات) ـ وخاصة المجاهدين المسلمين والعلماء ـ بالرجعية وواصلت هذا الموقف حيال انتفاضة 5 حزيران، وقد تبعها ـ وكالعادة ـ مؤيدوها داخل إيران مما يدل على أنهم لم يكن لهم أي دور في هذه الانتفاضة، بل إنهم وقفوا ضدها منذ الساعات الأولى.**

**أما الحكومة وحماتها الغربيون الذين جعلوا من الشاه منفذاً لسياساتهم، فقد كانوا هم الهدف المباشر للانتفاضة الشعبية، وعلى هذا فإن انتفاضة 5 حزيران 1963 تمثل تجسيداً ومظهراً للاستقلال الحقيقي الذي ظلت المدرسة الشيعية تنشده لقرون طويلة، والذي لم يتحقق من قبل بسبب حصول الانحرافات[6]فانتفاضة 5 حزيران أثبتت إمكانية الوصول الى ذلك مما جعل منه هدفاً حقيقاً للجهاد المستقبلي.**

**وبالرغم من أن انتفاضة 5 حزيران كانت ردّ فعل عفوياً على اعتقال الإمام، إلا أنها لم تسفر عن إطلاق سراحه بشكل سريع، لهذا فقد استمر توجيه برقيات التنديد ورسائل الاحتجاج من مختلف أرجاء البلاد، بعدها اجتمع العلماء المهاجرون الى طهران بكبار علماء طهران وتشاوروا حول الأمر، ولما كانت الأمة تبدي اهتماماً كبيراً بموضوع اعتقال الإمام فقد قرّر هؤلاء العلماء السعي بشتى الوسائل للاطمئنان على وضع الإمام وسلامته، وتداولوا في مسألة السعي للقائه في السجن.**

**وهكذا فقد اجتمع مع الشاه السيد روح الله كمال وند ـ وهو من علماء خرم آباد ـ ممثلاً عن باقي العلماء، ونقل له قلقهم على مصير الإمام، حيث وافق الشاه على قيام أحد علماء طهران (نيابة عن الباقين) بزيارة الإمام الخميني. فقام آية الله الخونساري بذلك، ونقل الى الأمة خبر سلامة الإمام.**

**أما النظام الحاكم الذي كان متخوفاً من تكرار انتفاضة 5 حزيران، فقد حاول تشتيت كلمة العلماء وعدم تلبية أي من مطاليبهم، وأما الاضراب العام الذي عم أسواق البلاد فقد انتهى بعد الاطمئنان على سلامة العلماء المعتقلين، كما تبع ذلك إطلاق سراح عدد من العلماء في العشرين من تموز عام (1963)، وانتشرت أخبارٌ تفيد بأن الإمام سيُنفى من إيران مما دعا العلماء للتحرك مرة أخرى.**

**فقد أصدر آية الله السيد محمد هادي الميلاني بياناً هاجم فيه النظام بشدة، وجاء في البيان:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**أيها الشعب الإيراني المظلوم.**

**بعد اعتقال حضرة حجة الإسلام والمسلمين آية الله الخميني (دامت بركاته) وبقية آيات الله والشخصيات الدينية والوطنية، والجريمة المروّعة التي وقعت في 12 محرم (5 حزيران) وقتل بعض النسا المظلومين الذين ثاروا في وجه الظلم، واعتقال آخرين ونهب أموالهم، فقد تقاطرت على طهران جموع كبيرة من الشخصيات العلمائية رفيعة المستوى من أ<ل الدفاع عن مصالحهم الإسلامية والاجتماعية يا أبناء الشعب الإيراني، وكذلك للإعلان عن تعاضدهم وتضامنهم معكم ومع المعتقلين.**

**أما الظالمون الممسكون بزمام الحكم فقد لجأوا الى إقامة مظهرات صورية نفاقية وتنصلوا عن أداء واجباتهم الأولية حيال العلماء، من أجل التخلص من تبعات الغضب الشعبي العارم ونتائجه وهم اليوم يمارسون سياسة تضييع الوقت في المفاوضات، ويعملون على إضعاف معنويات أبناء الأمة من خلال ارتكاب جرائم أخرى، حيث يواصلون اعتقال الأشخاص بشكل غير قانوني، ويمارسون ضدهم شتى أنواع التعذيب الوحشي، ليضيفوا بذلك صفحة سوداء أخرى الى سجل جرائمهم الأسود.**

**وكل يوم تراجعني عوائل عديدة اعتقل معيلها الوحيد من قبل الحكم البوليسي ويزورني آباء وأمهات يذرفون الدموع ويقولون لي: إن الظالمين يمارسون التعذيب البشع بحق أفلاذ أكبادنا.... وهم لا يدعوننا نعلم شيئاً عن مصيرهم.... قسماً بالله للموت بشرف أفضل من الحياة في ظل هذه الظروف. فالحكومة الفردية تستعد اليوم لنفي آية الله الخميني وآية الله القمي وآية الله المحلاتي.. وهي تهدد وتطلب من العلماء العظام ـ الذين جاءوا الى طهران ـ مُغادرتها فوراً وإلا فإنهم سيواجهون بعنف وحزم مرة أخرى.**

**وعلى أي حال، فإن توسيع نطاق الجرائم من قبل الممسكين بزمام الأمور حالياً يجعل من المسلّم به أن المجرمين يخشون من حركة الأمة الإسلامية. وفي ظل نفي العلماء العظام واعتقاله أهل الحق وتعذيبهم، يريدون القيام بتعيينات (لاعضاء البرلمان) على غرار التعيينات التي جرت خلال الدورتين التاسعة عشرة والعشرين من البرلمان ليواصلوا بذلك ظلمهم لفترة أخرى، وإنني وباسم الشعب الإيراني أعلن للمجرمين ما يلي:**

**1ـ إن الشعب الإيراني لن يرضى بنفي شخصيات كآية الله الخميني وباقي العلماء الكبار، ولن يسمح بحصول مثل هذا الاعتداء.**

**2ـ إن الشعب الإيراني لن يطيق استمرار عمليات الاعتقال والتعذيب لرجال صالحين ويطالب بوضع حدٍ لهذه الجرائم.**

**3ـ إن الشعب الإيراني سيقاوم مهازل الانتخابات المزوّرة والتعيينات الاعتباطية، ولن يسمح للآخرين بسلب حقه الذي حُرم منه لسنوات طوال.**

**إنني أحذّر الظالمين في هذا البلد من أن دموع الأمهات الثكالى والأطفال اليتامى، والسجناء الأبرياء ستطيح بقصورهم، وإن لم يجد المظلوم نصيراً له، فالله نصيره.**

**إنني أدعو جميع المسلمين والشرفاء في العالم الى دعم الشعب الإيراني المظلوم، وآمل أن تشملنا رعاية الإمام المهدي صاحب العصر والزمان، وأن ينجلي هذا الليل المظلم).**

**طهران ـ 2/5/1342(المصادف 24/7/1963).**

**محمد هادي الحسني الميلاني**

**كما أصدر علماء آخرون بيانات مشابهة في هذا الخصوص.**

**6ـ من سجن (القصر) الى الداوودية والقيطرية:**

**إن التهديد والوعيد الذي مارسه النظام زاد من صلابة الشعب والعلماء وثباتهم، إذ تصاعدت موجة الدعم والتأييد للخميني المعتقل، وجعلت منه ـ دون شك ـ المرجع الذي لا معارض له.**

**وفي ذلك الوقت كان النظام يستعد لإجراء انتخابات الدورة الحادية والعشرين للبرلمان، والصحافة مشغولة كلها بالتطبيل والتزمير للبرلمان يضم نساءً (متحررات)! ورجالاً (أحراراً)! وكان النظام يريد إجراء هذه الانتخابات بدون قلاقل، لتشكيل المجلس وإنهاء مرحلة الحكم بدون برلمان. لكن اعتقال العلماء وجهادهم ضده كان من شأنه أن يشكّل عقبةً في طريق تنفيذ هذا الهدف فكان يتوجب على النظام إزالة هذه العقبة، والخروج من الطريق المسدود الذي وصل إليه.**

**وفي الوقت نفسه فإن عدم اعتقال الإمام الخميني كان يشكل خطراً كبيراً وآنياً، فلو كان قد أطلق سراحه في تلك الفترة لشهدت إيران تصاعد حملة التظاهرات والتجمعات الجماهيرية وعمليات التنديد وفضح النظام، وهو ما يخشاه النظام بشدة، لهذا فقد ارتأى النظام الحاكم أن يطلق ـ ظاهرياً ـ سراح قائد التحرك الجهادي لكنه يبقى عليه في محاصرته عملياً ويمنع الناس من زيارته ليوقف نشاطاته ضد الشاه.**

**وهنا نصل الى حوادث يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول عام (1383) حيث كلّف النظام، المدعو باك روان (رئيس جهاز المخابرات) بذلك فالتقى الأخير الإمام في مسعرك عِشرَت آباد، ومن هناك أعلن إطلاق سراحه، وحين ابلاغه بإطلاق سراحه، قال باك روان للإمام:**

**(سيطلق سراحكم الآن، ويجب أن أعلمكم بأن السياسة تعني الحيلة والخديعة وتعني الكذب والتحريف. الخلاصة؛ إنها سيئة جداً وأنتم بعيدون عن ذلك تماماً. فالعالم المرجع يجب أن لا يلوّث نفسه بهذه القضايا من خلال التدخل في السياسة).**

**أما الإمام فقد رد عليه بالقول: (نحن لم ولن نمارس السياسة التي تمارسونها أنتم).**

**وقال المؤلف كتاب (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى) إن رئيس جهاز الأمن (الساواك) قال للإمام في هذا اللقاء: (لقد أجريت تحقيقات كثيرة لكنني لم أعثر على أي دليل أو مستمسك يثبت ارتباط المرجع الديني الكبير (يعني الإمام ) بالخارج حتى أنني أرسلت لكم شخصاً عربياً لأتأكد من ذلك، لكنني لم ألاحظ أي دليل يثبت لي هذا الأمر. وقد اتضح لي أن المرجع الديني الكبير (أي الإمام) لم يكن لديه أي اتصال بالخارج خلال مقاوماته العديدة) واستطرد (وهذا ما يجب أن يكون عليه المرجع الديني الكبير... فقد تأكد الشاهنشاه أن المرجع الديني إنما يطرح في هذه المواجهة وجهة النظر الدينية ولم يقم بذلك بدفع من الأجانب، كما إنه (أي الإمام) لا يعارض الملكية ـ من حيث الأساس ـ لكنه (أي الشاه) يقول إنكم في خطابكم يوم عاشوراء قد هاجمتموه شخصياً وهو الرجل الأول في البلاد، فماذا يكون رد فعلي تجاهه غير هذا؟! ثم وجهتم الإهانة الى العائلة المالكة، ويجب أن تعترفوا بأن ذلك الخطاب كان عنيفاً جداً ولم يسبق له مثيل في دول العالم، لا الاستبدادية منها ولا الملكية أو الديمقراطية أو الجمهورية، فلم يسبق أن يقوم شخص بمهاجمة رئيس الدولة بهذه اللهجة الشديدة).**

**أما الإمام فقد ردّ عليه بالقول:**

**(قد أكون استخدمت لهجة عنيفة في ذلك الخطاب، لكنني استهدفت من ذلك تقديم النصيحة. وكنت أرى من اللازم تقديم النصيحة للشاه بذلك الشكل، وعليكم أنتم أيضاً أن تنصحوه).**

**وفي ذلك اليوم تم نقل الإمام الى بيت تابع لجهاز أمن الشاه(الساواك) في محلة الداوودية بطهران. وقد كان الطريق الى هذا البيت خاضعاً لمراقبة مشددة من قبل قوات الأمن والشرطة. وبعد مضي أقل من ساعة على وصول الإمام تدفقت سيول شعبية عارمة باتجاه محلة الداوودية وازدحمت شوارعها بالمواطنين بشكل لم يسبق له مثيل.**

**أما العلماء المهاجرون الموجودون في طهران فقد زاروا الإمام ومعهم علماء طهران ونقلوا له تفاصيل انتفاضة (5) حزيران، الأمر الذي هزَّ أعماق الإمام وصرخ أمام جموع الزوّار (ما الذي أستطيع عمله حيال هذه المشاعر الجياشة) ثم انتحب باكياً، ولم يكن أحد قد رآه يبكي بهذا الشكل من قبل، فأخبار مذبحة 5 حزيران قد ألمته وأصابته في الصميم.[7]**

**أما الحكومة فلم يكن يروق لها ان ترى تدفق جموع الناس على مقر إقامة الإمام وتعبيرهم عن مشاعرهم الجياشة تجاهه، فقرر الساواك فجأة محاصرة البيت ومنع أي أحد من زيارة الإمام، كما نشر في الصحف البيان التالي:**

**(وفقاً لما أعلنته أجهزة الأمن فإنه وبعد أن حصل اتفاق بين الجهات الأمنية والسادة؛ الخميني والقمي والمحلاتي على عدم تدخل هؤلاء السادة في الشؤون السياسية، وبعد أن حصلت الثقة الكاملة بأن هؤلاء السادة لن يقدموا على ما من شأنه الإضرار بالأمن ومصلحة البلاد، لذا فقد تم نقلهم الى منازل خاصة).**

**وقد أرادت الحكومة من خلال هذا البيان الإشارة الى أن إقامة الإمام في الداوودية لا تعني جواز إقامة التجمعات السياسية والشعبية، بل إن هذه الخطوة ليست إلا عطفاً من قبل الحكومة على هؤلاء العلماء بعد الاتفاق الذي جرى معهم و(التعهد) المزعوم الذي قدموه والذي يقوم على عدم التدخل في الشؤون السياسية.**

**وفور صدور هذا البيان، ظهرت ردود فعل عديدة من جانب العلماء، فقد قام آية الله المرعشي النجفي بدراسة عبارات البيان الحكومي والرد على كل فقرة منه وتحليلها، كما شنَّ هجوماً عنيفاً على النظام واعتبر أسلوب مخاطبة النظام لآيات الله مخالفاً للأخلاق، كما اعتبر البيان عديم القيمة بشكل مطلق لعدم احتوائه على اسم الجهة التي أصدرته، وناقش مغزى عبارات الإعلان، واعتبر عدم التدخل في السياسة أمراً مخزياً ومضحكاً، وهو أمر مخالف لمبدأ حرية الإنسان ومن المستحيل العمل به لأنه مخالف لمبدأ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتهِ) أما تأكيد البيان على أن (السادة لن يقدموا على ما من شأنه الإضرار بالأمن ومصلحة البلاد) فهو أكبر مهزلة مضحكة في هذا البيان. وأضاف آية الله المرعشي:**

**(يبدو أن الحكومة تعتبر السادة العلماء أشراراً وجهلة وهم في عداد المجرمين أصحاب السوابق حتى تقوم الشرطة بأخذ تعهدات منهم بعدم الإضرار بالناس بينما الجميع يعلم بأنه ليس هناك من هو أكثر من العلماء الشيعة حرصاً على المصالح الاجتماعية والأخلاقية، فكل فضيحة حدثت لحد الآن، إنما كانت بسبب عدم كفاءة المسؤولين الخونة عديمي الإيمان).**

**وقد جنت الحكومة من مواصلة التضييق على الإمام الثمار التي أرادتها، فقد هدأت غضبة الجماهير بعد إعلان خبر إطلاق سراح الإمام متصورة أنه رجح السكوت حالياً لمصلحةٍ ما، وآثر الإنزواء عن الناس، الأمر الذي أتاح الحكومة فرصة مناسبة لتنفيذ ما تريد خلال عشرة أشهر.**

**كما واصل النظام احتجاز الإمام وعزله عن الناس، لكنه كان يوحي للأمة بأن الإمام يتمتع بكامل الحرية بالرغم من أن بعض البيانات والمنشورات قد فضحت هذا الأمر[8]إلا أنها لم تكن بالمستوى الذي يمكنها من إحباط مؤامرة الحكومة، ومواصلة الجهاد والمعارضة كما في السابق، خاصة بعدما أجبر النظام العلماء المهاجرين على العودة الى مدنهم بعدما تنصل من الوعود التي قدّمها لهم بخصوص إطلاق سراح الإمام.[9] وفي هذه المرحلة افتقدت الساحة قيادة الإمام، وهذا ما كان ملموساً بوضوح آنذاك. وبتعبير آخر؛ إنه وبالرغم من وجود علماء يؤمنون بضرورة مواصلة الجهاد، فإن فترة احتجاز الإمام وعزله عن الأمة لم تشهد تلاحم علماء الدين وتطابق آرائهم وتجانس وجهات نظرهم، ولهذا لم تشهد الساحة مقاومة ومعارضة عنيفتين، فكان من السهل على الحكومة السيطرة عليهم وإخماد تحركاتهم.**

**وفي هذا الصدد، ظهرت وجهات نظر مختلفة، فبعض يعتقد أنه بعد اعتقال الإمام، وخصوصاً أثناء فترة احتجازه في البيت التابع للساواك لم يكتفِ العلماء الكبار بعدم مواصلة الكفاح بالدرجة السابقة بل إنهم أخذوا يخففون من المعارضة والاحتجاج شيئاً فشيئاً واعتبروهما عديمي الجدوى وعادوا الى الوضع الذي كانوا عليه قبل بدء عملية الجهاد ضد الحكومة. وقد ذهب بعضهم الى أكثر من ذلك عندما اعتبر أن المعارضة قد عرضت وجود الحوزة للخطر، إذ يتوجب توجيه الاهتمام لدعم الحوزة وتقويتها أولاً، ثم تحديد طبيعة التحرك، كما اعتقدوا أن إيجاد التوتر في الأجواء ليس في مصلحة الإسلام والبلاد! هذه الأفكار شهدت رواجاً خلال الأشهر العشر التي كان فيها الإمام محتجزاً في طهران، إذ تُعتبر مرحلة تباطؤ، وانعطافاً في مسيرة النهضة. كما كشفت هذه الظاهرة دورة القيادة وأهميتها في تحشيد طاقات الأمة المبعثرة ومدّها بسبل التحرك والثورة.**

**7ـ الإضراب الشعبي وأوامر الحكم العسكري:**

**تصوّر النظام الحاكم أن الخسائر الفادحة لانتفاضة الخامس من حزيران لم تبقِ أحداً يفكر بالاحتجاج والمعارضة والإضراب مما يتيح لأركان النظام ـ ومن بينها الحكم العسكري ـ ضمان استقرار الأوضاع لصالح سلطات الاستبداد. فبعد مرور سبعة أيام على الانتفاضة جرى توزيع بيانات ومنشورات تخلد ذكرى شهداء (5) حزيران، لكن سلطات الحكم العسكري لمدينة طهران أصدرت بياناً هددت فيه الجماهير وتوعدتها وأعلنت أن شبكة تجسّس وخيانة قم تم كشفها وجرى اعتقال عدد من الأشخاص في هذا الخصوص.**

**فقد جاء في البيان السابع لسلطات الحكم العسكري:**

**(... الهدوء والأمن يخيمان على العاصمة بشكل كامل، ولأن عدداً من العناصر المفسدة التي يئست من تنفيذ خططها القذرة والمشؤومة قامت خلال الـ(12) ساعة الأخيرة بنشر الإشاعات والأكاذيب، مستهدفةً إرباك الأمن والتشويش على الرأي العام لتواصل مضايقة الأهالي وجلب الأذى لهم، فإن إدارة الحكم العسكري تؤكد ما يلي: (في حالة قيام فرد أو مجموعة بعمل يخالف القرارات وقوانين الحكومة العسكرية، ويخل بالنظام والأمن؛ فسيجري اعتقالهم وإحالتهم الى محكمة عسكرية...).**

**وورد في البيان الثامن ما يلي:**

**(.... كشفت قوات الشرطة والأمن هوية المشاركين في هذه المؤامرة الخيانية، حيث قامت باعتقال معظمهم خلال الأيام الماضية، إضافة الى ذلك، فقد استطاعت قوات الأمن خلال الأربع والعشرين ساعةً الماضية كشف شبكات تجسس وبؤر تآمر وخيانة إضافةً الى وثائق ومستمسكات مهمة... وقد تم اعتقال عدة أشخاص وتسليمهم الى المحكمة العسكرية...).**

**وقد استهدف النظام من هذه البلاغات والبيانات المتتابعة الوقوف في وجه إرادة الأمة، ومنع حدوث الاضراب العام الذي كان على وشك الحدوث. لكن كل هذه المحاولات ذهبت سدىً وأضيف إضراب يوم (11) حزيران (21 خرداد) الى إضراب البازار الذي ظل مغلقاً من (5) حزيران الى (17) منه، وهكذا شهدت طهران إضراباً شاملاً وخلت شوارع العاصمة من المارة تماماً. لكن الصحافة المسائية الصادرة عصر ذلك اليوم كتبت تقول: (إن الوضع في طهران كان هادئاً جداً، والهدوء يعم كل مكان)! في محاولة منها للتقليل من حجم الإضراب الشامل وأهميته.**

**8ـ التنظيمات الدينية السياسية بعد انتفاضة (5) حزيران:**

**عرفنا فيما مضى أن انتفاضة 5 حزيران لم يجرِ تنظيمها والتخطيط المسبق لها من قبل المجموعات والفئات، لكن مواجهة النظام العنيفة للناس، دفعت أصحاب الأفكار المتشابهة الى التقارب فيما بينهم أكثر فأكثر، مما أدى الى اكتساب عمل المعارضة صفة تنظيمية مدروسة. ففي طهران والعديد من المدن الأخرى بدأت تُعقد جلسات واجتماعات مؤلفة من عدّة أشخاص يتناقلون فيما بينهم الأخبار، ويوزّعون المنشورات، أو يقومون بإدارة اجتماعات أوسع وأكثر عمومية وتنظيماً. هذه المجموعات الصغيرة كانت مهنية أحياناً، كأن يكون كل أعضائها من الطلبة الجامعيين المسلمين، أو تجار السوق (البازار) أو علماء الدين وطلابه، وهكذا. وفي أحيان أخرى، كانت تتألف من فئات مختلفة تجمعهم المحلة التي يسكنونها، كما كانت بعض المجموعات تتخذ لها إسماً معيناً تذيل به المنشورات والبيانات التي تصدرها. وكمثال على ذلك؛ جبهة المسلم الحرّ[10].**

**وقد بذل جهاز أمن الشاه (الساواك) ومعه الشرطة، جهوداً كبيرة لكشف أعضاء هذه المجموعات، حيث استطاعوا ـ أحياناً ـ التعرُّف على بعضهم واعتقالهم، لكن سرية عمل أفراد المجموعات واكتسابهم الصفة الدينية ودعم الأمة لهم جعل من الصعب على الأجهزة الأمنية العثور عليهم.[11] وكلما اعتقل أحد أفراد المجموعات أو عدد منهم بادر الباقون الى إعادة تشكيل مجموعة جديدة. ولم يكن الشكل التنظيمي لهذه المجموعة يجعل اعتقال أحدهم مؤدياً حتماً الى تعريض الآخرين للخطر، وفي بعض الحالات، كانت عمليات الاعتقال تؤدي الى اضرابات وقلاقل مما يدفع بالحكومة الى استخدام صلاحيات الحكم العسكري (باعتبار إعلان الطوارئ).**

**وبشكل عام، فإن المجموعات الدينية كانت أكثر نجاحاً في عملها خلال تلك الفترة، ولم يكن من السهل على النظام قمع هذه المجموعات التي مثلت عقبة كبيرة في طريقه، فلم يكن من الهيّن على النظام منع إقامة مجلس عزاء أو جلسة لقراءة القرآن وتفسيره، بل إن ذلك بحاجة الى توفير أرضية وظروفٍ مناسبة.**

**وبعد ذلك تطور عمل المجموعات الصغيرة الى العمل المسلّح بعدما قررت مواجهة القمع الذي يمارسه النظام بأساليب عنيفة تتناسب معه. وسنرى فيما بعد كيف ظهرت من بين هذه المجموعات مجموعات أخرى نفذت عدة عمليات مسلحة.**

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] يرى بعض الأشخاص أن انتفاضة 5 حزيران (15 خرداد) كانت هزيمة للإسلاميين، ويقولون إنها تمت بدون تخطيط وتنظيم مسبقين، كما يسميها بعض آخر بالتحرك الأعمى، لكن الحقيقة هي أن التاريخ سجّل في هذا اليوم صفحة نيرة، فهذا اليوم حمل معه الكثير من التجارب والعبر، ولولاه لما أمكن تقويم حجم القوة الدينية في عمليات الجهاد والمواجهة التي تلت ذلك اليوم. فالذين شاركوا في الانتفاضة أصبحوا حملة نداء الثورة الإسلامية.**

**[2] في هذا اليوم التاريخي، خرجت نساء قم اللواتي تعلمن الجهاد والثورة في مدرسة الخميني الى الشوارع وهن يرتدين العباءة ويحملن السكاكين والفؤوس والقضبان الحديد وهن يهتفن باسم الإمام الخميني وسطرن في ذلك اليوم ملحمة بطولية تاريخية. وقد هز التحاق النساء بصفوف الرجال، المتظاهرين من أعماقهم وزاد من حماسهم وأجّج من حماسهم وسخطهم على النظام. وهكذا خرجت الجماهير الغاضبة من الصحن الشريف كالبركان المتفجر، وبدأت تظاهراتها في شوارع المدينة لتعلن سخطها على النظام الذي اعتقل إمامها، ولتجبر الشاه على إطلاق سراحه.**

**وقد نزلت الى ساحة المعارضة في تلك الأيام، جموع غفيرة من الناس الذين لم يكونوا يتدخلون في السياسة، إلا أن قانون مساواة النساء بالرجال، وإطلاق العنان لهن قد دفعهم الى النزول الى ساحة المعارضة.**

**[3] كتاب (انقلاب سفيد) أي (الثورة البيضاء) ص 45و 46.**

**[4] بيان السفارة الإيرانية في بغداد تحت عنوان (حقائق حول سبب الحوادث الأخيرة).**

**[5] في الفترة التي تم فيها اعتقال الإمام كانت هناك نشرة سرية اسمها (فرياد) (أي الصرخة) تتداولها الأيدي بشكل سري، لأنها كانت تشنّ هجوماً مباشراً على الشاه. هذه النشرة كانت تنشر مواضيع تحمل عناوين من قبيل (عربدة الثمالة الشاهنشاهية) و(الشاه وعلم أصيبا بالجنون) كما كانت تكشف جرائم الجهاز الحاكم وتبشر بقرب سقوط الشاه، وقد طبعت في أحد أعدادها قصيدة مطلعها:**

**أيها الخميني يا آية الله                 أنت ـ بحق ـ مرجعنا والمطالب بدمائنا**

**قسماً بعلي وبدماء شهدائه             أيها الشاه سنجعلك ذليلاً يوما ما**

**[6] انتفاضة (5) حزيران 1963 يمكن مقارنتها بانتفاضة 21/7/1952 من حيث المشاركة الجماهيرية فيها والدافع الديني والدعم الأجنبي فالأخيرة كانت غير دينية، وكانت تتمتع بدعم أجنبي ثم إنها فقدت محتواها الإسلامي بعد انتصارها واكتست رداءً وطنياً حتى انتهى بها الأمر الى السقوط، أما انتفاضة (5) حزيران، فعلى الرغم من أنها لم تنتصر في حينها، إلا أنها أصبحت منطلقاً جيداً لرص الصفوف وإعداد العُدّة، وتنامي الحركات والتجمعات الدينية، والتعرف أكثر فأكثر على مبادئ الإسلام الحقة، وتحديد نقاط الانطلاق، وظلت محصورة في نطاق الدين حتى آتت ثمارها بعد فترة ولو كانت طويلة.**

**[7] أشار الإمام الى هذا الموضوع في عدة خطابات مؤكداً (لم أكن أعلم بحوادث 5 حزيران إلا بعد أن نقلت من السجن الى الحجز وبدأت الأخبار تصلني، ويعلم الله وحده أن حوادث 5 حزيران قد أصابتني في الصميم وآلمتني كثيراً، وما دام هذا الشعب حياً، فإنه سيظل حزيناً لمصيبة 5 حزيران... أن واقعة 5 حزيران تؤلمنا وتؤلم كل مسلم غيور).**

**[8] جماعة العلماء في إيران، أعلنت في بيانها يوم 22 آب 1963 مقاطعة الانتخابات الصورية للدورة الحادية والعشرين لمجلس النواب. فقد قالت في بيانها: (أطلقوا سراح آية الله الخميني(مد ظله) ليوم واحد فقط من أجل أن يحذروا الناس ويهدئوا الأوضاع، إلا أنهم نقلوه الى الحجز الذي هو في الحقيقة سجن آخر). أما حزب الكادحين فقد أصدر بياناً بتوقيع الدكتور بقائي يقع في (32) صفحة تحت عنوان (دفاعاً عن آية الله الخميني) وفي الصفحة الأخيرة من هذا المنشور جاء ما يلي:**

**(هذا الكراس كان قد أعد قبل نقل آية الله العظمى الخميني والآيات العظام السيد القمي والسيد المحلاتي. لكن وبسبب المضايقات ونهب العديد من المواضيع المطبوعة من قبل رجال الشرطة والأمن، فقد تأخرت طباعته حوالي شهر، وبعد إطلاق سراح الآيات العظام أردنا تضمينه تهنئة وتبريكاً للمسلمين بهذه المناسبة، ولكن ـ وللأسف ـ فإن إطلاق سراحهم لم يكن إلا ليوم واحد، فالحكومة لم تتحمل تقاطر أبناء الأمة على محل إقامة الإمام، فقامت بحجز الآيات العظام في منازلهم وهم اليوم يعيشون في سجن جديد). أما كسبة طهران وتجارها فقد أصدروا بياناً أكدوا فيه أن الإمام الخميني نُقل الى سجن آخر بذريعة إطلاق سراحه. وأما لجنة الطلبة الجامعيين التابعة لنهضة الحرية فقد كتبت في بيانها الذي أصدرته بتاريخ 17 آب: (أيها الشعب الإيراني الشريف، منذ شهرين وسماحة مرجع الشيعة محتجز في سجن عشرت آباد، واليوم، وحيث تم نقله الى بيت خاص ليوضع تحت الرقابة من قبل جهاز الأمن، فإنه محروم هناك من أبسط حقوقه).**

**[9] في (7 تشرين الأول 1963) قامت أجهزة أمن الشاه (الساواك) بإرسال العلماء المهاجرين ـ يرافقهم عدد من رجال الأمن ـ الى قم ومشهد، وبذلك فقد أنهت الموضوع شكلياً.**

**[10] هذا هو الأسم الذي كان يطلق على المجموعة آنذاك، أما أعضاء المجموعة فيذكر كتاب (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى) أنهم كانوا 500 شخص.**

**[11] في 4/كانون الأول/ 1963 م اعتقل النظام مجموعةً من علماء الدين في تبريز بتهمة تدبير وإقامة هذه التجمعات والمجالس، ونقلهم الى طهران، بينما خيم على تبريز إضراب عام، مما اضطر النظام الى إعلان حالة الطوارئ في هذه المدينة.**

**وفي تلك الفترة كان بعض زعماء (حركة الحرية) التي كانت إحدى التجمعات السياسية آنذاك، يقبعون في السجن ومنهم المهندس مهدي بازرگان وكانت النهضة تُصدر بين الحين والحين بيانات ومنشورات تدعم علماء الدين وذلك يعود بشكل رئيسٍ الى أن نظامها الداخلي نصّ على أن يكون نهج هذه الحركة إسلامياً. فعموماً كانت الحركة ذات صبغة دينية. وفي الوقت نفسه كان النظام الداخلي ينصٌّ على أن هذه الحركة تتبع نهج (مصدّق) وتعمل من أجل تحقيق أهدافه، ولهذا كانت تعاني من التناقض في ممارساتها العملية.**

**وبعد اعتقال جمع من علماء تبريز أصدرت الحركة بياناً تحت عنوان (مفجروا الحركة الدستورية ثاروا في وجه الاستعمار) أعادت فيه الى الأذهان الحركة الدستورية وأثنت على تحرك أبطال تبريز، إذ جاء في البيان:**

**(يوم السبت (7/12/1963) يدخل اضراب آذربيجان ـ قلعة الدين والأمة ـ يومه الرابع. وهذا يتزامن مع الاضراب القذي تقوم به جامعة طهران (حصن الأحرار) وقم المقدسة (قاعدة علماء الدين) كما خرجت تظاهرات صاخبة في الجامعة الرضوية في مشهد، وفي باقي المدن الأخرى.. وقد قام جلادو الدكتاتور باعتقال أكثر من ثلاثين من علماء الدين الأجلاء. وفي يوم السبت (7/12/1963)، حصل الهجوم الجنكيزي الوحشي بالدبابات، والرصاص على المضربين في تبريز. وفي طهران اعتقل أكثر من 50 من الطلاب الجامعيين. وما زال سماحة آية الله العظمى السيد محمد علي القاضي، وعدد من العلماء الأجلاء سجناء. إن الدكتور محمد مصدق قدوة النهضة الوطنية الإيرانية وسماحة آية الله العظمى الخميني قدوة الشيعة وزعماء حركة الحرية في إيران، كانوا جميعا في السجن، بعد أن مرحهم النظام من تقديم خدمات للدين والشعب. لقد كانت حركة الحرية ترى أنها مصدّقية النهج، ولذلك وجدت نفسها مضطرة لتقديم اسم مصدق على اسم قائد النهضة الإسلامية، بينما هو لم يكن حينذاك في السجن ولم يكن يشترك في النهضة الإسلامية، وهو ـ أساساً ـ لا يمكن أن ينسجم ونهج النهضة الإسلامي الذي سارت عليه، بل إنه كان يواجه اعتراضات حول سبب سكوته حيال حوادث 5 حزيران 1963 وقد استغل بقائي، زعيم حزب الكادحين هذا السكوت الذي التزمه مصدق، وتصرفات الانتهازيين من مؤيدي مصدق فكتب في أحد منشورات حزبه:**

**(إنه (يعني مصدق) الذي يصدر بياناً في تأبين المرحوم شمشيري وأنتم (مؤيدوه) تقومون بطبع البيان وتوزيع آلاف النسخ منه، وهو الذي يصدر منشوراً بخط يده للثناء على خسرو قشقائي، ثم تقوم صحيفة (باخترامروز) التابعة للجبهة الوطنية الإيرانية في أوروبا بطبع صورته، وهو الذي ينشر رسالة خطية موجهة الى الطلبة الجامعيين وغيرهم ويوزع عدداً كبيراً منها؛ كيف لا ينبس ببنت شفة حيال مقتل مئات الأشخاص).**

**أما مصدق فقد ظل غير عابئ بهذه الانتقادات والاعتراضات، لكن أتباعه لم يكونوا يمانعون في زج ثمار دماء حوادث 5 حزيران في صحيفة أعمال مصدق بكل مهارة! وما البيان الذي ذكر سالفاً إلا دليلٌ على ذلك.**

# ****الفصل الخامس****

# ****الدورة الحادية والعشرون للبرلمان****

# ****وسقوط الحكومة بالاحتجاج الشعبي****

**لقد حُلّ البرلمان في دورته العشرين ـ كما علمنا من قبل ـ وذلك في بداية عام 1340هـ.ش (1961م)، لكي لا يكون عقبةً في طريق ما يُسمّى بالخطوات الثورية التي أراد أميني القيام بها، ولكي يكون بإمكان حكومته القيام بخطوات الاصلاح الزراعي لتصبَّ في مصلحة أمريكا.**

**بعد حل المجلس، تولّت الحكومة مهمة السلطة التشريعية، وأطلقت على القوانين التي تسنُّها، أسم: (اللوائح القانونية المصادق عليها).**

**وفي عام 1341هـ.ش(1962) تمت إقالة أميني وأصبح زمام الأمور بالكامل بيد الشاه نفسه إلاّ أنه وضع (أسد الله علم) ليكون واجهة للحكومة باعتباره رئيساً للوزراء. وقد استعرضنا بالتفصيل الحوادث والانتفاضات التي جرت في هذه المرحلة.**

**وفي اعقاب ما سُمّي بـ(الثورة البيضاء)! كان لابد من إيجاد سلطة تشريعية مناسبة من شأنها ترسيخ أراكن النظام التي اهتزت بانتفاضة 15/ خرداد/ 1342(5 حزيران/ 1963) ونتائجها وما تبعها من حوادث، كما كان الشاه بحاجة الى دليل يُثبت من خلاله أن الاستفتاء الذي جرى في (6 بهمن 1341هـ.ش/26 كانون الثاني 1963م) قد أدى الى ترسيخ الديمقراطية في البلاد، وأن المجلس الجديد المؤلف من النساء المتحررات والرجال (الأحرار)! هو الدليل، على ذلك، وهو الذي سيتولى مواصلة تحقيق أهداف الشاه، وأن (الرجعيين) المعارضين سينتهي دورهم! وكان على حكومة علم ـ التي تفتقد لأي قيمة ـ أن تؤدي آخر واجباتها في هذه المرحلة، وأن تضع نهاية لمرحلة انتقاد البرلمان التي زادت على السنتين، ولذلك فإنها بادرت الى القيام بذلك.**

**1ـ تغيير طريقة الانتخابات:**

**كان يجب أن تتم الانتخابات التي تلت إعلان ما يسمّى بـ(الثورة البيضاء) بشكل ثوري أيضاً! وأن تكون مختلفة عن انتخابات الدورات السابقة للبرلمان وهذا ما حدث بالفعل، حيث وُضعت لها مراحل معينة فتم أولاً توزيع البطاقات الانتخابية في موعد معين وكان على الجميع ملء هذه البطاقات والتوجه الى صناديق الاقتراع في يوم آخر، أي إن عملية تزوير الانتخابات تمت بطريقة جديدة. وقد سبق ذلك شن حملة إعلامية واسعة لتسويغ هذا التغيير الذي حصل في نمط الانتخابات وشرحه، ولتجاهل المعارضين وتوجيه ضربة معنوية لهم. وقد عُقد لهذا الغرض ملتقى النساء المتحررات والرجال الأحرار.**

**وقد اُنيطت بأمين العاصمة مهمة توفير مستلزمات هذا الأمر، وتولي عملية إخراج الملتقى ـ وهو أشبه بمسرحية ـ الذي طُرحت فيه قوائم المرشّحين للانتخابات. وكانت مكافأة أمين العاصمة هي ترشيح زوجته لتمثيل أهالي إحدى المدن النائية وانتهى الأمر بتنصيبها كنائبة عن تلك المدينة.**

**وقبل افتتاح الملتقى، قام النظام الحاكم بإعداد قائمة بأسماء المرشحين بموجب رأي الشاه، بحيث يشكلون تركيبة شاملة لشرائح المجتمع، وجرى التطبيل بأن الوضع قد تغيّر، وأن الإقطاعيين لا يتمتعون بأي مقعد في البرلمان الجديد. ولهذا تم نشر قائمة جرى فيها تعيين حصة كل شريحة من أهالي طهران، فلأساتذة الجامعات مقعدان، وللمعلمين مقعدان، ولحركة الترقي ثلاثة مقاعد، ولحزب الشعب مقعدان، وللعمال مقعدان، وللكسبة والتجار مقعد واحد، وللنساء مقعدان، وللكتّاب والمؤلفين مقعد واحد.**

**إن مسرحية عقد ملتقى النساء المتحررات والرجال الأحرار كانت أكثر الخطوات الحكومية ـ بعد الثورة البيضاء! ـ إثارةً للسخرية، فقد حضره حوالي ألف شخص من أنحاء البلاد، النساء المتحررات جئن بألبسة وأزياء متنوعة وفقاً لآخر موديلات الأزياء والتسريحات والماكياج، ليكون ذلك (بارقة أمل) للمجتمع بانتقاله الى مرحلة التحضُّر والمتدُّن، كما حضر بعضهن بملابس محلية. وانعقد الملتقى منذ الخامس وحتى العاشر من شهريور(27 أيلول ـ 1 تشرين الأول 1963م) في قاعة رياضية، حيث جرى إعداد جدول أعمال هذا الملتقى مسبقاً، إلا أن ما تم كان مجردا استعراض مسرحي ليس إلا إذ قام المشاركون بوضع باقات الزهور على قبر والد الشاه وأرسلوا برقية شكر الى الشاه على قيامه بـ(الثورة البيضاء) وانطلقت مظاهرات نسوية تحررية في الشوارع نظمتها منظمة المرأة الإيرانية، وفي اليوم الأخير للملتقى اجتمع المشاركون في باحة كلية الضباط ليلتقوا الشاه ويستأذنوه بإنهاء أعمال ملتقاهم.**

**2ـ الاحتجاج على الانتخابات:**

**الأجواء التي سادت قبيل الانتخابات، وملتقى النساء المتحررات والرجال الأحرار وما صاحبه من برقيات وطرح قوائم تتضمن أسماء المرشحين كل هذا أوضح النهج الذي تسير فيه عملية الانتخابات. ومع الأخذ بنظر الاعتبار عمليات الفضح وكشف الحقائق حول ممارسات الحكومة والتي تمت قبل عام من الانتخابات، فقد كانت الأمة مستعدة للوقوف في وجه هذه المهزلة. ولو كان الإمام طليقاً لما كان بالإمكان القيام بعقد مثل هذا الملتقى وهذه الممارسات المنحطة.**

**لقد أصدر المراجع والعلماء وباقي طبقات الأمة بيانات نددوا فيها بالانتخابات، كما نظموا تظاهرات وعقدوا اجتماعات احتجاجية عديدة، فآية الله المرعشي النجفي أصدر بياناً في (12) جمادى الأولى 1383 بدأه بالقول: (اللهم انصر الإسلام، اللهم أنصر القرآن، اللهم أنصر حماة الدين) وأضاف(إن حكومة الجبابرة التي تنتهك القانون دوماً، تواصل ممارساتها الظالمة، وتتخذ من تجاهل قوانين الإسلام والحرية والإنسانية شعاراً لها. إنني هنا أرى من الضروري إعلان تنديدي بهذه الأعمال غير الإنسانية التي أدت الى ما جرى من أحداث مفضوحة وانتخابات هزيلة، وأُطلب الشعب الإيراني الشريف بإعلان الإضراب العام ابتداءً من صباح يوم 13 مهر (5 تشرين الأول) وحتى ظهر اليوم نفسه)**

**(شهاب الدين المرعشي النجفي).**

**أما نقابة الحرفيين والتجار في طهران فقد أصدرت بياناً أعلنت فيه دعمها لمواقف المراجع والعلماء، واحتجاجها على استمرار اعتقال الإمام الخميني، والحصار المفروض على آية الله الميلاني، واجراء الانتخابات الصورية في أجواء من الكبت والقمع والحكم العسكري، كما أعلنت يوم (13) مهر 5 تشرين الأول إضراباً عاماً تغلق فيه جميع المحلات التجارية أبوابها. كما صدر بيان مماثل من قبل جمعية المسلم الحر دعا الأمة الى النهضة والثورة على النظام.**

**وفي هذه الاثناء، كان نزول الدكتور أميني وأنصاره الى الساحة أمراً طريفاً. إذ يبدو أن الشاه ورجال بلاطه قد تنصلوا من الوعود التي أعطوها للأمريكان، أو أنهم لم يستطيعوا استقطاب الرأي العام، ولم تعطِ أساليب الدعاية والتطبيل لـ(الثورة البيضاء!) ثمارها، فقد كانت أمريكا بانتظار عودة الهدوء الى الساحة بعد الإصلاحات الستة التي أعلنها الشاه، إلاّ أنها أتت بنتائج عكسية تمثلت بإعصار (15) خرداد/ 5 حزيران وما تبعه من تزلزلٍ لأركان النظام مما دفع بأميني للنزول الى الساحة مرة أخرى، مستفيداً من دعم شعبي نسبي (قياساً الى علم) حصل عليه خلال فترة رئاسته للوزراء ولهذا فقد أصدر بياناً يعلن فيه معارضته للانتخابات، وبرامج حكومة (علم) ويندِّد بالحوادث التي شهدتها البلاد، واستعد لخوض المنافسة مع (علم) إلاّ أنه لم يحصل على الفرصة المناسبة هذه المرة، إذ أحيلت قضيته الى القضاء من أجل إبعاده وأنصاره عن الساحة لكن القضاء وبدلاً من أن يكون جهازاً مستقلاً، أصبح منذ عهد الحركة الدستورية أداة للقمع، فالسلطة التنفيذية صار بإمكانها قمع كل حركة معارضة بسهولة بافتعال التهم وتجميع المستمسكات واختلاق الملفات، وقد جاء الدور للدكتور أميني هذه المرة. حيث وقع هو نفسه في هذه الشراك حيث قدّمت الحكومة شكوى ضده وتم تحريك عشرات القضايا ضدّه من قبيل الاستغلال والاختلاس، حيث استدعي الى ديوان القضاء عدة مرات، ولأن الدستور ينصُّ على اتباع طرق وسبل خاصة في عملية اعتقال الوزراء ومطاردتهم، فقد أوجدت الحكومة طريقة جديدة للتخلص من تلك الطرق الملتوية أسست لجنة باسم (هيئة المعتمدين).**

**3ـ إجراء انتخابات الدورة الحادية والعشرين:**

**كان البرلمان الحادي والعشرون أول مجلس يتم تشكيله بعدما يسمى بـ(الثورة البيضاء) وبعد مضي عامين ونصف من غياب الحياة البرلمانية، حيث جرت الانتخابات على أساس اشتراك النساء فيها كما كانت اللعبة تستوجب أيضاً انتخاب عدد من النساء لعضوية المجلس.**

**هذا المجلس كان يتحمل مسؤولية المصادقة على اللوائح اللازمة لما يسمى بـ(الثورة البيضاء)، وكذلك المصادقة على القوانين التي سنتها الحكومة في فترة غياب المجلس، وعلى هذا كان من البديهي أن يحظى كل أعضاء المجلس بتأييد الحكومة والجهاز الأمني (الساواك). فقبل أسبوعين من الانتخابات، وبعد انتهاء أعمال الملتقى الذي أسلفنا الحديث عنه صدرت قائمة تضم أسماء (193) مرشحاً، حيث اعتبرت القائمة النهائية للمرشحين ما عدا مرشحي الاقليات الدينية إلا أن احتجاج شرذمة عُرفت بخدمة النظام لفترة طويلة على إدراج أسمائهم فيها أدى تدريجياً الى خلخلتها.**

**أما انتخابات مجلس الشيوخ فقد كانت معالمها أوضح من البرلمان لان اعضاءه لا يجري ترشيحهم إلا بعد حصولهم على موافقة مباشر من الشاه، إذ كان يتم تعيين (30) عضواً من أعضاء المجلس، من قبل الشاه مباشرة أما الثلاثون الباقون فيجري انتخابهم بعدما يصدر الشاه أمراً ملكياً بذلك، وهكذا نجد أن كل أعضاء المجلس ينتخبون بأمر من الشاه وبموافقته.**

**وخلال هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها، قرر النظام إجراء انتخابات مجلسي النواب والشيوخ في يوم واحد، وحدد لذلك يوم 20 أيلول 1963.**

**وخلافاً للقانون، فقد ظلت حالة الطوارئ المعلنة منذ 5 حزيران سارية المفعول، واكتفت الحكومة بمنح (تسهيلات) لنشر الدعايات الانتخابية، والسماح بعقد الاجتماعات الخاصة بالانتخابات والدعاية لها. ولم يبق أمام الحكومة غير أمر واحد هو عدد المواطنين الذين سيشاركون في عملية الاقتراع، إذ إنها كانت قد توقعت ـ واستناداً الى الدعايات الواسعة التي بثتها بكل وسائلها الدعائية قبل الانتخابات ـ بأن أربعة ملايين شخص سيتوجهون الى صناديق الاقتراع في ذلك اليوم المحدد.**

**4ـ استقالة علم وبدء الدورة الحادية والعشرين للمجلس:**

**وعلى هذا الأساس، قام أسد الله علم بتقديم استقالة حكومته بعد افتتاح مجلسي النواب والشيوخ، وذلك في (6 تشرين الأول 1963م) وحلَّ محلّه منصور، الذي تأخر على تسلّم منصبه الجديد بسبب عدم استعداد حزبه الذي أُسس حديثاً باسم (حزب إيران العصرية)، حيث (آذار 1964م).**

**فأسد الله علم لم يستطع الاستمرار فيالحكم بسبب ما اقترفه من جرائم، وكان عليه أن يعلن ـ وكالعادة ـ تحمُّله مسؤولية ما حدث، ويبرئ ساحة الشاه منها، ويظهره بمظهر الإنسان الطاهر. وهكذا كان لابد من مجئ حكومة جديدة لتتولى إصلاح الأمور وخداع الشعب بأساليب جديدة.**

**أما أميني، الذي برز اسمه مرة أخرى من خلال الانتخابات وكان ينوي تولي الأمور مرة أخرى، فقد واجهه النظام بالتهديد والمحاكمة، وبذلك فقد خرج من الساحة لهذا وقع الاختيار على منصور الذي ظهر على المسرح لتوّه معتمداً على الدعم الأجنبي وحاملاً لواء(التقدُّمية)، حيث كان له نصيب في الانتخابات فاحتل هو وعدد من رفاقه عدة مقاعد في المجلس ليقوم بتشكيل حكومة حزبية، بعدما قام بتأسيس الحزب بُعيد تأسيس المجلس[1]، حيث عمل على جعله شاملاً يضم فئات وطبقات واسعة، وسعى لأن ينتهي من تأسيسه وإعلان وجوده قبل توليه رئاسة الوزراء لئلا يقال بأن الحكومة هي التي اسست الحزب.**

**وخلال الأشهر الستة الممتدة بين تشرين الأول 1963 ونيسان 1964 كان الحديث يدور بكثرة حول تغيير حكومة علم والمجيء بمنصور، إذ لم يعد بمقدور(أسد الله علم) البقاء في الحكم، ولكن منصور لم يكن قد أعد العُدّة الكاملة لتسلُّم زمام الحكم، ولهذا لم تنته عملية التسليم والتسلّم بين علم ومنصور إلا في أواسط آذار 1964 وكان الهدف من ذلك هو أن يقوم منصور خلال هذه الفترة بإعادة بناء الجسور والمصالحة من علماء الدين وإلقاء تبعة كل الممارسات السابقة على عاتق حكومة علم والإبقاء على الشاه بعيداً عما يجري.**

**وبعد تشكيل مجلس النواب قدم (علم) جميع القوانين ـ التي سنّتها حكومته خلال غياب المجلس ـ الى المجلس الجديد دفعة واحدة، وقد قام المجلس بالمصادقة عليها جملة وتفصيلاً في عملية تصويت ومصادقة لم يسبق لها مثيل.**

**وفي 22/10/1964م بدأت محاكمة زعماء حركة نهضة الحرية وعلى رأسهم آية الله الطالقاني والمهندس بازرگان. وبالرغم من أن اعتقال زعماء هذه الحركة لا علاقة له بحوادث 5/ حزيران/ 1963 إلا أن محاكمتهم في تلك الفترة التي كانت ما تزال تشهد بقايا أجواء تلك الانتفاضة الشعبية وتفاعلاتها وانقياد الجماهير للإمام الخميني اكسبتهم الكثير من الشهرة في مجال النضال السياسي الديني، بالرغم من أنهم كانوا أقرب الى الجبهة الوطنية من غيرها وكانوا يؤكدون سيرهم على نهج مصدّق.**

**المحاكمة كانت علنية حيث استطاع حضورها الكثير من طلاب الجامعات والحوزة في قم، وكسبة البازار، فكانت تلك فرصة مواتية لحركة نهضة الحرية لتقوم بنشر أفكارها والعمل ـ الى حدٍ ما ـ على كشف ماهية النظام.**

**5ـ اطلاق سراح الإمام عام 1964:**

**لقد سعى الشاه وحكومته الى ثني علماء الدين عن مواصلة جهادهم، وإفهامهم بأن التدخل في السياسة أمرٌ لا يليق بهم[2]، وأن يلفت أنظارهم الى أن التدخل في السياسة لا ينتج عنه غير السجن والنفي والمشاكل والقتل والدماء، وأن عالم الدين المحترم هو الذي لا يتدخل في شؤون الحكومة. وكان النظام يتصور أن واقعة 5 حزيران وما تبعها من حوادث، واحتجاز الإمام، كانت كافية لإقناع علماء الدين بذلك، وبدأ النظام يعمل على كسب رضا الإمام والتقرب إليه لتتمتع الحكومة بدعم علماء الدين أيضاً، وتغيير الحكومة كان من شأنه توفير الفرصة المناسبة لهذا الأمر. ذلك أن خطة النظام الحاكم كانت تقضي دائماً بصيانة الشاه من كل تعرض أو مهاجمة كلامية، وتنزيهه من كل خطأ، وإلقاء مسؤولية كل ما يحدث على عاتق الحكومة، ثم اللجوء الى تغيير رئيس الوزراء لإعادة الهدوء والاستقرار الى الشعب.**

**وكان على حكومة منصور الجديدة أن تمارس نفس هذه اللعبة، وتتظاهر بأنها تدافع عن علماء الدين وتؤيدهم، وكانت توحي دائماً بأن الشاه أقال علم لعدم ارتياحه لممارسات حكومته.**

**وقد تم تكليف الدكتور صدر (ابن صدر الأشراف المعروف، والوزير في حكومة منصور) بالتقاء الإمام أثناء فترة احتجازه في محلة قيطرية بطهران، وتمهيد الطريق للمصالحة معه، والإيحاء له بشرعية الحكومة الجديدة، وإلقاء مسؤولية جميع الجرائم والتقصيرات على عاتق الحكومة السابقة، وإبلاغه بعطف الشاه وشفقته!. ومقابل هذه الأساليب الخادعة كان جواب الإمام له:**

**(نحن لم يكن لنا عداء مع تلك الحكومة، كما أننا لم نعقد اتفاقية أخوةٍ مع هذه الحكومة. نحن نراقب أعمالكم وممارساتكم، فإن كررتم ممارسات الحكومة السابقة وتصرفاتها فسنقف في وجهكم ونعارضكم كما عارضنا الحكومة السابقة التي ستظل صفحتها سوداء الى الأبد.. وإن رضختم لأحكام الإسلام فسنكون إخوةً ولن يكون بيننا أي خلاف).**

**وقد تصوّر حسن علي منصور أنّ وزير داخليته قد نجح في الوصول الى الهدف المرسوم من خلال لقائه بالإمام ولهذا فقد خطا خطوة أخرى، وجعل من نفسه واسطة رحمة بين الشاه وعلماء الدين حيث قال:**

**(... نحن نعتقد بأن الشعب والحكومة في إيران إنما هما شعب مسلم وحكومة مسلمة فالدين الإسلامي هو من أكثر الأديان انتشاراً وتقدمية في العالم، ومنزلة علماء الدين تحظى عندنا باحترام وتقدير كبيرين، وإنني مكلّف بإبلاغ علماء الدين نداء الرحمة الشاهنشاهي).[3]**

**وقد كان النهج الذي سلكه منصور مدروساً بدقة، وكان التصوُّر السائد هو أن القوة الدينية هي الوحيدة القادرة على إيجاد أخطار تهدد الحكومة من خلال تعبئة قطاعات شعبية كبيرة، ولو استطاع أحد ـ وبأي ثمن كان ـ إخماد صوت المعارضة الدينية وجرّها الى الصمت، فلن يكون هناك أمام الحكومة خطر يهددها، كما أدركوا أن الخميني يمثل الثقل الأكبر للقوة الدينية، وأن الآخرين سيسلكون طريقه ويقتدون به، سواء شاء النظام أم أبى. ولهذا فقد كرّس النظام جلّ مساعيه من أجل كسب رضا الإمام. وفي السادس من نيسان عام 1964 أعلن وزير الداخلية إطلاق سراح الإمام بشكل كامل، حيث تم في الساعة العاشرة من مساء 7 نيسان 1964 نقل الإمام الى قم المقدسة بسيارة (شفروليت) تسير معها عدة سيارات لحمايتها، حيث أوصلوه بالقرب من منزله. وبعد يومين زار وزير الداخلية الإمام وأمر بتبليط الزقاق المؤدي الى بيته وإضاءته، موحياً بذلك أن (العطف!) الشاهنشاهي مستمر ودون انقطاع.**

**وفي قم، تحولت عودة الإمام الى فرحة شعبية عامة، فأقيمت الاحتفالات، وعمت الأفراح وأصبحت المدرسة الفيضية مركزاً مشحوناً بالمشاعر الجياشة وبدأت جموع الجماهير تتقاطر على قم لزيارة الإمام.**

**6ـ استغلال النظام اطلاق سراح الإمام:**

**لقد خطا النظام خطوة باتجاه المصالحة مع الإمام، وقد أراد من خلال إطلاق سراحه كسب تعاطف علماء الدين وودّهم، ولما لم على نتيجة ايجابية من لقاءات وزير الداخلية وباقي المسؤولين، فقد شرع ـ وكعادته ـ بممارسة الافتراءات والأكاذيب، حيث صيغ المقال الافتتاحي لصحيفة اطلاعات[4] صياغة توحي بأن الإمام الخميني قد غير نهجه وأسلوبه وأيد مبادئ الثورة البيضاء!، وأُزيلت كل الخلافات معه، وأن العلماء هم الآن يدعمون الحكومة بشكل كامل.**

**وقد تصور مسؤولو النظام بأن هذه الايحاءات ستؤدي الى احراج الإمام وجعله يواجه الأمر الواقع. لكنه ـ أي الإمام ـ بادر الى نفي ما جاء في افتتاحية صحيفة اطلاعات جملة وتفصيلاً. كما قام، خلال الخطاب الذي ألقاه في 10 نيسان 1964 بكشف جملة مواضيع وطالب مسؤولي الصحيفة بالكشف عن دوافع نشر هذا المقال ومصدره، وعندما اتضح أن جهاز الأمن (الساواك) يقف وراء هذه المقالة، ضاعف الإمام إصراره على الوقوف في وجهها حتى أن الحكومة أرسلت من يمثلها الى قم ليقدم تعهدات بعدم توجيه مثل هذه الاتهامات لعلماء الدين.**

**ففي الخطاب الذي ألقاه في جمع من طلبة الجامعات الذين جاءوا لزيارته، قال الإمام: (علينا تحديد الهدف الأساس فهدفنا هو الأساس واستقلال البلاد وطرد عملاء إسرائيل، والاتحاد مع الدول الإسلامية، فاقتصاد البلاد الآن هو بيد إسرائيل وعملاء إسرائيل يديرون اقتصاد إيران، إذ إن معظم معامل البلاد ومصانعها تدار من قبل عملاء إسرائيل، كمصانع التلفزيون، ومعامل أرج، ومعمل البيبسي كولا وغيرها، علينا رصّ الصفوف، فهؤلاء عملاء للاستعمار، وعلينا اقتلاع جذور الاستعمار من البلاد، إعملوا على رفع راية الإسلام في الجامعات، بلّغوا مفاهيم الإسلام، إبنوا المساجد وصلُّوا جماعة، تظاهروا بإقامة الصلاة، عليكم بالوحدة الدينية، فإن كنتم ترغبون باستقلال إيران فعليكم بالوحدة الدينية.**

**ولما رأى النظام أنه لا يتمكن من تحمُّل هذه النصيحة، وبعدما توالت الضغوط عليه من قبل الدول الإسلامية وغيرها، وأحسَّ النظام بغضب الدول الإسلامية عليه، وبعد أن ساءت الأوضاع وتدهورت في الداخل وفي الخارج، جاءوا بي ليلاً ليوصلوني الى هنا سالماً كما يقولون. فبعد كل هذه الفضائح رأوا أنهم خسروا الجميع، خاصة وأن أيام الحج ومحرم مقبلة ولا أحد يعلم ماذا سيحدث في مراسم الحج وفي شهر محرم.. بعد كل هذا أطلقوا سراحي إلا أنهم لجأوا الى نفث السموم، متصورين أنهم يستطيعون من خلال الصحافة، تشويه سمعتنا أمام الناس.**

**لقد شاهدتُ صحيفة اطلاعات ليوم (7/4/1964) هذه الصحيفة القذرة كتبت في مقالها الافتتاحي وتحت عنوان (الاتحاد المقدس) بأن التفاهم قد حصل بين النظام وعلماء الدين، حيث أكد هؤلاء العلماء تأييدهم لثورة الشاه والشعب البيضاء! ترى أية ثورة هذه؟ وأي شعب هذا؟ فهذه التي يسمونها بـ(الثورة) لا علاقة لها بعلماء الدين وبالشعب أبداً.**

**أنتم أيها السادة الجامعيون أبلغوا الجميع بأن علماء الدين ليسوا مؤيدين لهذه (الثورة)، فنحن لا نملك وسيلة إعلامية، فقد سلبونا كل شيء؛ فالتلفزيون بيد ذلك الزنيم والإذاعة هي أيضاً بيد الحكومة، والصحافة قذرة.. إن علماء الدين لا علاقة لهم بوسائل الفساد هذه، فإن لم تبادر صحيفة اطلاعات الى تصحيح الموضوع، فستواجه رد فعل عنيف، فالخميني لن يتفاهم معهم حتى لو أرادوا شنقه.**

**وفي يوم (3/آب/ 1963) وعندما نقلوني من السجن الى الحجز فيم حلة قيطرية، كتبوا أن علماء الدين لن يتدخلوا في السياسة بعد الآن، إن الإسلام كله سياسة. إنم يقدمون للناس صورة مشوهة عن الإسلام فأنا لست من أولئك المعمَّمين الذين يكتفون بالجلوس هنا والتسبيح، أنا لست كالبابا الذي يكتفي بأداء المراسيم الدينية يوم الأحد فقط. يجب إنقاذ البلاد مما تعانيه من المشاكل، فالأجانب لا يريدون إعمار هذا البلد.**

**... عندما كنت في السجن، سمعت بأن شدة البرد في همدان بلغت 33 درجة تحت الصفر، ثم سمعت بأن ألقي شخص قد ماتوا من شدة البرد. لقد كنت مغلول اليد آنذاك، فما الذي كان بإمكاني فعله. ففي ظل هذه الأوضاع، يقومون باستيراد الزهور من هولندا ليستقبلوا بها سادتهم وينفقون أموال الشعب الفقير ليستأجروا طائرة بمبلغ (300) ألف تومان لنقل الزهور من هولندا الى إيران. بالأمس كانت هنا عوائل شهداء (15) خرداد (5حزيران) هذه المذبحة أشد قساوة ووحشية مما تفعله الجيوش بالشعوب الأجنبية فما دام الشعب حياً، فسيظل حزيناً لمصيبة (15) خرداد (5 حزيران).**

**الموقف الجديد للإمام مقابل النظام، والذي تمثل بخطابه سالف الذكر، وبيان الحوزة العلمية في قم[5]، والرد على افتتاحية صحيفة (اطلاعات) كلها لم تُبق، شكّا في أن قضية التفاهم والمصالحة بين النظام وعلماء الدين إنما هي وهم وخيال ليس إلاّ، وأن الخلاف مستمر بين الطرفين.**

**أما جهاز الأمن (الساواك)، فقد راح يبحث عن الذين أصدروا بيان (10 نيسان 1964) باسم الحوزة العلمية لمعاقبتهم، ويقول مؤلف كتاب (بررسي وتحليلى از نهضت امام خمينى) إن علماء الطراز الأول في قم أبدوا جهلهم بأي معلومات عن البيان وكاتبه وناشره. أما الإمام الخميني فقط ربط ذلك بالكشف عن كاتب المقال الافتتاحي لصحيفة (اطلاعات).**

**7ـ استمرار المواجهة في عام1964:**

**بعد اطلاق سراح، الإمام وعودته الى قم، كان يعتبر نفسه صاحب حقٍ في ابداء رأيه في الشؤون السياسية والاجتماعية للبلاد أكثر مما مضى، فالتقية لم يكن لها مفهوم لديه، وكان يتعامل مع الأمور بمنطقية وصراحة كاملتين، ولا يتوانى عن فضح الحكومة خاصة فيما يتعلّق بعلاقتها مع إسرائيل، حيث كان يسعى لتوعية الناس على ذلك، وكان يردُّ على ادعاءات الشاه على كل الصُّعُد وفي كل مكان، وبالرغم من أنه لم تكن لديه وسائل اعلام من اذاعة وصحف وغيرها إلا أن اليأس لم يكن يعرف الى قلبه طريقاً، بل كان يواصل نشر أفكاره عن طريق الطلاب الشبان في الحوزة العلمية ويحصل على النتائج المطلوبة وكان يستثمر كل فرصة ليؤكد موقفه فيها قائلاً:**

**(نحن لسنا عَبَدة كل ما هو قديم، وإنما النظام يقول عنا هكذا نحن نقول: اعملوا طبقاً للقانون، نحن نقول: نريد حكومة تحافظ على استقلال البلاد، نحن نقول: إن السجون مليئة بالأبرياء نحن لا نعارض التحضر والتطور بل نعارض مظاهر الاستعمار، نحن لسنا ضد تقدم النساء، لكننا نعارض الفحشاء والمنكرات، فالشعب المسلم شعب حيٌّ وهو الآن يستعيد حياته الواقعية.**

**إنّ الأمة الإسلامية أمة واعية ولن تعود الى الخمول، فلو عدلت أنا عن طريقي فالشعب المسلم لم يفعل ذلك، لا تخطئوا التصور، فحتى لو ساومكم الخميني وسايركم فالأمة الإسلامية لن تُساوم، أنهم يريدون تأسيس جامعة (إسلامية) ليوحوا بأنهم على وفاق مع الإسلام. كلاّ، هذه الجامعة هي كالقرآن الذي رُفع على الرماح في وجه الإمام علي (ع) لقد انتصر معاوية على الإمام علي برفع القرآن على الرماح. أنحن نسمح لكم بإقامة هذه الجامعة؟! أننا سنحكم بفسق من يدخل هذه الجامعة وفجوره، وسيسقط من أعين الناس تُرى هل يمكن أن يصبح الإسلام والعلماء والشعب تحت إشراف وزارة الثقافة؟! لتخسأ هذه الوزارة التي تفكّر بالتدخّل في أمور الدين والإسلام، أنحن نسمح بوقوع ذلك؟!).**

**ومع حلول شهر محرم الحرام، وذكرى مذبحة (5) حزيران، عبّأ النظام كل قواه للسيطرة على الأوضاع في جميع أرجاء البلاد، فمنع الكثير من الخطباء من صعود المنابر، واستدعى الآخرين الى مديرية الأمن لإجبارهم على اعطاء التعهدات بعدم مهاجمة النظام الحاكم، ووجّه لهم التهديدات، ولكن ومع كل هذا، فقد كانت الحقائق تقال من على المنابر، واعتقل على أثر ذلك العديد من الخطباء.**

**وفي ذكرى الفاجعة الأليمة، صدر بيان يدعو الى الحداد العام بهذه المناسبة، وهو موقع من قبل الإمام الخميني وجمع من علماء الطراز الأول هذه بعض المقتطفات منه:**

**(عام يمر على موت أعزاء الشعب المفجع.. إن واقعة (15) خرداد ـ (5) حزيران ـ جلبت عاراً كبيراً للنظام الحاكم. لقد دخلت تلك الواقعة في صفحات التاريخ... إن من واجب علماء الإسلام أن يدافعوا عن الأحكام الإسلامية الثابتة، وأن يساندوا استقلال الدول الإسلامية وأن يعلنوا عن سخطهم على كل المظالم التي حدثت وتحدث وأن يعلنوا البراءة من إسرائيل واذنابها ومن أعداء القرآن المجيد والإسلام والبلاد. فهل يعدُّ كل هذه جريمة قاموا بها، أو ذنباً أذنبوه؟ وهل هو رجعية بغيضة؟**

**إنهم يسمُّون التبليغ الديني وفضح انتهاكاتهم للقانون رجعية، لا ندري ما الذي يربط هؤلاء بإسرائيل لكي يدافعوا عنها بهذا الشكل؟ هل إن إيران محمية إسرائيلية؟ إنهم يتصورون أن الأمة غافلة. إننا مستعدون للدفاع عن الإسلام فالإسلام هو منهجنا. عليكم بالوحدة الإسلامية... نحن نحسُّ بالخجل تجاه واقعة (15) خرداد (5 حزيران) وأن الأمة الإسلامية لا تنسى هذه المصيبة، نحن نعلنها حداداً وطنياً عاماً...).**

**(نحن نعتبر السكوت وترك النصح، جريمة وذنباً كبيراً).**

**وقد لقي هذا البيان إقبالاً وتأييداً شعبياً كبيراً، حيث خرج الناس في ذكرى عاشوراء في تظاهرات عارمة تحوّلت في طهران الى صدامات مع جلاوزة الشرطة والأمن مما أدى الى اعتقال عدد من المتظاهرين.**

**ومنذ ذلك الحين، أخذ الإمام الخميني يفكّر بتنظيم العمل، وكانت الخطوة الأولى هي عقد اجتماعات مساء كل يوم سبت لعلماء الطراز الأول في قم، كما طلب (ره) من علماء المدن الأخرى والحوزة العلمية في النجف القيام بذلك، من أجل تحريك المجتمع من خلال خطة منظمة كما قام الإمام بعدة خطوات بناءة في سبيل القضاء على الخلافات التي عملت الأجهزة الأمنية على تعميقها بشدة بين الشرائح الدينية.**

**وعندما طُرح موضوع تغيير مراسم اليمين في الجيش من القَسم بالقرآن الى القَسَم بأي كتاب سماوي لإدخال غير المؤمنين بالقرآن الى الجيش؛ ثار الإمام في وجه هذا التغيير واعتبره خيانة كبرى يرتكبها الشاه، مما أثار مخاوف النظام ودفع به الى الإسراع بتلافي الموقف. فأرسل موفداً عنه الى الإمام لينفي وجود مثل هذا الأمر. وفي المقابل اقترح الإمام أن يقوم النظام بنفي ذلك رسمياً عن طريق الإذاعة وهذا ما فعله عدد من قادة الجيش في مقابلة بثتها الإذاعة فيما بعد.**

**وعند بداية الفصل الدراسي للحوزة العلمية في 2 جمادى الاولى 1384هـ.ق الموافق 4/9/1964م كانت قوى الأمن تحاصر مدينة قم ومع ذلك واصل الإمام احتجاجه على مواقف الحكومة وممارساتها وخاصة التغلغل الإسرائيلي في البلاد، وطالب الحكومة بإيجاد إذاعة خاصة بعلماء الدين ليقوموا من خلالها بنشر أفكارهم والقضاء على الخلافات الطائفية بين الشيعة والسنة، والتي هي من فعل الاستعمار، ومواصلة العمل من أجل استقلال البلدان الإسلامية وتحررها.**

**واستمرارً لجهاده، أصدر الإمام بياناً حول جريمة القتل. التي ارتكبها معاون مدير جهاز الأمن (الساواك) في كرمان والتي برأت أجهزة الشاه إثرها ساحة القاتل المجرم وابقته بعيداً عن العقاب وحاولت اعتقال عالم مجاهد وقف في وجه النظام، حيث حث الإمام أهالي كرمان على الوقوف في وجه الحكومة ودعم علماء الدين.**

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] المهندس عبد الله رياضي تم ترشيحه ممثلاً عن مدينة طهران، وقبل الانتخابات جرى إعداده ليتولى رئاسة المجلس، وكان يبدو في الظاهر أنه ليس عضواً في الحزب، إلا أنه كان فوز في الانتخابات, باستمرار، كما أنه تولى رئاسة المجلس ابتداءاً من الدورة الحادية والعشرين حتى الدورة الرابعة والعشرين ولمدة (15) عاماً. وخلال الدورة الرابعة والعشرين وعندما تجاوز عمره السن القانونية المحددة لأعضاء المجلس، لم يترك الرئاسة لشدة ولعه بالمنصب، وقد ظل متمسكاً بكرسيه ومنصبه حتى عندما أرادوا تغيير الوجوه خلال الانتخابات السنوية الثالثة لرئيس المجلس، وكأنه كان يتصور أن منصب رئاسة المجلس أصبح ملكاً له، كما أنه لم يكن يعير اهتماماً لأمواج الثورة العارمة التي تجتاح البلاد. وبعد انتصار الثورة الإسلامية كان من أوائل الذين شملهم حكم الإعدام.**

**[2] خلال الفترة التي كان فيها الإمام محتجزاً في محلة قيطرية بطهران قام (پاك روان) رئيس جهاز أمن الشاه (الساواك) بزيارته عدة مرات وتحدث مع سماحته بهذا الشأن، إذ كان مكلفاً بتمهيد الطريق للقاء الشاه بالإمام الخميني لتتمّ بذلك المساومة بينهما وتحلّ المشكلة!! وليواصل النظام نهجه دون إزعاج وتنغيص من قبل علماء الدين. لكن الإمام ردّ على إلحاح (پاك روان) وإصراره على عقد هذا اللقاء بقوله:**

**(هذا الإلحاح الذي تبديه الحكومة لترتيب لبقاء بيني وبين الشاه لا يستهدف حلّ المشاكل وإصلاح الأمور، بل إن الحكومة أدركت جيداً أن الشاه قد سقط من أعين المجتمع، حتى أنه لو مدَّ إصبعه في البحر لنجَّسه كلّه، ولهذا يراد من وراء إجباري على اللّقاء معه تلويث سمعتي واسقاطي من أعين المجتمع أنا أيضاً) (من كتاب: بررسى وتحليلى از نهضت امام خميني/638).**

**[3] صحيفة إطلاعات الصادرة بتاريخ 16/ فروردين/ 1343(5/ نيسان/ 1964).**

**[4] يوم (18/فروردين/ 1343هـ.ش/7/نيسان/ 1964م) نشرت صحيفة (اطلاعات) افتتاحية مطولة حول ما يسمى بـ(الثورة البيضاء) جاء في جانب منها: (ولحسن الحظ فإننا نشهد اليوم أن علماء الدين ومعهم كل الشعب يعملون من أجل تطبيق مراحل ثورة الشاه والشعب)! وهذا يعني أن التعهد المزعوم بعدم التدخل في السياسة ـ الذي ادعت الحكومة صدوره من علماء الدين ـ قد تحول الى تعهد بدعم الحكومة!**

**[5] مساء يوم الجمعة 1 نيسان 1964م وفي احتفال أقيم في قم بمناسبة إطلاق سراح الإمام، قرئ بيان جاء في جانب منه: (نطلب بتطبيق القوانين الإسلامية بشكل كامل، وإحياء السنن الدينية المهملة، وتطبيق الدستور بمعناه الحقيقي خاصة المادة الثانية من الملحق المكمل للدستور، وإلغاء كل القوانين واللوائح المخالفة للدين، وحل مجلسي الشيوخ والنواب غير القانونيين وقطع أيدي الاستعمار وأذناب الصهيونية عن البلاد، ومكافحة الظلم والفساد..). وكان معنى ذلك؛ المطالبة بزوال النظام برمته.**

**الفصل السادس**

**منح الحصانة للأمريكان ونفي الإمام الخميني**

**1ـ نظرة عامة:**

**عام 1964م قامت الحكومة ـ الغارقة في العمالة للأجانب بشكل كامل ـ بطرح قانون الحصانة القضائية من جديد والمصادقة عليه ودون أية مراعاة لمشاعر الشعب حيث قدمت الحكومة لائحة بهذا الشأن واستحصلت موافقة مجلس النواب عليها. ويقضي القانون بإعفاء المستشارين العسكريين والفنيين الأمريكيين وعوائلهم وخدمهم من شمول القانون الإيراني، كما يقضي بجعلهم في عداد الدبلوماسيين والعاملين في السفارات الأجنبية في طهران المشمولين بمفاد معاهدة فينّا القاضية بمنح الحصانة القضائية للدبلوماسيين العاملين في سفارات دولهم في البلدان الأخرى.**

**هذا الاجراء تم في وقت لم تكن فيه حتى الدول الأفريقية نصف المستعمرة أو التي في طريقها الى الاستقلال ترضخ لمثل هذا القانون، ولهذا فقد أثار تصرف الحكومة الإيرانية تعجُّب الكثيرين. فقد كان لأمريكان أربعون ألف خبير، وهؤلاء يجب أن يتمتعوا بالحرية والطمأنينة والرفاه من جميع النواحي، بموجب هذا القانون، وأن يصانوا حتى من قوانين الدولة التي يقيمون فيها وينعدم احتمال تعرضهم للعقوبات، حتى في حالة انتهاك القوانين الجزائية وارتكاب الجرائم بشكل علني!!**

**قانون الحصانة الجديد[1]تعود جذوره الى مرحلة حكم أسد الله علم، وفي ظل حكومة حسن علي منصور تم وضع اللمسات الأخيرة عليه، وقدمت مسودته الى المجلس لتحصل على مصادقة النواب.**

**ولقد حاول هذان العميلان (علم ومنصور) إبقاء الموضوع محاطاً بحالة من الإبهام والتشويش للحيلولة دون اطلاع الشعب عليه ريثما يتسنى إطلاق اسم آخر عليه في المرحلة التالية. ولهذا لم تنشر الصحف خلال عامي 63 و 1964 أي شيءٍ يتعلق بهذا الموضوع، كما أنه لم ينعكس في محضر مناقشات مجلس النواب. تُرى لماذا يُظهر أزلام النظام الضعف والخنوع والرضوخ أمام القوة الأجنبية المتسلطة على المنطقة، في حين يقفون من أبناء شعبهم موقفاً متشدداً؟ ما الذي جعلهم أذلاء خانعين الى هذا الحد؟ لاشك أنهم يدركون مدى قبح العمل الذي ارتكبوه، ولهذا كانوا يوحون الى أنفسهم بأن ما فعلوه ليس عقد معاهدة منح حصانة قضائية للأجانب، كما حاولوا تجاهل صرخات الاحتجاج الشعبية وعملوا على إخماد أية معارضة لهذا الأمر.**

**وبالرغم من أن المجلس الوطني (مجلس النواب) كان مطيعاً للجهاز الحاكم، وجميع أعضائه قد تم تعيينهم أثناء مؤتمر النساء المتحررات والرجال الأحرار، تمت بـ (74) صوتاً مؤيداً مقابل (63) صوتاً معارضاً، وهكذا يكشف عن مدى قبح هذا العمل الذي أقدم عليه منصور. فقوانين كل بلد ـ وخاصة الجزائية منها ـ يجب أن تطبق بشكل حازم داخل حدود ذلك البلد من أجل أن يكون وجود النظام والقانون ملموساً لدى الناس، فتحديد عمل المحاكم وصلاحياتها يوجه ضربة الى صميم السيادة الوطنية ويشكل انتهاكاً صريحاً لاستقلال الشعب وحريته.**

**2ـ ربط قانون الحصانة بمعاهدة فينا:**

**لجأت الحكومة الإيرانية، وبسبب خوفها من الغضب الشعبي، الى عملية خداع جديدة، إذ جعلت من معاهدة فينا الشاملة المتفق عليها بالإجماع حصناً لها. ففي 5 تشرين الأول 1963م أصدرت حكومة (علم) قانوناً يقضي بإضافة ملحق الى معاهدة فينا خلال تقديمها الى مجلس النواب، هذا الملحق ينصُّ على منح موظفي الهيئات الاستشارية الأمريكية في إيران جميع الامتيازات والحصانات المتعلقة بالموظفين الإداريين والفنيين الوارد ذكرهم في معاهدة فينا. هذا الملحق هو بحد ذاته يمثل تقنين منح الحصانة القضائية للأمريكان الذي تخشى الحكومة الإعلان عنه بصراحة.**

**وفي اجتماع يوم 15 حزيران 1964 الذي عقده مجلس الشيوخ تمت المصادقة على معاهدة فينا دون أن يطرح ملحقها لمناقشته، وهذا يستدعي التساؤل حول سبب فصل الملحق عن المعاهدة أثناء طرحها في مجلس الشيوخ. ولأن المجلسين كانا معطلين فقد طلبت الحكومة عقد اجتماع طارئ، فلماذا لم يطرح الملحق في نفس ذلك الاجتماع الذي عقده مجلس الشيوخ وصادق فيه على المعاهدة بل طُرح في اجتماع طارئ بعد منتصف الليل وأخذت موافقة مجلس الشيوخ عليه؟**

**يبدو أن النظام لم يكن يثق حتى بأعضاء مجلس الشيوخ بالرغم من عمالتهم وطاعتهم العمياء للنظام، لذلك لم يكن يريد إطلاعهم على تفاصيل هذه الحصانة القضائية. في اجتماع المجلس، قام رئيسه بقراءة الرسالة الموجهة الى المجلس، وفيما يخصُّ الملحق المتعلق بالمصادقة على مذكرتين وقعتا بين وزارة خارجية النظام وسفارة أمريكا بطهران[2] قام عباس مسعودي ـ الصحفي الموالي للنظام الشاهنشاهي والمتحدث باسم لجنة الشؤون الخارجية في المجلس ـ بتقديم تقرير يتضمن رأي اللجنة الى المجلس. وفي الجلسة نفسها، طلب رئيس الوزراء من النواب الإسراع بالمصادقة على الملحق لأنه أمر (عادي ولا يحتاج الى مناقشة) وهو موضوع مستعجل على حد تعبيره، فصادقت الأكثرية الساحقة على كونه مستعجلاً ويستدعي ايلاءه الأولوية وبهذا الشكل فقد وُضع الموضوع في عداد اللوائح الفورية بعد الساعة الثانية عشرة.**

**3ـ الحصانة والامتيازات الممنوحة:**

**لم يجر في المذكرات والرسائل المتبادلة تحديد طبيعة الحصانات والامتيازات التي منحت للرعايا الأمريكان، وفي المجلسين التشريعيين(النواب والشيوخ) طُرح الموضوع بشكل مهم وجرت المصادقة عليه وأنيطت تفصيلاته بالرجوع الى معاهدة فينا.**

**وعند التدقيق في مواد معاهدة فينا والمذكرات والرسائل المتبادلة ينكشف بوضوح مدى دقة تفاصيل الحصانات الممنوحة لمن تشملهم.**

**ومن خلال الامتيازات التي تم منحها للجالية الأمريكية في إيران، ومع الأخذ بنظر الاعتبار كون بعض المستشارين الأمريكيين هم أعضاء في المخابرات المركزية الأمريكية، سنعرف كيف كانت إيران مسرحاً لنشاطات أمريكا وتحركاتها على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري والتجسسي لسنوات طويلة.**

**لقد بدأ الأمر أولاً على شكل منح الحصانة للمستشارين العسكريين الأمريكيين في إيران، وفي آخر مذكرة للسفارة الأمريكية وجهتها الى وزارة الخارجية، ورد تفسير عجيب للحصانة، وقد قامت السفارة المذكورة بفرضه على الحكومة الإيرانية. كما طرح الأمر بهذا الشكل أيضاً على مجلس النواب وتمت المصادقة عليه. فقد ورد في مذكرة السفارة الأمريكية.**

**(إنّ السفارة الأمريكية ترى أن الهيئات الاستشارية العسكرية للولايات المتحدة في إيران شمل جميع الموظفين العسكريين والعاملين غير العسكريين المستخدمين في وزارة الدفاع، إضافة الى أفراد عوائلهم الساكنين في إيران).**

**إذن، وبناءً على هذا التفسير فإن كل من تريد أمريكا جلبه الى إيران سواء كان مستشاراً أم غير مستشار سيتمتع بهذه الامتيازات والحصانة القضائية الممنوحة له، حتى لو كان مدنياً.**

**والآن لنلاحظ أنواع الحصانات الممنوحة لهؤلاء:**

**\* إنهم مصانون من التوقيف. فلا يحق لأحد اعتقالهم مهما كانت الأسباب.**

**\*تجب معاملتهم بلطف للأئا تمس حريتهم وكرامتهم. ولهذا كان النظام قد خصص عدداً كبيراً من قوات الشرطة للمحافظة على الأمريكان وحراستهم، فكانوا يحرسون منازلهم مثلما يحرسون السفارة! كما كانت مستمسكاتهم وممتلكاتهم وأموالهم تتمتع بحراسة خاصة.**

**\* وهم مصانون من إجراءات الدعاوى المدنية، كما يتم وقف جميع الدعاوى والأحكام الصادرة بحقهم.**

**\* ولم يكونوا يدفعون الضرائب خاصة في عمليات التصدير والاستيراد، فهؤلاء يقومون بإدخال البضائع الى إيران عدة مرات في السنة دون أن يدفعوا رسوم الجمارك. إضافة الى أنهم يستورودن السلع الممنوعة دون أية معارضة من أحد، كالمشروبات الكحولية والسجائر الأمريكية وعشرات الأنواع من السلع التي أدت الى مفاسد كبيرة في البلاد.**

**لقد فاقت الامتيازات التي منحت للأمريكان في إطار قانون الحصانة ما نصت عليه معاهدة (تركمن چاى) التي عقدت سابقاً مع الروس. فحكومة منصور كانت تدافع عن قانون الحصانة وتدعي أن حكومة علم كانت قد صادقت عليه قبل ستة أشهر.**

**أما علم فقد ادعى أن حكومته ـ بالرغم من مصادقتها على القانون ـ لم تكن موافقة عليه والدليل على ذلك أنها لم تقدمه الى مجلس النواب للمصادقة عليه بعد تشكيله، كما قدمت اللوائح الستمئة التي كانت قد سنتها في فترة غياب المجلس كي يصادق عليها المجلس دفعةً واحدة.**

**أحد النواب الذين أفرزتهم (الثورة البيضاء) ومؤتمر (النساء المتحررات والرجال الأحرار)! قال في أحد اجتماعات مجلس النواب: (إنه لخطرٌ كبيرٌ، وستقومون بتكرار حادثة (السقاخانه) ـ لا سمح الله ـ فعندما، أرى ابني تدهسه سيارة يقودها أمريكي، ولا أجد مرجعاً قضائياً ألجأ إليه، فماذا سأفعل؟ سأقوم بقتل الأمريكي، وهكذا فإن هذا القانون لن يكون في صالح الأمريكان.. اتركوا هذا الأمر ولا تقدموا عليه).**

**والطريف أن هذا النائب المعارض إنما عارض الأمر حفاظاً على المصالح الأمريكية.**

**وفي مجلس النواب تمت المصادقة على هذا القانون في ظروف خاصة وغير عادية مطلقاً، حيث كانت المصادقة بأكثرية قليلة. ووفقاً للنظام الداخلي للمجلس، فإن الجلسة إذا استمرت (4) ساعات يعلن انتهاؤها، لكن الجلسة في ذلك اليوم ظلت معقودة بالرغم من مضي (4) ساعات على انعقادها، بهدف إتمام المناقشة، واستغرقت المناقشات ضعف عدد الساعات التي تستغرقها اجتماعات المجلس، وكلما اقترح النواب إنهاء الجلسة أصرت هيئة رئاسة المجلس على استمرار انعقادها، بل لم يُسمح للنواب حتى بتناول طعام الغداء، مما دعا أحد النواب الى تشبيه هذه الظاهرة (بالاستشارة المقرونة بالتعذيب). وهكذا لم تتم مناقشة اللائحة بالشكل المطلوب، وصودق عليها بأغلبية قليلة. كما لم يقدّم ممثل الحكومة الجواب المقنع عن الاعتراضات المطروحة أما ممثل وزارة الخارجية فقد اكتفى بالدفاع عن اللائحة بقوله:**

**(أرسلت سفارة أمريكا في طهران المذكرة المرقمة 423 والمؤرخة في شهر آذار 1962 طالبةً فيها منح العسكريين الأمريكيين في إيران جميع الامتيازات والحصانة الممنوحة لاعضاء البعثات والممثليات الدبلوماسية التي تنص عليها معاهدة فينا. وقد استمرت المحادثات والمراسلات بيننا وبين السفارة فترة طويلة حتى جرت المصادقة على ذلك في مجلس الوزراء بتاريخ 5/ تشرين الأول/ 1963، بعدها تم تقديم مسودة (لائحة) القانون التي أعدت بهذا الشأن الى مجلس الشيوخ بتاريخ (15/ كانون الثاني/ 1964م) وفي 25/ حزيران/ 1964م تمت المصادقة عليها في مجلس الشيوخ ثم أرسلت الى مجلس الشورى الوطني ليقوم السادة بأداء واجبهم حاليها)!.**

**وبالطبع فإن المجلس أدى (واجبه) فهذه المجالس إنما أسست لتقوم بانجاز مثل هذه المهام والمصادقة على مثل هذا النوع من القوانين.**

**وقد كان الإمام هو العالم الديني والمعارض القوي الوحيد حيث سنرى فيما بعد كيف وقف في وجه هذا القانون، وفضح خيانة النظام في هذا المجال.**

**4ـ مقاومة الإمام ومواجهته لقانون الحصانة:**

**لقد وقف الإمام في وجه قانون الحصانة القضائية للأمريكان، مما أوصل هذا الأمر الى ذروته، ووضع الشاه في طرق مسدود.**

**ونظراً للأهمية التاريخية لخطاب الإمام في 26/ تشرين الأول/ 1964م سنورد النص الكامل له، حيث هاجم فيه ـ وبعنف ـ الشاه وإسرائيل وأمريكا، وفضح ممارسات الحكومة وخطط أسيادها، وشرح تفاصيل وأبعاد قانون الحصانة القضائية للأمريكان، بأسلوب تفهمه كل فئات الشعب، وهكذا شكّل هذا الخطاب ـ الذي ألقاه الإمام في تجمع جماهيري حاشد ـ تهديداً جدياً للنظام أوصله الى حافة السقوط فقد قال الإمام:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**إنا لله وإنا إليه راجعون (بكاء الجماهير).**

**إنني عاجز عن التعبير عما أحسّهُ من ألم يعتصر قلبي، وقلما يطرق الكرى عيني منذ أن سمعت بأخبار ما حدث في إيران مؤخراً (بكاء الجماهير). أنا متألم، وقلبي يعتصره الألم حتى أنني بدأت أعدّ الأيام لانتهاء عمري وحلول أجلي (الجمهور يجهش بالبكاء) إيران لا عيد لها بعد اليوم. لقد جعلوها في عزاء دائم، وراحوا هم يرقصون.. لقد باعونا؛ باعوا استقلالنا وراحوا هم يحتفلون وينشرون معالم الزينة والفرح. لقد سحقونا بأقدامهم، ولو كنت مكانهم لمنعت كل هذه الاحتفالات ومعالم الزينة، ولأمرت برفع أعلام سود فوق البيوت والأسواق. لقد داسوا على كرامتنا وعزتنا، لقد قضى على عظمة إيران (بكاء الحاضرين) لقد داسوا بأقدامهم عظمة الجيش الإيراني.**

**لقد قدموا قانوناً الى المجلس ألحقونا بموجبه ـ أولاً ـ بمعاهدة فينّا، ومنحوا الحصانة القضائية ـ ثانياً ـ لجميع المستشارين العسكريين الأمريكيين ومعهم عوائلهم وموظفيهم الفنيين والإداريين وخدمهم وكل من يتعلق بهم، فهم مصانون من العقاب مهما ارتكبوا من جرائم في إيران، فلو أراد خادم أو طبّاخ أمريكي قتل مرجع تقليدكم أو سحقه في وسط السوق فلا يحق للشرطة الإيرانية منعه، ولا يحق للمحاكم الإيرانية محاكمته عند قيامه بجريمته! فملفُّ القضية يجب أن يرسل الى أمريكا وهناك يتخذ أسيادهم القرار بهذا الشأن.**

**لقد صادقت الحكومة السابقة على هذا المشروع دون أن يعلم أحد بالأمر، والحكومة الحالية قدّمته الى مجلس الشيوخ وتمت المصادقة عليه بعملية (قيام وقعود) دون أن يعلم أحد بالأمر أيضاً، وقبل أيام أرسلوا اللائحة الى مجلس الشورى وجرت المداولات بشأنها وتحدث بعض المعارضين، إلا أنهم مرروا الموضوع بكل وقاحة، فالحكومة دافعت عن هذا العار. لقد اعتبروا الشعب الإيراني أقذر من الكلب الأمريكي!، فلو دهس مواطن إيراني كلباً أمريكياً بسيارته فسيحال الى المحكمة، حتى لو كان هذا الشخص هو الشاه نفسه، أما لو قام طباخ أمريكي بدهس الشاه أو أكبر مسؤول في البلاد فلا يحق لأحد التعرّض له، لماذا؟ لأنهم أرادوا قرضاً من أمريكا، فطلبت منهم منح هذه الحصانة لأتباعها مقابل ذلك.**

**وبعد أيام من المصادقة على القانون، طلبت الحكومة قرضاً من أمريكا مقداره (200) مليون دولار تحصل عليه إيران على مدى (5) سنوات من أجل تأمين النفقات العسكرية للبلاد، على أن يسدد لأمريكا خلال (10) سنوات بزيادة ربوية على القرض قدرها (100) مليون دولار( 800 مليون تومان). ومع ذلك فقد باعت حكومة إيران البلاد من أجل هذا المبلغ... باعت استقلالها، وجعلت من إيران مستعمرة لأمريكا، وأظهرت الشعب الإيراني المسلم أكثر تخلفاً من الوحوش!**

**ما الذي نفعله حيال هذه المصيبة؟! ما الذي يفعله علماء الدين حيال هذه المصيبة؟! لأية دولة نشكو أمرنا؟! فباقي الدول تظن أن الشعب الإيراني هو الذي أوصل نفسه الى هذا الحضيض، إنهم يجهلون أن حكومة إيران هي التي فعلت ذلك، والمجلس هو الذي فعل ذلك. هذا المجلس الذي هو في وادٍ آخر غير وادي الشعب. إنه المجلس الذي قام عبر أسنة الحراب.**

**فما علاقة هذا المجلس بالشعب؟ فالشعب الإيراني لم يدلِ بصوته لصالح هؤلاء النواب، والكثير من علماء الطراز الأول والمراجع حرّموا الاشتراك في الانتخابات، والشعب أطاع علماءه في ذلك الحراب هي التي جاءت بهؤلاء وأجلستهم على كراسي المجلس. في أحد الكتب المدرسية التي طبعت هذا العام، يلقَّن الطلبة فرية مفادها أن قطع دابر علماء الدين والحد من نفوذهم سيؤدي الى تحقيق رفاهية الشعب وضمان منافعه.. هل يكمن تحقيق مصالح الشعب في محو علماء الدين وتدميرهم؟!**

**لقد أدرك هؤلاء جيداً أنه إذا كان لعلماء الدين نفوذ في البلاد فلن يَدَعوا البلد يخضع للإنجليز يوماً وللأمريكان يوماً آخر، ولن يدعو إسرائيل تهيمن على اقتصاد إيران أو تباع البضاعة الإسرائيلية في إيران بكل حرية وحتى دون أن تفرض عليها ضريبة جمركية.**

**وإذا كان للعلماء نفوذ في البلاد فلن يدعوا هؤلاء يفرضون هذا القرض الكبير على الشعب الإيراني.**

**وإذا كان لهم نفوذ فلن يدعوا هذه الفوضى تعم بيت المال، ولن يدعوا الحكومة تعمل ما يحلو لها حتى لو كان ضد مصالح الشعب تماماً.**

**وإذا كان للعلماء نفوذ فلن يدعو المجلس يصبح منحطاً الى هذا الحد، ولن يدعوا النّواب يُعينون بالحراب، لتحدث ـ فيما بعد ـ هذه الفضائح المخزية.**

**وإذا للعلماء نفوذ فلن يدعوا شاباً وشابة يمارسان رياضة المصارعة كما حدث في شيراز.**

**وإذا كان لهم نفوذ، فلن يدعوا البنات العفيفات في المدارس في متناول أيدي الشبان، لن يسمحوا بإرسال النساء الى مدارس البنين والرجال الى مدارس البنات ليحدث كل هذا الفساد.**

**وإذا كان لعلماء الدين نفوذ فلن يسمحوا بفرض هؤلاء النواب على الشعب ويتحكمون في مصير البلاد.**

**وإذا كان لهم نفوذ فلن يدعوا عميلاً أمريكياً يرتكب كل هذه الأعمال، بل سيرمونه خارج البلاد.**

**إن نفوذ علماء الدين يضر بمصالحكم أنتم أيها الخونة وليس بمصالح الشعب لقد وجدتم أنه مع وجود نفوذ لعلماء الدين فلن تستطيعوا ارتكاب أي حماقة ولذلك قررتم محو نفوذهم ومكافحته. هل ظننتم أن باستطاعتكم دق اسفين الفرقة بين صفوف العلماء عبر افتعال الحوادث؟ إنكم لا تستطيعون ذلك، وستظلون تحلمون به حتى يدرككم الموت، فعلماء الدين متكاتفون ينسجمون مع بعضهم بعضاً.**

**إنني أعظم جميع علماء الدين، وأقبل أيديهم وإذا كنت قد قبّلت يد المرجع سابقاً، فإنني أقبل اليوم يد الكاسب أيضاً( بكاء وابراز الحاضرين لعواطفهم ومشاعرهم) احذروا أيها السادة. احذر يا جيش إيران. احذروا أيها السياسيون. احذروا أيها التجار. إحذروا يا علماء الإسلام ويا أيها المراجع. إحذروا أيها الفضلاء، أيها الطلاب، أيها الحوزة العلمية في النجف وقم ومشهد وطهران وشيراز، إحذروا جميعاً، فها هو الخطر قادم والاستار تخفي أشياء كثيرة لقد قالوا المجالس: (لا تدعوا الأستار تكشف) يبدو أنهم يبيتون لنا شيئاً، فما الذي سيحدث أسوأ مما حدث؟ وهل هناك أسوأ من الذلّ والتبعية؟ ماذا ينفع الشعب هذا الدّين؟ وماذا سيجر عليه من المصائب؟ لماذا يدفع الشعب 100 مليون دولار (800 مليون تومان) كفائدة للقرض الى أمريكا؟ بماذا يفكر هؤلاء؟ ماذا ينفعكم المستشارون والعسكريون الأمريكيون؟! إذا كانت إيران مستعمرة أمريكية فلماذا كل هذه العربدة والضجيج؟ ولماذا كل هذه الادعاءات عن الترقي والتطور؟ إذا كان هؤلاء المستشارون خدماً لكم فلماذا يُرفعون أعلى من الأسياد؟ ولماذا يُرفعون الى درجةٍ أعلى من الشاه؟ فإن كانوا خدماً عاملوهم كباقي الخدم. وإن كانوا موظفين فليعاملوا مثلما تعامل بقية الشعوب موظفيها، وإن كانت بلادنا محتلة من قبل أمريكا فاعلنوا ذلك، وأخرجونا نحن منها.**

**ما الذي يريدون أن يفعلوه بنا؟ ما الذي تقوله لنا هذه الحكومة؟ ما الذي فعله بنا هذا المجلس؟ هذا المجلس ليس قانونياً، إنه مجرم، إنه محرَّم طبقاً لفتاوى مراجع التقليد وأحكامهم، إنه المجلس الذي يرفع عقيرته متحدثاً عن الاستقلال والثورة ويقول نحن ثمرة الثورة البيضاء! أنا لا أدري أين هذه الثورة البيضاء التي يثيرون حولها كل هذا التهريج؟ يعلم الله أنني أعلم ولكن قلبي يعتصر ألماً، أعلم بما تعانيه القرى والمدن النائية، وأعلم بما تعانيه قم المتخلّفة، وأعلم بجوع الناس والوضع الزراعي المأساوي.**

**أوجدوا حلاً لمشاكل البلاد والشعب. لا تكدسوا القروض بعد القروض، لا تكونوا خدماً الى هذا الحد. أنتم تأخذون الدولارات وتنفقونها على شؤونكم، ونحن نصبح بدلها خدماً للأمريكان. ولو دهستنا سيارة أمريكي فلا يستطيع أحد أن ينبس ببنت شفة أمام الأمريكيين.**

**أيها السادة الذين تطالبون بالسكوت وعدم التحرك، هل إن علينا أن نسكت حيال هذا الأمر أيضاً؟!**

**هل نلتزم الصمت هنا أيضاً ولا نتحرك؟! إنهم يبيعوننا ونحن نظل ساكتين؟! يبيعون استقلالنا ونظل ساكتين؟!**

**والله، إن الساكت سيكون مأثوماً، من لا يصرخ سيرتكب ذنباً كبيراً (هتافات الحاضرين تعبيراً عن مشاعر التأييد).**

**يا زعماء الإسلام، انقذوا الإسلام.**

**يا علماء النجف انقذوا الإسلام.**

**يا علماء قم انقذوا الإسلام.**

**لقد انتهى الإسلام (بكاء الحاضرين).**

**ايتها الشعوب المسلمة! يا قادة الشعوب الإسلامية! يا رؤساء البلدان الإسلامية، يا سلاطين الشعوب الإسلامية.. انقذونا.. يا شاه إيران، انقذ نفسك!**

**أيجب أن نُداسّ باقدام الأمريكان لأننا ضعفاء ولا نملك الدولار؟ ان أمريكا أسوأ من إنجلترا، وإنجلترا أسوأ من أمريكا، وروسيا أسوأ من الاثنين معاً، وكل منهم أسوأ من الآخر، وكل منهم أقذر من الآخر، لكننا اليوم ابتلينا بأمريكا، فليعلم الرئيس الأمريكي أنه من أكثر المغضوب عليهم عند شعبنا، فهو الذي ارتكب هذه الجرائم بحق الأمة الإسلامية. إن القرآن خصمه اليوم. وشعبنا ـ اليوم ـ خصمٌ للرئيس الأمريكي.**

**لتعلم أمريكا أن أمرها قد افتضح في إيران مساكين هؤلاء النوّاب! فقد صرخوا أن اطلبوا لأصدقائنا (الأمريكان) بأن لا يفرضوا علينا أكثر من هذا، وأن لا يبعونا، وأن لا يجعلوا من إيران مستعمرة لهم، ولكن من الذي استمع لما قالوه؟**

**إنهم لم يعلنوا فحوى المادة 32 من معاهدة فينا، أنا لا أدري ما هو مضمون هذه المادة. ولست أنا وحدي لا أعلم بذلك بل حتى رئيس المجلس لا يعرف فحواها، والنواب أيضاً لا يعرفون ماذا تتضمن، لكنهم مع كل هذا صادقوا على المعاهدة، بالرغم من أن بعضهم قال أنه لا يعرف فحوى المادة 32 وقد يكون هؤلاء لم يوقعوا على المعاهدة لكن الآخرين وقعوا، وهم أسوأ ممن لم يوقعوا.. إنهم حفنة من الجهلة..**

**شخصياتنا السياسية وأصحاب المناصب الرفيعة يتعرضون للفصل، الواحد تلو الآخر.**

**ففي بلادنا اليوم، لا حول لرجال السياسة الوطنيين ولا قوة. ضباط الجيش يجب أن يعرفوا بأنهم سيتعرضون للفصل الواحد تلو الآخر، فهل بقيت للجيش كرامة ما دام الطبّاخ والفراش الأمريكي مفضلاً على الجنرال الإيراني؟ لو كنت عسكرياً لاستقلت من الخدمة، ولو كنت نائباً في المجلس لاستقلت، فأنا لا أقبل هذا العار.**

**الطبّاخ الأمريكي والميكانيكي الأمريكي والموظف الإداري أو الفني الأمريكي وعوائلهم، كل هؤلاء يجب أن يتمتعوا بالحصانة!!! أما علماء الإسلام ووعاظه وخدمته، فيجب أن يعيشوا في السجون والمنافي!! فأنصار الإسلام يُسجنون في (بندر عباس) بتهمة كونهم علماء دين أو أنصار علماء الدين.**

**إنهم يلقنون طلاب المدارس في كتاب التاريخ بأن رفاهية هذا الشعب تكمن في القضاء على نفوذ علماء الدين، أي أن رفاهية هذا الشعب تكمن في قطع يد رسول الله!! فعلماء الدين لم يأتوا بشيء منهم بل إن كل ما عندهم، إنما هو من رسول الله، وقطع يدهم يعني قطع يد رسول الله عن هذا الشعب. وهؤلاء يريدون تحقيق هذا الهدف لتظل إسرائيل تعمل ما تريد في هذا البلد وهي مطمئنة ودون منغصات، ولتظل أمريكا تمارس في هذا البلد ما يحلو لها.**

**إن جميع مشاكلنا ومصائبنا اليوم، هي من أمريكا وإسرائيل، وإسرائيل هي أيضاً من أمريكا، هؤلاء النواب هم من أمريكا أيضاً، هؤلاء الوزراء هم من أمريكا أيضاً، كلهم عميل لأمريكا، فلو لم يكونوا كذلك، فلماذا يقفون بوجهها ويعترضون على ممارساتها.**

**أنا الآن في حالة غليان وتوتر، وذاكرتي لا تسعفني، ففي إحدى دورات مجلس النواب حيث كان المرحوم السيد حسن المدرس عضواً فيه وجهت روسيا تحذيراً الى إيران بأن تقبل القضية الفلانية التي لا أتذكرها الآن، وإلا فإنها ستقوم بالهجوم عن طريق قزوين ثم التوجه الى طهران لاحتلالها وعند ذاك مارست الحكومة ضغوطاً على المجلس ليصادق على ذلك المشروع.**

**يقول أحد المؤرخين الأمريكيين(وقف خلف الميكروفون شخص يتوكأ على عصاه ـ ويقصد المرحوم المدرس ـ وصرخ: ما دمنا سنموت جميعاً فلماذا نوقّع على وثيقة فنائنا بأنفسنا؟) وهكذا اكتسب باقي النواب الجرأة ورفضوا المشروع الروسي، ولم تستطع روسيا ارتكاب أية حماقة.**

**هذا هو عالم الدين، فعالم ضعيف البنية استطاع أن يرفض اقتراح روسيا ويرد على تحذيرها الذي وجهته. واليوم لو كان لدينا عالم واحد في المجلس، لما كان قد سُمح بتمرير هذا الموضوع لأجل هذا يريدون محاربة نفوذ علماء الدين لكي يتمكنوا من الوصول الى أهادفهم.**

**هناك الكثير من المواضيع والمفاسد في هذا البلد، لكن وضعي الصحي لا يساعدني على التطرق الى ذلك، وأنتم مكلفون بإيصال ما تسمعونه الى أصدقائكم.**

**على العلماء توعية الأمة، وعلى الأمة أن ترفع صوتها، وتحتج على المجلس الحكومة على ما عملاه.**

**على الشعب أن يسأل المجلس والحكومة: لماذا بعتمانا؟! فأنت أيها النائب لا تمثلنا أبداً، وإن كنت تمثلنا فقد خنت الأمانة، ولهذا فقد سقطت نيابتك عنّا إنها خيانة بحق البلاد.**

**إلهي، لقد خانوا الوطن، الهي هذه الحكومة خانت الوطن، خانت الإسلام خانت القرآن، واعضاء المجلسين الذين وافقوا على ذلك، هم أيضاً ارتكبوا الخيانة، أعضاء مجلس الشيوخ، هؤلاء العجزة، خانوا أيضاً.**

**وأعضاء مجلس النواب الذين صادقوا على ممارسات الحكومة هم أيضاً وارتكبوا الخيانة بحق البلاد، فهؤلاء ليسوا نواباً للشعب، ليعلم العالَم بأن هؤلاء لا يمثلون شعب إيران وأن كانوا نواباً حقاً، فانني أصدرت الأمر بفصلهم. إنهم مفصولون من مناصبهم كنواب للشعب، ولا قيمة قانونية لكل القوانين التي صادقوا عليها، ووفقاً للقانون ووفقاً للمادة الثانية من الملحق المكمل للدستور؛ ما دام المجتهدون لا يشرفون على أعمال المجلس، فلا اعتبار ولا شرعية للقوانين التي يصادق عليها.**

**فمن المجتهد الذي أشرف على عمل المجلس منذ الحركة الدستورية ولحد الآن؟ لو كان في هذا المجلس خمسة مجتهدين، أو حتى عالم دين واحد على الأقل، لضرب هؤلاء على أفواههم ولما سمح بالمصادقة على هذا القانون.**

**إنني احتج على اولئك النواب الذين تظاهروا بمعارضة القانون بأنهم لو كانوا معارضين للقانون حقاً، فلماذا التزموا الصمت؟ لماذا لا تنهضوا وتنزلوا ذلك الصعلوك من خلف الميكرفون؟ فهل المعارضة هي أن تقولوا بأنكم تعارضون، ثم تعودوا للجلوس في أماكنكم ثم تظهروا لهم كل ذلك التملق؟ عليكم أن تثيروا ضجة، وأن تنزلوا وسط قاعة المجلس وتقفوا بوجه ما يجري وتخرجوا هذه اللائحة من المجلس، فالاعتراض والجلوس لا يمكنه أن يغير شيئاً، فهل رأيتم كيف أن معارضتكم لم تفعل شيئاً؟**

**إننا لا نعترف بشرعية هذه القانون، ولا نعترف بشرعية هذا المجلس، فهؤلاء خونة للبلاد.**

**اللهم أصلح شؤون المسلمين، اللهم مُنَّ على الدين الإسلامي المقدس بالعظمة، اللهم أهلِك من يخون هذا البلد، وأهلك من يخون الإسلام والقرآن، والسلام عليكم ورحمة الله).**

**5ـ رد حسن علي منصور:**

**على الرغم من أن جميع وسائل الإعلام بما فيها الإذاعة والتلفزيون والصحف كانت خاضعة للحكومة والمخابرات الملكية. إلا أن خطاب الإمام تداولته الألسن وانتشر في كل أنحاء إيران بسرعة فائقة، كما انتشر بيانه في أنحاء البلاد بطرق خاصة، مما أدى الى فضح الشاه والحكومة والمجلس بشكل لا نظير له. ولم يتمكن النظام ـ بما يملك من قوة مادية ووسائل اعلام ـ من إبطال مفعول كلمات الإمام، مما اضطر رئيس الوزراء منصور الى تقديم مسوّغات واهية لقانون الحصانة القضائية، في إحدى جلسات مجلس الشيوخ، وقد كتبت صحيفة اطلاعات شبه الرسمية في يوم 10 تشرين الثاني 1964م ما يلي:**

**(قال السيد رئيس الوزراء في خطاب له في جلسة مجلس الشيوخ: (إنني آسف جداً لما تردّد خلال الأيام الأخيرة من أمور تبعث على الأسف الشديد، فالشيوخ (الأعيان) المحترمون يتذكرون اللائحة التي طُرحت عليهم حول منح الحصانة السياسية لبعض المستشارين الأمريكيين، وهذا أمرٌ لا يخص هذا البلد وحدهُ، بل إن له سابقة تاريخية في عدد من الدول المجاورة وقد سمعت بعض التحريضات والاستفزازات في هذا الشأن، والتي هي أقل من شأن هذا والبلد، ولأن هذه المسائل قد طرحت، فإنني أرى من الضروري الإشارة الى خلفيات هذا الموضوع وتاريخه).**

**اضافت الصحيفة: وقد قدم السيد رئيس الوزراء توضيحات تفصيلية حول لائحة الحصانة الممنوحة للمستشارين العسكريين الأمريكيين التي صادق عليها مجلس الشورى الوطني قبل عدة أيام، وفي الختام قال رئيس الوزراء: (ولما كان متوقعاً أن تتحرك بعض العناصر من الطابور الخامس، والذين عرف الناس بعضهم، للتأثير على أذهان الناس، فقد رأيت من الضروري توضيح هذا الأمر. أما الإشاعات فهي محصورة ي مجموعة محددة، والشعب الإيراني من خلال اعطاء الحصانة السياسية لعدد من المستشارين العسكريين. فهذا الأمر موجود في عدد من الدول الكبيرة والصغيرة من أجل تقوية بنيتها الدفاعية).**

**واستطرد الصحيفة: وأضاف السيد رئيس الوزراء: (عند الضرورة فلن يقف الجيش الإيراني وحده، بل ومعه الشعب والحكومة والمجلسان، للتصدي لأعداء البلاد المحليين والأجانب فالشعب الإيراني يقف صفّاً واحداً خلف حكومته المخلصة)!.**

**6ـ نفي الإمام الى تركيا:**

**لم يكن من الممكن الحفاظ على حكم الشاه مع بقاء الإمام في إيران، فكلمات الإمام كانت بمثابة ضربات موجعة لأركان النظام المتهرئة، ولم تطق الحكومة والشاه استمرار هذا الوضع، كما لم يكن بالامكان اسكات صوت الإمام بشتى الوسائل والطرق، فقد قطع الإمام طريقاً طويلاً خلال عامين فقط واكتسب تجارب كثيرة، واحتل منزلة مرموقة في المجتمع الإيراني قلما كان يتمتع بها أحد غيره، كما أنه خرج سالماً من امتحان كبير.**

**فقد اجتاز المرحلة التي يمكن فيها للنظام رفع دعوى ضده وتقديمه الى المحاكمة أو إخافته من خلال التهديد بإعدامه. إضافة الى أن السلطة كانت عاجزة عن إبعاد أبناء الأمة وفصلهم عنه، لأن تعلُّقهم وشغفهم به كان يقوي الأواصر فيما بينهم ويدفعهم الى التضحية بالغالي والنفيس، كما أصبحت إجراءات السلطة بإغلاق الأسواق وسحب إجازات العمل من الكسبة، وفصل الموظفين من الدوائر وما شابهها، لا تثير إلاّ السخرية وعدم الاكتراث بين أتباع الإمام وعشاقه، فقد عملت هذه الاجراءات كلها على زيادة التفاف أبناء الأمة حول الإمام أكثر فأكثر.**

**كما أن الهجوم على الناس وارتكاب المذابح بحقهم لم يعطيا النتائج التي كان يتوخاها النظام ليلجأ الى تكرار التجربة مرة أخرى من خلال افتعال مذبحة أخرى نظيرة لما حدث في (15) خرداد وهكذا فلم يرق للحكومة أن ترى الإمام يشكّل جبهة قوية متراصة من علماء الدين من خلال اتصالاته بهم في أنحاء البلاد، وكلامه النافذ لدى الجميع.**

**لقد امتاز الخطاب التاريخي للإمام ببساطته وحزمه وقوته في الوقت نفسه. فقد وصف ـ بالاسم وبصراحة ـ رؤوس النظام بالخونة للبلاد، مما أفقد الحكومة والشاه والمجلس أي مسوّغ للبقاء، كما أن بيانه بهذا الشأن والذي جرى توزيعهُ بسرعة يهدّد بقاء الحكومة.**

**أما موجة السخط والاحتجاج الشعبين فقد جعلت عرش الشاه وتاجه في مهب الريح العاصفة، فالشعب قد تنبه الى أنه إذا كان كلام الإمام صحيحاً فما الذي سيقوله النظام الحاكم وأجهزته ومؤسساته المنفّذة لما يسمى بـ(الثورة البيضاء) إذن؟! وما هو مسوّغ بقائها في الحكم ما دامت تعمل لصالح الأجانب كما هو الحال في سن قانون الحصانة القضائية؟!**

**ومنذ 26/ 10/ وحتى 4/11/1964 قام النظام بدراسة الموقف واتخاذ القرار بنفي الإمام الى تركيا، وهو إجراء يدل بوضوح على أن النظام لم يعد يطيق سماع الحقيقة، كما أنه ليس مستعداً للتخلي عن خدمة أمريكا، ولا عن التاج والعرش، ولهذا فلا بد من إزالة كل عقبة وعامل يؤدي الى زعزعة أركان النظام.**

**وبإبعاد الإمام الى تركيا كان لسان حال النظام يقول: إنه ليس باستطاعة أية قوة أو قانون، الوقوف في وجهي لانني أملك القوة العسكرية، وأنا الممسك بمقاليد الحكم، وعليّ للجوء الى كل السبل لمواصلة الحكم والهيمنة على الأمور. وأخيراً فقد أكد قرار النفي أن النظام لا يعير أية أهمية لرأي الأمة، ولا يرى لها أي حق في التدخل والاحتجاج، كما لا يرى لعلماء الدين هذا الحق.**

**عملية النفي تمت ـ كما يرويها كتاب (بررسى وتحليلى از نهضت امام خمينى) ـ كالآتي:**

**(مساء يوم (12 آبان 1343/ 3 تشرين الثاني 1964م) حاصر المئات من قوات المغاوير والمظللين منزل القائد الكبير في قم، حيث اقتحموا الدار من السطح وانهالوا على الأشخاص الموجودين فيها بالضرب والإهانة. وكان الإمام في إحدى الغرف الداخلية مشغولاً بالصلاة والدعاء، وما أن عرف ـ من خلال الضجيج ـ أن أقدام جلاوزة السلطة قد وطأت داره حتى أرتدى ملابسه دون أي ارتباك. وهمَّ بالخروج من الغرفة الى الجزء الأمامي للبيت. كان الباب الذي يفصل بين جزأي الدار مقفلاً وكان قد وضع المفتاح في مكان ما لكنه افتقده في تلك اللحظة. وعندما علم الأزلام أن الإمام موجود في الجزء الداخلي من البيت انهالوا على الباب المقفل بالرفس والضرب لفتحه عنوةً فناداهم الإمام من الداخل: (لا حاجة لهذه الوحشية، سأفتح الباب بنفسي) إلا أن أزلام الشاه لم يعبأ بقوله وواصلوا كل الباب حتى كسروه.**

**أما الإمام الخميني فقد يئس من العثور على المفتاح وخرج من باب آخر يؤدي الى الزقاق، وعند الخروج أودع (ختم توقيعه) الخاص عند زوجته وقال لها (استودعك الله).**

**وفور خروجه الى الزقاق سارع أزلام النظام الى محاصرته وأركبوه بسرعة في سيارة أعدت عند باب الدار فانطلقت السيارة بسرعة فائقة خارجة من الزقاق.[3]**

**لقد قطعت السيارة التي أقلت القائد الكبير، المسافة الواقعة بين قم وطهران ـ وهي 140كم ـ بمدة أقل من 90 دقيقة واتجهت فور وصولها طهران الى مطار مهر آباد الدولي. وعند وصولها المطار، اتصل العقيد مولوي ـ الذي كان قد وصل قبل الإمام ـ بجهة معينة بواسطة اللاسلكي وأخبرهم بأن المهمة قد تمت لحد الآن بالشكل المطلوب وسيتم إنجاز الباقي على أفضل وجه، وكان أسلوب كلامه وتكراره لكلمة (قربان) أي (سيدي) يدلان على أن المخاطب (بفتح الطاء) هو الشاه شخصياً. وقبل شروق شمس الثالث عشر من شهر آبان 1343(4/ تشرين الثاني/1964) أبعد القائد الكبير ـ الذي كان قلبه ينبض بهموم المحرومين والمستضعفين وآلامهم، والذي أرقته معاناة الشعب ومشاكله ت لا لذنب إلا لأنه يدافع عن استقلال وطنه وشعبه المسلم.**

**وقبل أن تدور محركات الطائرة استعداداً للتحليق جاء أحد مسؤولي المخابرات بجواز سفر الإمام وسلّمه إيّاه قائلاً: (ستذهب الآن الى تركيا، وستتبعك عائلتك بأسرع وقت) ثمَّ جلس الى جانبه العقيد أفضلي الذي رافقه الى منفاه..).**

**وبعد نفي الإمام أصدر جهاز أمن الشاه (الساواك) بياناً مقتضباً إذاعته الإذاعة ونشرته الصحف دون تعليق جاء فيه:**

**(وفقاً للمعلومات المؤكدة والأدلة الكافية، فقد ثبت أن أسلوب السيد الخميني والتحريضات التي يقوم بها، هي ضد مصالح الشعب وضد أمن البلاد واستقلالها ووحدة أراضيها ولذا فقد تم نفيه من إيران بتاريخ 13 آبان 1343.. الساواك).**

**7ـ اصداء نفي الإمام:**

**كانت ردة الفعل الشعبية على نفي الإمام واسعة وعنيفة جداً لكنها لم تكن بقوة انتفاضة 5 حزيران، ففي تلك الانتفاضة كان هناك خوف عام من أن يستخدم النظام أساليبه الوحشية ويقضي على الإمام، كأن يحكم عليه بالإعدام أو أن يقتله بالتعذيب، لذلك فقد كان الهجوم الشعبي على مراكز النظام والقيام بالتظاهرات عنيفاً جداً، إضافة الى ذلك فإن الحكومة وقوى الأمن لم تكن تتتوقع أن تحدث انتفاضة 15 خرداد/ 5 حزيران بذلك العنف وبتلك الأمواج البشرية العارمة التي حدثت بها. أما فيما يخص نفي الإمام فقد تم إعداد كل شيء وفق حسابات دقيقة ومدروسة مسبقاً واتخذت كل الاحتياطات وتمت السيطرة على كل أرجاء البلاد، وكانوا يقمعون أي تحرك مشبوه بمجرد بدئه، أما حواريو الإمام فقد تمت محاصرتم، كما اعتقل ابنه السيد مصطفى.[4]**

**وعندما استيقظ أهالي قم صباح ذلك اليوم، فوجئوا بالمدينة وهي محاصرة وشوارعها مملوءة بأفراد الجيش وقوى الأمن التي لم تكن تسمح لأحد بالخروج من منزلهِ، كما تمت محاصرة صحن مرقد السيدة معصومة، ومنازل علماء الدين البارزين بشكل كامل. ومع هذا فإن الأمر لم يمر بهدوء.**

**ففي طهران والعديد من المدن الأخرى، تم إغلاق الأسواق، وانطلقت تظاهرات عديدة، كما ساد أجواء الحوزات العلمية القلق والسخط الشديدان، فتعطلت دروس الحوزات، وعُطلت صلوات الجماعة بين (15) و(30) يوماً في قم ومشهد وطهران وباقي المدن، احتجاجاً على نفي الإمام. وتدفقت البرقيات والبيانات والرسائل على تركيا وسفارتها في طهران، والكثير منها كان موجهاً الى الرئيس التركي والحكومة التركية. كما أرسلت برقيات عديدة الى المسؤولين القضائيين ومسؤولي الحكومة داخل البلاد.**

**أما الحكومة فقد وافقت على إرسال ممثل عن علماء الدين لزيارة الإمام في تركيا في محاولة لإخماد جذوة الحماس والمشاعر الجياشة لأفراد[5] الشعب وأطلقت سراح الابن الأكبر للإمام، ووافقت على مغادرته البلاد.[6]**

**8ـ مقاومة المجاهدين في قم:**

**المقصود بالمجاهدين هنا هم جميع الذين طريق الإمام بعد نفيه، بكل صلابة وثبات، وخاصة من فئة طلاب الحوزة العلمية في قم وفضلائها ومدرسيها. فقد مرَّ هؤلاء بعدة مراحل وسلكوا سبلاً عديدة من أجل مواصلة المواجهة مع أزلام النظام، وكانوا يعتقدون أن استمرار المقاومة والجهاد هو العنصر الأساس في تحقيق النصر.[7]**

**فقد واصلوا اصدار نشرتين سريتين هما (بعثت) وبعدها (انتقام) بالرغم من كلّ المصاعب والمشاكل التي كانت تعترض سبيلهم كما كانوا يصدرون المنشورات وينشرون الأخبار، وفي المجالس والمحافل العامة، عملوا على طرح قضية نفي الإمام على رأس باقي الأمور. وكانوا يتناولوا هذا الموضوع بالبحث والدراسة، كما كانوا يكثرون من طرح موضوع أي واحد من علماء الدين يتعرض للاعتقال على الرغم من محاولات النظام عليه، وكانوا ـ إضافة الى ذلك ـ يطرحون باستمرار موضوع ممارسة التعذيب في السجون، ويردّون على التهم والافتراءات التي تنشرها الصحف الحكومية.**

**وبشكل عام، فإنهم كانوا يضخّمون ويشجعون كل موضوع يحمل جانباً احتجاجياً ضد النظام، وقد جعل هؤلاء المجاهدون حياتهم وقفاً للتحرك السياسي على الطريق الذي رسمه لهم الإمام. [8] فقد كانوا ينتقلون بين المدن لإيصال نداء الإمام، وإقامة مراسم دعاء التوسل، وتناقل كلمات الإمام الخميني وعباراته، وكانوا يقومون بكل ذلك بالرغم من ضعف امكاناتهم المادية وأجواء الكبت التي سادت آنذاك. وكانوا يعتبرون ذلك واجباً حتمياً عليهم، إضافة الى أنهم كانوا يقدمون على أعمال لا يمكن حتى لأجهزة الدعاية والإعلام الحكومية القيام بمثلها. فقد كانوا يتحركون بشوق ولهفة بينما كان النظام الذي يتمتع بالامكانيات المالية والإعلامية، يزداد بُعداً عن الشعب يوماً بعد يوم. وفي ذلك درس وعبرة يُبرزان دور الإيمان في القدرة على كسب المنزلة بين أفراد الشعب، وتوجيههم الوجهة المطلوبة.**

**لقد واصل طلاب الحوزة في قم نشاطاتهم وتحركاتهم بين الناس وكسب مكانة مرموقة بالرغم من التفاوت فيما بينهم من حيث السن ودرجة التحصيل العلمي وعدم التنسيق والتنظيم في العمل.**

**9 ـ تغيير منفى الإمام:**

**أحست أجهزة أمن الشاه (الساواك) ـ نتيجة لغضب الجماهير العارم ـ بخرط حدوث حركة انتقامية ضد النظام بالرغم من كل اجراءات الهيمنة التي كانت تفرضها على أرجاء البلاد، ولهذا فقد بدأت تفكر في إنهاء أمر نفي الإمام، دون السماح له بالعودة الى البلاد. وكان التصور العام هو أن تغيُر ظروف معيشة الإمام وتبديل مكان إقامته سيؤديان الى تهدئة الرأي العام في إيران.**

**كما أن تركيا ـ ونتيجة للاحتجاجات التي واجهتها ـ لم تكن مستعدة لأن تصبح مكاناً لنفي أحد أو سجنه لئلا يثير ذلك التحرريين ضدها. ولهذا قرر النظام، فتح الحوار مع حكومة العراق بهذا الشأن لكسب رضاها حول قبول الإمام في أراضيها بشرط عدم إجراء استقبال رسمي له، وعدم إبراز ذلك في وسائل الإعلام.**

**وفي المقابل اشترطت الحكومة العراقية أن لا تأخذ إقامة الإمام في العراق صفة النفي، وأن لا تتدخل إيران في مصير الإمام أو في تعيين مدة وجوده وحريته في العراق.**

**وفي السابع من جمادى الثانية عام 1385هـ.ق وصل الإمام الى الحوزة العلمية في النجف ومعه ابنه المجاهد السيد مصطفى. هذا الخبر شاع في إيران فأدى الى شيوع حالة عامة من الارتياح والفرح. أما الذين عرفوا معنى هذا التغيير فقد اعتبروا إقامة الإمام في النجف استمراراً لعملية النفي وطالبوا بعودته الى إيران.**

**وفي قم، واصل طلبة الحوزة العلمية وأساتذتها مساعيهم من أجل الإبقاء على شعلة الثورة متقدة وهاجة، واعتبروا نقل الإمام الى النجف وسيلة يهدف النظام من خلالها الى إخماد جذوة الثورة، فارسلت الحوزة رسالة الى (عباس هويدا) رئيس الوزراء في ذلك الحين، جاء فيها:**

**(... السيد هويدا!!**

**لا تتصور أن نقل آية الله العظمى الخميني من تركيا الى العراق سيخمد المشاعر والاحاسيس المتأججة لهذا الشعب. إن استمرار نفي آية الله الخميني، مهما ـ كانت طبيعة المنفى ومكانه ـ لَهُوَ سبب تأجّج سخط عامة الشعب وغضبه.**

**السيد هويدا! إن كل ما تعتبرونه محترماً لديكم، كالضمير والدين والدستور والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كلها تعارض هذا النوع من الحكم الذي تمارسونه. كونوا على ثقة من أن الحكومات التي تقوم على الظلم والاستعباد لابد وأن تزول).**

**10ـ احتجاج المحافل الدولية على نفي الإمام:**

**لقد أدّت رسائل الاحتجاج الشعبية الى المحافل والاوساط الدولية الى تحرك منظمة حقوق الإنسان، فطلبت من الأمين العام للأمم المتحدة العمل على إنهاء نفي الإمام[9] حيث جاء في رسالة اللجنة الى الأمين العام ما يلي:**

**(عزيزنا الأمين العام!**

**نود إلفات نظركم الى الأعمال التي قامت بها الأمم المتحدة حيال مصادرة حقوق الإنسان التي بدرت من الحكومة الإيرانية مؤخراً فبناءً على التقارير التي نشرت حول هذه الحقائق في صحف نيويورك تايمز، وتايمز لندن، واللوموند الفرنسية الصادرة بتاريخ 5 تشرين الثاني، إضافة الى التقارير التي وصلتنا من مصادر أخرى، يبدو أن الحكومة الإيرانية ـ وبحجة الحفاظ على الامن ـ تقوم بنفي القادة الدينيين من إيران وبتوجيه من قوى الامن الداخلي وخاصة(منظمة أمن الشاه: الساواك) أنهم يعارضون ممارسات الحكومة المخالفة للحقوق الوارد ذكرها في الدستور الرسمي للبلاد.**

**كما أن قادةً دينيين آخرين يتعرضون للسجن بدون محاكمة إضافة الى احتجاز أكثر القادة الآخرين ـ أو كلهم ـ في منازلهم، ولكن أسوأ هذه الممارسات هي نفي آية الله الخميني زعيم المذهب الشيعي الإسلامي الذي يتبعه (95%) من الشعب الإيراني، الى تركيا فبتاريخ (4/تشرين الثاني) تمَّ نفي آية الله الخميني من قبل قوات، الأمن الى تركيا، وهو الآن تحت المراقبة في أزمي. وهذا بحدِ ذاته يعتبر انتهاكاً صريحاً للمادة (14) من الدستور الرسمي لإيران والتي تنص على أنه (لا يمكن نفي أي إيراني أو إجباره على ترك محل إقامته أو اجباره على الإقامة في مكان معين إلا في الحالات التي نص عليها القانون).**

**لقد تم هذا الأمر بدون اجتياز المراحل القانونية والقضائية، ودون الاستناد الى أي قانون. وآية الله الخميني كان تحت المراقبة في قم منذ عام 1962 حيث يتهمه النظام بإثارة القلاقل والاضطرابات، احتجاجاً على مصادرة حقوق الشعب الإيراني. وفي ذلك الحين كانت حالة الطوارئ معلنةً في إيران، ثم الغيت بعد ذلك ومن الصعب تصور عملية تقييد قائد وتحديده بهذا الشكل.**

**زعيم ديني يُنفى الى تركيا دون أية محاكمة، ودون أن تكون لتركيا أية علاقة بالأمر. إن هذا الأمر ليعطي القضية أهمية خاصة، ونحن نطالب الأمانة العامة بمتابعة الموضوع من خلال حكومتي البلدين، والعمل وفقاً لمقررات الأمم المتحدة وقوانينها.**

**التوقيع                           الرئيس الفخري**

**الرئيس جين پايانغ   نيسان 1965   روجربالدوين**

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

[1] قانون الحصانة القديم تعرض للإلغاء في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، بأشكال وطرق مختلفة. فقد طرح رئيس الوزراء العثماني عام 1856م موضوع إلغاء هذا القانون، وفي عام 1914م طلب من الدول الأوروبية وقف العمل به وقام بإلغائه من جانب واحد. أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد اعتبرت بقاء القانون من جانب واحد أمراً لا فائدة فيه. وفي عام 1919 تخلَّت الدول الأوربية عن تطبيق هذا القانون في تركيا، وفي عام 1923م تخلصت تركيا من هذه الاتفاقية من خلال اتفاقية لوزان، أما اليابان فقط أعلنت وفي عام 1899م إلغاء قانون الحصانة، والغته اليونان في عام 1914م، والمغرب في عام 1920م، وتايلندا عام 1927م، والعراق عام 1931، وأثيوبيا عام 1936م، ومصر عام 1937م، والصين عام 1926م، ولكن بشكل مشروط، ثم قامت الصين بإلغائه تماماً في عام 1949م. أما حكومتا إنجلترا وأمريكا فقد ظلتا تعملان بهذا القانون حتى عام 1949م. وبعد هذا التاريخ يتمتع الأجانب بمزايا هذا القانن بشكل رسمي إلا في البحرين مسقط.

[2] كان التقرير يشير الى أن لائحة الحكومة المتعلقة بتمتع المستشارين العسكريين الأمريكيين بالحصانات الواردة في الاتفاقية، قد تمت المصادقة عليها في لجنتي الدفاع والخارجية للمجلس.

[3] الحارس الذي كان يقف أمام مستشفى فاطمي قرب منزل الإمام يقول: (لقد جيء بالإمام من بيته عبر الأزقة الى الشارع العام بواسطة سيارة (فولكس واكن) وفي الشارع أنزلوه ليركبوه سيارة (شفروليت) معدة مسبقاً، وهي السيارة التي نقلته الى طهران وعندما نزل الإمام من سيارة الـ(فولكس واكن) تجمع حوله أكثر من أربعمئة من أفراد قوات المغاوير والمظليين، وهنا ارتسمت على شفتي الإمام ابتسامة ذات مغزى وقال لمسؤول تلك المجموعة: (لم تكن هناك حاجة لكل هذه القوات). (بررسى وتحليلى از نهضت امام خميني/ ص 741).

[4] بدأ نجل الإمام الخميني (السيد مصطفى) منذ صباح 13 آبان الباكر تحركاً واسعاً بالذهاب الى منازل المراجع، وفي منزل آية الله المرعشي النجفي تعرّض لهجوم أزلام النظام الذين دخلوا البيت من السطح والأبواب فاعتقلوه وأرسلوه في اليوم نفسه الى سجن قزل قلعة. وقد احتج آية الله المرعشي النجفي على هذه العملية التي قام بشرح تفاصيلها يوم 23 رجب كالآتي: (... لقد هاجموا بيتي واعتقلو نجل الخميني، كانوا يحملون الجامعة الحديد، لكنهم لم يكبلوا يديه بها لأنه لم يقاوم، بل ذهب معهم. لقد دخلو بأسلحتهم الى منزلي، ترى هل كنت أنا في حالة حرب؟ هل كان السيد مصطفى في حرب معهم؟! لقد اعتقلوا اباه وجاء ليتحدث معي، فهل يستدعي هذا أن يعتقلوه هكذا؟).

[5] في النصف من شعبان عام 1384، توجه السيد فضل الله صهر آية الله الخونساري الى اسلامبول للاطمئنان على صحة السيد الإمام. وفي اليوم التالي، جاءوا بالإمام من منفاه في (بورسا) الى اسلامبول وتم اللقاء في أحد الفنادق بحضور ممثلي الساواك وعندما علم الإمام باعتقال نجله، سُرّ بذلك وقال: (للسجن تأثير كبير عليه من أجل صقله وإعداده للمستقبل). وهكذا استطلعت الأمة وعلماء الدين أخبار القائد وهدأ روعها. (بررسى وتحليلى از نهضت امام خميني/ الصفحة 763).

[6] على هذا الأساس، تم وبعد شهرين من الاعتقال، إطلاق سراح السيد مصطفى الخميني في 29 كانون الأول كتعبير عن حسن نية النظام، ولكي يقوم بتفقد وضع والده خلال زيارة يقوم بها له في تركيا وعلى هذا الاساس فقد ابلغوه ـ وهو في السجن ـ بأنه يستطيع الذهاب الى تركيا إذا أراد، كما قاموا بإعداد بطاقة الطائرة، وأصدروا له جواز سفر، وبعد إطلاق سراحه، عاد الى قم حيث لقي استقبالاً حافلاً، فبادر الى استشارة علماء الدين، ووصل الى هذه النتيجة وهي أن عليه أن لايسافر، ما دام ذلك يتم بطلب من النظام، حيث بذلت مديرية الأمن والمسؤولون الحكوميون مساعي حثيثة من أجل دفعه الى تغيير قراره، وعندما لم يُجدِ ذلك نفعاً، قاموا بمهاجمة منزله بعد أربعة أيام من إطلاق سراحه ثم أخرجوه من إيران الى تركيا بالقوة.

[7] كانت الخطوة الأولى التي أقدم عليها هؤلاء المجاهدون هي اصدار البيان المفصل للحوزة العلمية في قم بعد نفي الإمام بـ(18) يوماً حيث شنَّ البيان هجوماً عنيفاً على النظام، ومما جاء فيه: (... إن مصيبتنا الكبرى تكون في اليوم الذي تتعرض فيه أهداف الإمام السامية للنسيان، ويظل الحديث يدور فقط حول إطلاق سراحه.. إن الجهاز البوليسي والتجسسي للحكومة قد أوجد حالة كبت قاتل، وفق خطة شيطانية، وبالاعتماد على أسيادهما المستعمرين، فبعد نفي الإمام الخميني، قامت الشرطة ـ مصاصة الدماء ـ باعتقال نجله، بغضاً لأبيه، ثم اعتقلوا جمعاً من طلبة العلوم الدينية ومدرسي الحوزة دون أية تهمة أو سبب، كما قامت بعض الصحف العميلة بنشر الافتراءات الوقحة لأجهزة الأمن، على مراجع الشيعة العظام. فقد اتهمتهم بالرجعية وعبادة القديم وتأييد الاقطاعيين.. إن ذلك لن يمر بسلام على الذين يمنحون الحصانة للمستشارين الأمريكان الكفرة. لقد حدد آية الله الخميني في بيانه الأخير واجب جميع الفئات من مسؤولين وعسكريين وعلماء وفضلاء وحتى الطلاب، فقد حدد واجب كل منهم وعمله وقال بكل صراحة: (إن السكوت على هذه الممارسات الحكومية التي تضيّع الإسلام، إنما هو من الكبائر).

[8] خلال هذه المساعي والمناسبات والاجتماعات العامة، كان يجري طرح وصايا الإمام الخميني وارشاداته، فكان ذكر اسمه يقترن بالتجليل والاحترام من قبل الحاضرين، أما أزلام النظام فكانا يبدون ردّ فعل سيء ازاء ذلك حتى وصل الأمر في فترة معينة الى منع ذكر اسمه او تداول كتبه وحتى رسالته الفقهية. فقد كان السجن والتعذيب ينتظر من يفعل ذلك. وقد أدى هذا الوضع الى زيادة تعلق الأشخاص الواعين بشخصية الإمام، حتى وصل الأمر الى ختام كل صلاة جماعة أو مجلس عزاء، بالدعاء له والصلاة على محمد وآله بمجرد ذكر اسمه، وقد تصاعدت تدريجياً هذه الصلوات التي أصبحت دليلاً على ذكر اسمه، وكانت تعتبر تحدياً وجرأة كبيرين. فقد كان الخطيب يذكر اسم آية الله العظمى الخميني فيصلي الحاضرون على النبي وآله ثلاث مرات وكان ذلك دليلاً على حب الحاضرين للإمام الخميني، وكذكل بمثابة تعبير عن سخطهم وعدائهم وتحديهم للنظام الذي منع ذكر اسمه. هذه الصلوات أصبحت أمراً عادياً وبقيت الفتيل الذي يوجج روح الثورة في الجماهير.

[9] صحيفة (إيران الحرة)/ العدد 31/ السنة الثالثة/ مايس 1966م.

# ****الفصل السابع****

# ****بدء الكفاح المسلّح****

# ****ومقتل حسن علي منصور****

**1ـ نظرة عامة:**

**نتحدث في هذا الفصل عن مرحلة يعتبر الشاه فيها نفسه موفقاً في نهجه في ظل الرعاية الأمريكية. فعبر الحملات الإعلامية الواسعة، ادعى انه قام بالثورة البيضاء، وانه أطاع بنظام الاقطاع وحرر الفلاحين في أنحاء البلاد، وأشرك العمال في ملكية المصانع، وانهى ظاهرة الاستغلال الى الأبد، كما ادعى أن الاصلاح الزراعي يسير على ما يرام، وأن الاقطاعيين والملاكين الكبار قد قضي عليهم تماماً، وأن تعديل قانون الانتخابات قد قضى على كل أشكال الحرمان والقيود، وجعل الشعب كله حراً في انتخاب ممثليه.**

**وأخيراً فإن الشاه كان فرحاً مسروراً لأنه قضى على (تحركات الرجعيين) حيث بلغ ذلك ذروته في 15 خرداد / 5 حزيران عندما استخدم قواته العسكرية ضد الشعب. كما إنه نفى المسبب والمحرّك الأول لهذه التحركات. وهو الآن على أبواب عصره الذهبي، فزمام الأمور بيده تماماً، وهو الوحيد الذي يسير السياسة الخارجية. كما أنه تخلص من منافسيه من أمثال أميني، وعلى الشعب الآن أن يعرف قيمته، فهو المنقذ لإيران اليوم، وأن الله اصطفاه ليوصل هذا الشعب الى السعادة بالقوة والإجبار!!**

**أما وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون والصحف فقد راحت تتبارى في التسبيح بمحمد الشاه والاشادة بعقله النير ونبوغه. أما الشاه فكان يطيع ـ علنياً ـ الأوامر الصادرة له من الإمبريالية الأمريكية. والحكومة تعتبر نفسها موفقةً في أداء مهامها. فمنصور على رأس الحكومة وهو المنفّذ والمطبّق لمبادئ الثورة! وكانت المصادقة على قانون منح الحصانات للمستشارين الأمريكيين هي الخطوة الأولى التي قطعها على طريق ترسيخ أركان حكومته. كما قام منصور بتأسيس حزبه (حزب إيران الجديدة) بمساعدة اصدقائه الذين اتجهوا الى الغرب لتوّهم، وبعد بحوث ودراسات عديدة.**

**فقد كان هذا الحزب الشكل المحسن لنقابة التقدميين. وهؤلاء التقدميون هم أنفسهم أبناء الحكام الظالمين الخاضعين للأجانب في عهد الحركة الدستورية، وهم أنفسهم الذين قدموا العهود والمواثيق بالانصياع التام لاسيادهم قبل عودتهم الى البلاد. وهم الذين لا يعرفون أي شيء عن إيران وشعبها. إنهم المفتونون بالغرب وحضارته، فهم يعتبرونه قدوتهم في كل شيء، ويعدُّون المكوث في إيران عذاباً لهم ولعوائلهم لكنهم (يضحون)! ويبقون هنا، فيتولّون المناصب الحكومية من أجل النهب والسرقة وزيادة أرصدتهم في الخارج. إضافة الى ذلك فقد ضم (حزب إيران الجديدة) في عضويته أكثرية نواب مجلسي النواب والشيوخ وبناء على هذا فقد اصبح مهيمناً على البرلمان والحكومة معاً، وكما يدل على ذلك اسم الحزب، فقد عمل هؤلاء على تطبيق ديمقراطية جديدة في البلاد!**

**أما جهاز أمن الشاه (الساواك) فقد مارس بعد مرحلة من الارباك، ضغوطاً واجراءات أكثر شدةً، من أجل السيطرة على الأوضاع، وبنفي الإمام، أراد أن يثبت بأن له القدرة على القيام بأي شيء، وأن المقاومة مقابل الحكومة غير مجدية أبداً، حتى لو قام بها الشخص الأول في الحوزة والرجل البارز بين علماء الدين، أو مرجع الشيعة. فالسكوت الذي قوبل به إبعاد الإمام، وعدم احتجاج أحد على ذلك سيدفع الجميع الى التسليم أمام قدرة الحاكم المتجبر وقوته.**

**أما بالنسبة للشعب، فقد كان يدرك أن ذلك مجرد إعلام فارغ، لأنه يدرك حقيقة الأمور، ويدرك جيداً ماهية النظام كما أن نداءات الإمام لا زالت أصداؤها تتردد في آذان الناس. ولهذا فلا معنى للسكوت، بل كانوا يرون أن من واجبهم افتعال أية حادثة من أجل إلقاء الرعب في قلوب أزلام النظام، وأن يثبتوا للخونة أن الشعب موجود وواعٍ، والمهم أن يقوموا بأي رد فعل انتقاماً لنفي الإمام عن البلاد، ورداً على اعطاء الحصانة القضائية للمستشارين الأمريكان. والتي صودق على قانونها حديثاً.**

**وهكذا جاءت عملية قتل حسن علي منصور[1] لتحمل هذه الرسالة الى النظام، وقد تكون عملية قتل منصور من الدروس التي استفادها الشعب من تجارب الماضي، وخاصة من عملية قتل (رزم آرا) التي أوصلت النهضة الوطنية الى نتائج باهرة، وأدت بالزمرة الحاكمة الى السقوط في عام 1941م. ولهذا فقد خطر هذا السؤال في الاذهان وهو: ما الذي يجب عمله كآخر علاج، حيال حكومة لا تلتزم بأي دستور أو قانون، وتبيح لنفسها استخدام العنف للرد على أية عملية احتجاج أو انتقاد؟. وما الذي يجب على الشعب عمله حيال هذه الخيانة للإسلام والشعب؟**

**وهكذا جاء الجواب عملياً، فمع إطلالة (الثورة البيضاء)، وبينما كانت الاحتفالات الواسعة تقام، وخاصة الليلية منها والتي أثلجت صدور النساء المتحررات والرجال الأحرار في البرلمان، تم اغتيال منصور، الذي كان محور الممارسات المعادية للشعب، وكان ذلك تحذيراً للنظام، حيث تبعهُ تصاعد العمليات المسلحة، ومقابل ذلك تصاعد عنف أجهزة الأمن ضد الشعب.**

**2ـ لمحة تاريخية عن تشكيل الهيئات المؤتلفة:**

**قلنا فيما مضى إن الإمام الخميني كان يحاول جعل النهضة الإسلامية شاملة لأنحاء البلاد كلها، ولهذا فقد بعث برسائل الى علماء المدن أطلعهم فيها على القضايا الجارية، ثم عمل على تقوية الاتصالات والتضامن بين العلماء، لنشر أخبار الحوادث بأقصى سرعة، وخلال الفترة الواقعة بين سجن الإمام ونفيه الى الخارج،عمل على تقوية المجموعات الصغيرة التي كانت بمثابة حلقات الوصل، والمؤلفة من الطلبة الجامعيين والتجار وباقي الفئات.[2]**

**كما جرى تشكيل هيئات مؤتلفة بعلم الإمام وموافقته، فقد أثبتت تجربة انتفاضة 5 حزيران أن النهضة بحاجة الى التنظيم، والحصول على الأخبار وردود الأفعال بسرعة أمر يحتاج الى شبكة اتصالات، وتوزيع منشورات بأقصى سرعة في أنحاء البلاد، وهذا من شأنه تفويت الفرصة على الحكومة في الكثير من الأعمال التي تريد القيام بها. المهم فإن فضح الحكومة وخططها وإرشاد الناس وهدايتهم، لا يمكن إلا من خلال مجموعات مؤمنة مخلصة ومضحية.**

**وقد كانت هذه المجموعات على اتصال بالإمام، لكن كلاّ منها لم يكن على علم بما تقوم به المجموعة الأخرى. فقد كانت كل واحد منها ترسل الى قم من يوصل الأخبار ويتسلم التعليمات ثم يعود الى طهران، وكان الإمام يتولى شخصياً مد هذه المجموعات بالتعليمات والإرشادات.**

**هذه المجموعات أدركت، وفي وقت واحد ضرورة إيجاد التنظيم، وطلبت في ذلك المشورة من الإمام، فقام بجمعهم معاً وتعارفوا، وأكد ثقته بالجميع، ثم أعلن عن تشكيل المجموعات أو الهيئات المؤتلفة. وكان نظام هذه المجموعات يختلف تماماً عن الاسلوب التنظيمي الشائع عند بقية الأحزاب والتنظيمات السياسية، كما لا يقوم عملها على أي أساس علمي جهادي، باستثناء العلائق والروابط الإسلامية، هذه المجموعات تأسست بموافقة الإمام وبدأت تعقد اجتماعات سرية، وقامت في البداية، بتقسيم تنظيمها الى قسمين:**

**الأول: اللجنة المركزية المؤلفة من 12 شخصاً،**

**والثاني: المجلس العلمائي الذي يضم في عضويته جمعاً من علماء الدين.[3]**

**وبعد نفي الإمام الى تركيا فكرت الهيئات المؤتلفة بالخروج من المرحلة الفكرية والتعليمية والتحول الى منظمة سياسية وعسكرية تعمل ضد النظام. وهكذا فقد اضيفت الى القسمين السابقين قسم ثالث هو الجناح العسكري. وأصبح عمل اللجنة المركزية هو دراسة الأوضاع ورفع تقرير الى المجلس العلمائي كما كان هذا المجلس يستعين باللجنة المركزية.[4]**

**أما الإمام فقد أكد ضرورة استقطاب الشباب الى الثقافة الإسلامية، وإيجاد عقبة في طريق محاولات النظام لجر الشباب الى الفساد والانحطاط، لكي يعرف الناس الإسلام الحقيقي. ولهذا عملت الهيئات المؤتلفة على عقد اجتماعات في طهران لتعليم الأصول الإسلامية، وكان على لجنة علماء الدين إعداد منهج تعليمي لهذه الاجتماعات وطبع كراسات لهذا الغرض.**

**وبعد توسع أعمال جمعية الهيئات المؤتلفة قامت بتأسيس (جمعية إعداد المبلّغين) التي كانت تقوم بتعليم المنتسبين في حلقات تضم كلٌّ منها 10 اشخاص. كما كانت الهيئات المؤتلفة تأخذ على عاتقها إيصال تعليمات الإمام ونداءاته بأقصى سرعة، وهذا ما ظل قائماً حتى النهاية.**

**3ـ قتل منصور على يد بخارائي:**

**تولّى منصور رئاسة الوزراء لمدة تقل عن سنة كما قام بتأسيس (حزب إيران الجديدة) على أساس التقدمية التي جاء بها، وبمساعدةٍ ومؤازرة من أعوانه المبهورين بالغرب، الذين أصبحوا فيما بعد دُمىً تربت على يد الإمبريالية، وادعوا أنهم يريدون تنمية الاقتصاد في إيران، فقام بوضع الخطة التنموية المبرمجة بشكل جديد. وكانت أولى خطواته المصادقة على قانون منح الحصانة القضائية للأمريكان ورفع سعر البنزين، كما قام بنفي الإمام من أجل توفير أجواء أثر استقراراً وهدوءاً لتنفيذ مآربه.**

**وفي (كانون الثاني 1965) عندما كان منصور قد وصل ذروة كبريائه وغروره، تلقى طلقات من مسدس محمد بخارائي، عندما كان يهم بدخول مبنى البرلمان، حيث أصدرت الحكومة بعد ساعات بياناً كما يلي:**

**(في الساعة العاشرة من صباح اليوم، وعندما كان حضرة السيد منصور رئيس الوزاء يهمُّ بالنزول من سيارته عند الباب الرئيس لمجلس الشورى الوطني فقد تعرض لعملية اغتيال من قبل شاب تشير المستمسكات التي وجدت في جيبه أن أسمه محمد بخارائي. وقد القى القبض على الجاني، كما نُقل السيد رئيس الوزراء الى مستشفى بارس حيث يؤكد الأطباء المعالجون ان حالته مُرضية و..)**

**وظلت البلاغات الطبية تصدر تباعاً، وكلها تشير الى تحسن صحة رئيس الوزراء، ولكن الحكومة أعلنت أخيراً، وفاة منصور وذلك بعد الانتهاء من الاحتفالات الذكرى الأولى لـ (الثورة البيضاء).**

**وكان آية الله الميلاني قد أصدر فتوى بقتل منصور، ونفَّذها الجناح التنفيذي للهيئات المؤتلفة.**

**4ـ تغيّر أساليب الجهاد:**

**الشاه وحكومته وجهاز الأمن (الساواك) كانوا يحسبون لاعمال المعارضة حسابها على أنها عبارة عن اضرابات وتظاهرات ومحاضرات وتجمعات عامة ومنشورات وبرقيات استنكار.**

**وكانوا يستخدمون ما أوتوا من قوة لقمع هذه المظاهر، كما كان الإعلام يعمل جاهداً للتعتيم على نشاطات المعارضة وطمسها. أما بعد نفي الإمام الى تركيا، فقد واجه النظام ظروفاً جديدة لم يكن يواجهها منذ القضاء على حركة (فدائيان اسلام) 1955م، خاصة وأن التحرك العسكري الجديد كان يتمتع بدعم شعبي واسع، وفي هذه مصيبة كبرى للنظام، فاغتيال منصور أوائل عام 1965 على يد الجناح العسكري للهيئات المؤتلفة، والهجوم المسلح على الشاه في قصر المرمر بعد شهرين من مقتل منصور، وتأسيس حزب الشعوب الإسلامية (حزب ملل إسلامي) بهدف تصعيد الكفاح المسلح. وانكشاف أمر هذا الحزب بعد عدة أشهر، كلها أمور لم يكن النظام يتوقعها بعد قيام ما يسمى بالثورة البيضاء.**

**ففي البداية، قررت مجموعة من الهيئات المؤتلفة ـ التي كانت تأخذ على عاتقها مهام الجناح العسكري ـ إنهاء أمر الشاه الى الأبد، وأعدّت ما يلزم لذلك، وحاولت تنفيذ ذلك (3) أو (4) مرات وفكر اعضاء هذه الهيئات مع أنفسهم أنه بعد مضي 60 يوماً على نفي الإمام يبدو أن اليأس بدأ يسيطر على الناس، لأنه لم يحدث شيء استثنائي خلال هذه الستين يوماً.**

**وفي أحد اجتماعات هذه المجموعات، تقرر القيام بعمليات اغتيالات بدءاً بمسؤولي الدرجة الثانية، حيث تم تحديد أسماء 11 مسؤولاً وكان رئيس الوزراء حسن علي منصور على رأس القائمة.**

**وعن علاقة اغتيال منصور بنفي الإمام، قال بخارائي في المحكمة: (إن اعتقال مجموعة أشخاص أو إعدامهم أو نفيهم أو تعذيبهم لا يحل أية مشكلة. أنتم تريدون مكافحة المعلول، بينما الإسلام علّمنا أن نواجه العلّة ونكافحها، ونحن نهضنا لمواجهة العلّة. عليكم أن تعثروا على علة قتل منصور.**

**إنّ العلّة هي نفي آية الله العظمى الخميني، إن قتلتموني فهناك من أمثالي الكثيرون، وكونوا على ثقة بأنكم لن يقرّ لكم قررا ما دام الإمام منفياً في الخارج).**

**ثم سأل رئيس المحكمة المجاهد بخارائي: لماذا قتلتم منصور؟ هل تتصورون أنه السبب الأصلي في نفي الإمام؟ فأجاب: (كلا، فالسبب الأساس هو الشاه نفسه، وقد حاولنا اغتياله ثلاث مرات وقد كتبنا على أسلحتنا: إن أول شخص يجب أن يقتل هو الشاه، لكننا لم ننجح في ذلك، ولم نجد من بعد الشاه إنساناً أقذر وأرذل من منصور، الذي ساهم في نفي الإمام، ثم قام بتسويغ هذا النفي.**

**وعندما سأله رئيس المحكمة: (كنتم قد قرّرتم أن تكون الطلقة الأولى في بطنه والثانية في رأسه، فلم ضُربت حنجرته بالطلقة الثانية بدلاً من رأسه؟ فأجاب بخارائي: (لقد اصبت بطنه في الطلقة الأولى، ثم تبادر الى ذهني أن الحنجرة التي وجهت الإهانة الى آية الله العظمى الخميني يجب أن تتمزق، ولهذا فقد جعلت الطلقة الثالثة ـ بدل الثانية ـ في رأسه).**

**وعندما سأله رئيس المحكمة: (بأي فتوى قمت بقتل منصور) أجاب بخارائي: (خطاب الإمام يوم 4 آبان( 26 تشرين الأول) كان بمثابة فتوى ملزمة لجميع أفراد الأمة. فقد أصبح من الواجب على كل إنسان مسلم مؤمن عاقل أن يذيق هؤلاء الخونة جزاءهم العادل).**

**وفي النهاية، حكمت المحكمة على بخارائي وثلاثة من إخوته المجاهدين بالإعدام.**

**5ـ حزب الشعوب الإسلامية (ملل اسلامي):**

**في ظروف بلغ فيها الكبت ذروته، أعلنت أجهزة أمن الشاه عن كشف شبكة كانت تنوي إيجاد حركة مسلحة، وكان الإعلان عن كشف مجموعة شباب ينوون العمل على إسقاط النظام يعد ـ بحد ذاته ـ ضربةً موجعةً للنظام الذي تصور أنه قد سدّ الطريق أمام أية نهضة شعبية بعد إعلانه (الثورة البيضاء)!**

**وحزب (ملل اسلامي) ـ وكما يدل عليه اسمه ـ حركة اسلامية مسلّحة، وقد عمل نظام الشاه من أجل التعتيم على وجود هذا الحزب بعد كشفه، وظل الأمر يعود دون إعلان رسمي مدة ثلاثة أشهر بعد اعتقال اعضائه، لكن الناس تنتبهوا الى أن جبال (شميران) وشاه آباد الواقعة في شمال طهران محاصرة من قبل قوات الأمن والجيش، كما أن بعض الطرق مغلقة، وتقف في بعضها الآخر دوريات للتفتيش.**

**محاكمة أعضاء هذا الحزب تمت بشكل علني في محكمة عسكرية بطهران حيث قال المدعي العام العسكري في لائحة الاتهام خلال إحدى جلسات المحكمة:**

**(منذ مدة لفت نظر الأجهزة الأمنية تحركات مشبوهة لمجموعة من الشباب، وفي 3/ تشرين أول/ 1964م تم اعتقال شاب مشكوك فيه حيث وجدت في حقيبته مجموعة منشورات، وبعد التحقيق معه، قام بإرشاد قوات الأمن الى مقر اللجنة المركزية للحزب، فتم اعتقال بعض الأعضاء وهرب جمع آخر منهم الى جبال شمال طهران (شميران). بعدها تم كشف مخبأ واعتقل 69 شخصاً فيه، أطلق فيما بعد سراح 64 من بينهم، والوثائق التي عُثر عليها تشير الى أن هذا الحزب سري جداً.**

**كما أن الهدف الأصلي الذي يسعى إليه قادة الحزب، هو إقامة حكومة إسلامية. وكانوا ينوون دفع الناس الى العمل المسلح ولذلك فقد طلبوا المساعدة من دولة أخرى. أعضاء هذا التنظيم يعتقدون أن الاستيلاء على الأسلحة من الحكومة أمرٌ مشروع وجائز. معدل أعمار أعضاء هذا الحزب عشرون عاماً، وأغلبهم من الطلاب، وخريجي الجامعات والمعاهد، وينتمون الى عوائل دينية معروفة..).**

**وكان زعيم هذا الحزب (الذي أعطى لنفسه لقباً كبيراً) يفتقد الى مؤهلات القيادة، فقد بدأ نشاطه عام 1961 بتجميع عدد قليل جداً من الشباب ذوي الأفكار المتقاربة. وبعد انتفاضة 5 حزيران نشطت هذه المجموعة وبدأت تكسب إليها الشباب حيث كانت أعمار الأعضاء أقل من العشرين عاماً، وأغلبهم يفتقد التجربة في النشاطات السياسية. ويتمثل هدف الحزب في العودة الى الإسلام والقرآن، وتضامن الشعوب الإسلامية عن طريق الثورة.**

**6ـ عملية قصر المرمر في 10 نيسان 1965:**

**في الساعة التاسعة من صباح يوم 10/ نيسان/ 1965م وقعت حادثة في قصر المرمر وهو أحد قصور الشاه. فقد كان الجندي المكلّف رضا شمس آبادي الذي يقف (وفقاً لخطة مسبقة) في مكان توقف سيارة الشاه قدومه، كان مستعداً لإطلاق الناس على الشاه، لكن الذي حدث هو أن الشاه لم يترجل من السيارة عبر الباب المواجه لشمس آبادي مما اضطر الأخير الى الالتفاف حول السيارة، وذلك ما اتاح للشاه الابتعاد عن شمس آبادي والإسراع بدخول مبنى القصر وبالرغم من ذلك، تبعه شمس آبادي الى الداخل وصوب بندقيته إليه وأطلق الرصاص باتجاهه إلا أنه لم يستطع قتله لأن اثنين من أفراد حرس الشاه الخاص أصاباه بنيران سلاحيهما، فأصيب شمس آبادي في هذه العملية.**

**وهكذا، فقد اهتز الشاه مرةً أخرى هلعاً من اصوات الرشاشات التي لعلع رصاصها داخل قصره، بعدما تصور أن قمع مجموعة بخارائي قد أنهى أعمال العنف، مما سيتيح له مواصلة حياته وحكمه دون منغصات.**

**هذه العملية جسدت درجة التذمر الشعبي وشدة الكبت الذي كانت تعانيه الأمة، والذي كان يمكن أن يتفجر في أية لحظة. لذلك فقد سعت الحكومة الى الحيلولة دون انتشار خبر هذا الحادث، لكنه لم يكن بالأمر الذي يمكن التعتيم عليه أو إنكاره، فالحادث وقع في قصر المرمر وسط المدينة، وأصوات العيارات النارية أثارت انتباه جموع كبيرة من الناس المارين في الشوارع المحيطة بالقصر، وسرعان من انتشر الخبر كالبرق، وبدأ الناس يتحدثون عن اغتيال الشاه، مما دفع النظام الى القيام بالتمويه على العملية.**

**فنشرت الصحف خبراً جاءها من مديرية الأمن قالت فيه: (حدث شجار بين عدد من الجنود في قصر المرمر وتطور الأمر الى إطلاق النار مما أدى الى مقتل عدد من الجنود..).**

**وفي اليوم التالي ظهر خبر آخر، لتعديل كذبة اليوم السابق جاء فيه:**

**(عندما كان معالي الشاه يهم بدخول مكتبه في قصر المرمر، قام جندي يبدو أنه أصيب بجنون آني بإطلاق النار، مما أدى الى مقتل اثنين من الحراس واثنين من فلاحي القصر، كما قُتل الجندي نفسه أيضاً).**

**وفي الشهر التالي، أعلن أن مجموعة مؤلفة من ستة أشخاص هي التي دفعت رضا شمس آبادي الى إطلاق النار، كما اعتقل شخصان آخران لعلاقتهما بهذه العملية. وهكذا بدأت محاكمة مجموعة مؤلفة من 14 شخصاً في شهر تشرين أول 1965. وبعد شهر من المحاكمات، حُكم على شخصين بالإعدام على ثالث بالسجن المؤبد وعلى تسعة آخرين بالسجن من 6 ـ 8 سنوات. كما أطلق سراح الشخصين الباقيين. أما المحكومان بالإعدام فقد تم تخفيف الحكم بحقهما العلم السلطات أنهما لا علاقة لهما بالحادث.**

**إنّ ما قام به شمس آبادي، ومع الأخذ بنظر الاعتبار وضعه العائلي وسوابقه، يكشف الى حد بعيد مدى تحمس المشاعر الدينية للناس للاعلان عن رفضهم واحتجاجهم على النظام، فالبرغم من أن شمس آبادي لم يكن عضواً في تنظيم اسلامي، إلا أ، ما قام به يستحق التأمل، باعتباره تصرُّفاً أقدم عليه شخص ملتزم دينياً. وقد يكون قتل منصور هو الذي دفعه للتفكير بقتل الشاه، خاصة إذا عرفنا أنه لم يكن له علاقة بالمجموعة اليسارية التي كانت تخضع للمحاكمة آنذاك.**

**كما كانت هناك مجموعة صغيرة أخرى رفعت شعار(الاشتراكية الإسلامية) وأطلق أعضاؤها على أنفسهم اسم (الاشتراكيون العابدون لله) وذيلت اسمها بعبارة (الجبهة الوطنية لتحرير إيران) واختصارها (جاما). هذه المجموعة كانت لها ميول للعمل المسلّح، وفي منشور اصدرته، تحدثت عن الكفاح المسلّح حتى أنها نشرت موضوعاً حول كيفية صناعة المتفجرات، والحقيقة إن هذه المجموعة كانت تدعو الى العمل المسلح بطريقة سليمة. وقد اعتقل اعضاؤها أواخر 1965 وحُكم عليهم بأحكام خفيفة نسبياً.**

**كما كانت هناك حركات معارضة وإسلامية بالخصوص في تلك الفترة، ولأنها لم تتعرض للاعتقالات والمحاكمات، وبعضها كان يعمل تحت واجهات غير سياسية، فقد أحجمنا عن التطرق إليها هنا. لكننا شهدنا حركة احتجاج أخرى عام 1965 اتخذت صبغة انتفاضة عشائرية، انتهت بإعدام سبعة من شيوخ عشائر الجنوب.**

**وفي السنوات التالية، ظهرت حركات مناهضة أخرى. حيث اعتقل عدد من أعضائها، كما قُتل بعضهم خلال اشتباكات في الشوارع، إضافة الى إعدام أعداد منهم بعدما أدانتهم المحاكم العسكرية بالمعارضة المسلّحة للنظام.**

**وفي السجون ومراكز أجهزة الأمن، مورست أبشع صور التعذيب بحق المعتقلين. ففي هذه المرحلة، اتخذت عملية المعارضة شكلين: المعارضة والعمليات الفردية، والمعارضة الجماعية.**

**ومن حيث الأسلوب يلاحظ اسلوبان:**

**الأول: الأسلوب العلني السياسي.**

**والثاني: الأسلوب السري المسلح.**

**أما من الناحية الفكرية، فيمكن تقسيم المعارضين الى قسمين:**

**الأول: المعارضون الإسلاميون.**

**والثاني: المعارضون ذوو الأفكار والمعتقدات المادية.**

**وقد تصدى للجهاد في هذه الفترة شباب أغلبهم ساهم بشكل من الأشكال في المعارضة منذ عام 1960 ـ 1964، كما أن بعضاً منهم له سابقة أطول في الجهاد، فقد انتمى الى الأحزاب والجمعيات الإسلامية للطلاب أعضاء كثيرون. وكان الشباب يرون أن النظام لا يعبأ بمصالح الشعب، وهو نظام عميل للأجانب بالكامل ويفتقد الشرعية، ويسنّ قوانين مخالفة لمصالح الشعب ويطبّقها بالحراب والقوة، نظام وضع موارد الشعب تحت تصرف الكارتلات والشركات العالمية الناهبة، بينما يعيش أكثر أبناء الشعب الإيراني غارقين في الفقر والجهل والبطالة والمرض في أغلب مناطق البلاد فيما لا يفكر جلاوزة السلطة إلاّ بمواصلة حكمهم والحفاظ على مناصبهم ويستخدمون الإعلام الكاذب الخادع. والصحافة والإذاعة والتلفزيون كلها في خدمة الحاكم، ولا وجود للحرية، والعدالة مفقودة، والتمييز قائم على قدم وساق.**

**الشباب الذين كانوا يدركون هذه الأوضاع بل يلمسونها عن قرب ودرسوا واطلعوا على كفاح الشعوب الطويل ضد القوى الحاكمة، وصلوا الى هذه النتيجة وهي وجوب القيام بالتحرك المسلح.**

**فقد كان ثبات شعب فيتنام مقابل الاحتلال الأمريكي، والكفاح الطويل للشعب الجزائري من أجل نيل الاستقلال، والثورة الشعبية في كوبا والإطاحة بنظام باتيستا الأمريكي، كلها كانت نقاطاً مضيئة تلهب حماس هؤلاء الشباب، خاصة وأن هناك جوانب إيجابية أخرى تتمتع بها إيران كالقوة الدينية ومسألة الجهاد والشهادة والمرجعية القائدة ودورها في تحريك الأمة.**

**وبعد انتفاضة (5) حزيران بفترة قصيرة، فكر بعض هؤلاء الشباب أن بإمكانهم استغلال الأرضية الدينية المتوفرة لدى الأمة، حيث تشكلت ـ كما أشرنا سابقاً ـ مجموعات عديدة كانت تتأهب لخوض الكفاح المسلّح أو هي بدأت فيه بالفعل، حتى أن عدد المجموعات المسلّحة التي سقطت في شراك الساواك بلغ عشرين منظمة مسلّحة الى ما قبل عام 1971م.**

**وفيما يلي سنتعرف على مجموعتين أو منظمتين هما مجاهدو الشعب (مجاهدين خلق) وفدائيو الشعب (فدائيان خلق) اللتان كانتا تدرسان الوضع القائم من منطلقين فكريين مختلفين، وسنرى كيف أن أجهزة أمن الشاه استطاعت القبض على أنشط شباب هاتين المجموعتين قبل أن يقوموا بأي عمل ضد النظام، ومارست بحقهم التعذيب، وقضت عليهم.**

**وفي الأعوام (1971 ـ 1975) استطاع من تبقى من هاتين المجموعتين الدخول في اشتباكات مسلّحة مع النظام، وقد كان اسلوب عمل هاتين المجموعتين متبايناً، كما كان متضاداً في بعض الأحيان، الأمر الذي جعلهما عاجزتين عن توجيه ضربة قاضية للنظام.**

**وطبيعي أننا نتطرق هنا الى التاريخ السياسي لأحزاب واجهت النظام الحاكم، وعلى هذا فإننا سنقوم بدراسة النقاط الايجابية ونقاط الضعف وطريقة التنظيم والأهداف والانحرافات والعديد من المسائل الأخرى من وجهة نظرنا الخاصة، كما أن أياً من هذه الأحزاب والمنظمات لا يمكن مقارنتها بالنهضة الإسلامية للإمام الخميني لأن هذه النهضة قد استندت الى مدرسة التشيع ونمت معتمدة على المرجعية، وشكلت سيلاً جارفاً أطاح ـ فيما بعد ـ بالنظام الملكي وأعوانه، وأصبحت هذه النهضة خصماً للقوى العظمى وقدمت الإسلام كقوة منقذ ة لا تعتمد على الشرق أو الغرب، وبهذا فقد ألقت هذه النهضة بظلالها على باقي التنظيمات والحركات وانقذتها فهي نهضة تمتد جذورها الى ما قبل 1400 عام وهي قائمة على أساس التعاليم الإسلامية والمصلحة العامة.**

**وطبيعي أن تبلور النهضة الإسلامية في عصرنا الحاضر، وبتوجيه وقيادة من قائد وأمام اسلامي توفرت فيه الشروط المطلوبة قد حدد وبين الواجب الإنساني والإسلامي لكل إنسان، لذا يتوجب على الجميع عدم الدخول في خطوط انحرافية، أو إقامة روابط وصلات معها.**

**والأمر اضح ولا يحتاج الى تفصيل أكثر، فالحزب حتى ولو كان يستند الى آيديولوجية دينية فإنه يحتاج الى تشكيلات وأساليب تنظيمية وعمليات استكشاف للأشخاص وتسجيلهم في عضوية الإمام والمرجعية الشيعية فكان صدور نداء واحد يكفي لجميع ملايين الملتزمين، وهم على استعداد للتضحية بأرواحهم وأموالهم عند الضرورة، دون أن ينتظر أحدٌ منهم أجراً على ذلك، ودون الحاجة الى تسجيل اسمه مسبقاً والتعرُّف عليه والسؤال عنه. وهذه إحدى خصوصيات الشعب الإيراني التي لا تؤخذ بنظر الاعتبار عادة.[5]**

**7ـ منظمة مجاهدي الشعب (مجاهدين خلق):**

**مؤسسو هذه المنظمة[6] كانوا يعتقدون أن الكفاح يجب أن يكون منظماً، ويجري فيه تحديد الهدف وتدريب أفراد الكادر على تحمل مسؤوليتهم، وأن يكون للتنظيم صورة واضحة عن طبيعة فئات الشعب والقوى المناضلة فيه، وأن تتم عملية كسب الأفراد بدقة متناهية، وأن تبدأ العملية بالأفراد الأقرب الى التنظيم.**

**وخلال الأعوام من 1965 ـ 1967م بدأوا عمليات بناء التظيم والتثقيف الآيديولوجي السياسي، وكانوا يدّعون أن المنظمة توصلت الى فهم جديد للآية { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[7].**

**وكانت الخطوة الأولى لهذا التنظيم؛ دراسة الانتفاضات والنهضات السابقة، والقيام بالتدريب العسكري للأفراد، خلال المرحلة النظرية. وفي أوائل 1970م بلغ عدد أعضاء المنظمة حوالي (50) عضواً[8] يمرون بثلاثة مراحل، هي الفكرية والسياسية والعسكرية، ولأجل الحصول على تدريبات عسكرية، فقد كانوا يرسلون الأعضاء الى معسكرات التدريب الفلسطينية فرادى أو على شكل مجموعات مؤلفة من (2 ـ 6) أشخاص.**

**وبعد واقعة سياهكل واعتقال جمع من أعضاء منظمة (فدائي خلق) التي سيأتي الحديث عنها، وإدراك منظمة (مجاهدين خلق) عدم جدوى الريف للعمل السري، بدأ أعضاؤها يفكرون بالقيام بالعمليات العسكرية داخل المدن، وقد حاولوا إقران هذه العمليات باحتفالات الذكرى الـ 2500 للتتتويج. ومن أجل الحصول على الأسلحة، اتصلوا بشخص كان يعمل في الساواك هكذا كُشف أمرهم، وفي أيلول 1971م تم إلقاء القبض على الكادر المركزي في أحد الأوكار، دون أن تطلق رصاصة واحدة. أما الذين نجوا من الاعتقال فقد واصلوا بناء التنظيم.**

**وفي أوائل 1975، حدثت خلافات فكرية داخل التنظيم وجرت تغييرات مهمة انتهت بتغير أسلوب النضال كلياً.**

**8ـ منظمة فدائي الشعب(فدائي خلق):**

**في شهر آذار 1971 اعلنت هذه المنظمة وجودها وسمع الناس بهذا الأسم لأول مرة. وقد نتجت هذه المنظمة عن اتحاد مجموعتين من الميليشيات كانت تشكل الأفكار الماركسية ـ اللينينية الآيديولوجية الرئيسية لهما، ومن خلال أدبيات الحركة التي نشرت فيما بعد، ادعوا أنهم لا يقبلون بالقيادة العالمية لروسيا، ويعلنون رفضهم للسياسة الروسية بعد ستالين، كما كان لبعضهم ميول الى الصين، لكنهم كانوا يدعون أن المنظمة مستقلة عن العالم الشيوعي.**

**وفي كانون الثاني عام 1968 اعتقل جزني وسوركي دون أن يصدر من الحركة أي رد فعل حيال النظام، وفي ذلك العام والأعوام التي تلته، تم كشف بعض أعضائها واعتقالهم، حيث حُكم عليهم بالسجن لمدة مختلفة. أما المتبقون منهم فقد أعادوا التنظيم وشكّلوا مجموعات الجبال والمدن والامداد والاتصالات، والمجموعات الفنية والعلمية، واتجهوا الى القرى والغابات تحت ستار البحوث العلمية، واتحدوا مع مجموعة أحمد زادة، وقاموا بإرسال المجموعة الأولى الى غابات الشمال ليزيدوا من تدريباتهم ودراستهم للمنطقة، وكذلك لتأمين طرق توفير المواد الغذائية لهم، لكن المجموعة وقعت في شراك الحكومة في بداية الأمر، بسبب عدم تمركزهم في مكان آمن.**

**كما أن الاتصال بالمدينة كان يتم بصعوبة ولهذا فقد شكّ أهل المنطقة بأمرهم وتصوروا أنهم من السرّاق فاعتقلوا مسؤول الاتصال بين القرية والمدينة. وهكذا أصبحت المجموعة معرضة لهجوم بسبب احتمال كشف أمرهم من قبل صاحبهم المعتقل، فهاجموا مخفر شرطة سياهكل واستولوا على الأسلحة الموجودة فيه، وتراجعوا داخل الغابة، فقام أزلام النظام بمحاصرة الغابة وإحراق المناطق المشتبه باختبائهم فيها، وبعدة اشتباكات استطاعوا القبض على جميع أعضاء المجموعة وإعدامهم. وبهذه التجربة الفاشلة تخلّت المنظمة عن مشروع حرب العصابات انطلاقاً من الريف.**

**وبعد حادثة سياهكل، أصبح الأمر أكثر صعوبة بالنسبة الى الذين كشف (الساواك) أمرهم، لأنه قام بطبع صورهم وأعلن عن منح جوائز لمن يقبض عليهم، أما هؤلاء فقد كانوا يعيشون في أوكار سرية ويموّهون على أمرهم بوضع نساء وبنات معهم في هذه البيوت.**

**9ـ المجموعات المسلحة الأخرى:**

**شهدت تلك الفترة نشاطات مسلحة لمجموعات اخرى غير التي تطرقنا إليها، حيث ظل بعض هذه المجموعات غير معروف. ويعتبر السيد (علي اندرزگو)[9] من بين الأفراد الذين كانوا يعملون بدون تنظيم سياسي بل كان يقوم بالتنسيق بين المجاميع الجهادية، كما كان نشيطاً في مجال إيصال السلاح وغير ذلك من النشاطات الجهادية. والسيد (علي اندرزگو) طالب علم في الحوزة، خاض الجهاد السري مدة (16) عاماً، لكنه قُتل برصاص أزلام النظام قبيل انتصار الثورة الإسلامية، ثم تعرّض الأشخاص العشرون الذين كانوا يرتبطون به للاعتقال، حيث وُجدت بحوزتهم منشورات وتعليمات من الإمام الخميني.**

**وفي الفصول القادمة سنتطرق الى النشاطات الجهادية الأخرى التي حدثت بعد عام 1971، سواء المسلحة منها أو غير المسلحة.**

**ــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] حسن علي منصور هو ثالث رئيس وزراء يُقتل في عهد الحركة الدستورية بسبب خيانته للبلاد، فقد قُتل قبله الميرزا علي أصغر خان أتابك في السنة الثانية للحركة الدستورية (المشروطة)\* كما قُتل أيضاً علي رزم آرا برصاص أحد أفراد الأمة.**

**[2] من الفئات التي لها سوابق جهادية وسياسية, وتحركها القوة الدينية الإسلامية؛ فئة لم تدرس في المدارس الحكومية لكنها تكنّ الاحترام الفائق والتقدير لعلماء الدين وخاصة المجاهدين منهم، وأفراد هذه الفئة مستعدون للتضحية بمختلف الصور. بعد وفاة آية الله الكاشاني، التفّ هؤلاء حول الإمام الخميني، وأفراد النواة الأساسية للهيئات المؤتلفة هم من أبناء هذه الفئة، وأسلوب عملهم قريب من أسلوب(فدائيان اسلام) بزعامة نواب صفوي ومن أبرز أفراد هذه الفئة: الشهيد مهدي عراقي، وعسكر أولادي وغيرهما، حيث سجنوا لفترات طويلة وجسدوا باستقامتهم خلال فترة السجن ولاءهم واتباعهم لخط المرجعية وسياسة الإمام الخميني.**

**[3] من علماء الدين الأعضاء في هذه الهيئات: الأستاذ الشهيد المطهري، والدكتور البهشتي والأنواري والمولائي وغيرهم.**

**[4] الإمام الخميني كان على رأس جمعية الهيئات المؤتلفة وكان يعطي الرأي النهائي في المشاكل والأمور التي يواجهونها، ويأتي بعده بالدرجة الثالثة المرحوم آية الله الميلاني حيث كان يدعمها هو الآخر.**

**[5] صحيفة جمهوري اسلامي / العدد 129/ الاثنين 4 آبان 1358( 5 تشرين الثاني 1979).**

**[6] محمد حنيف نجاد، وسعيد محسن، وعلي اصغر بديع زادكان، هم طلبة جامعيون لم يقتنعوا بأسلوب عمل الجبهة الوطنية، وحركة الحرية، فلجأوا الى تأسيس منظمة مسلّحة هي مجاهدو الشعب.**

**[7] كتاب (شرح تأسيس وتاريخچه سازمان مجاهدين خلق إيران از سال 1344 تاسال 1350) ص 29(فارسي).**

**[8] كتاب( تحليلى بر سازمان مجاهدين خلق ايران) ص 36 (فارسي).**

**[9] مجلة (عروة الوثقى) العدد 79 ـ 9 مرداد 1359(31 تموز 1980) كتبت عن الحياة السرية للشهيد (آندرزگو) منذ مقتل منصور والحكم عليه غيابياً بالإعدام، حيث كان عضواً في الهيئات المؤتلفة، وكان بحوزته 23 جنسية وجواز سفر بأسماء مستعارة، حيث اتعب الساواك لفترة طويلة، وقد سافر الى العراق والسعودية ولبنان وافغانستان مرات عديدة، وفي إيران كان ينتقل من مدينة الى أخرى للاتصالات الجهادية وإيصال بيانات الإمام.**

**الفصل الثامن**

**حكومة هويدا وانتشار الفساد**

**1ـ نظرة عامة على وضع النظام في عهد هويدا:** **في 26/ 1/ 1965م كُلّف أمير عباس هويدا بتشكيل الحكومة. فقد كان وزيراً للمالية في حكومة منصور، ومن أصدقائه المقربين جداً، حيث كانا معاً عام 1960 عندما قام منصور بتشكيل رابطة التقدميين. وفي انتخابات مجلس النواب في دورته الحادية والعشرين، حيث كان مقرراً أن يفوز التقدميون بأغلبية المقاعد، لم يكن هويدا يرغب في أن يصبح نائباً في المجلس بل فضّل الاحتفاظ بمنصبه كمدير لشركة النفط بعيداً عن الأنظار، لكنه وبعد تشكيل المجلس واختيار منصور لرئاسة الوزراء صارت وزارة المالية من نصيب هويدا. وهويدا لم يكن إيران الهوى، شأنه في ذلك شأن الكثير من نظرائه في النهج والأسلوب، ولم يكن يعرف الشعب الإيراني جيداً، ولا يعرف التكوينة الداخلية لفئات هذا الشعب وطبقاته، بل عاش في الخارج منذ طفولته وعرف إيران من خلال الكتب الفرنسية، لذلك اختار وزارة المالية الخارجية وشركة النفط للعمل فيهما، كي يكون على صلة بالأجانب. كما أن هذين المنصبين كانا يدران عليه أموالاً طائلة، إضافة الى زياراته المتكررة الى الدول الأخرى، كان هويدا ينشد مجتمعاً تعمُّه الحرية الجنسية المطلقة، ويحب أن يقضي ساعات طويلة في الجلوس بين النساء، يضحك ويلعب ويلهو معهن وهن نصف عاريات.** **أما الدين وضبط النفس والتقوى والحجاب والأخلاق عموماً فكان يعتبرها قيماً قديمة بالية تتعب روح الإنسان وتسوق المجتمع إلى الانحطاط. وكان يحب ارتداء الملابس الأنيقة وواضعاً وردة خاصة على صدره، ويهوى العيش بكل حرية بعيداً عن كل أشكال القيود والالتزام الاجتماعي وحتى الديني والعائلي، وإذا سنحت له الفرصة فإنه يقضي بعض الوقت في المطالعة. كان هويدا يحب أن يكون منفذاً فقط؛ يتسلّم المشاريع والخطط من الآخرين ويقوم هو بتنفيذها. ويمكن القول إن هويدا لم يقرأ الدستور الإيراني ولو لمرة واحدة، لأنه لم يكن بحاجة إليه أبداً.** **وقبل تسلُّمه منصب رئيس الوزراء، لم يَرَ مدن البلاد المحرومة أبداً، بل أنه لم يكن يعرف حتى طهران جيداً، علاقاته كانت مقتصرة على سكان القصور في طهران وشمال البلاد وفلوريدا ونيس وباريس من ذوي الأموال الطائلة المستحصلة من كدح أبناء هذا الشعب الفقير، الذين يعتبرون السفر الى أوروبا وأمريكا كزيارة بيت أحد الأصدقاء في طهران، وكان يعتقد أن قدر الشعب هو الذلة والخضوع، ولم يكن يروق له أن يطالب هؤلاء بحياة أفضل، أو الحصول على حقوقهم الإنسانية.** **ولم يكن هويدا يرغب بالزواج أبداً، إذ يعتبر ذلك التزاماً وقيداً لا معنى له. وبالرغم من أنه رضخ للزواج خلال توليّه منصب رئاسة الوزراء، إلا أن هذا الزواج فشل بعد عامين أو ثلاثة. فهو يريد لنفسه حرية أكثر. أما عضويته في الجمعية الماسونية فتعكس الاتجاه الذي اختاره لنفسه مسبقاً وتوضح الهدف الذي كان يروم تحقيقه. وبشأن علاقة انتخابه لرئاسة الوزراء بعضويته في التنظيم الماسوني فيجب أن تجيب عنها الوثائق والمستمسكات التي تُذكر فيما بعد (لأن أغلب رؤساء الوزراء كانوا أعضاء في هذه الجمعية).** **وعلى أية حال فإننا لا يمكن أن نعتبر أعضاء هذه الجمعية إيرانيين لأنهم يؤدون ـ عند انتمائهم لها ـ اليمين بأن يخدموا الأجنبي، فكيف يمكنهم خدمة إيران!؟** **وبموت منصور، احتل هويدا مكانه وابقى على الوزراء جميعاً، ولم يكن أحد يتصور أن حكومته ستستمر أكثر من ثلاثة أشهر، إلا أن ما حدث كان العكس تماماً. إذا استمر بالحكم مدة 13 عاماً قام خلال بإجراء تغييرات وزارية أربعة وعشرين مرة، إذ لم يبق منهم خلال هذه الأعوام إلا (آموزگار) الذي حلّ مكانه فيما بعد. مدة حكمه تزامنت مع الدورات 21و 22و 23 و24 للمجلس، باستثناء السنة الأولى من الدورة (21) والسنتين الأخيرتين من الدورة (24).** **وفي عهد حكم هويدا، جرت انتخابات ثلاث دورات للمجلس بينما لم يشعر الشعب بإجراء انتخابات أبداً، كما لمي شعر أنه يتمتع بحق انتخابات ممثليه. وقد واصل هويدا زعامة حزب إيران الجديدة، الذي أسسه صديقه منصور، مدة عشر سنوات، أي حتى عام 1974، حيث كان رئيساً للمجلس التنفيذي للحزب. وبعد ذلك، تولى ـ وبأمر من الشاه ـ منصب الأمين العام لحزب (رستاخيز) أي البعث، وبدأ يدافع عن هذا الحزب المعادي لمصالح الشعب، وظل كذلك مدة عامين.[1]** **ولم يَرَ هويدا من تلك المجالس التشريعية غير الطاعة العمياء، فلم يشهد المجلس أي اعتراض إلاّ في عام 1970م أي في نهاية الدورة (22) للمجلس، عندما قدم أحد نواب (الأقلية) ـ كما يسمونها ـ استيضاحاً حول قضية البحرين، وحتى هذه المسألة كانت تحيطها علامات الاستفهام.** **وقد رأس المجلسين(النواب والشيوخ) خلال عهد هويدا شخصان ظلا حتى النهاية هما (رياضي) و(شريف امامي)،حيث توليا هذين المنصبين، وفي نهاية حكمه، كانا أيضاً في هذين المنصبين.** **لقد سعى هويدا دائماً الى التظاهر أمام عدسات الصحفين والتلفزيون بمظهر رئيس الوزراء المستقل الساعي الى جعل إيران بمستوى باقي الدول، وأنه ليس بالرجل الذي ينفذها ما يلي عليه الآخرون. كان يحب إظهار نفسه وكأنه خادم لدى الشاه، ويُظهر الشاه وكأنه القائد الملهم والمدبر الذي يجب أن تُطاع أوامره دون أية مناقشة أو اعتراض. كما صرّح مرات عديدة بأنه ينفّذ أوامر المسؤول الأعلى في البلاد، الذي يصنع لهذا البلد تاريخه ويسير به نحو التمدن والرقي.** **وفي بداية حكمه، كان هويدا عاجزاً عن الخطابة، بل كان يقرأ ما يُكتب له، لكنه تعلّم شيئاً فشيئاً أن يرتّب عدة جمل ويلقيها، فليس المهم ماذا يقول، بل المهم أن يتحدث ويطلق الهراء ما استطاع.** **كان يتحدث دائماً عن مستوى الإنسان الإيراني ويتساءل: اين وصل الإيراني وماذا قدّم وما الذي سيقدمه في المستقبل؟ لكنه كان موقناً في قرارة نفسه أن التقدم والتكنولوجيا والعلم والفن هي في الغرب فقط، وهي حكر عليه، والغرب هو الذي يهب لإيران كل هذا التقدم والعلم، ولهذا فإنه يعتقد بضرورة فتح أبواب إيران على مصراعيها أمام ما يقرر الغرب إرساله إليها من بضائع، وزيادة كمية النفط المصدر الى أقصى حد ممكن، وكان يخشى أمراً واحداً وهو أن تقوم الشركات الاحتكارية بتقليل كمية النفط المستخرج.** **وبالرغم من أنه كان يعتبر نفسه متخصصاً في شؤون النفط والاقتصاد عامة، إلا أن البلاد شهدت في عهده انحطاطاً وتراجعاً كبيراً على الصعيد الاقتصادي. لكنه لم يكن ـ خلال محاكمته في محكمة الثورة ـ يتحمل المسؤولية كلها، بل يعتبر نفسه فرداً واحد من نظام حاكم. إذ قال (لست وحدي المسؤول، بل كل رجال الحكم والدولة من نواب ووزراء وقضاة هم المسؤولون) وكان يركّز في حديثه على رئيس ديوان القضاء الأعلى، إذ كانت طبيعة النظام تقتضي ذلك، لكنه نسي بأنه وحكومته، كانوا يتجاهلون كل اشكال التحذير، إذ كان يعتبر نفسه على رأس الأمور كلها، وهو المتولي للقيام بما يعجز عنه الآخرون.** **لقد قامت حكومة هويدا(13) ميزانية ذات أرقام كبيرة وخيالية الى المجلس طيلة حكمه، وقام بأنجاز بعض المشاريع العمرانية في الظاهر، وفي عهده ـ ووفقاً للإحصاءات التي يقدمها ـ ازدادت أعداد طلاب المدارس والجامعات بعدة ملايين، كما بنيت السدود، واشترت إيران الطائرات، وشُقّت الطرق، وانشِئت المطارات، وتوسّعت شبكات الاتصالات الهاتفية والتلغرافية ومنشآت الإذاعة والتلفزيون، حيث بدأت تغطي معظم أرجاء البلاد.** **كما صودق في عهده على قوانين جديدة للإصلاح الزراعي.** **وقام بإدخال ما يسمى بـ(جيش العلم) الى القرى وأوصل عدده الى عشرات الآلاف، كما قام بتشكيل جيوش الصحة والعمران والإسكان، وبيت الإنصاف وحتى جيش الدين، وقدم أرقاماً خيالية على جميع هذه الصُعُد وعلى صعيد ازدياد أعداد الجامعات والمعاهد العالية والمدارس الابتدائية والمتوسطة. والسؤال الذي يطرح هنا هو: ألم تتم كل هذه الانجازات على يد حكومة هويدا، وأساساً أليست كل هذه من ثمار نظام الشاه؟** **حول هذا الموضوع نرى من الضرورة الإشارة الى عدة نقاط دون أن ننكر هذه الأرقام والاحصاءات أو نؤيدها، إذ يعلم الجميع كيف كانت أجهزة اعلام الشاه لا تتورع عن تضخيم الانجازات وادعاء الأعمال وتقديم الاحصاءات المخالفة للواقع:** **أـ الحرية: الأمر الذي يحظى بالأهمية لدى الشعب هو الحرية، كحرية الفكر وحرية تنمية القابليات وحرية إظهار العقيدة والرأي، وحرية التطبيق الكامل والصحيح للقوانين. وحتى لو صحَّ ما طبّلت له أجهزة إعلام هويدا من إنجازات في عهده، فإنها تبقى لا تساوي شيئاً مقابل سلب الحريات الذي حدث في عهده، فلم يكن هويدا يعلم عدد القابعين في السجون ولا عدد الذين يتلقون صنوف العذاب أو كيف يجري التعذيب في السجون، إذ كان يدعي أنه لا يحيط علماً بذلك إلا عن طريق الصحف الأجنبية.** **وهنا تكمن النقطة المهمة، فقد كان رئيساً للوزراء، ومساعدُهُ يرأس مديرية الأمن العامة (الساواك) ومع ذلك لم يكن يعلم أو لم يكن يريد أن يعلم أو لم يكن يرى من الضروري أن يعلم كيف تتمُ معاملة المواطنين الأحرار؟ فهل يمكن أن يصل الإنسان الى هذا المستوى من الحقارة بحيث يشغل منصباً معيناً ويعمل بأمره أشخاص يرتكبون جرائم بشعة وهو ساكت حيالها؟! بينما لم يكن عمله السكوت وإنما كان عميلاً للأجانب، وكان يصدر الأوامر المباشرة بتنفيذ عدد من الجرائم، وكان يفخر بذلك.** **فالانتخابات التي حدثت في عهده كانت عملية تضييع كامل وصريح لحقوق الشعب، وكان يعلم بذلك جيداً ويصر على مواصلتها وتنفيذها بحذافيرها. كان يعلم أن النواب الذين شقوا طريقهم الى المجلس لا يمثلون الشعب أبداً، وسلب الحريات شمل حتى هؤلاء، وأن سلب حرية 35 مليون إنسان يُعدُّ عملاً لا يمكن قياسهُ بأي إنجاز يدعي النظام أنه قام به، وحتى لو صح قيامه به فهو لا يساوي شيئاً مقابل سلبه حرية الشعب بأسره، لكن هويدا كان صادقاً في أنه لم يكن وحده المرتكب لكل هذه الجرائم، بل إن معه شركاء أيضاً، يتوجب كشف أسمائهم على الأقل.** **ب ـ الإستقلال: كل شعب بحاجة ماسة الى الاستقلال، أي أنه يمتلك حقه في تقرير كامل مصيره دون أية تدخّلات وضغوط أجنبية وأن لا تهيمن عليه أية قوة من الخارج، وأن يكون مستقلاً من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية، والحفاظ على هذا الاستقلال يجب أن يتصدر قائمة اهتمامات الحكومة.** **إن حكومة هويدا مضطرة للاعتراف بأنها لم تقصّر في تحقيق استقلال البلاد فحسب، بل إنها تجاهلت ذلك عمداً وراحت تواصل العمالة الكاملة للأجنبي، فواصلت عضوية إيران في حلف السنتو، وجعلت من إيران أكبر مستورد للأسلحة الأمريكية، ولم تنفذ من المشاريع العمرانية إلا ما يلائم مصالح الخبراء الأجانب، واقترضت وأقرضت حسب تعليمات هؤلاء الخبراء، وحولت البلاد الى سوق استهلاكية للبضاعة الغربية، ودمرت الزراعة في البلاد، وفرّطت بالبحرين، ووضعت نفط البلاد تحت تصرف الدول الصناعية لسنوات طويلة، وباعت الغاز بأسعار زهيدة الى الاتحاد السوفيتي، وأقامت العلائق مع بعض الدول بأمر من هؤلاء الخبراء، ومئات الممارسات الخيانية الأخرى التي تجعل من الخدمات التي يدّعي هويدا تقديمها للشعب شيئاً لا يستحق الذكر، بالرغم من أن الشعب يعتبر هذه الخدمات أيضاً، ممارسات خيانية بحقه.** **ج ـ إشاعة الفساد: من أوضح معالم حكومة هويدا؛ إشاعة الفساد على أوسع نطاق. فقد عمدت حكومته على إشاعة الفساد حتى أصبح أمراً طبيعياً في المجتمع والذي لا ينساق إليه يظل (متخلّفاً) و(رجعياً) حسب تعبير هؤلاء. وفي أواخر العهد الملكي لم يكن الفساد يعرف حدوداً له في إيران، ولم تكن الحكومة تخطو خطوة واحدة فيها خير البلاد ومصلحتها.** **لقد شاع الفساد في عهد هذه الحكومة بشكل لا نظير له، بحيث صار على الناس جميعاً من فرّاش الدائرة وحتى الوزير، ومن ربّة البيت وحتى الطالبة الجامعية ومن الخطيب والعالم الديني وحتى الكاسب، صار على هؤلاء جميعاً أن ينغمسوا في هذا الفساد ويتظاهروا به ليواصلوا مواكبة القافلة. فقد جُندت كل الطاقات من أجل طمس الحق وتضييعه، والقضاء على القيم والعدالة، وإشاعة الكذب والنفاق والرشوة التي أصبحت من معالم التحضُّر والتقدمية.** **وفي هذا الوسط، كان الضابط المتدين يظل معزولاً عن المجتمع الذي يعش فيه، والموظف المتدين الملتزم معرضاً للسخرية، والقاضي الصالح والمتقي مجبوراً على التظاهر بعدم التقوى لينجو من سخرية الآخرين واستهزائهم، والطبيب الرحيم الذي يداوي مجاناً يسمّى رجعياً وأُمياً.** **وهكذا اصبح الكذب والخداع والرياء معياراً لتقييم كل شيء وكل شخص، وجميع الأفراد الصالحين والمخلصين كانوا يصطدمون بهذا الواقع في أول خطوة في التعامل مع الحكومة، فيقعون في هذه الشراك، وشيئاً فشيئاً ينسجمون مع هذه الأجواء، ويتحولون الى أساتذة في هذا المجال.** **وفي عهد هويدا، ازدادت مراكز القمار والخمور والملاهي الليلية والمراقص، وتصاعدت احصاءات المدمنين على الخمور والمخدرات، وشاعت الرشاوى في داخل البلاد وخارجها، وارتفعت نسبة الجرائم والجنح، وازداد استيراد السلع الاستهلاكية الكمالية وبيع النفط بأكبر كمية ممكنة. لقد كان النظام يسوق الشعب باتجاه السقوط الأخلاقي، والزراعية باتجاه الفناء الكامل، ويتجه بالصناعة لتصبح صناعة تجميع فقط تعتمد على الخارج بشكل كامل وكان لحكومة هويدا التي دامت 13 عاماً دوراً رئيساً وأساسياً في كل هذه الأمور وما كان يقوم به النظام من مشاريع عمرانية وبناء سدود وإيصال كهرباء وبناء مطارات وشق طريق، إنما كان يصب في أهدافه الإفسادية التي أسلفنا الحديث عنها، والتي أدت الى زيادة الهيمنة الغربية على إيران حتى أصبح قطع التبعية للغرب يبدو وكأنه أمر مستحيل في ظل كل الظروف.** **2ـ الشاه بلا منافس:** **ينص دستور الحركة الدستورية (المشروطة) على أن الشاه غير مسؤول، بل يتبوأ أعلى منصب في البلاد، ويتولى بعض الأعمال، لكن الحقيقة العملية هي أن الشاه كان كالطاعون الخطير الذي ابتليت به الأمة، والذي أخذ يتحكم بمصيرها. والفترة التي نريد التحدث عنها، كان الشاه قد مضى على حكمه خلال 23 عاماً، لم تفلح فيها جميع محاولات الشعب لاستعادة حقوقه المغتصبة.** **أما الشاه فكان يواصل تنفيذ السياسات المرسومة له مباشرة من قبل الأجانب، فقد تعلم أنه يتوجب عليه استخدام الحزم والشدة ما استطاع، وأن يطلق الأكاذيب والافتراءات مهما أمكنه ذلك، وأن يتظاهر بأن قدرته وجبروته هما اللتان تحفظان إيران وأن مصالح البلاد تتجلى في بقائه على رأس السلطة، وأن يزيد من حجم أرصدته في البنوك الخارجية، ويعمل ما بوسعه للاحتفاظ بعرشهِ، ويواجه كل صوت يعلو منادياً بالحرية والاستقلال، بالسجن والنفي والتعذيب والقتل، وكان يتصور أنه هو المبلّغ للدين ـ بموجب الدستور ـ وعليه أن يكون مخادعاً محتالاً ليخدع الآخرين في هذا المجال.[2]** **وبالرغم من أن الشاه كان يعلم أنه القائد العام للقوات المسلحة، وأن تحت إمرته قوى الجيش والشرطة والدرك، إلا أنه كان يحسُّ بضرورة تشكيل جيش أو قوات مقتدرة خاصة به تتلقى تدريبات خاصة. ولهذا بادر الى توسيع وتقوية قوات الحرس الملكي، وقد عمد الشاه الى هذا بسبب عدم ثقته التامة بالقوات المسلحة السالفة الذكر بسبب كونها من أبناء الشعب وبين فترة وأخرى كانت تمثل مصدر خطر عليه.** **لقد تعلَّم الشاه أن المجلس التشريعي يجب أن يكون تابعاً له تماماً وأن يصادق على القوانين التي يريدها هو والتي تصب في مصالحه الخاصة بالذات، وأن يكون القضاة خاضعين له تماماً، كما قام بتأسيس جهاز قضائي واسع في الجيش يتبع تسلسل الدرجات العسكرية وليس مستقلاً.** **كان يريد تطوير قابليات العائلة المالكة وتنمية قدراتها ولذلك، عمل على توفير كل ما ينقص عائلته المالكة تجاه العائلة القاجارية التي نُحيت جانباً، ولهذا فقد عمل ما بوسعهِ لبسط نفوذ أخوته وأخواته في الحكومة،[3] حيث أناط بكلٍ منهم، مسؤولية إدارة إحدى المؤسسات الكبيرة الشعبية الظاهر كالهلال الأحمر ومؤسسة الخدمات الاجتماعية وغيرها من المؤسسات التي أصبحت غطاءً لتحركات أفراد العائلة المالكة وممارساتهم.** **لقد كان الشاه يأخذ بنظر الاعتبار أخطار مرحلة القلق التي أعقبت شهر أيلول من عام 1941 والتي أدت الى تغييرات وزارية طالت الحكومة عشرين مرة خلال 10 سنوات لكنه يريد الآن حكومة يسودها الاستقرار وأن يمسك هو بجميع الصلاحيات فيها.[4]** **وهذه هي السياسة التي تحدثنا عنها بالتفصيل في الفصول الماضية، إذ يجب أن تكون كل المجالات والقوى تابعة للشاه وأفراد عائلته وقصره، لكن هذا الشخص القوي داخلياً، كان ضعيفاً ذليلاً أمام القوى الكبرى، بل وحتى القوى العالمية من الدرجة الثانية. وكانت مديرية أمن الشاه (الساواك) تعمل ما بوسعها لمواصلة هذا الوضع داخلياً وجعل إيران جزيرة آمنة للأجانب.** **وفي بداية هذه المرحلة، وبعد مداولات ومناقشات عديدة توصل مجلس الشيوخ والنواب الى هذه النتيجة وهي أن الشاه أعلى من مستوى البشر، حيث يفوقهم في العقل والعلم والمعرفة والنبوغ والذكاء! إنه منقذ إيران[5]، ومنفّذ الثورة البيضاء! وهو يتقدم على الشعب بملايين السنين، ولهذا فإن ألقاب التبجيل والتعظيم التي كانت تمنح له مثل (صاحب الجلالة، المبارك، والشاهنشاه، والملك الكبير) لم تكن كافيةً لهُ! إذ يجب أن يُذكر هذا الشخص بتعظيم وتبجيل أكبر! ولهذا عكف جمع من المتملّقين الذين خُلعت عليهم ـ ظلماً ـ ألقاب (الباحثين) و(العلماء) و(المحققين) على مناقشة الأمر، وانتهوا الى اختيار عبارة (آريامهر) لتليق بمقام الشاه وعظمته وتم تقديم هذا اللقب له في احتفالات صاخبة.** **أما الشاه فقد قبل بهذا اللقب وهو متفضّل عليهم، إذ إنه لم يعد يقتنع بشعار (الله، الملك، الوطن) ولقب (الملك الكبير) بل يجب أن تشرق شمس الجنس الآري على كل العصور، حتى وصل الأمر بالشاه واوهامه الى أن تصفه وكالات الأنباء بأنه فوق مستوى البشر.[6]** **يقول (اوريانا فالاجي) مؤلف كتاب (مصاحبه با تاريخ)، بعد انتهائه من إجراء مقابلة مع الشاه: (لمعالي الشاه، وجهات نظر عجيبة، فهو يعتقد أن روح داريوش الكبير قد حلّت في جسمه، وأن الله بعثه الى هذا العالم ليحيي مُلك كوروش الضائع)!. وقد عمل الشاه بسياساته ونهجه على أن يكون الحاكم المستبد داخل البلاد، والشرطي الحافظ لمصالح الغرب في المنطقة وهذا ما منحه الجرأة ليكون توسعياً وأن يعمل باتجاه أن يصبح صاحب إحدى القوى الكبرى الخمس في العالم.** **3ـ مصير المجلسين التشريعيين الحادي والعشرين والثاني والعشرين:** **الدورة الحادية والعشرون للمجلس كانت ثمرة الانتخابات التي أجراها أسد الله علم، وحصيلة مؤتمر (النساء المتحررات والرجال الأحرار!). وقد تولى عبد الله رياضي رئاسة هذا المجلس، ولأن مجموعة منصور والتقدميين بدأت تقوى فقد قام النواب بتأسيس حزب (إيران الجديدة)، وبعد أن شكّل حسن علي منصور حكومته بأقل من عام، تلقّى رصاصات بخارائي وانتهت حياته ليصبح وزير ماليته هويدا رئيساً للوزراء وليواصل العمل على تحقيق الأهداف الملكية ومنح الفرصة للغرب كي يبسط سلطته على البلاد.** **أما علم فقد تولّى رئاسة جامعة شيراز لفترة بعدها أصبح وزيراً للبلاط ليقوم بتنظيم الاحتفالات المختلفة التي يقيمها النظام الشاهنشاهي.** **لقد تزامنت الدورة الحادية والعشرون لمجلس الشورى الوطني مع الدورة الرابعة لمجلس الشيوخ، وفي آذار 1967 وبعد تعظيم الشاه وإبداء القلق من العواقب الخطيرة لفقده المحتمل وضرورة تغيير الدستور، صادق مجلس الشورى على ضرورة إدخال تعديل على الدستور وعلى قانون انتخابات مجلس المؤسسين، وصادق كذلك على جميع قوانين الفترة السابقة، ثم قام بإجراء انتخابات الدورة الثانية والعشرين وانحلّ هو بموجب أمر خاص.** **أما الدورة الثانية والعشرون للمجلس فقد بدأت على نمط الدورة السابقة واقترنت باحتفالات التتويج في عام 1967م حيث كان أغلب أعضاء المجلس من حزب (إيران الجديدة) وجمع من حزب الشعب وعدد من جماعة دعاة القومية الإيرانية (بأن إيرانيزم) فبدأ النواب بسنّ القوانين دون أي علم لهم بما يجري في إيران والعالم، فكانوا خدماً مطيعين للشاه. وفي أواخر هذه الدورة طرحت قضية البحرين باعتبارها المحافظة الرابعة عشرة لإيران لكن المسألة انتهت بتدخل وفد الأمم المتحدة وبالاستجابة لوجهات نظر الحكومة البريطانية، فاكتسبت البحرين استقلالها وأيد المجلس ذلك.** **4ـ آخر تعديل للدستور:** **الدستور وملحقه الذي كان يجب أن يطبق بدقة تامة حسب نظام الحكم الملكي المشروط غير المطلق، تعرض للتلاعب من قبل النظام عدة مرات[7]، وكان آخر تلاعب أو تعديل للدستور قد تم في عام 1967م وهي الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها الآن. وكانت التعديلات السابقة تصب كلها في اتجاه ترسيخ حكم الشاه. وجاء الدور الآن لزوجة الشاه وولي العهد ليأخذ مكانهما الخاص في الدستور، وأن يصبح لهما نصيب في التاج، لكي لا تشهد مسيرة الملكية لحظة تباطؤ أو توقف في إيران، ولهذا السبب صادق المجلسان على قانون تشكيل (مجلس المؤسسين) عام 1966م ليقوم بإعادة النظر بالمواد 38 و 41و 42 من ملحق الدستور وصودق كذلك على قانون انتخابات مجلس المؤسسين وهو مكوّن من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب ومهمته القيام بتعديل الدستور. وأخيراً، فقد جرى في أواخر عام 1967 تغيير المواد الدستورية السالفة الذكر قبل احتفالات ذكرى التتويج التي جرت بما يشبه الأسطورة وعلى أساس التعديلات تقرّر ما يلي:** **أولاً: أن ولي العهد لا يمكنه تولّي مهام السلطنة إلا بعد بلوغه سن العشرين عاماً حسب التقويم الهجري الشمسي.** **وثانياً: في حالة موت الشاه في وقت لم يكن ولي العهد قد بلغ فيه السن القانونية بعد فإن زوجة الشاه تتولى السلطنة مباشرة، إلا في حالة تعيين الشاه شخصاً آخر كنائب للسلطنة.** **وثالثاً: في حالة وفاة نائب السلطنة أو استقالته يقوم مجلسا الشورى الوطني والشيوخ بتعيين مجلس النيابة من غير العائلة القاجارية.** **ورابعاً: يقوم نائب السلطنة بإنجاز مهام الحكم بالتشاور مع مجلس مؤلف من رئيس الوزراء ورئيسي المجلسين ورئيس ديوان القضاء الأعلى وأشخاص آخرين.** **خامساً: يمنع نائب السلطنة من الوصول الى مقام الملوكية.** **لقد جرت التعديلات بشكل لا تظهر معه أية مشكلة في حالة موت الشاه، حيث لا تبقى البلاد بدون ملك أو نائب للسلطنة أبداً، ليظل النظام قائماً قوياً كما أراد ذلك الدستور والثورة البيضاء.** **5ـ تعدد احتفالات النظام الشاهنشاهي:** **من ابتكارات النظام الحاكم، تضخيم الأمور الفارغة الخاوية، حيث كان يسعى الى اشغال الناس وإلهائهم بطرق مختلفة منها إقامة الاحتفالات الشاهنشاهية السنوية. وقد بلغت هذهِ الاحتفالات ذروتها بين عامي 1966 و 1976 حيث يمكن إطلاق اسم (عقد الاحتفالات) على هذه السنوات العشر. ففي عام 1966 اقيمت احتفالات حلول السنة الخامسة والعشرين للملكية، وفي السنة التي تلتها ـ أي في عام 1967 ـ أقيمت احتفالات ذكرى التتويج وأنفقت اموال طائلة وجرى نقل الاحتفالات عبر الأقمار الصناعية الى جميع أنحاء العالم. ولأن هذه الاحتفالات كانت إيرانية محضة وليس للدول الأخرى أية مشاركة فيها، فقد تم افتعال احتفالات ذكرى مرور 2500 عام على قيام الحكم الملكي في إيران ليتم من خلالها إطلاع العالم على التاريخ الملكي الطويل، وقد ركز النظام جل اهتمامه ولعدة سنوات على دفع الدول الأخرى الى تقديس وتبجيل هذا التاريخ الطويل، والمشاركة في هذهِ الاحتفالات بشكل واسع.[8]** **وقد جند النظام الجانب الأكبر من أعمال المؤسسات والدوائر الرسمية للإعداد لهذه الاحتفالات ودفع الناس الى الاحتفالات بهذه المناسبة، ولهذا الغرض فقد أنفقت أموال طائلة في أرجاء البلاد، بل وفي أنحاء العالم، وأعِدّت العدّة لهذه الاحتفالات الكبيرة، فجعلوا من مجموعة من الناس باحثين ليقوموا بالحديث والكتابة عن الشاه وتاريخ الملكية ومزاياها المنقطعة النظير.** **وما أكثر الذين اكتسبوا وسط هذا الضجيج ألقاب الأستاذ والباحث والمحقّق والعالم، وحصلوا على مزايا لهم ولعوائلهم جرّاء ذلك، كما خُدِع في هذا السياق الكثيرون، حيث جندوا طاقاتهم وبحوثهم لخدمة النظام وهذه الضجة المفتعلة وهكذا اكتسب عام 1971 اسم عام كوروش الكبير[9]وتم تجنيد كل الطاقات لذلك وتوافد زعماء الدول على طهران وبدأت الاحتفالات.** **وطيلة عام كامل، ظلّ شعار هذه الاحتفالات يشاهد في كل مكان، كما طُبع على أغلفة الكتب والمجلات وحتى دفاتر طلاّب المدارس وأوراق الكتب الرسمية. وقد تحملت ميزانية الحكومة القسم الأعظم من نفقات هذه الاحتفالات، ولكي يكون للشعب دور في دعم هذه الاحتفالات فقد تمت ـ ومن خلال مديرية الأمن العامة ـ دعوة كبار الرأسماليين والتجار الى دفع جزء من نفقات الاحتفالاتـ. ولم يجر إعلان حجم نفقات هذه الاحتفالات بالضبط، ولكن يمكن القول إن الجزء الأكبر من ميزانية البلاد لعدة أعوام قد أنفق على هذهِ الاحتفالات، إذ أصبح العمل الرئيس لأجهزة الحكومة، هو إقامة الاحتفالات بينما ظلت شؤون البلاد الأخرى معلقة للتفرغ للاحتفالات فقط.** **فاشتريت بضائع ومواد وأجهزة عديدة من الخارج، ودعي الفنيون والاخصائيون من أنحاء العالم، كما استوردت أجهزة خاصة لتقوم بتجسيد عهود حكم السلالة الهخامنشية وأقامت الطائرات الإيرانية جسوراً جوية مع نقاط عديدة من أنحاء العالم.** **كل هذه النشاطات لا يمكن احتساب حجم نفقاتها ولكن يمكن القول إن هذه الاحتفالات كانت من أكثر التصرفات والممارسات إثارة للسخرية خلال القرن الحالي.** **وبعد انتهاء هذه الاحتفالات أعلن وزير البلاط أسد الله علم في مقابلة أجريت معه أن نفقات هذه الاحتفالات قد دفعها الناس عن طيب خاطر، وأن مبلغاً كبيراً منها قدر زاد عن الحاجة فأمر الملك بتخصيصه لبناء مسجد إسلامي كبير!!.** **ولم تقف[10]لعبة الاحتفالات عند هذا الحد، إذ أعلن النظام في العام التالي 1972 عن إقامة احتفال بمناسبة مرور عام واحد على الاحتفالات الكبرى السابقة، ولما كان استمرار الحكم الملكي غير ممكن بدون احتفالات، فقد بدأت بعد عدة شهور احتفالات اخرى هي احتفالات مرور عشر أعوام على ما يسمى بالثورة البيضاء، وجاءت بعدها احتفالات الذكرى الخمسين لتولّي عائلة بهلوي السلطة في إيران، فكانت الاستعدادات لإقامة هذه الاحتفالات والنفقات التي كلفتها لميزانية الدولة كبيرة، حتى أن شعار هذه الاحتفالات أصبح يعلّق بشكل إجباري على صدور موظفي الدوائر الرسمية، وهذا بحد ذاته أوجد وظيفة وواجباً جديداً لأعوان النظام وأفراد الأمن (الساواك) في الدوائر الحكومية، كما أدى في نفس الوقت الى صدامات وخلافات عديدة في أوساط الموظفين.** **وهكذا تواصلت الاحتفالات الواحد تلو الآخر. فهل بالامكان أن تمر الذكرى المئوية لولادة مؤسس العائلة البهلوية دون احتفال كبير وشعار خاص به؟! وهل كان بالإمكان ترك الاحتفالات السنوية التي اعتاد الناس عليها منذ سنوات وما يتخللها من إغلاق المدارس والدوائر وإعداد برامج إذاعية وتلفزيونية خاصة؟! وهكذا ظلت الاحتفالات السنوية الصغيرة تقام بين الاحتفالات الكبيرة لئلا يُحرم الشعب منها[11] ولئلا تنتهي أيامه البهيجة أبداً! ولكي يظل الشاه وعائلته غارقين في الدلال والاحتفالات والسفر الى أوروبا وأميركا.** **ولم تكفهم مئات القصور بل كانت جزيرة كيش إحدى امنياتهم التي أرادوا تحقيقها لكنهم ذهبوا قبل أن تحقق[12]بالرغم من أنهم بدأوا استثمارها عاماً أو عامين وهي لم تكتمل بعد.** **6ـ الصحافة والرقابة:** **للصحافة الإيرانية تاريخ أسود، فقد ظلت لمدة طويلة تحاول تسويغ كل ممارسات النظام وقراراته، وتتجاهل وجود المعارضة ونشاطاتها والحوادث السياسية التي شهدتها البلاد، أو قد تذكر المعارضة بالأسلوب الذي يذكرها به الشاه، فمثلاً عندما نعت الشاه المعارضين بالرجعيين السود والحمر، وكان هدفه إهانة العالم الديني الأعلى في البلاد، نرى الصحف تبادر الى شن حملة إهانة ضد الإمام دون ذكر اسمه وكأن القلم الذي كانت الصحافة تكتب به قد جاءها من الساواك، وما يكتبه هذا القلم هو ما يريده الساواك بالضبط، وقد تكون الصحافة مجبرة على ذلك، كما أنها تعودت على الرقابة الذاتية، ولم يكن من حقها الانحراف عن ميول النظام الحاكم ورغباته.** **فقد كانت الصحف مقسمة الى عدة أقسام قسم منها يختص بأخبار العائلة المالكة وصور الشاه وأعوانه وأنصاره وهي تتحدث عن سفراته وزيارته للدول الأجنبية، وعن ضيوفه واستقبالاته، خاصة وأن تلك الفترة شهدت سفرات وزيارات كثيرة، كما توافد على البلاد ضيوف كثيرون من الشرق والغرب: من آسيا وأفريقيا وأمريكا وأوروبا، حيث لم تعد قصور گلستان والمرمر وسعد آباد ونياوران وغيرها تكفيهم، بل اضطروا لاستخدام فنادق الدرجة الأولى لهذا الغرض.** **وكان على الصحافة أن تهتم بهؤلاء وبالكلمات الترحيبية التي تُلقى عند استقبالهم مع طبع صور ملونة وغير ملونة لهذه المراسيم.** **والقسم الآخر من كل صحيفة يختص باعلانات التعزية والوفيات والأهم من ذلك إعلانات التهنئة والتبريكات التي يوجهها المسؤولون للشاه، لنبوغه وتفوقه وابتكاراته الخلاّقة! وهذا ما كان يستدعي تخصيص صفحات خاصة من صحف كيهان واطلاعات لهذا الغرض. فكان المرء يلاحظ صفحة كاملة من هذه الصحف مخصصة لاعلان التبريك الذي ارسلته المدارس الابتدائية في إحدى المناطق الى الأب المتوج، أو أربعة صفحات خاصة بتبريكات أصحاب الشركات التجارية، بمناسبة الذكرى السنوية لولادة ولي العهد. ويبدو أن هذه الصفحات كانت تشكل مورداً مالياً كبيراً للصحف آنذاك.** **الجانب الثالث من الصحافة، يختص بالتحقيقات الصحفية، حيث يقوم أحد مسؤولي البلاد بشرح تفصيلي للانجازات المتحققة والخطط المستقبلية. فمثلاً كان يجري في الصحافة الحديث عن مشروع المترو الذي يعكف الخبراء اليابانيون والفرنسيون على دراسته، وما سيكون له من دور في نقل المواطنين داخل العاصمة وتخفيف شدة الزحام، وما سيؤدي إليه من اقتصاد في النفقات، وكيف أنه سيوصل العمال الى أماكن عملهم بسهولة.**

**وقد سعى مسؤولو الصحف الى كتابة هذه الأقاويل بشكل بحيث لا تؤدي الى إثارة اسئلة في أذهان الناس. الصحف الصغيرة كانت تتسلم مبالغ من المال من الحكومة، وهذه الصحف تم إغلاقها جميعاً عام 1973م، حيث أغلقت 50 صحيفة دفعة واحدة، بسبب قلة توزيعها، فكان هذا الاغلاق في صالح بعضها، إذ قامت بتسلُّم مبالغ من الحكومة كتعويضات.** **أما الصحفيون الأجانب فقد كانوا عملاء للحكومة، وكانوا يتسترون على الكثير من الجرائم التي ترتكبها الحكومة، إذ قامت مجموعة (حرية الكتاب والفكر) بفضح هذه العناصر الماسونية المرتبطة بأصحاب الثروة والنفوذ والتي كانت تتستر بغطاء العمل الصحفي.** **وخلال هذه المرحلة، ترسخت وتوسعت سلطة الرقابة، واصبح الكاتب والقارئ والمتحدث والسامع يواجه هذه الظاهرة، ومخالب الرقابة لم تكن تسمح بطرح وجهات النظر، بل مارست نوعاً من الكبت والإرهاب الفكري[13]، وعملية الرقابة كانت سياسية فقط وليست أخلاقية، فالكتب والأفلام والصحف والإذاعة والتلفزيون كانت خاضعة لرقابة النظام المباشرة. الكتب الممنوعة وضعت في قوائم خاصة وحُظِرت إعادة طبعها، بل إن المنع شمل حتى اقتناء وقراءة هذه الكتب ومخالفة ذلك تستتبع عقوبات صارمة، حيث حُكم على العديد من المواطنين بالسجن بسبب حيازتهم لأحد الكتب الممنوعة وإعارتهم واستعارتهم لهذه الكتب.** **وفي ظل هذا الكبت الفكري، يتضح مدى عجز الثقافة والفكر عن النمو والتطور. كما أن مسؤولي الرقابة كانوا يبدون حساسية خاصة لبعض المصطلحات والعبارات والعناوين، حتى أن التقييد والتكبيل جعل المؤلفين أمام طريق مسدود بحيث لم يفكروا بكتابة مؤلفات جديدة. إذ كلما كانت الرقابة تتشدد أكثر قلَّ عدد الكتب المؤلّفة، ففي عام 1970م صدر 3670 كتاباً جديداً، بينما انخفض هذا الرقم الى 1750 كتاباً في عام 1978 أي أنه سجّل انخفاضاً بأكثر من 2000 كتاب، كما استمر هذا الرقم بالنزول، أما الكتب التي كانت تصدر، فلم تكن ذات محتوى قيم من حيث تناولها شؤون إيران. هذا في وقت كان الدستور ينص على ما يلي:** **(جميع الكتب ـ باستثناء الكتب المضللة والمطبوعات المضرّة بالدين المبين ـ مجازة ولا يمنع صدورها أبداً ما لو صدر منها ما يخالف قانون المطبوعات، فإن الناشر والكاتب يعاقبان حسب قانون المطبوعات، وأن كان مؤلف الكتاب معروفاً ومقيماً في إيران فلا يحق لأحد التعرض لطابع وناشر وموزّع الكتاب).** **أما الحكومة فقد رسّخت جهاز الرقابة وبادرت الى فحص الكتب كلمة كلمة، مستعينة في ذلك بعد كبير من المراقبين، وأحياناً كانت الرقابة تتحفظ على بعض أسماء المؤلفين فلا تسمح بنشر مؤلفاتهم حتى لو لم تكن تتعرض لمسائل سياسية، كما اعتبرت بعض العناوين ممنوعة، إذ أنها تكفي للدلالة على مخالفة قانون الرقابة دون النظر الى محتوى الكتاب، وأن اجتاز اسم المؤلف وعنوان الكتاب مقص الرقيب، فإن الرقابة تبادر الى قراءة كل جملة من الكتاب وانعام النظر فيها، كما كانت تولي أهمية ودقة أكبر لمقدمة الكتاب.** **7ـ السلطة القضائية:** **القضاء يجب أن يكون مركزاً لشكاوى عامة الناس، وهو المرجع الوحيد في الشؤون القضائية بما من شأنه الحفاظ على الأمن والحد من كل انحراف. لكن القضاء آنذاك انحراف عن نهجه وواجبه في مكافحة الجرائم التي تمس أرواح الناس وأموالهم وشرفهم حيث ظل ـ ولعدة سنوات ـ آلة بيد الحكومة والسواك، ينفّذ ما يُصدران إليه من الأوامر.** **المناصب القضائية الحساسة كانت بيد أشخاص يفتقدون لأية أهلية، لتتمكن السلطة التنفيذية من ممارسة هيمنتها على الجهاز القضائي، وحتى في اختيار رئيس ديوان القضاء الأعلى بلغ الاستخفاف بالقانون مبلغه، كما فرضت قيود ـ بدقة ومهارة متناهية ـ على صلاحيات السلطة القضائية، بحيث شلّتها عن ممارسة دورها الحقيقي.** **وكان لتأسيس العديد من المحاكم الخاصة الاستثنائية المخالفة للدستور، دور كبير في القضاء على استقلالية السلطة القضائية وقوتها، إذ إن أكثر الوزارات والمؤسسات الحكومية كانت تتدخل في شؤون القضاء بحجة التسريع في إنجاز الأمور. ولم تكن الحياة الآمنة متوفرةً لأحد، ولو اُجريت احصائية للأشخاص المعتقلين من قبل الجهاز القضائي لاتضح مدى التجاهل والإهمال اللذين مارستهما النظام بحق السلطة القضائية.** **ولو أردنا الحديث عن طبيعة المحاكمات العسكرية والمسؤولين عنها، لاحتاج ذلك الى الكثير من البحوث الطويلة، إذ قامت الحكومة بتشكيل المحاكم الخاصة في ديوان الجزاء ومجالس القضاء وبيت الإنصاف ولجنة الأمن الاجتماعي والمحاكم العسكرية ولجان البلديات ومنها لجنة المادة رقم (100) والمادة الثامنة، ولجان حل الخلافات المالية لمجالس المعامل، وهيئات حل الخلافات في وزارة العمل، وهيئة الإشراف والمجلس الأعلى للتسجيل والمحاكم العسكرية المهنية، ومحاكم الخدمة المدنية، ولجان الانضباط الخاصة بالجامعيين في وزارة العلوم، ولجان وزارة التجارة ولجنة العفو، ودائرة تحقيق الأوقاف وما الى ذلك من المحاكم الخاصة التي تكشف مدى الفساد المنتشر في جهاز القضاء الذي أصبح بيد السلطة التنفيذية، بينما الدستور ينص على إيجاد بيت العدالة وتحيكم القانون في حياة الناس وعلائقهم مع بعضهم بعضاً.** **إلا أن الذي حدث وبعد 70 عاماً من الحركة الدستورية كان بعكس ذلك تماماً فلم يكن الجهاز القضائي ملبياً لطموحات الشعب، ولم يتحقق استقلال القضاء المنصوص عليه في المادتين 27 و28 من مكمّل الدستور، وأصبحت السلطة القضائية جهازاً تابعاً للسلطة التنفيذية. وكانت الحكومة تملي إرادتها وأهواءها على الجهاز القضائي عبر وزير العدل الذي أصبح على رأس هذا الجهاز، يعين ويفصل القضاة ويرفع من يشاء ويخفّض درجة من يشاء منهم، وهكذا أصبح جهاز القضاء تابعاً لسياسات الحكومة كلياً، وبقيت المادتان 81و 82 من مكمّل الدستور دون تطبيق، وأصبحت السلطة القضائية جهازاً تابعاً للسلطة التنفيذية. وكانت الحكومة تملي إرادتها وأهوائها على الجهاز القضائي عبر وزير العدل الذي أصبح على رأس هذا الجهاز، يعين ويفصل القضاة ويرفع من يشاء ويخفض درجة من يشاء منهم، وهكذا أصبح جهاز القضاء تابعاً لسياسات الحكومة كلياً، وبقيت المادتان 81 و 82 من مكمّل الدستور دون تطبيق، وأصبحت تشكيلات المحاكم وطريقة القضاء المدني والجزائي قائمة على أساس القوانين السائدة في الدول الأوروبية، والوصول الى الحق والحقيقة كان يضيع في متاهات الأطالة في الاجراءات الروتينية وإعطاء المواعيد تلو المواعيد وهكذا.** **8ـ الفساد المالي والقروض:** **بلغ الفساد المالي للنظام السابق ذروته في عهد هويدا، والاحصاءات المتوفرة تشير الى أن القروض المقدمة والهبات الممنوحة والاستثمارات الضخمة، واقتراض القروض غير الضرورية وبأرباح عالية، كل ذلك حمّل الشعب ثقل مليارات الدولارات، وفي عام 1974م ومع الارتفاع الكبير في عائدات النفط وعدم قيام النظام بإنفاقها في مسارها الصحيح الموافق لمصلحة الشعب، فقد اصبحت الثروات العامة للبلاد في مهب الريح، فأوجد النظام مؤسسة باسم (مؤسسة الاستثمار والمساعدات الاقتصادية والفنية) تابعة لوزارة الاقتصاد مهمتها التغطية على الحجم الحقيقي للقروض المستحصلة والتي تنقسم الى عدة أقسام هي:** **1ـ القروض التي كانت حكومات النظام الشاهنشاهي تحصل عليها بهدف سد العجز الكبير في الميزانية، من الدول الامبريالية، وكان جزء كبير من الميزانية يخصّص كل عام لتسديد هذه القروض مع أرباحها، حيث وصل حجم هذه القروض عام 1978 الى (4.1) مليار دولار.** **2ـ القروض التضمينية التي تأخذها إيران من البنوك العالمية. وقد وصلت عام 1978 الى (6.6) مليار دولار، حيث تقوم الشركات المقترضة بتسديدها في أوقاتها المحددة وإلاّ فإن الحكومة تقوم بتسديدها من الميزانية.** **والطريف أن الحكومة التي كانت تحصل على عائدات كبيرة جداً من النفط، وكانت تقدمها كقروض للدول الصناعية، كانت تلجأ هي الى الاقتراض من هذه الدولة أو تلك حيث بلغت ديونها بداية عام 1978 حوالي (4.5) مليار دولار.** **3ـ القروض التي كانت تأخذها المؤسسات الحكومية بتأييد من وزارة المالية حيث بلغ مجموعها 1.9 مليار دولار، تتعهد نفس المؤسسات بتسديدها.** **4ـ القروض التي كانت تحصل عليها وزارة الدفاع والتي بلغ حجمها (1.8) مليار دولار بهدف شراء المعدات العسكرية والخدمات المتعلقة بالخبراء الأمريكيين والبريطانيين والإسرائيليين (تراجع وثائق وزارة الاقتصاد والمالية).** **وقد بلغ مجموع القروض المأخوذة حتى عام 1978 من الدول الغربية وبنوكها (1012 مليار ريال) أي (14.5) مليار دولار. منها (408) مليارات ريال من أمريكا مباشرة والباقي من المؤسسات المالية الغربية التي كانت تُعطي قروضاً بشروط صعبة. فملاً أعطى بنك تشيس مانهاتان الأمريكي قرضاً الى إيران مقداره (500) مليون ريال واشترط أن تكون الفائدة بنسبة 12 بالمائة وعلى إيران دفع مبلغ (10) آلاف دولار سنوياً لمدة سبع سنوات. وهكذا مع باقي القروض. كما قد يشترط الدائن إشراف خبراء أجانب على تنفيذ المشروع المزمع إنشاؤه بهذا القرض.** **أما أمريكا فكانت تشترط عند أعطاء القرض، أن تظل إيران حليفاً عسكرياً وسياسياً لها ما دامت لم تسدِّد القرض كله. كما لا يحق لها إقامة أية علائق اقتصادية وسياسية وعسكرية مع الدول التي هي في حالة حرب مباشرة أو غير مباشرة مع أمريكا.** **وهكذا كانت إيران تتقبل هذه القروض بالرغم من الشروط الصعبة المفروضة عليها، مع أنها بدأت منذ عام 1974 تحصل على موارد مالية كبيرة بعد ارتفاع أسعار النفط فكانت مجبرة على تقديم هذه العائدات قروضاً الى الدول الصناعية، لاستثمار هذه الأموال في الصناعات التي واجهت الإفلاس. وقد بلغت هذه المبالغ منذ عام 1974 وحتى 1978 حوالي (644) مليار ريال.[14]** **وفي مجال المساعدات والهبات التي قدمتها إيران ـ فضلاً عما قدمته من حصتها في صندوق الأوبك والصندوق الدولي للتنمية الزراعية ـ فقد قدمت مبلغ (6.7) مليار ريال الى الدول الأوروبية والآسيوية والأفريقية.[15]** **وفي مجال الاستثمار خارج البلاد دفع النظام مبلغ (64.4) مليار ريال ـ (902.7) مليون دولار ـ لشراء أسهم في الشركات الصناعية والمالية الغربية.[16]وكانت الأرباح المستحصلة من هذه الاستثمارات الضخمة لا تتجاوز (200) مليون ريال أي أن الأرباح كانت (6) بالألف فقط، وبتعبير آخر، فإن النظام كان يقترض من الدول الأخرى بفائدة (120) بالألف بينما يفرض الآخرين بفائدة (6) بالألف فقط. هذه الاحصاءات تكشف مدى عمالة النظام السابق وتفريطه بثروات الشعب مصادرة استقلاله الاقتصادي المنشود.** **9 ـ الفساد الأخلاقي:** **بعد الفساد المالي وما تبعه من تفريط باقتصاد البلاد وثرواتها واستقلالها يأتي الدور لبحث الفساد الأخلاقي وانتشار الفحشاء. حيث شهد المجتمع تفشي الفساد بشكل كبير جداً. فلم تكن الحكومة تتجاهل ذلك فحسبن بل كانت تشجّعه وتوفّر السبل الكفيلة بانتشاره فأنشأت مراكز القمار التي تعمل ليل نهار فتنفق فيها تلك الأموال المتجمعة من الفساد المالي ومن ثم تنتقل عبرها الى مراكز القمار المشابهة خارج البلاد[17]. وقد سارعت السلطة في إنشاء مؤسسات جزيرة كيش السياحية لتجعل منها (مونت كاولو إيران) وانفقت على ذلك مليارات الدولارات وأنشأت لها خطوطاً جوية خاصة من طائرات الكونكورد كما تحولت بعض ممثليات إيران الدبلوماسية في الخارج الى مراكز لإشاعة الفحشاء، وعلى رأس هذه المراكز السفارة الإيرانية في أمريكا، التي كان لها الدور الأساس في حل العديد من المسائل السياسية.[18]** **وخلال السنوات الأخيرة من الحكم الملكي وفي ظل التدهور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفساد المالي، وصل الفساد الأخلاقي ذروته وانتشرت مناطق خاصة بالدعارة في طهران وباقي المدن وبدأ المجتمع يتآكل من الداخل حتى أن العديد من الروابط الاجتماعية بدأت تقوم على أساس الفساد والفحشاء، بل إن الفساد بدأ يفقد قبحه ويصبح شيئاً مألوفاً وعادياً. فعدد الفاحشات يزداد كل يوم[19]، مع افتقاد المجتمع لأية محاولات للإرشاد وانقاذه من هذه الهاوية، بل إن الحكومة كانت تشجّع ذلك ضمنياً من خلال ممارساتها وتهيئتها لسبل انتشار الفساد. كما كان لإزدياد عمق الهوّة بين طبقات الأمة والفقر المادي والثقافي دور في ازدياد الخلافات العائلية وما يؤدي ذلك الى ظواهر اجتماعية من أمية وانحلال أخلاقي وضعف في الشخصية، وهذه الظواهر كانت تتعمق أكثر فأكثر دون أن تُبذل أية مساعٍ لمعالجتها. وقد كانت الاحصاءات غير الرسمية تشير الى وجود (50) ألف مومس في إيران إضافةً الى الفحشاء غير العلني، كما أصبحت المحلات سيئة الصيت في طهران وباقي المدن بؤراً للفساد والجريمة والقتل والإدمان على المخدرات.** **وفي هذه الأجواء، لو أرادت إحدى النساء انقاذ نفسها من السقوط، فلن تجد من يؤويها ويحافظ عليها، حتى وصل الأمر الى أن ارتفع عدد الفواحش بشكل كبير جداً، كما أصبحت الكثير من الشوارع بؤراً للفساد والفحشاء. وكل هؤلاء هم ضحايا النظام الشاهنشاهي من الذين لم يكن بإمكانهم إنقاذ أنفسهم مما هم فيه[20]، فضلاً عن أن السجن أصبح مكاناً لإشاعة الفساد ونشره بدل أن يكون مكاناً للإصلاح.[21]** **10ـ انتشار الفساد المالي:** **من الظواهر التي تميز بها عهد هويدا؛ اتساع نطاق الفساد بكل أبعاده، إذ كان الفساد المالي منشأ كثير من أنواع الفساد الأخرى، فالمعاملات الحكومية الداخلية منها والخارجية لا تتم بدون رشوة، كما اشاع الاختلاس من أموال الحكومة، إذ أصبح لأغلب المسؤولين الكبار حاسبات مصرفية في الخارج يودعون فيها ما يسرقونه من أموال الشعب[22]، كما كان الإعلام يطبّل ويزمّر دوماً لقروض تُعطي للفلاحين والعمال لكن الحقيقة هي أن هذه الأموال لا تُعطى إلا الى أتباع النظام وأعوانه.** **كما كانت خزينة البلاد أشبه بالحساب المصرفي الشخصي للشاه، وكان يمنح منها ما يشاء ولأسباب ومسوغات عديدة[23]، والتلاعب بأموال الشعب والانفاق منها كان يتم بمجرد رغبة أو أمر من (فرح) أو (عَلَم) أو (إقبال)[24] وهذه الرغبة كافية لتسويغ شراء أي شيء بأموال الناس كما هو الحال في عملية شراء شقة في لندن لزوجة الرئيس الباكستاني اسكندر ميرزا وغيرها.. وفي قصر الشاه، كان هناك 2600 شخص يتقاضون كلهم رواتب مجموعها 370 مليون ريال شهرياً[25] إضافة الى عمليات انفاق غير عادية كثيرة[26]، أما الشركات والمؤسسات الحكومية المختلفة[27]فقد كان لها نصيبها من هذا الفساد المالي والإداري.[28]** **11ـ العلائق السرية بين الشاه وقادة إسرائيل:** **اعتراف إيران بإسرائيل كان ناقصاً في الظاهر، لكن الحقيقة كانت عكس ذلك، فقد كانت هناك علائق قوية تربط بين البلدين، فضلاً عن علائق شخصية وسرية بين زعماء البلدين. وكان للساواك دور مهم في إقامة هذه العلائق أكثر مما كان لوزارة الخارجية من دور، حيث قال خلعتبري في هذا المجال:** **(كانت إسرائيل تزودنا بمعلومات سياسية في بعض المجالات فعلى سبيل المثال، كان ممثل الوكالة اليهودية في طهران (لوبراني) يزودنا باستمرار بمعلومات عن أوضاع الحبشة واضطرابات ارتيريا والوضع في الصومال واوغندا حيث كان يقدم هذه المعلومات الى وزارة الخارجية، لكن اتصالات أخرى كانت تجري على مستوى أعلى، حيث سمعتُ قبل ثلاث سنوات أن موشيه دايان جاء الى طهران واستقبله الشاه في مكتبه، كما زار إيران أيضاً ايغال آلوان وزير خارجية إسرائيل واستقبله الشاه في مكتبه، كما التقاني أنا أيضاً لقاءً روتينياً[29]. وفي ربيع عام 1978 سمعت في البلاط مرة أخرى أن بيغن التقى الشاه حيث يقال أن الترتيبات السرية لهذه الزيارة تمت من قبل الساواك، وتم استقبال الوفد في نادي الساواك لكي يظل الموضوع محاطاً بسرية تامة.** **وقبل عامين كلفني الشاه شخصياً بالذهاب الى إسرائيل وإجراء اتصالات على مستوى عالٍ لكسب معلومات فيما يتعلق بوجهات نظر إسرائيل الرسمية حول الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء، ولأن الزيارة كانت سرية جداً فقد اتصلت شخصياً بـ(لوبراني) في منزله، وطرحت عليه الموضوع، وبعد عدّة أيام ابلغني بموافقة وزير الخارجية الإسرائيلي ايغال آلون على ذلك. وتقرر أن أقوم بهذه الزيارة في عطلة عيد النوروز حيث يخرج الكثير من الناس من طهران وبذلك لا يلفت خروجي أنا الأنظار، هذه الزيارة استمرت أربعة أيام التقيت خلالها وزير الخارجية ورئيس الوزراء (رابين) و(بيريز) رئيس حزب المعارضة).** **كما زار إسرائيل وفد آخر، بصورة سرية، وكان برئاسة نصير عصار معاون الشؤون السياسية لوزارة الخارجية[30]. وقد تحدث خلتعبري في المحكمة عن نتيجة محادثاته مع زعماء الكيان الصهيوني في الجانب الذي لا يخص إيران[31]، اذ تشير هذه المحادثات الى أن الشاه لعب دور الوسيط بين السادات وإسرائيل بعد أن كلفته أمريكا بالتقريب بينهما.** **12ـ انفصال البحرين:** **البحرين[32]جزيرة غنية بالنفط، تقع في الخليج الفارسي وكانت تابعة لإيران عدة قرون[33]. وفي عهد القاجار، استعمرت بريطانيا عدة مناطق من الشرق الأوسط ومنها البحرين، حيث جعلت منها قاعدة لها ونصبت شيوخاً عملاء حكاماً عليها، لكن إيران ظلت تعتبر البحرين جزءاً منها وتعدّها ـ حسب التقسيمات الإدارية ـ على أنها المحافظة الرابعة عشرة. وكانت تنتظر الفرصة المناسبة لتمارس هيمنتها عليها عملياً.** **وخلال السنوات التي نحن بصدد الحديث عنها، دفع العجز المالي ـ وأسباب أخرى ـ بريطانيا الى فقدان وجودها العسكري في شرق السويس، فقررت الخروج من المنطقة، وكان عليها إعداد ترتيبات خاصة لمستعمراتها.** **ومن جانب آخر، فقد كان البقاء في الحكم يهم النظام الملكي في إيران أكثر من أي شيء آخر، وكان يعتبر ذلك غير ممكن إلا في ظل القوى الكبرى، وكانت بريطانيا ترجّح أن تحصل البحرين على استقلال ظاهري وأن تعترف إيران بهذا الاستقلال، ولم يكن أمام إيران إلا الانصياع لهذه الرغبة، خاصة وأنه كان يهم حكومة الشاه دائماً أن لا تثار ضجة إعلامية ضدها، من خارج الحدود، ولهذا السبب وافقت إيران على إجراء استفتاء عام لسكان البحرين بتدخّل مباشر من الأمين العام للأمم المتحدة وأياً كانت النتيجة فيجب القبول بها واستلهاماً من توجيهات الحكومة البريطانية بإرسال وفد الى البحرين، أرسل الأمين العام للأمم المتحدة مبعوثاً الى البحرين وكانت النتيجة الأمر معروفة مسبقاً وهي الانفصال عن إيران حيث تسلمت إيران قراراً من مجلس الأمن بهذا الخصوص وتمت المصادقة عليه في الدورة الثانية والعشرين للمجلس عام 1970.** **وعقب ذلك، ومن أجل أن تصبح إيران شرطي المنطقة وتتولى مهمة الدفاع عن مصالح الغرب، فقد سيطرت على جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، وهكذا تم فصل البحرين عن إيران خلافاً لمصالح الشعب الإيراني على يد نظام الشاه وحكومة هويدا حيث حدث ذلك أثناء الاستعدادات لإقامة احتفالات مرور 2500 عام على قيام الحكم الملكي على إيران.** **وقد أقيمت العلاقات الحميمة بين نظام الشاه والشيخ عيسى حاكم البحرين وتمت دعوته الى إيران، وهكذا أصبحت البحرين بلداً مستقلاً في الظاهر لكنها في الواقع قاعدة لأمريكا[34]وسوق استهلاكية لبريطانيا.[35]** **ــــــــــــــــــــــــــــــ** **[1] قال هويدا في محكمة الثورة: كنت أعارض تأسيس حزب رستاخيز، صحيح أنني كنت أمينه العام لكنني كنت معارضاً لتأسيسه، لأنني كنت أعلم بأن هذا الحزب غير قادر على انجاز ما انيط به من مهام. أما الذين كانوا ينتمون إليه، فأنهم انتموا ظناً منهم بأنهم سيحصلون على مكاسب جراء ذلك. (صحيفة اطلاعات ـ 18/3/1979).** **[2] الشاه قال (أوريانافلاجي) خلال مقابلة أجراها معه: (القوى الغيبية هي التي تنصرني، إنها قوة عرفانية تلهمني وحياً دينياً، أنا إنسان متدين جداً أومن بالله وقد قلت مراراً بأن علينا الاعتراف بالله حتى لو لم يكن موجوداً(!!!) أنا أعيش مع الله منذ الخامسة من عمري، ومنذ ذلك الحين بدأت الُهمُ، وقد كتبُ هذا في قصة حياتي. أنا أعجب من انك تجهل الالهامات التي حظيتُ بها فالجميع يعلمون بذلك. لقد أُلهمت مرتين: الأولى في الخامسة من عمري والثانية في السادسة. لقد رأيت الإمام الحجة الغائب عندما سقطتُ على صخرة، فوضعني بينه وبين الصخرة، ولم يكن هذا في المنام، بل في اليقظة، لكن الشخص الذي كان معي لم يره). (مصاحبه با تاريخ / فلاجي/ الجزء الثاني/ ص 8).** **[3] يقول مؤلف كتاب (إيران سراب قدرت) حول أشرف الأخت التوأم للشاه: (منذ بداية السبعينات بدأت نشاطات أشرف تتجه نحو السرية، لكنها بقيت من الوجوه المعروفة والبارزة في حكومة الشاه الذي كان يعتبرها من أذكى أفراد العائلة المالكة، كما كانت من أكثر أفراد العائلة قوةً. فقد كان الشاه يستعين بها في المسؤوليات والشؤون الحساسة، حتى أنه أرسلها الى الاجتماع بـ(ستالين) خلال الحرب العالمية الثانية حيث كانت آنذاك فتاة شابة. وكانت الناطقة باسم (حقوق المرأة وحريتها) من قبل الشاه في الخارج، وقبل مجيء فرح، كانت أشرف سفيرة العائلة البهلوية فهي توضح للعالم حب هذه العائلة للإنسانية (!) مكتبها الخاص كان له أهمية خاصة، يتجمع فيه كل المسؤولين الكبار الذين يعزلهم الشاه عن مناصبهم لكنه لا يريد التخلي عنهم نهائياً لمصالح سياسية، ولهذا فقد عُرف هذا المكتب بـ(مقبرة الفيلة). ومع أن اشرف كانت في زيارات متواصلة للدول الأجنبية في أغلب الأحيان، لكن ذلك لم يمنع من أن تكون لها اليد الطولى في جميع التغييرات والقرارات المهمة في البلاد) (إيران ... سراب قدرت/ تأليف روبرت غراهام/ ترجمة فيروزنيا/ ص 72).** **[4] استحدث الشاه مؤسسات عديدة وجعل منها مؤسسات مخابراتية تمكنه من ترسيخ وتدعيم سلطته، فبعد عام واحد من تأسيس الساواك أي في سنة 1958 قام بإيجاد مؤسسة التفتيش الملكية، وهي مؤسسة واسعة ومتشعبة ليست تابعة للبرلمان ولا مرتبطة بالجيش ولا الساواك ولا حزب رستاخيز، بل لم تكن هذه المؤسسة تعرف غير شخص الشاه، ولم تكن أية مؤسسة حكومية تمارس أي إشراف عليها، كما أن صلاحياتها تتعدى أحياناً صلاحيات الساواك بل وتشمله هو الآخر. وقد توالى على رئاسة هذه المؤسسة منذ تأسيسها وحتى انحلالها ضابطان كان (فردوست) هو الثاني منهما حيث لازم الشاه منذ طفولته، وهو من الأفراد القليلين ـ من خارج العائلة المالكة ـ الذين كانوا يحضرون الولائم التي يقيمها الشاه. وقد كان عمل هذه المؤسسة هو تفتيش الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومراقبتها في جميع المؤسسات والدوائر الحكومية، حيث ألزم الجميع بالتعاون معها، كما كانت المؤسسة تتدخل في الشؤون التجارية لصالح أعضاء العائلة المالكة (راجع كتاب (إيران .. سراب قدرت) لروبرت غراهام/ ص 174).** **[5] كان الشاه يتصور أنه ليس منقذاً لإيران فحسب، بل منقذاً للغرب أيضاً، فهو يرى أنه كان يسير بإيران الى التحضّر وكان نابغاً في هذا المجال! وأنه فاق جميع الملوك الذين حكموا إيران خلال 2500 عام ولهذا كان يكرّس هذا التصور حتى وهو يقوم بإنشاء السدود والأبنية فكان يأمر بإصدار مسكوكات عليها اسمه وصورته لتبقى خالدة لآلاف السنين. وكان يعتبر نفسه أحياناً رسولاًً من الله عينه لهذا الغرض!! وفي عام 1971 جمع زعماء 69 بلد في مقبرة كوروش وأقام احتفالات مرور 2500 عام على تأسيس الشاهنشاهية، كي يتحدث بحضورهم مع كوروش ويصل نفسه به برباط وثيق، كما أن الصحف وصلت الى هذه النتيجة وهي أن الشاه وصل الى الملوكية بثلاث أنحاء وطرق:** **الأول في أيلول 1941 طبقاً للدستور!, والثانية في4/2/1948 و10/4/1965من قبل الله!!، والثالثة في 19/آب/ 1953 و26 كانون الثاني 1963 من قبل الشعب!!عندما انتخبه الشعب لذلك(تراجع صحف الصادرة في إيران خلال أيام الاحتفالات بمناسبة مرور 2500 عام على الملكية).** **[6] وصلت عمليات المديح والتملّق للشاه الدكتاتور الى حد أن المغنين بدأو يكرّسون أغانيهم لهذا المجال. ففي عام 1967م بثت إذاعة إيران أغنية تخاطب الشاه بالقول (أنت أوضح من نور الله!! أنت زعيمنا في الدين والعلم!!) وكانت كلمات الأغنية للشاعر رهي معتيري، حيث يقول أحمد آرامش في مذكراته عن أيام السجن(الساواك الذي صنع الدكتاتور في إيران، كان يمارس ضغوطاً على الشعراء والمغنين لينضموا الى صغار مدّاحي الشاه والمتملقين له، حيث امروا (رهي معيري) ـ وهو أحد الشعراء الأحرار المعاصرين ـ بتأليف كلمات أغنية تمدح الشاه، فاضطر الى ذلك ونفذ ما أرادوا تحت وطأة تعذيب الضمير، فوصف الشاه المنحط الهمجي بأنه أوضح من نور الله، وأنه القائد والزعيم الديني والعلمي لهذا الشعب) (هفت سال در زندان آريا مهر/ ص 94).** **[7] في الأعوام 1925م و1949م و1957م جرى تشكيل مجلس المؤسسين لإجراء تغييرات في الدستور من شأنها ترسيخ السلطة الملكية ودعمها أكثر فأكثر.** **[8] حتى باعة الورود أخذهم الطمع في ذلك ففي أوروبا أطلقت على ثلاث أنواع من الورود أسماء كوروش، وبهلوي وفرح.** **[9] يبدأ (بيير بلانشيه) كتابه بالكلمة التي وجهها الشاه مخاطباً كوروش والتي ألقاها على قبره حيث قال (يا كوروش! أيها الشاه الكبير، يا ملك الملوك ويا شاه السلالة الهخامنشية، احييك أصالة عن نفسي أنا شاه إيران، ونيابةً عن شعبي. يا كوروش نحن هنا نقف أمام قبرك الأبدي لنقول لك، نم قرير العين فنحن يقظون( إيران.. انقلاب بنام خدا/ للكاتب بييربلانشيه/ ترجمة قاسم صفوي/ ص 8).** **[10] عندما رأى النظام الحاكم أن الاحتفالات قد أدت الى نتائج معكوسة وأوجدت موجة سخط عامة ـ خاصة بعد أن وصلت نداءات الإمام الخميني من النجف والتي فضح فيها النظام ـ لجأ الشاه الى التستر وراء بناء المسجد الفخم، فادعى أن نفقات الاحتفالات هي من تبرعات الشعب، وأن المبالغ الاضافية منها قد خُصّصت لبناء مسجد. يقول بلانشيه في كتابه (إيران.. ثورة باسم الله). (تزامناً مع الاحتفالات الماجنة، وجّه آية الله الخميني نداءً من منفاه في النجف الأشرف في العراق قال فيه (في هذه الظروف، نرى انفاق ملايين التومانات على احتفالات الشاه، إذ أنفق ثمانين مليون تومان لتزيين العاصمة طهران لوحدها، كما يبدو أن خبراء إسرائيليين يتولون إقامة هذه الحفلات.. فهل إن على الشعب الإيراني أن يقيم الاحتفالات لمن يخون الإسلام؟ كيف يمكن لشعب أن يقيم الاحتفالات لهذا الملك؟ فقد سوّدت جرائم الملوك صفحات التاريخ وكانت لفظة (الملك) منبوذة جداً عند النبي(ص) فالإسلام يعارض الملكية. دمروا قصور الظلم الملكي في إيران فالملكية أقبح أشكال الرجعية. لماذا يجبر النظام الملكي التجار والعمال على دفع نفقات هذه الاحتفالات؟ لو كان علماء قم ومشهد وتبريز واصفهان وشيراز وباقي مدن إيران قد احتجوا على هذه الاحتفالات التي تسير بشعب إيران نحو الهاوية، لما وصل الأمر الى هذا الحد. ففي إيران حوالي 150 ألف من علماء الدين وطلبة العلوم الدينية، فلو خرج هؤلاء من صمتهم وأصبحوا يداً واحدة ولم يؤيدوا هذا النظام العميل، لانتصروا) (إيران .. ثورة بسم الله كلوربربر بيير بلانشيه).** **[11] الاحتفالات كانت كثيرة جداً، وتجري بحجج ومسميات مختلفة، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال. (ذكرى ولادة ليلى بنت الشاه، وذكرى تكريم الشهداء الشجعان ـ الضبّاط الذين انقذوا الشاه من الخطر ـ وذكرى تتويج رضا شاه الكبير، وذكرى ولادة الأمير علي رضا بهلوي وذكرى ولادة الأمير غلام رضا بهلوي وذكرى وفاة رضا شاه، وذكرى النهضة الوطنية، وذكرى بدء حكم الشاه، وذكرى ولادة الأمير عبد الرضا وذكرى مرور 2500 عام على قيام الحكم الملكي في إيران وذكرى ولادة زوجة الشاه وذكرى ولادة الشاه نفسه، وذكرى إعطاء حقوق المرأة، وذكرى التتويج وذكرى ولادة الأمير أشرف وذكرى ولادة الأميرة شهناز وذكرى ولادة الأميرة شمس وذكرى ولادة الأمير محمود رضا ويوجه الشكر بمناسبة زوال الخطر عن الشاه) إضافة الى عشرات الذكريات الأخرى الخاصة بولادات أبناء العائلة الملكية. حيث كانت كل هذه المناسبات تمثل مادة اعلامية للصحافة وأجهزة الإعلام، لتتناولها بالحديث والتحليل.** **[12] عمل الشاه على تحويل جزيرة كيش الى مونت كارلو إيران من أجل أن لا يتخلف عن ركب (التحضُّر الغربي) في كل المجالات. وجزيرة كيش تبعد مسافة 15 كليو متراً عن السواحل الإيرانية الجنوبية في الخليج الفارسي طولها (12) كم وعرضها (9) كم ويسكنها (3) آلاف نسمة. وقد رصد الشاه مليارات الريالات لإعمارها، فانشئ فيها مطار ضخم يمكن حتى لطائرات الكونكورد الهبوط فيه. كما أعدت منشآت ومرافق في الجزيرة لاستقبال عشرة آلاف من الشخصيات من اُمراء المنطقة العرب وغيرهم، وحدد مبلغ عشرة آلاف فرانك كرسم لدخول الجزيرة لكل قادم. وفضلاً عن هذا، فقد عمد النظام الى جعل الجزيرة، منطقة غربية تماماً، فالمضيّفون جُلبوا من فرنسا والحدائق على النمط الإنكليزي ومحطة التلفزيون من أمريكا، وأجهزة تصفية المياه وتحليتها من إسرائيل، كما أقيمت مراكز تجارية وأسواق حديثة للملابس والعطور المشهورة في العالم. عشرات الألوف من الأشجار جُلبت الى الجزيرة بواسطة الطائرات. كما كان بإمكان المستثمرين الدوليين جلب فرق الديسكو لتقديم عروضها في صالة القصر المؤلّف من 250 غرفة. الشاه كان يملك قصراً خاصاً به وبالقرب منه قصر آخر لرئيس وزرائه هويدا. رصيف الجزيرة يحوي عدة سفن ترفيهية مجهزة بكل شيء. وفي الجزيرة أنواع السيارات الخاصة بالتجوال والتنقل. تصفية مياه البحر كانت تتولاها خمس مؤسسات. أما الكهرباء الذي تستهلكه الجزيرة فيعادل نصف ما تستهلكه طهران العاصمة كلها آنذاك!** **[13] حتى عام 1966م كانت قوات الشرطة والأمن تقوم بمصادرة الكتب التي لا ترتضيها الرقابة، وأحياناً كان الكاتب والناشر يتعرضان للاعتقال فإما أن يسجنا وأما أن ينفيا، ولتسهيل هذه المهمة كانت قوات الأمن تقوم بتشغيل بعض جلاوزتها كعمال في المطابع للإخبار عن أي كتاب يتم طبعه. كما صدرت الأوامر لأصحاب المطابع بالإخبار عن نشاطات الكتّاب والناشرين غير المرغوب فيهم والامتناع عن طبع أي كتاب لهم. وفي عام 1966م أعلن النظام رسمياً وجوب خضوع جميع الكتب للرقابة من قبل وزارة الثقافة والفنون قبل طبعها، وتدريجياً بدأ (الساواك) يشدّد من إجراءاته، كما لجأ الى العنف والشدة إثر كشفه للكتب التي تمر عبر الرقابة، فقد لجأ الى السجن والتعذيب ضد من يتداول أحد هذه الكتب أو يحتفظ به. وهكذا فقد تعرضت حرية الرأي والفكر الى هجمة شرسة أضفت حالة من الجمود على الحركة الفكرية وحالت دون نمو الأفكار الخلاقة والأقلام البناءة، وحلّت محلّها مظاهر الانحطاط والانحراف.** **[14] في هذه المدة أعطت إيران قروضاً بلغت (570) مليار ريال، ومساعدات مقدارها 14 مليار ريال، واستثمرت أموالاً تبلغ (60) مليار ريال، حيث كانت فائدة القروض المقدمة في الغالب 2.5 بالمئة. وقد قُدمت هذه القروض الى الجهات التالية:** **1ـ البنك الدولي وصندوق النقد الدولي(108) مليار ريال.** **2ـ الدول الصناعية الغربية(218) مليار ريال.** **3ـ دول أوروبا الشرقية(56) مليار ريال.** **4ـ باقي الدول(188) مليار ريال(المصدر: وثائق وزارة الاقتصاد والمالية).** **[15] المنظمات الدولية(6.9) مليار ريال (99 مليون دولار) والدول الصناعية الغربية(0.4) مليار ريال(5.4 مليون دولار)، والدول الآسيوية(5.7) مليار ريال(81.5 مليون ريال دولار)، والدول الأفريقية (0.6) مليار ريال (8.7 ميلون دولار). وبهذا بلغ المجموع (13.6) مليون ريال أي ما يعادل (194.6) مليون دولار، وقد بلغت الهبات المقدمة الى الأردن لوحده حوالي (3.3) مليار ريال، أي أكثر من نصف مجموع الهبات المقدمة الى الدول الآسيوية. أما أفغانستان فكان نصيبها (مليار) ريال، فضلاً عن (860) مليون ريال الى دبي وعمان والفجيرة، و(600) مليون ريال الى الباكستان، كما بلغ مجموع الهبات المقدمة الى مصر حوالي (399) مليون دولار ( حسب الاحصائيات التفصيلية التي نشرتها اللجنة المؤقتة للعاملين في منظمة الاستثمار والمساعدات الاقتصادية الإيرانية في آذار 1980).** **[16] هذا المبلغ كان في إطار مسؤوليات منظمة الاستثمار ولا يمثل جميع استثمارات الحكومة الإيرانية في الخارج، وقد تمَّ دفع (60) مليار ريال منه (854 مليون دولار) الى مؤسسة كروب والمؤسسات التابعة لها.** **[17] نشرت صحيفة اطلاعات بتاريخ 10/3/1979 تقريراً عن أحد هذه المراكز الداخلية كان يسمى (نادي العصر) حيث كان من أعضائه: الفريق نصيري رئيس الساواك، وأشرف بهلوي. ويبدو أن أي صفقة مقامرة فيه لم تكن تتم بأقل من مبلغ 300 ألف تومان.** **[18] نشرت مجلة نيويورك تايمز سلسلة مقالات لـ(مايكل باربر) ممثل ولاية مريلند وعضو الحزب الديمقراطي الأمريكي، حول الرشاوي الكبيرة التي دفعها مندوبو الساواك وأعضاء السفارة الإيرانية الى المسؤولين الأمريكيين رفيعي المستوى وقد أوردت ترجمته صحيفتا كيهان واطلاعات في 26 و 27 شباط 1979 وتضمنت كشفاً لأساليب عمل هؤلاء واستغلالهم للجنس والمخدرات لتحقيق أغراضهم حيث ورد في التقرير:** **(إنّ استخدام سلاح الجنس والمخدرات في منزل السفير الإيراني في واشنطن اردشير زاهدي كان جارياً من أجل اجتذاب السياسيين والمسؤولين الأمريكيين وقد صار ذلك حديث الأوساط الأمريكية.. فبعد ساعة من التعارف الذي يتم بين زاهدي وبعض المسؤولين الأمريكيين في منزله، يأمر زاهدي حارسه بجلب موقد الأفيون والحشيش، حيث يجتمعون حوله ويدخنون المخدرات، بعد فترة يطلب زاهدي من إحدى الداعرات ـ اللاتي يجلبهن له السماسرة طبعاً ـ أو إحدى موظفات السفارة أن ترقص فتستجيب لطلبه، وتبدأ الرقص ثم تتعرى شيئاً فشيئاً فيبدأ الحاضرون بإطلاق عبارات ماجنة ويبدأون بممارسة أعمال الجنس، وفي إحدى هذه الحفلات كان ممثل مجلس (ال ـ اف) مدعواً، فلم يدخن المخدرات، لكن زاهدي قام بعرض مجموعة من النساء أمامه ليختار واحدة منهن، حيث اختار في النهاية امرأة إيرانية و...).** **[19] في بداية عام 1981، قدم أحد أعضاء مجلس الشورى الإسلامي احصاءات تتعلق بانتشار الفحشاء في طهران خلال العهد البائد كما يلي: (كان هناك 40 معملاً لأنتاج الخمور، و600 معطم يقدم الخمور مع الطعام، و200 حانة علنية لبيع الخمور، وبلغ الاستهلاك اليومي للبيرة في طهران 400 ألف قنينة في اليوم، وكانت هناك 160 ملهى في العاصمة وقد بيعت في أحد هذه الملاهي (14) الف بطاقة في يوم واحد، وكانت هناك 2700 امرأة ساقطة، و1120 بيتاً للدعارة..).** **[20] كيهان 1/10/1979م.** **[21] أحد الرعايا البريطانيين ـ يُدعى ساوين ـ قضى عدة سنوات في سجن وكيل آباد بمشهد، وبعد إطلاق سراحه، أجرت صحيفة هيرالد تريبيون مقابلة صحيفة معه فكان مما قاله في هذه المقابلة: لقد شاهدت في السجن الكثير من المفارقات، منها إنني لاحظت مجموعة من السجناء الأحداث والفتية الذين تتراوح أعمارهم بين 15.6 عاماً سجنوا بجريمة السرقة أو الجرائم الصغيرة الأخرى حيث كان الضباط يتاجرون بشرف هؤلاء لقاء مبلغ (10) آلاف ريال (160 دولار) عن كل مرة.** **[22] فريد. جي. كوك كشف في مقالة نشرتها مجلة نيشن في 16/4/1965 قضية مبلغ الملياري دولار التي دفعتها أمريكا لإيران، وقد تُرجمت هذه المقالة الى الفارسية وطُبعت في كتاب باسم (لغز الملياري دولار) صدر أواخر عام 1979 وفي الصفحة (73) وجه الكتاب أصبع الاتهام الى عدد من أفراد العائلة الحاكمة وعدد من المسؤولين الأمريكيين متهماً إياهم بسرقة هذه الأموال، وقد أدى ذلك الى فتح ملف لهذه القضية في أجهزة القضاء الأمريكية. وكان السناتور جاكوب جاويتس من الحزب الجمهوري الأمريكي، من الذين تربطهم علاقة قوية بالشاه، وخاصة في المجالات المالية، كما كانت زوجته تتسلم كل عام رشاوى من شركة الطيران الإيرانية مقدارها (507500) دولار كأجور استشارة (راجع المقابلة المنشورة مع وزير العدل في الصحف المسائية الصادرة يوم 11/5/1979).** **[23] أحد المبالغ المدفوعة للمؤسسات العلمية الأمريكية هي كالآتي: (وزير البلاط الشاهنشاهي بعث رسالة سرية الى رئيس الوزراء هويدا جاء فيها: امتثالاً لأوامر جلالة الشاه فقد تقرر دفع مبلغ مليون دولار كدعم لجامعة جورج واشنطن الأمريكية من قبل الحكومة الإيرانية نرجو العمل حسبما يقتضيه الأمر وإعلامنا النتيجة ليتم عرضها على صاحب الجلالة). وقد كتب هويدا بخطه في أسفل الرسالة أمراً الى وزير التخطيط والميزانية مجيدي بالعمل على توفير المبلغ المذكور خلال اسبوعين امتثالاً لأمر صاحب الجلالة من أي مكان كان.** **[24] بتاريخ 20/4/1974 كتب وزير البلاط أسد الله علم رسالة الى هويدا جاء فيها: (تعلمون أن صاحبة الجلالة حرم صاحب الجلالة المحبوب وقد وافقت على تروس الحفل الساهر الذي يقام في فندق والدرف استريانيويورك بهدف جمع التبرعات لمكافحة السرطان، حيث ستقوم بتوجيه نداء وتقديم هدايا تتمثل بسجادة بمبلغ 4800000 ريال و20 ألف دولار نقداً، نرجو الأمر بتسليم هذا المبلغ الى المالي للبلاط الملكي). كما توجد رسائل كثيرة أخرى موجهة من البلاط الى رئيس الوزراء يطالب فيها تخصيص مبالغ باهضة لانفاقها في شؤون شخصية تخص الشاه وابنه وأفراد عائلته كشراء الأثاث وإجراء ترميمات في القصور، وشراء بيوت وشقق في أوروبا.** **[25] صحيفة اطلاعات في 3/3/1979 نقلاً عن هاشم صباغيان.** **[26] كتب هاشم صباغيان في صحيفة كيهان بتاريخ 6/6/1979ما يلي: خلّفت العائلة البهلوية وراءها ديوناً كبيرة لمؤسسات الهاتف والتلكس فقد كانت شهناز مدينة بمبلغ (3) ملايين ريال وأم الشاه بمبلغ (7.5) مليون ريال وشمس بمبلغ (13) مليون ريال كما كان البلاط مديناً لشركة الأسماك بمبلغ مليوني ريال قيمة الكافيار المستهلك. ولم تسلم ميزانيات السفارات في الخارج من نهب أعضاء العائلة المالكة، فخلال سفرها الى نيودلهي، اشترت فريدة ديبا (اخت زوجة الشاه) اشياء بمبلغ 21 ألف روبية من ميزانية السفارة، وقبل زيارة زوجة الشاه (فرح ديبا) الى العراق، دفعت مبلغ مليوني ريال لأربع مصممات أزياء أيطاليات زرنها (14) مرة لإعداد ملابس الزيارة، وقد دفعت السفارة الإيرانية في أيطاليا مبلغ (22110620) ريالاً ثمناً لآخر بدلة، كما دفعت السفارة مبلغ (8515932) ريالاً لشراء بدلة لـ(فرح ناز) عام 1978. وقد بلغت ديون العائلة البهلوية للبنوك حوالي (21707891293) ريالاً. كما كان مكتب فرح، أحد مراكز الفساد المالي وحجم مشتريات المكتب يؤكد هذه الحقيقة، حيث كانت تدفع مبالغ طائلة لقاء سلع وأعمال تافهة من قبيل صنع تمثال برونزي لفرح مقابل (50) ألف دولار واستقدام فرقة غنائية الى إيران من أمريكا مقابل (50) ألف دولار وغير ذلك.** **[27] عند مراجعة سجلات شركة حافلات النقل الداخلي، كشف النقاب عن فقدان 180 حافلة! (كيهان 31 آب).** **[28] المؤرخ الروسي (ايوانوف) يتحدث في الصفحة (258) من كتابه (التاريخ المعاصر) المترجم الى الفارسية، حول ظاهرة الفساد والرشوة والاختلاس كأمراض سرت الى أعلى المسؤولين فيقول: (بين الحين والآخر يتم الاعلان عن حملة مكافحة الفساد الإداري والمالي وتتم محاكمة عدد من المسؤولين بتهمة الاختلاس واستغلال الأموال الحكومية، ومع ذلك فإن ظاهرة الاختلاس والفساد الإداري كانت تتسع باستمرار. وفي أواخر كانون الثاني من عام 1976 احيل الى القضاء قائد البحرية الإيرانية ومعه تسعة من ضباط هذه القوة بتهمة الاختلاس، وفي (28) من الشهر نفسه نشرت صحيفة (آيندگان) خبراً عن اتهام المدير التنفيذي لمشروع إعمار عباس آباد بالسرقة والاختلاس، وفي آذار 1976 حكم على عدد من ضباط الجيش ومنتسبيه بالسجن لمدد مختلفة. وفي نفس التاريخ صدر أحكام مختلفة بحق (15) من منتسبي معمل سكر اصفهان والقائمقام السابق للمدينة وعدد من موظفي الدوائر بتهمة أخذ الرشوة، كما وجهت تهمة التزوير واستغلال المساعدات المقدمة للمتضررين بالسيول الى المدير السابق لمصرف التأمين التجاري.** **[29] سعى خلعتبري الى إبعاد نفسه عن هذا الموضوع، والا فكيف يمكن لوزير خارجية الشاه الذي كان أميناً عاماً لحلف السنتوان لا يحضر لقاء الشاه بـ(موشيه اديان) وأمثاله.** **[30] نصير عصار من المقربين لهويدا، وهو من العناصر المهمة في الساواك. تولى منصب الإمانة العامة للسنتو بعد خلعتبري وفضلاً عن ذلك، كان يشغل منصب مساعد رئيس الوزراء ورئيس مؤسسة الاوقاف. وخلال عمله كمساعد سياسي لوزير الخارجية، لعب دوراً في العلائق مع إسرائيل، كما تبين من اعترافات خلعتبري. وخلال توليه رئاسة منظمة الأوقاف، أحكم سيطرة الأمن الشاهنشاهي(الساواك) على الموقوفات في البلاد فخصص عائدات الموقوفات التي أوقفها أصحابها لأعمال الخير، الى مشاريع الفساد والفحشاء.** **[31] يقول خلعتبري(كانوا متصلبين جداً في موقفهم من قضية (الأراضي المحتلة) إذ اتخذوا نفس الموقف الذي كانوا يعلنونه في الأوساط العالمية فقد كانوا مستعدين لإعادة سيناء، إلا أنهم يشترطون لذلك دخول السادات في مفاوضات مباشرة معهم. وفيما يخص غزة، لم يكونوا يرفضون دخول المفاوضات بشأنها، لكنهم لم يكونوا مستعدين للتنازل عن الضفة الغربية لنهر الأردن والتي تحظى بأهمية عسكرية لهم. وخلال عودتي الى إيران رفعت الى الشاه تقريراً عن كل ذلك، إلا أنه لم يعلّق على هذا الأمر أبداً. وأعتقد أن السادات والملك حسين كانا قد طلبا من الشاه استطلاع رأي الحكومة الإسرائيلية ووجهات نظرها حول الموضوع(من محاظر اعترافاته في محكمة الثورة الإسلامية).** **[32] تقع مجموعة جزر البحرين جنوب الخليج الفارسي، وهي تتألف من جزيرتين كبيرتين رئيسيتين، هما المنامة والمحرق إضافة الى أكثر من ثلاثين جزيرة صغيرة. تبلغ المساحة الكلية للجزر (598) كيلو متراً مربعاً ونفوسها (300) ألف نسمة.** **[33] منذ السنة (80) قبل الميلاد، والبحرين جزء من أراضي إيران، وفي عام 326 هجري سيطر العرب المسلمون عليها، لكنها عادت الى السيادة الإيرانية بعد سقوط الخليفة العباسي. وفي عام 1498 سيطر عليها البرتغاليون، وفي القرن السابع عشر، (أي خلال عهد الصفويين) جرت محاولات لتوحيد أراضي البلاد حيث تم ـ وبدعم من الإنجليز ـ إنها الوجود البرتغالي المسلح في هذه الجزر، لكن الهولنديين والفرنسيين قاموا في نفس القرن باحتلالها. وفي عهد نادر شاه، وكريمخان زند، ظلت البحرين خاضعة للسيادة الإيرانية مدة (36) عاماً، وكانت تابعة لولاية فارس، ومنذ عام 1782 تم فصل البحرين عن الأراضي الإيرانية بشكل عملي، إلا أنها أعيدت الى إيران عام 1822. وفي عام 1861 خرق الإنجليز الاتفاقية، وأنزلوا قواتهم في الجزر لاحتلالها، ومنذ عام 1892 أصبحت البحرين، ضمن الأراضي الخاضعة للحماية البريطانية (راجع تاريخ البحرين).** **[34] أنشأت أمريكا ـ ووفقاً للاتفاقية ـ قاعدة عسكرية مهمة في البحرين حيث عمل فيها آلاف العسكريين الأمريكيين للمحافظة على الوجود الامبريالي الأمريكي. وتضم القاعدة فرعاً للمخابرات المركزية الأمريكية وتتولى مهمة تبادل المعلومات والأخبار (صحيفة آيندگان: 17/آذار/ 1979).** **[35] يعتمد الاقتصاد البحريني على النفط بشكل رئيس، حيث يتم استيراد جميع احتياجات البلاد من الخارج. ويبلغ انتاج البحرين من النفط حوالي 60 ألف برميل في اليوم، وفيها 27 مصرفاً دولياً، وقد أدى تهافت التجار عليها الى تحويلها الى بلد مستهلك كبير للسلع.**

# ****الفصل التاسع****

# ****جهاز أمن الشاه (الساواك) وممارساته****

**1ـ نظرة عامة الى الساواك:**

**تحدثنا فيما مضى عن جهاز الساواك(الأمن الشاهنشاهي) وأعماله باختصار، وها نحن نفصل البحث فيه لكونه لعب دوراً بارزاً ومهماً في هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها.**

**تأسس جهاز الساواك عام 1957م بقانون صادق عليه مجلس الشورى الوطني! وكان الهدف من ذلك، وضعه محل الحكومة العسكرية ليتولى مكافحة أية حركة معارضة للنظام والقضاء عليها في المهد، وتجنيب النظام الحاكم عواقب السخط الشعبي على الحكومة العسكرية. ولم يقتصر نشاط الساواك على الجوانب الأمنية، بل توسع تدريجياً فأصبح يتدخل في جميع مرافق البلاد وشؤونها، حتى أنه أضحى أعلى سلطة حتى من الحكومة نفسها.**

**ويمكن تقسيم عمر الساواك البالغ (20) عاماً الى 4 مراحل:**

**الأولى: من عام 1957م الى عام 1961م.**

**والثانية: من عام 1961م الى عام 1964م.**

**والثالثة: من عام 1964م الى عام 1977م.**

**والرابعة: من عام 1977م الى عام 1979 وهي مرحلة السقوط.**

**2ـ المرحلة الأولى:**

**برزت تشكيلات الساواك الى الوجود بين عامي 1957 و1961، حيث رأسها الجنرال تيمور بختيار، الحاكم العسكري لطهران والمجرم الذي أصبحت كل الألسن تتناقل أخبار جرائمه.**

**وقد كانت فعاليات الساواك في الداخل والخارج بحاجة الى تنظيمات واسعة حيث تم إعداد كل مستلزمات هذا الأمر، واكتسب رئيسه لقب نائب رئيس الوزراء. لكن ذلك لم يمنع من استمرار عمل لجنة الأمن الاجتماعي بعد أن أُضيف لها عضو آخر هو ممثل الساواك.[1]**

**وبحكم العلائق المتينة التي كانت تربط إيران بأمريكا، فقد تم تدريب عناصر الساواك على يد المخابرات المركزية الأمريكية[2] لكن بختيار وبسبب تغيُّر الجو السياسي والمنافسة التي بدأها مع الشاه للهيمنة على الأمور وخلافه مع اجراءات اميني، فقد تنحّى من منصب رئاسة جهاز الأمن وبدأ العمل بشكل غير مباشر.**

**وبعد حوادث الجامعة عام 1961 اضطر بختيار الى الخروج من إيران. ولما كان قد يئس من فرض سلطته على البلاد من خلال الشاه فقد بدأ العمل كمعارض، وقام بالكشف عن كل الجرائم التي ارتكبها النظام، وله ـ طبعاً ـ الدور الأساس في ارتكابها[3]، وراح يعمل على تدريب العناصر وشنّ الحملات الإعلامية ضد الشاه متخذاً من العراق قاعدة له. فأوجد محطة إذاعية واستطاع لفترة معينة زعزعة أمن الشاه واستقراره، وانتهى به لأمر أن قُتل في آب 1970م على يد عناصر الساواك الذي أرسى اسسه بنفسه.**

**وبمراجعة سريعة للقائمة التي نشرت عن الأراضي والشركات والعقارات التي استولى عليها بالقوة خلال عمله في رئاسة الساواك سيتضح لنا جانب من سلوك رضا شاه ونهجه ستتوضح لنا أبعاد الفساد والاستبداد الذي كان متفشياً في إيران.**

**3ـ المرحلة الثانية:**

**تتزامن هذه المرحلة مع سنوات ما تسمى بالثورة البيضاء، حيث عمل الشاه ـ وتنفيذاً لتوجيهات أمريكا الجديدة ـ على الحد من العنف المباشر للساواك بالرغم من أن الاشتباكات في الشوارع قد شهدت تصاعداً ملحوظاً. وفي هذه المرحلة تولى رئاسته المدعو (باك روان) وهو أقل عنفاً، قياساً الى بختيار ونصيري.**

**وفي هذه المرحلة، كان النظام يسير نحو السقوط، بعدما مرَّ بانتفاضة 5 حزيران، إلا أنه استعاد قواه تدريجياً بعد تنفيذه توجيهات المستشارين الأمريكيين، وتقوية جهاز الساواك، وتشكيل الدورة الثانية والعشرين لمجلس الشورى الوطني!.**

**4ـ المرحلة الثالثة:**

**تزامنت هذه المرحلة التي استمرت (13) عاماً، مع تولّي هويدا رئاسة الوزراء، حيث كان للساواك، في هذه المرحلة الدور الأساس، فقد مارس القمع والاعتقال والمطاردة والبطش بأقسى صوره، فشُكّلت فرق المراقبة والمطاردة، ومورست شتى صنوف التعذيب من أجل انتزاع المعلومات من أي مشتبه به، كما أرسل الساواك عناصره الى الدول الأخرى لجمع معلومات كاملة عن الإيرانيين المقيمين هناك.**

**وقد بلغت الميزانية الرسمية للساواك عام 1972م (255) مليون دولار وارتفع هذا الرقم في العام التالي الى (310) ملايين دولار، فضلاً عن الميزانية السرية لهذا الجهاز.**

**وقد سعى جهاز الساواك في هذه المرحلة الى الحيلولة دون إقامة أية تجمعات سياسية أو اضرابات. حتى لو استدعى الأمر استخدام العنف والبطش لمنع ذلك.[4]**

**وقد شاعت أنباء بطش الساواك وقسوته في هذه المرحلة على الصعيد العالمي، حيث أعلن الأمين العام لمنظمة العفو الدولية عام 1975 أنه لا توجد صحيفة أعمال دولة أسوأ من صحيفة أعمال الحكومة الإيرانية فيما يخص حقوق الإنسان وقد وجّه نشر تقارير منظمة العدل الدولية واللجنة الدولية للحقوقيين ضربة مؤثرة الى سمعة نظام الشاه عالمياً، ووفقاً لتلك التقارير فإن جلادي الساواك يستخدمون شتى أساليب التعذيب فضلاً عن استخدام الصدمات الكهربائية والضرب المبرح فإنهم يلجأون الى أساليب أكثر وحشية وقسوة، مثل إجلاس المعتقلين على قناني زجاجية مكسورة، وتعليق أثقال بالخصى، ووضع قبعات على رؤوس المعتقلين تعمل على عكس صراخهم الى أذانهم مما يؤدي الى انهيارهم عصبياً.**

**كما يجري الاعتداء جنسياً على المعتقلين السياسيين، وقد يلجأ المعذّبون الى استخدام حيوانات وحشية ـ كالدببة ـ لهذا الغرض، والاعتداء الجنسي يستخدم كوسيلة لانتزاع الاعتراف وتعذيب المعتقلين نفسياً، كأن يقوم الجلادون بالاعتداء على الزوجة أو البنت أمام الزوج أو الأب.[5]**

**وورد في هذه التقارير أن جلاوزة الساواك كانوا يعتقلون من يريدون بعيداً عن أية ضوابط أو قوانين، كما كان هذا الجهاز يعتقل الأشخاص متى ما يريد ولا يعترف بأية حقوق للمعتقلين، أي أنه كان يمتلك قوة استبدادية مطلقة ويرتكب ما يحلو له من جرائم.[6] أما المحاكم العسكرية فقد تحولت الى آلة بيد الساواك إذ كانت تجري فيها المحاكمات السياسية خلافاً للدستور.**

**أما اختيار القضاة، فكان المعيار فيه، مدى الولاء والطاعة للساواك، كما أنهم لم يكونوا يدرسون القضايا المطروحة أمامهم ولا يجرون التحقيق الكافي، بل يصدرون الأحكام ويفرضون العقوبات التي تُملي عليهم. ولم يبق هناك أي وجود للمحامي المدافع عن المتهم. وكانت النتيجة أن يجري اعتبار عمل معيَّن جريمةً بينما القانون لا يعتبرها كذلك.**

**كما كان الساواك ينسب أعمالاً معينة الى من يشاء من المهتمين، بدون أي مستمسك ثبوتي، وفي قرار الحكم، يجري الاستناد الى مستمسك واحد فقط هو تقارير الساواك. أو قد يجري الحكم على شخص بالإعدام لاحتمال قيامه بعمل لا يعتبره القانون جريمة حتى لو وقع بالفعل.**

**وكان على المتهم أن يدافع عن نفسه وفقاً لما تراه الحكمة، وإلا فإن المحكمة لا تسمح له بالدفاع، ولهذا كان الكثير من المتهمين يمتنعون عن الدفاع ويتقبلون أي حكم يصدر بحقهم، كما كانت القيود المفروضة على السجناء السياسيين أكثر بكثير من تلك المفروضة على العاديين.**

**وكان الساواك يستخدم سجن (القصر) وسجن (ايفين) وسجن (قزل قلعه) في طهران لعمليات الاعتقال والتعذيب، إضافة الى معتقلات أخرى في تبريز، وشيراز، ورشت، واراك، وبندر عباس، ومشهد، ومهاباد، وبرازجان، وبوشهر، وزاهدان، وسمنان، وكرمانشاه.**

**كما لم يكن عدد المعتقلين معروفاً في أي وقت من الأوقات، وكانت القيود المفروضة على السجناء مشددة جداً بحيث إن أي تصرف يخالف ذلك كان يؤدي بمرتكبه الى السجن الانفرادي لعدة أشهر.[7]**

**أما السجناء السياسيون الذين يعلنون ندمهم أمام المحكمة أو الذين يعلنون استعدادهم لإعلان الندم والتوبة والبراءة من المواقف السابقة، من خلال وسائل الإعلام، فقد كان يجري تخفيف الأحكام الصادرة بحقهم، وأحياناً يجري العفو عنهم وإطلاق سراحهم مما يدفع الساواك الى استغلال ذلك إعلامياً.**

**ولم يكن انتهاء مدة محكومية المعتقل يعني بالضرورة إطلاق سراحه، فالكثير منهم لا يطلق سراحهم لأسباب وذرائع واهية حتى إن سجن (القصر) يضم جناحاً خاصاً بأمثال هؤلاء.**

**نظام الشاه كان يدّعي عدم وجود أي سجين سياسي في إيران وأن السجناء هم من المجرمين العاديين فقط. صحيفة التايمز الصادرة بتاريخ 9 حزيران 1977 نقلت عن الشاه ادعاءه في إيران (2200) سجين مجرم سياسي بينما أعلن المراقبون الأجانب في الفترة نفسها أن عدد هؤلاء يتراوح بين 25 و100 ألف سجين، والأهم من ذلك؛ أعمال التعذيب التي تمارس ضد السجناء والتي أصبحت شيئاً عادياً واتخذت أشكالاً وصوراً مختلفة.**

**وقد لاحظ الصحفيون الأجانب الذين استطاعوا حضور بعض المحاكمات، آثار التعذيب على أجسام المهتمين وعكسوا ذلك في وسائل إعلامهم. وقد شمل التعذيب كل فئات الشعب خاصة علماء الدين الذين كانوا يؤمنون ويصرون على زعامة الإمام الخميني وقد استشهد منهم تحت التعذيب عدد كبير، أبرزهم آية الله سعيدي ومن بعده آية الله غفاري في شهر كانون الثاني 1975.[8]**

**ولما كان الساواك قد شمل جميع أرجاء البلاد بظلمه استبداده، فقد كان التعذيب في كل مكان، حيث أصبح الواجب الأول للساواك، كشف كل من يعارض الحكم الدكتاتوري الشاهنشاهي وقمعه، ولم يكن جلاوزة الأمن السريون يكفون لهذه المهمة، لذلك لجأ الساواك الى أساليب أخرى من قبيل بعث الرعب في قلوب الناس وإشعارهم بأن الساواك يراقبهم جميعاً ودائماً، فطلاب الجامعة مثلاً يعلمون أن الشوارع المحيطة بالجامعة تضم مراكز عديدة للساواك.**

**وهكذا عمد هذا الجهاز القمعي الى إشاعة حالة التشكيك وسوء الظن في صفوف المعارضين، حتى أنه كان يصدر كتباً ومجلات ويستغلُّ لهذا الغرض رموزاً من المعارضين القدامى، كما استطاع التغلغل الى مجالس (600) من النقابات العمالية، وبذل جهده لاستمالة العمال الى جانب الحكومة، حتى بلغ التشكيك وسوء الظن حداً جعل الناس يشككون في أي صوت معارض يعلو من هنا أو هناك، ويعتبرونه من فعل الساواك نفسه. وفضلاً عن ذلك فقد سعى الساواك الى نشر روح العداء والكراهية بين صفوف المعارضين بحيث يقوم كلٌّ منهم باتهام الآخر بأنه من عملاء الساواك، وكان ذلك أسلوباً ناجحاً في إضعاف معنويات المعارضين.**

**ومنذ عام 1973، أصبحت طهران مركزاً لإدارة نشاطات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي، آي، أيه) في الشرق الأوسط، بعدما كان في نيقوسيا، وقد تم لهذا الغرض تعيين الرئيس السابق للوكالة، ريتشارد هلمز، سفيراً لأمريكا في طهران خلال الأعوام 1973 ـ 1976 ليقوم بالمهمتين معاً.**

**ويقدم هارولدايرنبرغر في كتابه (الساواك أو الجلاد الصديق للغرب) بحثاً تفصيلياً عن التعاون الواسع بين الساواك وأجهزة مخابرات الدول الأخرى كما يقدّم مستمسكات ووثائق تؤكد أن مخابرات دول أخرى كانت توصل للساواك اسماء من يكتبون أو يمارسون نشاطات ضد النظام الإيراني في الخارج. ويضيف ايرنبرغر أن لنظام الشاه ومخابراته السرية علاقة وثيقة بالاتحاد السوفيتي (سابقاً).**

**5ـ اللجنة المشتركة لمكافحة التخريب:**

**من يعرف الساواك لابدّ وأن يكون قد سمع بما يسمى باللجنة المشتركة لمكافحة التخريب، كما أن جلاّدي التعذيب في هذه اللجنة ظلوا من أكثر الجلاوزة نذالة. يعود تاريخ تأسيس هذه اللجنة الى عام 1971، وممارسات وجرائم اللجنة لابد وأن يخصص لها كتاب منفصل. وعندما اغتيل رئيسها المدعو زندي بور، قام الجلاوزة بقتل (9) من السجناء السياسيين بأبشع صورة، انتقاماً لمقتله حيث أعلنوا في 19 نيسان 1975 أن هؤلاء السجناء حاولوا الفرار أثناء نقلهم الى سجن آخر، فأطلق الشرطة النار عليهم.**

**6ـ نشاطات الساواك خارج البلاد:**

**خصص الساواك ميزانية ضخمة لنشاطاته خارج البلاد، إذ أوجد شبكة واسعة من خلال وزارة الخارجية لمراقبة الإيرانيين في الخارج[9]، حتى أن اجراءات المراقبة كانت تواجه باحتجاج مسؤولي بعض الدول، إلا أن الساواك كان يتمتع بدعم المخابرات الأمريكية ويقوم بالمقابل بتقديم كل أنواع الدعم لها والدعم معها.[10]وغالباً ما كان يستفيد من خبرات المتخصصين الأجانب المحالين على التقاعد.[11]**

**وهكذا أصبحت وزارة الخارجية وممثلياتها قاعدة لنشاطات الساواك في الخارج، كما كان هذا الجهاز يرسل أفراده من الضباط والشرطة الى الخارج لتنفيذ المهام، تحت ستار الدراسة أو لأغراض أخرى.[12]وقد أدت تقارير جلاوزة الساواك عن سياسات المنظمات الدولية وممارساتها مثل الصليب الأحمر ومنظمة العفو الدولية، الى منع دخول ممثلي هذه المنظمات الى إيران.[13]**

**وقد حظيت نشاطات الساواك خارج البلاد بدعم مسؤولي شبكات المخابرات والتجسس الغربية، وخاصة نشاطات الساواك في دول الخليج الفارسي ومصر ولبنان[14] التي سجّل فيها أفراده تفوقاً كبيراً فلم يقع أيٌّ منهم في الفخ ولم يكشف أمره. وخلال الأعوام من 1969 الى 1972، قام الساواك بتحريض الأكراد البرزانيين العراقيين ضد النظام العراقي، وكان يوفّر الظروف المناسبة لزيارة الصحفيين الأجانب لمناطق الاضطرابات، كما أنشأ شبكة أمنية للمحافظة على حياة البرزاني.[15]**

**7ـ الساواك في المرحلة الرابعة:**

**هذه المرحلة تشمل العامين الأخيرين من عمر نظام الشاه، حيث شاعت أجواء الحرية السياسية النسبية، وادعى أزلام النظام أنهم أوقفوا أعمال التعذيب، واستبدل الشاه نصيري بـ(ناصر مقدّم) لرئاسة جهاز الساواك. لكن المنظمات الدولية ظلت تنفي توقُّف عمليات التعذيب في إيران.[16]**

**ففي عام 1977 التقى رئيس منظمة العفو الدولية مارتين أنالزا بالشاه فاكد له الأخير توقف كل عمليات التعذيب في إيران. وفي 30 أيلول 1978 كرر الشاه في حديث لصحيفة اشتيرن الألمانية نفس الادعاء، لكن انالزا قال فيما بعد أن هذا الادعاء مجرّد أمر وهمي لأن إيران هي إحدى الدول التي اقترحت في الأمم المتحدة اصدار قرار يقضي بتحريم التعذيب في أنحاء العالم، وكان عليها أن تتوقف عن التعذيب بموجب المعاهدة الدولية حول الحقوق المدنية والسياسية، لكنها استمرت بالتعذيب بالرغم من كل ذلك.[17]**

**ـــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] هناك من يخلط بين جهاز الساواك ولجنة الأمن الاجتماعي، فهذه اللجنة سنّ قانونها الأولي الدكتور محمد مصدق وهي مؤلفة من رؤساء الشرطة والدرك ومديرية الأمن والمدعي العام، ومهمة هذه اللجنة نفي الأشخاص الذين يخلّون بأمن البلاد، وقد تم نفي العديد من الأشخاص بأمر هذه اللجنة خلال العهد البائد(راجع كتاب (30 تير 31) للدكتور محمود كاشاني).**

**[2] منذ عام 1955 تدفق عدد كبير من ضباط الجيش الإيراني على أمريكا ليتلقوا التدريبات ـ في مركز القوة البحرية الواقع في كوانتينكو في ولاية فرجينا ـ على كيفية قمع الاضطرابات، كما اتجه بعضهم الأخر الى مقر المخابرات المركزية الأمريكية في (لنكي) لنفس الغرض. ومنذ عام 1970 كان يتجه حوالي 250 ضابطاً إيرانياً الى أمريكا كل عام ليتلقوا التدريبات في مجال أساليب مواجهة الاضطرابات. (كتاب (إيران بر ضد شاه) تأليف أحمد فاروقي/ ترجمه الى الفارسية مهدي نراقي/ الصفحة 143).**

**[3] اعتقل تيمور بختيار في لبنان بتهمة تهريب الأسلحة الى هذا البلد، فطالبت إيران بتسليمه لها، لكن الحكومة اللبنانية برئاسة شارل حلو وبضغط من المعارضة الإيرانية هناك، أطلقت سراحه مما أدى الى قطع العلائق الاقتصادية والسياسية بين إيران ولبنان، وفي شباط 1969، وصل بختيار الى بغداد واستقبل، استقبالاً خاصاً هناك.**

**[4] أهم إضراب في هذه المرحلة هو إضراب (4000) عامل في معمل صناعة الأقمشة في كرج قرب طهران. ففي 29 نيسان أضرب عمال هذا المعمل احتجاجاً على ظروف العمل الصعبة وقلة الأجور، واتجهوا الى طهران، حيث قام رجال الأمن ومعهم الشرطة والجيش بفتح النار عليهم مما أدى الى مقتل جرح المئات من العمال(صحيفة آيندگان في 4نيسان / 1979).**

**[5] انظر: الساواك أو الجلاّد الصديق للغرب/ تأليف هارولد ايرنبرغر/ نقلاً عن صحيفة آيندگان في 7 نيسان 1979.**

**[6] في الوقت الذي كان ممنوعاً فيه تداول المخدرات وبيعها في البلاد، كانت للساواك حصة معينة ورسمية من الأفيون ولم يكن أحد يدري أين يجري استهلاكها، وتتضمن الوثائق التي نشرت في 15 تموز 1979 طلباً تقدم به نصيري(رئيس الساواك) للحصول على 10 كيلوغرامات من الأفيون.**

**[7] المنظمة الدولية لحقوق الإنسان تصف ظروف السجن كالآتي: (قبل المحكمة يوضع المعتقلون في زنزانات صغيرة ورطبة خالية من الفراش، تفتقر الى التدفئة شتاءً والى التبريد صيفاً، امكانات الغسل والتنظيف قليلة جداً، والطعام قليل وغير جيد، والخدمات الصحية مفقودة تقريباً).**

**[8] أنظر مجلة بيام انقلاب ـ 20/11/1981م.**

**[9] مناقشات مجلس الشيوخ الأمريكي كشفت أن هناك خمس دول كانت تمارس نشاطات لمراقبة معارضيها والتجسس عليهم داخل أمريكا، وهذه الدول هي: الفلبين وتايوان، وتشيلي، وإسرائيل، وإيران. وقد تمثلت نشاطات هذه الدول بإرسال فرق اغتيالات للقضاء على المعارضين، وقد كشف مجلس الشيوخ الأمريكي أن الشاه المقبور هدّد المسؤولين الأمريكيين مراراً خلال السنوات الثلاث الأخيرة من حكمه بطرد موظفي المخابرات الأمريكية في طهران في حالة مضايقة جلاوزة الساواك في أمريكا، وقد أبلغ ذلك لواشنطن سفيرها في طهران ريتشارد هيلمز الذي نصح حكومته عام 1976 بعدم مضايقة نشاطات الساواك في أمريكا لأنهم ـ ويعني أعضاء السفارة الأمريكية ـ يعيشون في جو مخابراتي ومعرضون للأذى وهذا ما نصح به مسؤولي حكومته سوليفان أيضاً، آخر سفير لأمريكا في إيران، وقد استمر التعاون بين الشرطة السرية الفدرالية في أمريكا والساواك مدة (15) عاماً استطاع خلالها الأخير أن ينظم الأنشطة غير الدبلوماسية(أي الأمنية والبوليسية) لإيران في أمريكا على أحسن وجه ممكن. (صحيفة اطلاعات ـ 27/ آب/ 1979).**

**[10] من بين الأجانب الذين كانوا يتولون توجيه جهاز أمن الشاه(الساواك) شخص يدعى فريتز كانسمان، وهو أحد قادة القوات الألمانية، وكان يرأس شرطة مدينة لوف بعد احتلال اوكرانيا من قبل النازيين، وهو مسؤول عن قتل الكثير من سكان غاليسيا الشرقية، وقد كان هذا الشخص يتولى تدريب جلاوزة الساواك على المطاردة والمراقبة والتعذيب.(أنظر: إيران بر ضد شاه) فارسي صفحة 147)**

**[11] يوضح خلعتبري تغلغل الساواك في وزارة الخارجة فيقول: (.. كان الساواك يسعى دائماً الى توسيع نفوذه في أقسام وزارة الخارجية بشتى الطرق، ولهذا فقد كان لها في الوزارة ممثلون برسميون إضافية الى عناصر سرية الى جانب دائرة الحراسة والسفراء الأعضاء في الساواك والخبراء في المجالات المختلفة ويمكن تقسيم عناصر الساواك في الممثليات الدبلوماسية الإيرانية الى ثلاثة اقسام:**

**1ـ شخص أو عدة أشخاص يرسلون الى السفارات بموافقة وزارة الخارجية وهؤلاء يحملون صفة سياسية ورسمية.**

**2ـ شخص أو عدة أشخاص سريّين، يعملون في السفارات ويحملون صفات مختلفة، وقد يكون هؤلاء من منتسبي وزارة الخارجية نفسها لكنهم يمارسون في الوقت نفسه تعاونهم مع الساواك، أو قد يكونون من الإيرانيين المقيمين في الخارج أو من أتباع تلك الدول الذين يعملون بصفة موظف محلي.**

**3ـ بعض الموظفين أو المستخدمين المحليين كالمستخدمين والسواق من الإيرانيين أو الأجانب(من محاضر جلسات استجواب خلعتبري بتاريخ 7/4/1979).**

**[12] في نهاية عقد الخمسينات، تم ارسال مجموعة من العسكريين والمسؤولين المدنيين الى إسرائيل لتلقي تدريبات على يد الموساد، حيث أصبحت العلائق بين الساواك والموساد متينة جداً، وقد نشطت هاتان المنظمتان خلال الحرب اليمنية ـ المصرية. ومنذ عام 1960 أصبح الأردن مركز لعمليات الساواك ضد الدول العربية، وبالرغم من العلائق المتينة التي كانت تربطه بالموساد، إلاّ أن الساواك ظل عميلاً للمخابرات المركزية الأمريكية التي كان يعمل (50) من أفرادها في إيران، إضافة الى مئات الأشخاص الآخرين الذين ينتحلون صفة فنيين إلا أنهم في الحقيقة كانوا يعملون لصالح المخابرات الأمريكية، ولهذا فقد سعى الأمريكيون الى إقرار أمن السلطات الحاكمة واستقرارها في إيران، وقدمت أمريكا لإيران خلال عام 1978 (50) ألف قنبلة مسيلة للدموع و356 ألف قناع واقٍ من الغازات و4300 مسدس لمواجهة الانتفاضة الشعبية الإسلامية طيلة ذلك العام. (صحيفة انتيرنشنال هيرالدتريبيون 14/تموز/ 1978).**

**[13] يقول خلعتبري: (بعدما نشرت الصحف وأصدرت المنظمات المختلفة في دول العالم تقارير عن أعداد السجناء السياسيين في إيران وظروف السجون والتعامل غير الإنساني مع السجناء تقدمت منظمة الصليب الأحمر الدولي بطلب إلى الحكومة الإيرانية، بموجب الاتفاقات الدولية، لزيارة السجون الإيرانية ودفع تقارير للمسؤولين الإيرانيين عنها، وقد وافقت الخارجية على هذا الطلب احتراماً منها للمعاهدات الدولية لكن الساواك رفض ذلك، إلا أن الشاه وافق على رأي الخارجية، وأبلغ الساواك بالسماح للممثلي الصليب الأحمر الدولي بتفقد السجون وترك الحرية لهم للتحقيق في الأمر، وهكذا فقد جاءت ثلاثة وفود الى إيران على ثلاث دفعات). (من اعترافات خلعتبري حول الساواك).**

**[14] نيوزويك ـ 14/ تشرين الأول/ 1974.**

**[15] إيران دكتاتوري وتوسعه/ تأليف فردهاليدي.**

**[16] منظمة العفو الدولية أعلنت في 11 كانون أول 1978 أن المعتقلين السياسيين لازالوا يعذّبون على يد الشرطة والساواك خلافاً لما يدّعيه الشاه من عدم وجود ذلك وكان وفد قد تفقد 7 مدن إيرانية في تشرين الثاني وجمع معلومات دقيقة حول وجود التعذيب. كما أعلن عن حالات اختفاء أشخاص وموت آخرين تحت التعذيب إضافة الى إعطائه تفاصيل عن حالات التعذيب مع ذكر الأسم والتاريخ والمكان (صحيفة آيندگان 14/1/1979نقلاً عن نشرة لجنة الدفاع عن حقوق المعتقلين السياسيين).**

**[17] المصدر السابق نفسه.**

# ****الفصل العاشر****

# ****السياسة الخارجية****

**1ـ نظرة عامة:**

**لا نريد في هذا الكتاب الخوض في تفاصيل السياسة الخارجية لإيران خلال العهود الماضية. إننا وخلال استعراضنا للتاريخ السياسي المعاصر لإيران بحاجة الى استعراض بعض العلائق الخارجية التي كانت تربط إيران بالدول الأخرى. فالسياسة الخارجية لإيران تحظى بأهمية كبيرة نظراً للموقع الجغرافي والاستراتيجي لهذا البلد، وامتلاكه النفط ومصادر الطاقة والموارد الطبيعية الوفيرة، ولم تكن السياسة الخارجية لإيران بمعزل عن السياسة العامة، بل كانت وجهاً بارزاً لها.**

**وخلال الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها الآن، كان مسؤولوا الحكومة يسمون السياسة الخارجية لإيران بـ(السياسة الوطنية المستقلة) لكنها لم تكن في الحقيقة مستقلة ولا وطنية، فهي تتجاهل أماني الشعب وطموحاته ومطاليبه، فالنظام المستبد سلب الشعب حرية ممارسة حقه في تقرير سياسته ونهجه، والذين نُصبوا كمسؤولين، كانوا ـ أساساً ـ أشخاصاً لا يمتلكون أهلية اتخاذ قرار باسم الشعب. وكانت النتيجة، رضوخ الحكام للقوى الأجنبية، وانسحب تأثير ذلك على السياسة الخارجية التي أضحت غير شعبية وتفتقد الاستقلالية. فالدعم الشعبي ينتج عنه دائماً سياسة مستقرة مستقلة، وبفقدان هذا الدعم تلجأ السياسة الخارجية الى الاعتماد على دعم أجنبي، وكلما زاد الاعتماد على هذا الدعم أصبحت استقلالية السياسة الخارجية في مهب الريح أكثر فأكثر.**

**وقد كان النظام الملكي يبحث عمن يعتمد عليه ويحتمي به، من أجل ضمان بقائه. وفي الوقت نفسه، كان يمنح امتيازات وتسهيلات للقوى العالمية الأخرى للتخلّص من منافستها واتقاء نتائج التنسيق الدولي ضده، كل ذلك من أجل تحقيق هدفه الأساس ألا وهو البقاء في سدة الحكم وممارسة الاستبداد.**

**وقد اطلق النظام الملكي على سياسة الخضوع ـ خضوعه لجميع القوى الكبرى ـ اسم (الاستقلال)! وأخذ يطبّل لها في وسائل الإعلام العالمية وينفق من أجل ذلك الكثير، ويكرر هذه العبارات خلال الكلمات البروتوكولية التي يلقيها في المآدب المقامة للضيوف الأجانب وكذلك في المحافل والمنظمات الدولية.**

**وبإبرام اتفاقية النفط عام 1954، وما تبعها من قيود والتزامات، اصبحت إيران خاضعة عملياً للسلطة الأمريكية، وبدخولها في حلف بغداد عام 1955، أصبحت حليفاً عسكرياً للغرب، بعدها حصلت على تعهدات أمريكية بتزويدها بالمعدات العسكرية وفقاً لاتفاقية عُقدت عام 1959.**

**وطبيعي أن هذه السياسة كانت تتعارض مع مصلحة الشعب الإيراني. كما أن إقامة علائق اقتصادية وتعاون فني مع الاتحاد السوفيتي وباقي دول المعسكر الشرقي، استهدفت إرضاء قطب آخر للمستكبرين.**

**وخلال السنوات الأخيرة من عمر النظام البائد، ازدادت العائدات النفطية بشكل كبير جداً، فبادر النظام الى ممارسة (الكرم الحاتمي) من خلال تقديم الهبات السخية الى الدول الاستكبارية للحصول على رضاها. وفي كانون الثاني عام 1975 صرح الشاه لصحيفة السياسة الكويتية بأنه قام بعد ارتفاع أسعار النفط بتقديم قروض واعتمادات مالية كبيرة لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وبريطانيا وباقي الدول الرأسمالية المتقدمة، كما أعلن بصراحة أن إيران تحبّ الغرب.[1]**

**وفي تلك الفترة نفسها، أعلن رئيس الوزراء هويدا أن المبلغ الاجمالي الذي قدمته إيران عام 1974 كمساعدات أو قروض للدول الأخرى بلغ (9) مليارات دولار، وهكذا نرى أن النظام الشاهنشاهي قد استغل عائدات النفط في دعم الدول الاستعمارية وتقوية الاحتكارات العالمية التي كانت تعاني من أزمة اقتصادية حادة، كما عمل على شراء السلاح من أجل تشغيل مصانع السلاح الغربي ومعالجة مشكلة البطالة في تلك الدول.**

**فخلال الأعوام من 1972 ـ 1974 بلغت قيمة مشتريات السلاح من أمريكا (6.8) مليار دولار، بعدها اتجه النظام الى شراء السلاح من بريطانيا وألمانيا الغربية وبهذا الأسلوب كان يعيد الحج الأكبر من عائدات النفط الى الدول الغربية.[2]لكن النظام الشاهنشاهي كان مسروراً بكونه شرطي الخليج الفارسي الذي كان طريقاً للمصالح الغربية.**

**2ـ دور إيران في الخليج الفارسي:**

**الخليج الفارسي هو أهم منفذ بحري يربط إيران بالعالم فضلاً عن بحر الخزر، وفي هذا الخليج، تكمن أهم الاحتياطات النفطية وأكبرها، كما يتم عبر الخليج الفارسي تصدير النفط الإيراني الى أنحاء العالم.**

**الحكومة الإيرانية كانت تعتبر البحرين جزءاً من أراضيها تحتله بريطانيا بشكل غير قانوني، وفي عام 1927 تم طرح الأمر على عصبة الأمم، وخلال التقسيمات الإدارية التي جرت عام 1936، اعتبرت الحكومة الإيرانية البحرين المحافظة الإيرانية الرابعة عشرة.**

**إلا أن الدول العربية، الخاضعة للسياسة البريطانية ـ وبسبب كون غالبية سكان هذه الجزر من العرب ـ لم توافق على خضوعها للسيطرة الإيرانية، حيث جرى أخيراً منح الاستقلال لها وفقاً للاتفاق الذي تم بين الشاه والحكومة البريطانية بوساطة ممثل الأمين العام للأمم المتحدة واستناداً الى قرار مجلس الأمن ورأي غالبية سكان الجزر. ثم قامت الحكومة الإيرانية غير الشرعية بالاعتراف بالبحرين وأقامت معها علائق دبلوماسية.**

**وبعد تخلّي بريطانيا عن قاعدتها الجوية في البحرين، أقامت أمريكا قاعدة جوية لها في هذه الجزر. وعقب انسحاب القوات البريطانية من امارات الفجيرة ورأس الخيمة وأبو ظبي والشارجة، ثم تأسيس اتحاد الأمارات العربية، إلا أن إيران اشترطت هيمنتها على جزرها الثلاث الصغيرة (طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى) للاعتراف رسمياً بالاتحاد، إذ لم تكن بريطانيا تسمح لإيران بالهيمنة على هذه الجزر، خلافاً لكل القوانين الدولية.**

**وبعد مفاوضات إيرانية ـ بريطانية، وباعتبار أن إيران كانت تتولى مسؤولية الحفاظ على أمن الخليج الفارسي ومضيق هرمز الذي تقع فيه الجزر الثلاث فقد تم الاتفاق عام 1971 على فرض السيطرة الإيرانية على هذه الجزر، وفي مقابل ذلك اعترفت الحكومة الإيرانية رسمياً باتحاد الإمارات العربية[3] إلا أن العراق أعلن احتجاجه على ذلك وترجمه بقطع روابطه مع إيران.**

**وبعد خروج القوات البريطانية من المنطقة، أصبح النظام الشاهنشاهي شرطياً فيها، وتأتي مرابطة القوات الإيرانية في ظفار في هذا السياق. وكانت إيران تدعو رسمياً الى اعلان منطقة المحيط الهندي والخليج الفارسي منطقة أمن وسلام، وكانت تتظاهر بمعارضتها لأي تدخل أجنبي في شؤون هذه المنطقة، لكن الحقيقة العملية كانت على العكس من ذلك، فالقواعد العسكرية الأمريكية كانت تزداد وتتوسع كل يوم، ولم يعترض الشاه على تمركز قوات أمريكية في (ديغوغارسي) وجزيرة (مصيره) المحاذية لسواحل عمان.**

**وفي عام 1974 اجرت القوات الإيرانية مناورة مشتركة مع قوات حلف السنتو في الجزء الشمالي من المحيط الهندي. والى جانب السنتو شكلت إيران حلفاً مع الباكستان وتركيا للتعاون والعمران الإقليمي عام 1966، ويتضمن تعاوناً مشتركاً في مجالات النقل والاتصالات، والتجارة والملاحة البحرية، والسياسة والتخطيط، حيث تتفرع من هذا الحلف لجان الصناعة والنفط والتجارة والمواصلات والشؤون الاجتماعية، وفي مجال خطوط السكك الحديد تم انشاء خط بين إيران وتركيا، وكان مقرراً أن يتصل الخط بباكستان عن طريق كرمان.**

**كما كانت إيران ـ ومازالت ـ عضواً في الأوبك، وفي عام 1973 حصلت إيران على عائدات كبيرة جداً جراء ارتفاع أسعار النفط فقامت بانفاقها عبثاً وقد كانت الحكومة الإيرانية تعتبر النفط قضية اقتصادية فقط، فلم تشترك في المقاطعة النفطية العربية للغرب.**

**وفيما يخص العدوان الإسرائيلي واحتلال فلسطين، فقد كانت إيران تتظاهر بتأييد قرار مجلس الأمن الصادر في 22 تشرين الثاني 1967 وتطالب بإنهاء الاحتلال، أما علائق إيران بالأردن والمغرب ومصر ( في عهد السادات)[4]، فقد كانت متينة جداً بسبب الروابط القوية التي كانت تربط الشاه بزعماء هذه الدول، والنهج الرجعي لأنظمتها، وتبعيتها للمعسكر الغربي، وكذلك الحال مع حكومتي باكستان وتركيا حيث كانت علائق نظام الشاه بهما قوية بسبب وجود الثلاثة في حلف السنتو وكونهم في جبهة واحدة.**

**وفيما يخص روابط نظام الشاه بمنظمة التحرير الفلسطينية، فقد سعى الشاه الى إقامة نوع من العلاقة معها، بحيث يحافظ من خلال ذلك على منزلته أمام العرب والمسلمين، دون أن يؤثر ذلك على علاقته بإسرائيل.[5]**

**وكان الشاه يرغب في أن تكون له في كل بلد سفارة، وفي هذا الصدد قال وزير خارجيته(... خلال السنوات الأخيرة، توسعت العلائق الإيرانية مع دول العالم الثالث حيث شهدت هذه السنوات افتتاح (14) سفارة لإيران في دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية، كما اعطت إيران مساعدات وقروضاً عديدة لهذه الدول، وقد كان وزير الاقتصاد والمالية يقوم بذلك تنفيذاً لأوامر مباشرة من الشاه، ثم يقوم الوزير بإبلاغ ذلك الى وزارة الخارجية).**

**وعن علائق نظام الشاه بدول المعسكر الغربي أي (أوروبا الغربية واستراليا واليابان) قال خلعتبري وزير خارجية الشاه(... هذه العلائق كانت متينة وودية جداً، وقد شهدت في السنوات الأخيرة توسعاً أكبر، كما أنها اتخذت بعداً جديداً يتمثل في الجانب المالي والاستثماري الذي ظهر بعد ازدياد عائدات النفط وتزامنه مع الركود الاقتصادي في الدول الصناعية الغربية. وقد كانت الاتفاقات والاستثمارات تتم بأمر مباشر من الشاه ومن خلال وزير الاقتصاد والمالية..).**

**ويضيف(... هذه المناقشات السياسية كانت تستهدف ـ في الواقع ـ الهيمنة على السوق الإيرانية والحصول على أرباح أكثرن وذلك من شأنه أن يعالج البطالة وينقذ اقتصاد تلك الدول التي تعاني من أزمة اقتصادية حادة.**

**ولم تكن سفارات الدول الأخرى، هي وحدها التي تحرك عملية المنافسة، بل كانت الشركات التجارية العالمية وحتى الثقافية منها، إضافة الى المجموعات المالية والمصرفية العالمية، تلعب دوراً كبيراً في ذلك، إذ سعت الى التغلغل والوصول الى مراكز القوى لتحقيق أهدافها.**

**وقد كان البلاط مركزاً لكل القوى في إيران، اذ كان رجال البلاط إضافة الى أصدقاء الشاه والمقربين إليه من خارج القصر، سواء العسكريين منهم أو المدنيين، كل هؤلاء كانوا يستعينون بأشخاص آخرين ينفذون لهم ما يريدون ليظلوا هم بعيدين عن الأنظار لكن ذلك لم ينفع، فانكشفت اسماؤهم وأصبحت الألسن تتناقل أخبارهم وتحركاتهم).**

**3ـ العلائق مع إسرائيل:**

**كان نظام الشاه يناصر إسرائيل ويؤيدها بكل معنى الكلمة، فهو يمتلك علائق اقتصادية واسعة معها، ويزوّدها بما تحتاجه من النفط، ويفتح أسواق إيران بوجه البضائع الإسرائيلية.**

**كما أن تبادل المعلومات بين الساواك والموساد كان قائماً على قدم وساق. ومع هذا، لم تكن العلائق الإيرانية الإسرائيلية سياسية رسمية، بل كانت روابط متينة واسعة غير معلنة وفاقدة للغطاء الرسمي السياسي. فقد وافقت إيران على افتتاح مكتب للوكالة الدولية لليهود في طهران[6]، والتي كان عملها يتركز على تسهيل مهمة هجرة اليهود الى إسرائيل. وفيا لمقابل وافقت إسرائيل على تولّي سويسرا رعاية المصالح الإيرانية في إسرائيل حيث اُسس مكتب في السفارة السويسرية تحت اسم (مكتب رعاية المصالح الإيرانية). وكان يرأس هذا المكتب موظف سويسري في السفارة.**

**ومع ازدياد نشاطات المكتب وارتفاع عدد اليهود الإيرانيين المهاجرين الى إسرائيل وكذلك توسّع الاتصالات والتعاون بين مؤسسات وجهات إيرانية عديدة وإسرائيل خاصة في هذا المجال التجاري، وظهور حاجة الى شخص يتكلم الفارسية، فقد طلبت الحكومة السويسرية من إيران إرسال من يمثلها الى هذا المكتب، بحيث تعطيه السفارة السويسرية صفة دبلوماسي سويسري. وفعلاً تم ذلك، وتحوّل المكتب الى ممثلية صغيرة لإيران وأصبح على رأسها شخص برتبة ملحق دبلوماسي، وأُطلق في وزارة الخارجية على هذا المكتب اسم (مكتب برن) نسبةً الى العاصمة السويسرية.**

**وفي وزارة الخارجية الإيرانية، كانت الدائرة السياسية الثامنة تتولى الاهتمام بشؤون الروابط مع إسرائيل، ويشرف على ذلك المدير العام السياسي لشؤون آسيا وأفريقيا. ولم تكن هذه الشؤون تتعلق بهجرة اليهود الإيرانيين وعلاقتهم بذويهم الباقين في إيران فحسب، بل تعدت ذلك الى علائق تجارية وثقافية وطبية وتعاون في المجالات الأمنية والعسكرية، لكن أغلب هذه العلائق والنشاطات كانت تتم دون علم وزارة الخارجية، وما كان يتم في (الخارجية) منها ما هو إلاّ جزء صغير مما هو موجود، ذلك إن هذه العلائق كان يجب أن تبقى غير رسمية لئلا يؤثر ذلك على الروابط الموجودة بين إيران والدول المعادية لإسرائيل.**

**وقد استمرت العلائق بين النظامين على هذا المنوال، كما تبادل البلدان زيارات لوفود سرية يرأسها مساعدا وزيري الخارجية فيهما. وكان الساواك يحيط زيارات الوفود الإسرائيلية بالسرية التامة، كما كانت إسرائيل تهدف من خلال إرسال الوفود بشكل منتظم الى إقامة نوع من العلاقة السياسية مع إيران، وكانت هذه الوفود تزود إيران بمعلومات عن القضايا التي تحظى باهتمامها[7]وهكذا استمرت هذه العلائق حتى نهاية عمر النظام الملكي.**

**4ـ العلائق مع العراق:**

**خلال العهد الملكي في العراق، كان كل من إيران والعراق عضواً في حلف بغداد، وكانا ـ بذلك ـ خاضعين للغرب تماماً، وبالرغم من وجود خلافات حدودية قديمة بين إيران والعراق[8]، إلا أن الوضع لم يتطور الى صدامات مباشرة.**

**وبانقلاب(14) تموز الذي قام به عبد الكريم قاسم في العراق انتهى الحكم الملكي، الأمر الذي عكّر صفو العلاقة الهادئة بين النظامين، وتطور الأمر الى مواجهات حدودية.[9]**

**ثم جاء عبد الرحمن عارف الى الحكم، فعمل على إعادة الهدوء والتخفيف من حدة التوتر في الروابط بين البلدين، والتي سرعان ما تأزمت ثانية بمجيء حزب البعث الى الحكم عام 1968م[10]، إذ تحول الخلاف بين البلدين الى مواجهة غير مباشرة بين أمريكا وروسيا. فارتفاع أسعار النفط ولجوء كل من البلدين الى تقوية بنيته العسكرية وشراء المزيد من السلاح، زاد من حدة تبعية كلٍ منهما الى إحدى القوتين الكبريين، فقامت إيران بإلغاء اتفاقية 1937، معتمدةً في ذلك على الدعم الأمريكي، وادعت أن مسوّغ الإلغاء هو تغيُّر الظروف الدولية وعدم التزام العراق بتعهداته وكون خط الحدود يمر ـ عادةً ـ من أعمق نقطة في الأنهار الحدودية، وأن ذلك يعطيها الحق لإلغاء الاتفاقية من جانب واحد.**

**أما العراق فقد رد على ذلك بالقول إن احترام الاتفاقيات الدولية أكثر أهمية من تغير الظروف والأوضاع الدولية. وهكذا تفاقم الخلاف وأخذ كلُّ جانب يلقي مسؤولية هذا التفاقم على الجانب الآخر.**

**كما كان هناك خلاف آخر حول الحدود البرية للبلدين له جذور تاريخية، لكن الأراضي المتنازع عليها لم يكن لها أية قيمة، فلا هي بأراضٍ نفطية ولا هي مناطق تمر بها أنابيب نفط، وإنما هي أراضٍ جرد تخلو من السكان ولا علاقة لها بالخلاف على شط العرب.**

**ومع كل هذا، فقد شهد عاما 1972 و 1973 مواجهات عنيفة، وفي 10 شباط 1974 اشتعلت الحرب بين الطرفين بهدف الاستيلاء على مرتفع 343، وتكبّد الجانبان خسائر كبيرة، وبعد يومين طالب العراق بانعقاد اجتماع لمجلس الأمن الذي طلب من الأمين العام للأمم المتحدة إرسال مندوب عنه لدراسة مشكلة الحدود وتقديم تقرير بالنتائج خلال مدة (3) أشهر. وقد أسفر إرسال مندوب الأمم المتحدة عن توقف الحرب في 7 آذار 1974.**

**أما نتائج تحقيقات مندوب الأمم المتحدة فقد أكدت أن كلاً من البلدين (العراق وإيران) له خريطة حدودية تختلف عن خريطة الطرف الآخر وهذا ما سبب الخلاف، كما أن البلدين يحشّدان قواتٍ كبيرة على الحدود مما يشكّل استفزازاً متبادلاً. وأخيراً فقد أقنع هذا المندوب كلا الجانبين بتشكيل لجنة جديدة لحل الخلافات الحدودية.**

**وقد دفع تأجيج حرب الشمال العراقي وتمرد الأكراد على الحكومة العراقية، النظام العراقي الى الإسراع باتجاه حل الخلافات مع إيران. مما أسفر فيما بعد عن إبرام اتفاقية الجزائر التي لعب فيها بومدين دور الوسيط بين الشاه وصدام. فكانت الاتفاقية تتضمن أربع مواد:**

**1ـ يقوم الجانبان برسم الحدود البرية المشتركة وفقاً لبروتوكول القسطنطينية لعام 1913 ومحاضر جلسات رسم الحدود لعام 1914.**

**2ـ الحدود المائية ترسم على أساس خط التالوك.**

**3ـ يقوم البلدان بإقرار الأمن والثقة المتبادلة على طول الحدود المشتركة، ويتعهدان بمراقبة الحدود بدقة لمنع عمليات التسلُّل والتخريب.**

**4ـ اتفق الجانبان على أن البنود المارّ ذكرها هي كلٌّ لا يتجزأ من أجل الوصول الى حل شامل، وبالنتيجة فإن من البديهي أن انتهاك أية فقرة سيعتبر بمثابة إخلال باتفاقية الجزائر.**

**وهكذا نرى أن مواد الاتفاقية السالف الذكر تبين بوضوح العوامل التي أدت الى توقيع هذه المعاهدة في ظل ظروف عام 1975. فالعراق كان يريد إنهاء أزمة الشمال وقطع مساعدات الشاه للأكراد ليتسنى له السيطرة عليهم، كي يتمكن من التفرُّغ لخلافاته مع سوريا، والتحرك نحو احتلال مقعد الزعامة في الوطن العربي.**

**أما إيران فقد اندفعت نحو التوقيع على المعاهدة برغبة حقيقية وكان الشاه هو السبّاق الى ذلك.**

**فقد كان ـ هو وبلاطه ـ يواجه حملة إعلامية قوية، كما كان يخشى من لجوء العراق الى دعم المعارضة الإيرانية، ثم أنه ـ أي الشاه ـ لم يكن يرغب بدخول حرب قد تصيبه ببعض الأضرار، خاصة وأنه لا يتمتع بدعم شعبي. فقد كان يعتبر نفسه شرطي المنطقة، وعليه أن يتصرف وفقاً لرغبة أمريكا في حماية الأمن في المنطقة، فكيف يمكنه إذن الدخول كطرف في حرب تؤدي الى زعزعة هذا الأمن.**

**أما الاتحاد السوفييتي، فكانت تربطه في تلك الفترة، روابط متينة مع العراق وإيران، والعلائق الواسعة في المجالات الاقتصادية والشؤون العسكرية تتضرر بالحرب بين البلدين.**

**كما أن أمريكا كانت ترغب بحل الخلافات بينهما لأنها كانت مشغولة بمعالجة الأزمة الناتجة عن الصراع العربي ـ الإسرائيلي، إذ كانت قد دعمت إسرائيل، وعليها حينذاك استمالة العرب وكسب ودّهم، ولذا فإن الحرب بين إيران والعراق ستكون عقبة في هذا الطريق.**

**كما كانت قضية النفط تحظى بأهمية كبرى بالنسبة لأمريكا وأوروبا، لأن الحرب بين البلدين المصدّرين للنفط قد تؤدي الى توقف تصديره.**

**كل هذه العوامل وغيرها أدت الى إبرام معاهدة الجزائر عام 1975، وتبدلت الروابط العراقية مع الشاه الى روابط صداقة حميمة.**

**5ـ الروابط مع أفغانستان:**

**كانت افغانستان ـ خلال العهد الملكي ـ من الدول غير المنحازة، وتربطها علائق وثيقة بالاتحاد السوفيتي. وحسب التقسيم الدولي يمكن القول إن افغانستان كانت من مناطق نفوذ المعسكر الشرقي، ولهذا لم تكن الروابط الإيرانية الأفغانية خلال العهد الملكي خاليةً من الخلافات خاصة مع وجود قضية نهر (هيرمند) الذي كان عقبة كبيرة في طريق توثيق العلائق الثنائية.**

**وكعادتها حاولت الحكومة الإيرانية الإبقاء على علائق طيبة مع افغانستان، حتى أنها كانت من أولى الدلو التي اعترفت رسمياً بحكومة (داود خان) الذي أطاح بحكومة ظاهر شاه بالرغم من أن الشاه كان يملك علائق وثيقة بالعائلة المالكة في أفغانستان.**

**أما داود خان فقد قام بزيارة لإيران لهدفين:**

**الأول: التظاهر برغبته في توثيق العلائق الثنائية.**

**والثاني: الاطمئنان الى استمرار المساعدات المالية والاقتصادية الإيرانية الى افغانستان.**

**وقد حصل خلال هذه الزيارة على وعود بمواصلة هذه المساعدات لأن (إيران تسعى لكسب ودّ الشعب الأفغاني وحبه، وهي ترغب بتطور هذا الشعب ورقيه بغض النظر عن أوضاعه الداخلية، وهي مستعدة لتقديم مساعدات اقتصادية ومالية واسعة لمكافحة الفقر في هذا البلد الجار). وهكذا بدأت تتوالى هذه المساعدات الكبيرة في عهد داود خان حتى أن إيران اقامت مشاريع استثمارية كبرى في أفغانستان، إلا أن حكومة داود خان ظلت تتجاهل قضية نهر (هيرمند) بل أصبحت أكثر تصلُّباً في هذا المجال.**

**وبعد انقلاب (تَرَقي) على (داود خان) بادرت الحكومة الإيرانية الى الاعتراف بالحكومة الجديدة بعد التشاور مع أعضاء حلف السنتو إلاّ أن عدم ثقة المسؤولين الأفغان بالحكومة الإيرانية قد ازداد، ومع ذلك ظل نظام الشاه يسعى للتظاهر برغبته في مواصلة العلائق الطيبة مع أفغانستان. وقد اُبلغ هذا الأمر الى السفير الأفغاني الجديد في طهران من قبل الشاه نفسه.**

**وعلى الصعيد العملي، استمرت المساعدات النفطية الإيرانية، كما أصدر الشاه أمراً الى وزير الاقتصاد بدفع المساعدات التي تعهدت إيران بدفعها ـ بطلب من الأفغان ـ لتشغيل معمل حياكة قندهار.**

**6ـ العلائق مع أوروبا الشرقية:**

**بالرغم من أن النظام الشاهنشاهي كان في خانة المعسكر الغربي، إلاّ أنه سعى ـ خلال الأعوام العشرة الأخيرة من عمره ـ الى توسيع روابطه مع دول المعسكر الشرقي. وقد تبادل الشاه، زيارات عديدة مع زعماء رومانيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وبولندا ويوغسلافيا، وأبرم معهم اتفاقيات عديدة. ففي الفترة بين 1966 ـ 1973 عقدت عدة اتفاقيات للتعاون الفني والاقتصادي مع يوغسلافيا، كما تعاقدت إيران مع رومانيا على استيراد الجرارات الزراعية، وإنشاء مصنع تجميع هذه الجرارات في تبريز، إضافة الى اتفاقية أخرى في هذا المجال مقابل تزويد رومانيا بكميات كبيرة من النفط. ومع تشيكوسلوفاكيا وقعت إيران معاهدات اقتصادية أسفر بعضها عن إنشاء مصانع المكائن في تبريز.**

**هذه العلائق الودية مع الدول التابعة للأتحاد السوفيتي استمرت حتى نهاية عمر نظام الشاه، إذ كان من المقرر أن يقوم الشاه بزيارة لهذه الدول عام 1979، إلاّ أنه ألغاها بسبب تصاعد لهيب الثورة الإسلامية واضطراب الأوضاع الداخلية.**

**اتصفت العلائق الإيرانية البريطانية خلال هذه الحقبة بأنها واسعة ووثيقة جداً، وكانت في توسع مستمر بالرغم من عدم إبرام اتفاق جديد بهذا الشأن، خاصة في المجال العسكري بحكم عضوية البلدين في حلف السنتو، ومشتريات السلاح الكبيرة التي قامت بها إيران من بريطانيا، خاصة معدات سلاح البحرية والدبابات وأنظمة الدفاع الجوي، حيث كان يصاحب ذلك أيفاد مجموعات من الضباط الى بريطانيا للتدرب على هذه الأسلحة.**

**وعلى صعيد الروابط التجارية، فقد كانت تحتل المرتبة الثالثة بعد العلائق مع ألمانيا الاتحادية وأمريكا، إلا أن البنوك وشركات التأمين البريطانية كانت أنشط من منافساتها.**

**اما العلائق الثقافية فقد كانت واسعة جداً، فبريطانيا كانت تأتي بعد أمريكا من حيث عدد الإيرانيين الدارسين فيها، كما كانت تنشط في إيران مؤسسات ثقافية وتعليمية بريطانية فضلا عن أن أعداد الإيرانيين المقيمين في بريطانيا كانت كبيرة.**

**وبالرغم من أن السياستين البريطانية والأمريكية تسيران باتجاه واحد، إلا أنه لم يكن بإمكان بريطانيا ان لا تنافس أمريكا، إذ من المعروف أن أحد السياسيين البريطانيين قال (بريطانيا ليس لها صديق دائم أو عدو دائم بل لها مصالح دائمة فقط) وهذا القول يصدق على النفوذ البريطاني في إيران.**

**فلم يكن البريطانيون مستريحين للنفوذ الأمريكي الجديد في إيران. كما أن مشاكل البريطانيين الاقتصادية والاجتماعية خلال الستينات ووجوب اتخاذ سياسة تقنين اقتصادي دفعت هذا البلد خلال عامي 1970 و 1971 الى اتخاذ سياسة جديدة في منطقة شرق السويس وتخفيض وجودها العسكري من ممر السويس المائي وحتى الشرق.**

**هذه السياسة كانت ستؤدي الى منطقة فراغ كبير خلال تطبيقها في منطقة واسعة خاصة في الخليج الفارسي الذي يضم احتياطياً كبيراً من النفط إضافة الى اهميته الستراتيجية، الأمر الذي يشكل خطراً يهدد الدول الغربية المستوردة للنفط، ولهذا كان من الضروري سد هذا الفراغ بشكل لا يؤدي الى نتائج عكسية.**

**فكانت إيران، الدولة الوحيدة التي يمكنها لعب هذا الدور دون أن يكلف ذلك الدول الغربية المعنية ثمناً باهضاً، فضلاً عن أن امتلاك إيران لقوات بحرية وجوية قوية يمكنها من السيطرة وضمان أمن الطرق والممرات المائية حتى المحيط الهندي، الأمر الذي سيخفّف من الأعباء الملقاة على القوات البحرية العربية (الأمريكية والبريطانية والفرنسية) الموجودة في المحيط الهندي.**

**8ـ الروابط مع الاتحاد السوفيتي:**

**بعد انهيار الحزب الشيوعي الإيراني (توده) عام 1953 ويأس الاتحاد السوفيتي من استمرار النشاط العلني لهذا الحزب الذي ينفذ السياسة السوفيتية بدأ السعي تدريجياً الى تحسين روابطه مع نظام الشاه، فبادر الى البدء بحل الخلافات الحدودية ودفع الأموال التي كانت تطالب بها إيران، وبالرغم من أن إيران التحقت بحلف بغداد وتجاهلت روابطها مع الأتحاد السوفيتي، إلا أن موسكو لم تبدِ فعل عنيف عن ذلك، وبادرت الى توسيع علائقها التجارية مع طهران، لكن ذلك لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما تدفّقت على إيران رؤوس الأموال والاستثمارات الأمريكية مما أثار حفيظة الروس ودفعهم الى شن حملة إعلامية ضد الحكومة الإيرانية.**

**وقد بدأت هذه الحملة عام 1956 ووصلت الى زروتها بين الأعوام 59 ـ 1961، وفي النصف الثاني من عام 1961، توقفت المفاوضات الإيرانية ـ السوفيتية أي بالضبط في نفس الفترة التي نهضت فيها القوى الداخلية بوجه النظام. وأخيراً انتهت الأزمة في الروابط الثنائية. كما حققت روسيا رغبتها في توسيع العلائق التجارية[11] مع إيران.**

**وبعد عدة أيام من تشكيل حكومة أسد الله علم التقاه السفير السوفيتي في طهران، وفي عام 1962 بعثت الحكومة الإيرانية الى نظيرتها السوفيتية مذكرة أكدت فيها أنها لن تمنح قاعدة صاروخية لأية دولة[12].**

**وبعد هذه التطورات وما تلاها من مباحثات بين الطرفين،كتبت صحيفة (ازفستيا) تقول: إن الخلافات بين إيران والاتحاد السوفيتي قد انتهت. وقد كان هذا الاتفاق بين الطرفين، بمثابة اتفاق بين أمريكا والاتحاد السوفيتي، إذ رأينا كيف أن موسكو وقفت فيما بعد الى جانب الشاه عند قيامه بمهزلة الاستفتاء على الاصلاحات، ونعتت المعارضين بالرجعيين ولكن ومع كل ذلك فإن خلعتبري يقول في اعترافاته(أن الخوف من الشيوعية وامكانية انتشار افكارها في إيران كان يشغل بال الشاه ويدفعه الى ابداء العديد من ردود الأفعال، وكان يصرّح بذلك خلال المفاوضات، ويبني عليه سياساته وقراراته...).**

**وعن خوف الشاه من عدوان سوفيتي يقول خلعتبري.. (وجّه الشاه قبل حوالي 10 سنوات تعميماً الى سفراء إيران في الدول الغربية أمرهم فيه بكتابة رسائل الى سفراء أمريكا والاحتفاظ بها في الصناديق الحديد الخاصة بالأوراق السرية ليقوموا فيما بعد، وفي حال تعرض إيران الى عدوان سوفيتي، بوضع تواقيع تواريخ عليها وإرسالها الى سفراء أمريكا (والى زير خارجيتها بالنسبة لسفارة إيران في أمريكا). كما جدّد الشاه هذا التعميم قبل ثلاث سنوات.[13]**

**9 ـ الروابط مع أمريكا:**

**بعد توقيع اتفاقية احتكار التنقيب عن النفط واستخراجه بين إيران وأمريكا، دخلت الأخيرة ميدان السياسة النفطية الإيرانية رسمياً وحصلت على قاعدة اقتصادية لها في هذا البلد. فبعد تشكيل حلفي الناتو ووارشو بدأ الحلفاء بالتفكير بإنشاء حزام أمني لهم، فبادروا الى تشكيل حلف السنتو في الشرق الأدنى (الذي يضم باكستان وفرنسا ودول الشرق الأدنى وجنوب شرقي المحيط الهادي)، وحلف السنتو(الذي يضم إيران وتركيا والباكستان وأمريكا وبريطانيا) وبذلك فرضوا نوعاً من الحصار على الاتحاد السوفيتي.**

**أما التعهد الذي قدمته دول الحلفاء في السنتو(أمريكا وبريطانيا) الى إيران وباكستان وتركيا في مجال الدعم العسكري فقد كان فارغاً، لأن دول الحلفاء كانت تملي ما تقتضيه مصالحها على الدول الثلاث السالفة الذكر، وفي المقابل تقوم بعقد اجتماع مشترك للتشاور كلما تعرضت هذه الدول الثلاث الى عدوان سوفيتي.**

**لكن إيران وباكستان اللتين كانتا تعانيان من هشاشة الوضع الداخلي لم تكونا راضيتين عن هذا القدر من التعهد، ولما لم تكن بريطانيا ترغب بتقديم تعهدات أكثر، فقد وافقت أمريكا على إبرام اتفاقية دفاعية ثنائية بشكل سري مع إيران قدمت فيها الضمانات الكافية بتقديم الدعم المطلوب في حالة تعرض إيران لعدوان، واشترطت أمريكا أن يتطابق هذا الالتزام مع دستورها الداخلي.**

**وكان لهذه الاتفاقية (عام 1959) أكبر الأثر على ترسيخ الهيمنة والنفوذ الأمريكي في إيران، إذ اعقبها ازدياد كبير في أعضاء السفارة الأمريكية في طهران، وتدفقت على إيران مجموعات كبيرة من الأمريكيين كمندوبين تجاريين وخبراء مصانع ومؤسسات صناعية وتقنية ومصرفية.**

**وفي المجال العسكري تم تزويد الجيش بالأسلحة الأمريكية وخدمات التدريب والصيانة إضافة الى معامل الصناعات العسكرية كمصانع صناعة الطائرات العمودية والعتاد وباقي المصانع الخاصة بالجيش.**

**وقد أسفر كل هذا عن ارتفاع عدد الخبراء الضباط والمراتب الأمريكيين في إيران بشكل كبير جداً. كما تدفقت على أمريكا أعداد كبيرة من الضباط والمراتب الإيرانيين، لتلقي التدريبات العسكرية المختلفة. أما في المجال التجاري فقد كانت أمريكا تحتل المرتبة الثانية بعد ألمانيا الغربية ـ إن لم تكن تفوقها ـ في حجم علائقها التجارية لوحدها فضلاً عن المشتريات العسكرية.**

**وفي المجال الثقافي، كانت لأمريكا الحصة الأكبر من عدد الطلبة الإيرانيين الدارسين في الخارج، كما برزت ظاهرة هجرة الإيرانيين الى أمريكا، إذ شملت هذه الظاهرة فئتين من الإيرانيين:**

**الأولى: الملاكين والضباط المتقاعدين وعوائلهم الذين كانوا يتمتعون بموارد مالية ثابتة.**

**والثانية: أولئك الطلبة الجامعيون الدارسون في جامعات أمريكا حيث يبقون هناك بعد إنهاء دراساتهم بسبب زواجهم من فتيات أمريكيات أو عدم حصولهم على مجال عمل مناسب في إيران.**

**لقد كانت إيران ـ بلحاظ أهميتها الستراتيجية والجغرافية(كونها جارة للاتحاد السوفيتي ولتركيا العضو في حلف الناتو) وثروتها النفطية ـ تحظى بأهمية كبيرة لدى أمريكا، وتنفيذ السياسات الأمريكية وتحركاتها داخل إيران كان يتم من خلال طريقين:**

**الأول: القناة الرسمية من خلال السفارة الإيرانية ووزارة الخارجية الإيرانية عموماً.**

**والثاني: القنوات غير الرسمية وغير القانونية باستخدام عمليات التجسس وأمثالها، وهو ما كان يتم على أيدي رجال البنوك الأمريكيين والمؤسسات الثقافية الأمريكية كالمدارس وغيرها، وكذلك الشركات التجارية المسماة بالشركات متعددة الجنسيات.**

**كما كان لوجود شخص مثل هلمز في منصب سفير أمريكا في طهران والروابط التي تربط الساواك بالمخابرات المركزية الأمريكية دور كبير في بسط يد أمريكا في إيران بحيث كان بإمكان الأمريكيين أن يحصلوا على ما يريدون من معلومات ويقوموا بما يريدون من ممارسات ونشاطات غير قانونية داخل إيران دون أية عقبة.[14]**

**10ـ إيران والمؤتمر الإسلامي:**

**إحراق المسجد الأقصى عام 1969 أسفر عن بروز موجة من الغضب في الدول الإسلامية، فإسرائيل هي التي نفّذت هذه الجريمة، وكان لابد للشعوب الإسلامية من التصدي لذلك، ولهذا فقد تحرك زعماء الدول الإسلامية (الذين كان أغلبهم من التابعين لأمريكا) في هذا المجال لتضخيم الموضوع والتظاهر بالدفاع عن مقدسات الإسلام. وكان الشاه أحد هؤلاء العملاء حيث حاول خداع الشعب. وفي الرباط تم تشكيل أول مؤتمر للدول الإسلامية حضره الملوك والزعماء والرؤساء من 40 دولة إسلامية وأصدروا في نهايته بياناً ختامياً.**

**وفي هذا المؤتمر سادت وجهتا نظر مختلفتان: الأولى تدعو الى تخصيص هذا المؤتمر لمناقشة قضية المسجد الأقصى وفلسطين، والثانية تدعو الى دراسة تشكيل مؤسسات ومنظمات تتولى شؤون التعاون بين الدول الإسلامية، وقد هيمن هذا الرأي على أعمال المؤتمر حتى نهايته.**

**وفي عام 1972 انعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في جدة، وصادق على ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي. لكن هذا المؤتمر لم يتدارس مصالح المسلمين وشؤونهم ومنها قضية فلسطين بل ركز جهوده على ترسيخ التلاحم بين أعضائه فقط.**

**أما المؤتمر الثاني فقد عقد في لاهور الباكستانية بعد انفصال بنغلادش عن الباكستان، حيث سعى الرئيس الباكستاني بوتو، الى تقوية معنويات الشعب الباكستاني من خلال رئاسته للمؤتمر، وقد ساعده في ذلك كلٌّ من الشاه المقبور والملك فيصل.**

**أما مؤتمر القمة الثالث لرؤساء البلدان الإسلامية فقد كان مقرراً انعقاده نهاية القرن الهجري الرابع عشر (عام 1975) إلاّ أنه عُقد في 1981 في الطائف بدل جدة، ولم يكن للملكية ذكر في إيران كي يشارك الشاه في هذا المؤتمر.**

**ــــــــــــــــــــــ**

**[1] (تاريخ نوين إيران) تأليف ايوانوف/ ص 263.**

**[2] ذكر ايوانوف ـ المؤرخ الروسي ـ في كتابه (تاريخ نوين ايران) ص 263: خلال الأعوام من 1972 ـ 1974 بلغ حجم مشتريات ايران من الأسلحة حوالي (8) مليارات دولار، بينما كان حجم المشتريات العالمية للسلاح في تلك الفترة 20 مليار دولار، أي أن ما يتحمله كل فرد إيراني من جراء عملية شراء السلاح، هي أضعاف ما يتحمله المواطن الغربي في الدول الأعضاء في حلف الناتو.**

**[3] يقول خلعتبري(... الاعتراف بالامارات العربية المتحدة تم بعد التوقيع على عدة اتفاقات سرية مع شيخ الشارجة ووزير الخارجية البريطاني تضمنت الاتفاق في محكمة الثورة الإسلامية على موضوع جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وابو موسى( من ملف اعترافات خلعتبري في محكمة الثورة الإسلامية).**

**[4] في عهد جمال عبد الناصر، وبعد أن أعلن الشاه في مقابلة صحيفة اعترافه بإسرائيل، شن عبد الناصر ـ في خطاب له ـ هجوماً عنيفاً على الشاه وقطع روابطه مع الحكومة الإيرانية. لكن هذه الروابط عادت الى سابق عهدها بعد موت عبد الناصر ومجيء السادات الى الحكم وما تبعه من تقارب مع أمريكا، حيث تطورت هذه العلائق بحيث تبادل الجانبان الزيارات، كما قدمت إيران مساعدات مالية الى مصر. وبعد طرد الشاه من إيران، لجأت الى مصر حيث آواه السادات حتى موته.**

**[5] يقول خلعتبري في هذا المجال(.. لم تكن لإيران روابط رسمية مع منظمة التحرير الفلسطينية، لكنني التقيت ياسر عرفات في القمة الإسلامية في لاهور، بأمر من الشاه نفسه، حيث بينت لعرفات رغبة الحكومة الإيرانية بإقامة علائق مع منظمة التحرير، لكننا لم نحدد موعداً لإقامة هذه العلائق، بعد ذلك كانت لي لقاءات ودية مستمرة مع الفلسطينيين سوءا في الجمعية العامة للأمم المتحدة أو المؤتمر الإسلامي. وفي مؤتمر اسطنبول الإسلامي، وبعد أن سمحت الحكومة التركية بفتح مكتب اعلامي لمنظمة التحرير الفلسطينية، رفعتُ تقريراً الى طهران يوصي بأن نفعل الشيء نفسه(حيث كان ذلك بطلب ورجاء من الفلسطينيين أنفسهم) وأكدت لحكومتي أن ذلك سيكون له تأثير إيجابي، وسيبعث السرور في قلوب ممثلي منظمة التحرير، لكن (منصور قدر) سفير إيران في بيروت عرقل ذلك.**

**[6] مندوبو الوكالة العالمية لليهود في طهران هم: أولاً ـ البروفيسور دوريل هو يهودي أوروبي. ثانياً ـ مير نحوري وهو يهودي اصفهاني الأصل ولغته الأم هي الفارسية وله شبكة علائق واسعة وفي إسرائيل كان يشغل منصب عضو في الكنيست كما أنه مقبول عند الشاه شخصياً. ثالثاً ـ لوبراني الذي كان في إيران حتى صيف 1978، وهو متخصص في الشؤون الأفريقية لكنه على اطلاع واسع بالأوضاع في إيران وكان له نشاط فيها(من اعترافات عباس علي خلعتبري في محكمة الثورة).**

**[7] من وثائق وزارة الخارجية**

**[8] الخلافات الحدودية بين البلدين تعود الى عهد الامبراطورية العثمانية التي كان العراق جزءاً منها. فاتفاقية عام 1639 رسمت حدوداً مبهمة، والاتفاقيات الأولى والثانية وارضروم في عامي 1823 و 1847 التي عقدت بين إيران والعثمانيين بوساطة بريطانيا. كانت قد شكلت لجنة لتعيين خط الحدود، لكنها لم تسفر عن نتيجة حاسمة. وبموجب اتفاقيتي طهران 1911 والقسطنطينية 1913 تم تشكيل لجنة من ممثلي إيران والعثمانيين وروسيا وبريطانيا أخذت على عاتقها رسم الحدود، لكن العراق ادعى بعد نيله الاستقلال أن حاكمية العثمانيين على شط العرب أمر لا جدال فيه، بينما ادعت إيران بأن عدم موافقة الجانبين على ذلك لا يترتب عليا أية حقوق دولية، فتقدم العراق بشكوى الى المنظمة الدولية إلا أنه سحبها بموجب اتفاقية 1937. وظل الغموض يلف قضية الحدود، وخلال الخمسينات، كادت القضية تصل الى حل نهائي بفضل عضوية الحكومتين في حلف بغداد، والمفاوضات التي جرت بهذا الشأن بين رئيسي وزراء البلدين حول إدارة شط العرب لولا الانقلاب الذي حدث فجأة في العراق وادى الى وقف هذه المفاوضات.**

**[9] عمد العراق الى الإخلال بحركة السفن الإيرانية والأمريكية، وقد تبادل الطرفان مذكرات شديدة اللهجة، انتهت بإلغاء عبد الكريم قاسم اتفاقية 1937 وإعلان الهيمنة الكاملة للعراق على شط العرب. فقد كان قاسم يعتبر حكومته ثورية، كما أن النظام الإيراني لم يكن يتمتع بدعم شعبي ولم يكن بإمكانه اتخاذ إجراء صارم بهذا الشأن، لكنه بادر الى تقوية المخافر الحدودية واتخاذ تدابير وقائية مشددة حول مصفاة نفط آبادان، وفي الوقت نفسه جرت مفاوضات بين الجانبين لكنها لم تسفر عن نتيجة تُذكر.**

**[10] أزمة شط العرب شهدت تصاعداً كبيراً، فالحكومة الإيرانية كانت تطالب باعتبار خط التالوك (خط منتصف القمر) كخط للحدود المائية لكن العراق كان يدعي أن خط الحدود يمر من الساحل الإيراني للنهر وكان يصر على هذا الموقف، وفي 15/ نيسان/ 1969 أعلن العراق عن عدم سماحه للسفن الإيرانية بالسير في الشط رافعة العلم الإيراني. أما إيران فقد ألغت اتفاقية 1937 وحشد كل جانب قواته على الحدود، لكنهما تحاشيا أي اشتباك مسلح.**

**[11] أهم مشروع كان إنشاء مصنع صهر الحديد، ومصنع تجميع السيارات مقابل تزويدها الاتحاد السوفيتي بالغاز الطبيعي الإيراني، حيث تم إنشاء خط أنابيب بين البلدين لنقل الغاز(راجع كتاب (تحليل تاريخى سياست خارجى ايران از آغاز تا امروز) تأليف حافظ فرمانفرمائيان/ ص 60).**

**[12] يقول خلعتبري في هذا الصدد (في عام1962) وبعد تبادل رسائل سرية بين الشاه وخروشوف وتعهد إيران بعدم السماح لأية دولة (والمقصود أمريكا) بإنشاء قاعدة عسكرية في الأراضي الإيرانية، بدأت العلائق الإيرانية ـ السوفيتية بالتحسّن تدريجياً، ومنذ ذلك التاريخ، أصبح حلف السنتو بمثابة نادٍ يجمع دول أعضائه(محاضر محاكمة خلعتبري في محكمة الثورة الإسلامية).**

**[13] ملف محاكمة عباس علي خلعتبري، وزير خارجية الشاه.**

**[14] يقول خلعتبري حول السياسة الخارجية لإيران (... سياسة إيران كانت تقوم على التعاون مع الدول الغربية، فكانت لها علائق وثيقة مع أمريكا. كما كانت تربط الشاه علائق شخصية وثيقة بالرؤساء الأمريكيين. فكان الشاه يزور أمريكا بعد انتخاب كل رئيس جديد لإقامة علاقة معه حتى قيل بأن الشاه دفع مبالغ من المال الى اللجنة الدعاية لنيكسون من أجل المساعدة في أعادة انتخابه. وكان يراسل الرؤساء الأمريكيين ويتحدث معهم عبر الهاتف، ويصدر أوامره وتعليماته من خلال مكتبه الخاص الى سفير إيران في واشنطن دون اطلاع وزارة الخارجية. وخلال السنوات الأخيرة التي كان فيها (اردشير زاهدي) سفيراً في واشنطن، كان يرفع تقريراً عن أعماله وتحركاته الى مكتب الشاه مباشرة وبنفس الطريقة يتسلم التعليمات والأوامر، أما تقاريره الى وزارة الخارجية فلم تكن تتعلق إلا بالشؤون الإدارية البحتة (من ملف محاكمة خلعتبري في محكمة الثورة الإسلامية).**

# ****الفصل الحادي عشر****

# ****إيران والنفط والأوبك****

**1ـ نظرة عامة:**

**لاشك في أن النفط بات يحظى بأهمية كبرى لدى أبناء البشر باعتباره من الحاجات الضرورية اليومية، فهو اليوم مرتبط بشكل وثيق بجميع نشاطات الإنسان العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية.[1]**

**وكانت أهم قضية بعد الاتفاقية الأمريكية ـ الإيرانية لحصر التنقيب عن النفط واستخراجه، ولادة منظمة الأوبك، حيث تبعت ذلك تغييرات مهمة على الصعيد النفطي والسياسي. وفي إيران كانت شركة النفط الوطنية ومعها30 شركة متعددة الجنسيات تتولى شؤون النفط الإيراني.[2] وفي كانون الأول عام 1960، بادرت كبريات الدول المنتجة للنفط وبهدف ظاهري هو تنسيق سياساتها وبرامجها النفطية، الى تأسيس منظمة الأقطار المصدرة للنفط(أوبك).[3]**

**2ـ النفط منذ اتفاقية التنقيب الإيرانية ـ الأمريكية وحتى عام 1973:**

**عملت أمريكا وبريطانيا معاً، ومن خلال الشركات النفطية المتعددة الجنسيات على تقاسم الغنائم النفطية الإيرانية. فخلال ثمانية عشر عاماً (1955 ـ 1973) ارتفع حجم النفط الخام المستخرج في إيران من (120) مليون برميل في عام 1955 الى (1.8) مليار برميل عام 1972، وبشكل عام فقد تم خلال الأعوام الثماني عشر استخراج ما مجموعه (13.3) مليار برميل من النفط خلال الـ(14) عاماً الأولى حوال (6.2) مليار برميل والأعوام الأربعة الأخيرة حوالي (7.1) مليار برميل). وقد بلغت عائدات إيران من النفط المصدر خلال عام 1955 حوالي (128.9) مليون دولار، و(181) مليون دولار خلال عام 1956، و(391.3) مليون دولار خلال عام 1961 و (715.8) مليون دولار خلال عام 1966 وفي عامي 71 و72 وصلت العائدات الى (2.1) و(2.5) مليار دولار، وبالجملة؛ فقد بلغت العائدات النفطية الإيرانية خلال 18عاماً (13.7) مليار دولار منها (6.7) مليار دولار خلال الـ(14) عاماً الأولى و(7) مليارات دولار خلال الأعوام الأربعة الأخيرة.**

**وقد سجلت عائدات الشركات الاحتكارية أرقاماً كبيرة، إلاّ أن المستقبل كان مجهولاً بالنسبة لها. وقد شهدت تلك الفترة ازدياد الطلب العالمي على النفط، كما كانت نفقات استخراجه قليلة، ولهذا فقد قرروا استخراج ما أمكن من النفط لتحقيق منافع أكبر بسرعة، إلاّ أن تأسيس الأوبك اضطر الشركات الاحتكارية الى اتخاذ نهج جديد عام 1973، فاعتبرت نفسها تمثل تكتل المشترين للنفط فصارت تعد نفسها وفقاً للخطة التي صودق عليها مشترياً ثابتاً للنفط الذي تستخرجه في مناطقها المحددة من إيران حتى ينفد.**

**3ـ ما هي الأوبك؟**

**حتى عام 1960، كانت كلٌّ من الدول المنتجة للنفط تجهل ظروف الأخرى وأوضاعها وكانت كل دولة تتصرف وفقاً لما تريده الشركات النفطية الأجنبية العاملة في أراضيها، فلم يكن هناك تبادل لوجهات النظر بين الدول المنتجة. لكن شمل هذه الدول التأم عام 1960 في إطار منظمة واحدة، وبدأ التشاور وتبادل وجهات النظر فيما بينها حول شؤون النفط. أما هل كان للشركات العالمية والكارتلات النفطية دور في تأسيس الأوبك، وهل إن هذه المنظمة أوجدت أساساً لمواجهة هذه الشركات، فهذا الموضوع بحاجة الى شرح وتفصيل ويمكن البحث مطوّلاً فيه، وهذا ما نحن في غنى عنه الآن. لكن المهم هو أن الأوبك لم يكن لها دور فعال خلال السنين العشر الأولى من تأسيسها، فلم يتعدّ نشاطها إصدار بعض البيانات، كما كانت تُطرح داخلها أمور لم تشهد التنفيذ العملي، لكنها بدأت التحرك بجدية منذ عام 1970.**

**4ـ النظام الداخلي للأوبك:**

**أعلنت الأوبك عن وجودها من خلال بيانين صادق عليهما ممثلو خمس دول منتجة في أول مؤتمر للمنظمة.[4] وطبقاً للنظام الداخلي للأوبك فإن هناك ثلاث أضعاف للأعضاء فيها وهم: الأعضاء المؤسسون، والأعضاء الجدد، والأعضاء المرتبطون. فالأعضاء المؤسسون هم الدول الخمس التي اجتمع ممثلوها في بغداد عام 1960 وقاموا بتشكيل المنظمة أما الأعضاء الجدد فهم الذين انظموا الى المنظمة فيما بعد، مثل ليبيا واندونيسيا وقطر، كما انضمت الجزائر وإمارة أبو ظبي في عامي 67 و1969 على التوالي.**

**وهناك شرطان للعضوية هما أن تقوم الدولة العضو بتصدير مقادير كبيرة من النفط[5] وأن تكون مصالح هذه الدولة مشابهة لمصالح الدول المؤسسة، كما يمكن لمؤتمر المنظمة (بأصوات ثلاثة أرباع الأعضاء بما فيهم المؤسسون) منح حق العضوية الارتباطية لدولة منتجة حتى لو لم تكن تصدّره بمقادير كبيرة بشرط أن تصبح هذه الدولة شريكة في المصالح النفطية العامة وأهداف الدول الأعضاء. لكن الأوبك لا تملك حالياً أعضاء مرتبطين.**

**5ـ دواعي تشكيل الأوبك:**

**بعد الحرب العالمية الثانية تحولت أمريكا من بلد مصدّر للنفط الى بلد مستهلك له. كما شهد حجم الانتاج النفطي العالمي الذي يطرح في الأسواق ارتفاعاً كبيراً حيث وصل الى (2.4) مليون برميل في اليوم منها (1.3) مليون برميل مصدره فنزويلا، و(مليون) برميل من الشرق الأوسط وتدريجياً أدى تزايد الطلب العالمي على النفط الى رفع انتاج دول الشرق الأوسط منه. ففي عام 1950 بلغ حجم انتاج منطقة الخليج الفارسي خلال عام حوالي (630) مليون، حيث فاق انتاج فنزويلا ذلك العام (547) مليون برميل.**

**وقد سعت شركات النفط الاحتكارية الى إيجاد حالة منافسة بين فنزويلا ودول الشرق الأوسط المنتجة للنفط لتتمكن من وضع عقبات في طريق سياسات فنزويلا، التي كانت تفرض وجهات نظرها على المستهلكين لكن هذا الإجراء جعل فنزويلا أكثر تصميماً على مواصلة نهجها والتقارب مع منتجي الشرق الأوسط وإيجاد علاقة تعاون وتنسيق معهم، بدل المنافسة التي أرادتها الشركات، فقطعت الخطوة الأولى في هذا المجال عبر اتصالها بمجلس الدول المصدرة والتشاور معهم في شؤون النفط.**

**أما الجامعة العربية فقد كانت تفكر منذ عام 1945 بتأسيس منظمة نفطية، لكن ذلك لم يكن ممكناً بدون مشاركة إيران وفنزويلا، البلدين اللذين يصدران كميات كبيرة من النفط.**

**وفي نيسان عام 1959عُقد أول مؤتمر نفطي عربي في القاهرة ودُعيت إليه إيران وفنزويلا للمشاركة بصفة مراقب. وفي هذا المؤتمر جرى إعداد اتفاقية سرية غير رسمية صادق عليها ممثلو الأقطار المصدرة للنفط بما فيها إيران وفنزويلا. وكانت تلك بمثابة نواة لمنظمة الأوبك.**

**وفي ايار عام 1960أصدر وزراء نفط السعودية وفنزيلا بياناً طالبا فيه الدول المنتجة للنفط باتخاذ سياسة مشتركة، لكن الشركات الاحتكارية قامت بعد (6) أشهر بتخفيض سعر النفط الخام بدون التشاور مع الدول المنتجة، مما أثار قلق هذه الدول. وبالنسبة لايران مثلاً فقد انخفض سعر النفط الخام خلال (18) شهراً بمقدار 26 سنتاً لكل برميل اي بنسبة 13%.**

**وفي عام1960 واجهت دول الشرق الأوسط النفطية خسارة مقدارها 93 مليون دولار مما أثار ردة فعل قوية لدى الدول المنتجة دفعتها الى عقد اجتماع في بغداد في أيلول 1960، ضم ممثلي إيران والعراق والكويت والسعودية وفنزويلا، وهناك أعلنت انبثاق منظمة الدول المصدرة للنفط. وتشير الاحصائيات الى أن الدول الخمس المؤسسة للمنظمة تضم 67% من احتياطي النفط في العالم. كما أن هذه الدول تنتج 38% من النفط المنتج عالمياً.**

**6ـ جانب من اجراءات الأوبك:**

**لسنا هنا بصدد الحديث عن جميع سياسات الأوبك واجراءاتها فذلك يحتاج الى كتاب منفصل، بل سنكتفي بالحديث عن إجراءات هذه المنظمة في عامي 1970و 1971. ففي كانون الأول 1970 عقد في كاراكاس المؤتمر الحادي والعشرون للأوبك، الذي قطع خطوة كبيرة وفاعلة بعد (10) سنوات من تأسيس هذه المنظمة. ففي عام 1970 ازداد الطلب العالمي على النفط بشكل كبير، بينما كان العرض في وضع سيء، ولهذا فقد صادق مؤتمر الأوبك على القرار (21 ـ 120) الذي نص على:**

**1ـ تحديد نسبة 55% كأدنى حد للضرائب المأخوذة على صافي عائدات الشركات التي تقوم بالاستخراج في الدول الأعضاء.**

**2ـ رفع جميع أشكال التباين في الأسعار المعلنة واحتساب الضرائب على أساس أعلى سعر للنفط.**

**3ـ توحيد أية زيادة في الأسعار أو الضرائب في جميع الدول المنتجة بهدف تحسين أوضاع السوق العالمية للنفط.**

**4ـ إلغاء كل المنح غير العادية المقدمة الى الشركات النفطية اعتباراً من كانون الثاني 1971.**

**وفي بيان آخر اعربت الأوبك عن قلقها حيال التضخم الاقتصادي الذي تشهده الدول الصناعية، وما سيتركه من أثر على قوة شراء هذه الدول للنفط، حيث تقرر تعديل الأسعار وفقاً للتغييرات والظروف المستجدة. وفي هذا المجال، كانت الأوبك تؤكد دائماً أن قيمة الدولار شهدت انخفاضاً بنسبة 27% عما كانت عليه عام 1960، بينما لم تشهد أسعار النفط أي ارتفاع، علماً بأنها تتعامل بالدولار فقط. كما جرى التأكيد على أن أسعار البضائع والسلع التي تصدّرها الدول المستهلكة للنفط قد شهدت ارتفاعاً مقداره (35%) منذ عام 1950. وبالرغم من أن هذا القرار كان يسري على جميع أعضاء الأوبك ألا أن مواقفهم منه كانت متباينة. ففي منطقة الخليج الفارسي تم تشكيل لجنة تضم وزراء النفط والمالية في إيران والعراق والسعودية، وجُعل مقرها في طهران حيث بدأت مفاوضاتها مع ممثلي الشركات النفطية الكبيرة.**

**كما أن الموقف الحازم لليبيا آنذاك جعل الشركات تدرك أن عليها أن تكون مستعدة لتلبية مطالب الأعضاء بالعائدات النفطية الضخمة من قبل باقي الدول المنتجة.**

**يقول مؤلف كتاب (تاريخ الأوبك): (... كانت الشركات النفطية تتمتع بدعم رسمي من قبل حكوماتها. بالرغم من أن مصالح الدول الكبيرة المستهلكة للنفط لم تكن تلتقي الى حد كبير من مصالح هذه الشركات، إلاّ أن أمريكا كانت قد استشعرت الخطر من تمساك الأوبك ونهجها الجديد الذي قد يؤدي الى إرباك عملية مدّها بالنفط، ولهذا فقد انضمت الى بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وهولندا وايطاليا والسويد في دعم الشركات النفطية.**

**كما أصدر المدعي العام الأمريكي قراراً بأعفاء هذه الشركات من القوانين المنظمة لتجمع الشركات النفطية المتحدة، لفسح المجال لها لدخول مفاوضات جماعية مع دول الأوبك. وهكذا قامت (15) شركة نفطية واعتماداً على هذا الدعم السياسي، باصدار بيان[6]مشترك بتاريخ 16 كانون الثاني أعلنت فيه استعدادها لإجراء مفاوضات جماعية مع جميع أعضاء الأوبك حول اتفاق لمدة خمس سنوات لتثبيت نسبة الضرائب على أساس الأسعار الجديدة التي يتم تعيينها وفقاً لظروف التضخم العالمي. وقد طالبت هذه الشركات بالمفاوضات الجماعية لعلمها بأن دولاً مثل الجزائر وليبيا اللتين تتخذان نهجاً ثورياً، قد لا يكون بالإمكان ترويضها واخضاعها، لذلك فقد فضلت الشركات دمجها مع باقي الدول في المفاوضات لتكون في مقابل أغلبية تخالفها في النهج، لكن ليبيا والجزائر ردتا على هذا الطلب فأصدرتا بياناً أدان المفاوضات الجامعية وبذلك تراجعت الشركات عن هذه الفكرة[7] نهائياً. فقد استهدفت هذه الشركات، ترويض باقي دول الأوبك واخضاعها من خلال إيران والسعودية وأمثالهما.[8]**

**7ـ اتفاقية عام 1973:**

**بوقوف بعض الدول بوجه الكارتلات النفطية[9] وارتفاع نسبة الضرائب على الشركات عام 1970 والتوقيع على مذكرة التفاهم في طهران ومثلتيها في جنيف في عام 1970 و 1972، كل ذلك مهد الأرضية المناسبة لإعداد تفاصيل اتفاقية 1973. وبالتوقيع على هذه الاتفاقية استطاعت الشركات الاحتكارية اغلاق الطريق أمام أي اجراء قد تتخذه بعض الدول المنتجة ضد الشركات الاحتكارية، التي تخشى ذلك بشدة.**

**تتضمن اتفاقية 1973 مقدمة و 23 مادة وجدولاً ملحقاً، وقد نظمت موادها بشكل معقد ومبهم بحيث بدت غير مفهومة أبداً، وقد كانت إيران أحد جانبي هذه الاتفاقية، وجانبها الآخر يتمثل بـ(28) شركة نفطية، بينما كانت إيران في اتفاقية (دارسي) تقابل دولة واحدة وشركة نفطية واحدة، وفي اتفاقية 1955، كان الجانب الآخر يتمثل بثماني شركات وأربع دول مقابل إيران.**

**أما في اتفاقية 1973 فإننا نرى الدول الأربع نفسها موجودةً مصطحبةً معها الشركات النفطية الـ(28) الموجودة في بلدانها.**

**وقد لجأت الشركات الاحتكارية العاملة في إيران الى إشراك باقي الشركات معها للتخلُّص من منافستها المحتملة وليتمكن الجميع من الحصول على حصصهم ـ كلٌّ حسب حجمه ـ من هذه المائدة الغنية، ولتتمكن الشركات الاحتكارية العملاقة من مواصلة نهبها دون منغصات.**

**وكانت اتفاقية 1973 سارية المفعول منذ بداية هذا العام. كما أنها تنص على تولي شركة النفط الإيرانية توزيع النفط محلياً، إضافة الى تصدير جزء من النفط الى الخارج. لكن الحقيقة أن كل ذلك كان يتم بالمقادير التي تحددها الشركات الاحتكارية الداخلة في اتفاقية التنقيب داخل إيران، دون الأخذ بنظر الاعتبار الحاجة الحقيقية للاستهلاك المحلي. كما حصلت الشركات الاحتكارية بموجب الاتفاقية الجديدة على حق منح تسهيلات وفرص عمل في المجال النفطي الى أية شركة خارج الاتفاقية، وهكذا كان بإمكان أية شركة نفطية أجنبية الاستفادة من التسهيلات الممنوحة الى الشركات الاحتكارية العاملة في إيران والتي كانت تتصرف وكأنها المالك الحقيقي لآثار النفط ـ وفقاً لما نصت عليه اتفاقية 1973 ـ وبذلك فإن هذه الاتفاقية قد أبقت على الهيمنة الأجنبية على آبار النفط ومنشآته.**

**8ـ نتائج اتفاقية 1973:**

**بعد أن وقعت إيران على اتفاقية 1973، بدأت حملة إعلامية واسعة ادعت من خلالها أنها أحكمت سيطرتها على النفط والغاز الطبيعي داخل إيران بشكل كامل! وأن هذه الاتفاقية قد ألغت الظروف التي نتجت من اتفاقية احتكار التنقيب الموقعة مع الشركات الاحتكارية عام 1955 وأن ذلك سيؤمن لإيران عائدات مالية ضخمة تمكنها من بدء برنامج عمراني واسع.[10]**

**لكن الحقيقة هي أن الاتفاقية ليست فقط لم تُعد للشعب الإيراني حقوقه في مجال إنتاج النفط وتصديره ـ بل إنها ـ ومن خلال الجداول الملحقة بها ـ جعلت عمليات التنقيب والاستخراج والتصدير في إيران حكراً على الشركات الاحتكارية مدة عشرين عاماً، أي مع نفاد النفط الإيراني، وهكذا فإن هذه الاتفاقية لم تكن في صالح إيران أبداً، لأن أسواق النفط العالمية كانت تشهد تغييرات وتقلبات حادة باستمرار، والشركات الاحتكارية ليست بتلك الدرجة من السذاجة، فهي أول من بدأ نهب النفط الإيراني، وواصلت ذلك بشتى الأحابيل والحيل، فهل يعقل أنها لم تضع في حساباتها تغييرات أسواق النفط خلال العشرين عاماً القادمة؟!**

**لقد أرادت الشركات ـ ومن ورائها الدول الكبرى ـ سلب هذا السلاح من يد إيران على مدى عشرين عاماً. إذ إن الاتفاقيات النفطية يجب أن لا تعقد لأكثر من عام واحد، مع الأخذ بنظر الاعتبار ظروف الساعة، فالنفط سلاح فعّال بيد الدول المنتجة، وعليها استخدامه متى ما دعت الحاجة.**

**المهم فإن اتفاقية 1973 لم تُعد للشعب الإيراني حقه في الانتاج والتصدير أبداً، ووفقاً لاحصائيات البنك المركزي الإيراني خلال الأعوام من 1973 وحتى عام 1977 كان على التوالي: (2.2، 2.2، 1.9، 2.1 و2) مليار برميل في العام، أي أنه بلغ (10.5) مليار برميل خلال (5) أعوام، تم تصدير (9.1) أي (90%) منه بواسطة الشركات الاحتكارية وشركة النفط الوطنية وباقي الشركات الأخرى.**

**ولو قارنا مجموع حجم الانتاج خلال السنوات الخمس الأخيرة هذه، مع إنتاج الأعوام الثمانية عشر الماضية (من عام 1954 وحتى 1973) لوجدنا أن الانتاج قد شهد ارتفاعاً كبيراً جداً، فخلال الثماني عشر عاماً الأولى بلغ مجموع الانتاج (13.3) مليار برميل، بينما انتجت إيران خلال السنوات الخمس الأخيرة من عمر النظام البائد (11) مليار برميل تم تصدير 90% منه.**

**ولو رجعنا الى الوراء أكثر لرأينا أن إيران أنتجت خلال (56) عاماً ما مقداره (16.6) مليار برميل، بينما انتجت خلال (5) سنوات فقط ما مقداره (11) مليار برميل. وكانت عائدات الدولة من التصدير خلال هذه السنوات كالآتي: (4.8، 18.5، 18.9، 20.5 و 20.7) مليار دولار على التوالي حيث بلغ مجموعها (83.4) مليار دولار.**

**هذا الارتفاع الكبير في حجم العائدات يعود الى رفع حجم الانتاج وازدياد اسعار النفط عالمياً. ولكن كيف أنفقت هذه المبالغ الضخمة التي تشكل ثروة عظيمة للبلاد؟ إن مراجعة سريعة للاحصائيات الاقتصادية لتلك الفترة تكشف لنا بوضوح أن الاقتصاد الإيراني انحدر الى الهاوية بسبب خيانة الحكومة وارتباطها بالناهبين الدوليين. فبدل أن تستخدم هذه العائدات الضخمة لإعمار البلاد وتنشيط الزراعة وبلوغ الاكتفاء الذاتي نرى إيران تحولت الى سوق استهلاكية تستورد كل شيء من الخارج. كما شاعت في الداخل كل أشكال الفساد ومنها الفساد المالي الأخلاقي والاقتصادي.**

**ووفقاً للجدول الملحق باتفاقية 1973 فإن شركة النفط الوطنية الإيرانية مكلّفة بتسليم الشركات الاحتكارية (4.8) مليون برميل من النفط الخام كل يوم خلال عام 1973 و (6.4) مليون برميل عام 1977و (6.2) مليون برميل عام 1978. ومنذ عام 1978 يبدأ هذا الرقم بالتناقض وخلال الأعوام 80 و 85 و 89 بتناقض الى (5.7) و (1.4) مليون يومياً، وفي عام 1993 أي عند انتهاء مدة اتفاقية حصر التنقيب على النفط بيد الشركات الاحتكارية يصل هذا الرقم الى (7500) برميل في اليوم، أي أن هذا المقدار من النفط سيكون مساوياً لحجم الاستهلاك الداخلي. وبتعبير آخر، فإن الخطة التي رسمتها الشركات الاحتكارية تقضي بأن ينفد النفط الإيراني مع انتهاء اتفاقية التنقيب والاستخراج التي عقدتها مع الحكومة الإيرانية.[11]**

**ولحسن الحظ، فإن شعلة الثورة تصاعدت، حتى قضت على النظام البائد قبل أن تنتهي الاتفاقية وينفد ما لدى إيران من هذه الذخائر، فشهد انتاج النفط انخفاضاً كبيراً، مما يتيح للأجيال القادمة الاستفادة من هذه الثروات العظيمة التي منحها الله لهم.**

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] الوضع العالمي للنفط عام 1978 حسبما ورد في احصائيات لشركة بريتش بتروليوم هو كالآتي: بلغ حجم الاستهلاك العالمي من النفط الخام (3076) مليون طن بينما بلغ الانتاج العالمي منه (3084) مليون طن. وكان حجم استهلاك روسيا وأوروبا الشرقية والصين(1478) مليون طن بينما بلغ انتاج النفط في هذه الدول حوالي (1395) مليون طن، وحجم الانتاج الإجمالي في دول الأوبك (1491) مليون طن. الصين انتجت في هذا العام(96) مليون طن، وبحر الشمال في الجانب البريطاني (53) مليون طن. أما أمريكا فأنتجت في العام نفسه(488) مليون طن بينما بلغ الاستهلاك (888) مليون طن، فأمريكا تستهلك 20% من حجم الاستهلاك العالمي للنفط(صحيفة اطلاعات الصادرة بتاريخ 16 تموز 1979 نقلاً عن مركز الاحصاءات الدولي).**

**[2] خلال انتهاء الحرب العالمية وبعد ذلك بعشر سنوات كانت هناك (8) شركات نفطية كبيرة تعمل في استخراج النفط وبيعه في مختلف مناطق العالم وبالرغم من ذلك فقد كانت في أمريكا شركات أخرى تقوم بالتنقيب عن النفط واستخراجه في أمريكا الشمالية بكميات أكبر بكثير مما تستخرجه الشركات الكبرى في العالم. هذه الشركات كانت مستقلة عن الشركات الكبرى، لكنها لم تكن صغيرة أيضاً ففي عام 1973 بلغ حجم انتاج هذه الشركات من النفط في أمريكا الشمالية ضعف ما أنتجته الشركات الكبرى في العالم، وخلال العقد السادس، دخلت هذه الشركات المستقلة، وبدعم سياسي كبير، الى مناطق نفوذ الشركات الاحتكارية الكبرى، وفي عام 1977 أي بعد عام من انعقاد الاتفاقية مع جميع الشركات النفطية اضطرت خمس شركات أمريكية كبرى الى منح 5% من حصصها الى 9 شركات مستقلة (تاريخ اوبك تأليف فؤاد روحاني ص 68(فارسي).**

**[3]Organization of Petroleum Exporting Countries (O.P.E.C) R2piR**

**[4] خلاصة القرار هي أن الدول المنتجة للنفط لن تقف مكتوفة الأيدي أمام الشركات النفطية فيما يخص تقلبات الأسعار، وهي تطالب هذه الشركات بتثبيت الأسعار والابتعاد عن التقلبات غير الضرورية وإعادة الأسعار الى مستواها الذي كانت عليه قبل الهبوط، وان طرأت هناك ضرورة لتغيير الأسعار، فيجب اطلاع دول الأوبك من قبل. كما وافق الأعضاء جميعاً على عدم الرضوخ لمحاولة الشركات تحطيم مقاومة بعض دول الأوبك من خلال منح تسهيلات لبعضها الآخر لكسب تأييده وتحطيم تلاحم الأعضاء، كما نص البيان بصراحة على أن هدف منظمة الأوبك هو توحيد أعضائها وتلاحمهم.**

**[5] لم يجر اشتراط انتاج كمية محددة من النفط للدخول في عضوية المنظمة، فقطر كانت من أقل الدول انتاجاً وتصديراً، وفي عام 1968 بلغ انتاجها 339.5 برميل في اليوم أي 0.87% من الانتاج العالمي، ولأنها قُبلت عضواً في الاوبك فقد اعتبر هذا الحجم من الانتاج كافياً للعضوية. وهكذا فأن 36 دولة من الدول المنتجة البالغة 52 دولة، لا يصل انتاجها الى هذا المقدار. أما الستة عشر الباقية فعشرة منها أعضاء في الاوبك والست الباقية (وهي أمريكا والاتحاد السوفيتي وكندا والمكسيك ونيجيريا والارجنتين) فهي ليست أعضاء في الاوبك (وقد وصل عدد أعضاء الاوبك حالياً الى 13 عضواً). ويجمع بين الاعضاء الرئيسيين للأوبك الظروف التالية: 1ـ الاعضاء الرئيسيون هم من الدول النامية. 2ـ كلهم من مصدري النفط الكبار. 3ـ تعتمد نفقات المشاريع الانمائية وموازنة الميزانية في هذه الدول على النفط بشكل رئيس. 4ـ تشابه الاتفاقيات التي تتحكم بصناعة النفط في هذه الدول. 5ـ لم تكن قادرة على استغلال مواردها النفطية دون مساعدة خارجية أو أن المجال لم يفسح لها لتكون كذلك.**

**[6] جاء في جانب من البيان: (.. الشكاوى المستمرة التي تثيرها بعض دول الأوبك منفردة، أثارت قلقنا الشديد. نحن نعتقد أن تأمين المصالح طويلة الأمد لكل من الدول المنتجة والمستهلكة وكذلك الشركات النفطية مرهون بتحقيق الثبات في الاتفاقيات المالية مع الدول المنتجة ولهذا فنحن نعتقد أنه لا يمكن بعد الآن التباحث حول شكاوى أعضاء الأوبك على أي أساس، إلا إذا أدى ذلك الى مساومةٍ واتفاق مع جميع الدول المنتجة في آن واحد...).**

**[7] راجع (تاريخ اوبك) ص 18.**

**[8] طلبت دول الخليج الفارسي عقد اجتماع طارئ لمنظمة الأوبك، حيث انعقد المؤتمر الثاني والعشرون للأوبك في طهران، وأصدر بياناً أمهل الشركات النفطية فترة قصيرة لدخول المفاوضات، وأثر ذلك وافقت الشركات خلال هذه المهلة على الدخول في اتفاقية توازنٍ مع دول الخليج الفارسي.**

**[9] في شباط 1971 قامت الجزائر بتأميم الشركات النفطية الفرنسية التي كانت تتولى انتاج ثلثي الانتاج الجزائري من النفط. وفي كانون أول 1971 قامت ليبيا بتأميم شركة النفط البريطانية. وفي عام 1972 أمم العراق شركة النفط الوطنية (كتاب (قراردادهاي نفي يا اسناد خيانت) ص 51).**

**[10] مع ازدياد عائدات النفط، ازدادت تبعية الاقتصاد الإيراني بهذه العائدات وتزايد الخوف من مخاطر انخفاض هذه العائدات حيث بلغ حجم الارتباط بهذه العائدات 80% في السنة الأخيرة من عمر النظام. فإيران كانت ثاني دولة نفطية من حيث حجم الانتاج والتصدير بعد السعودية، لم تشترك في المقاطعة النفطية أو تقليل الانتاج خلال حرب تشرين الأول / أكتوبر 1973 ضد إسرائيل. فقد كان الشاه يدعو الى عدم استخدام النفط كحربة سياسية، متظاهراً أمام الغرب بالوفاء. كما كان يطالب برفع اسعار النفط بسبب ازدياد التضخم وارتفاع الأسعار، وهكذا أصبح أحداهم أعضاء الأوبك مستبداً موالياً للغرب. وكان يتصور أن المال يحل كل المشاكل، وبدأ بحملة واسعة للتنمية السريعة للبلاد والوصول بها الى التحضر الأكبر لتحوز على المرتبة الخامسة في العالم، لكن ذلك لم يكن سوى سراب سرعان ما تبدد. ففي كانون أول 1975 انخفض النفط بنسبة 20% فانعكس ذلك على الاقتصاد الإيراني مما أدى الى تأجيل دفع المبالغ المستحقة للمقاولين، وكانت الدوائر الحكومية لوحدها تدفع لهم (3) مليارات دولار وتأخر اعلان ميزانية عام 1976 كما بلغ العجز في العائدات حوالي مليارين وسبعمئة مليون دولار، كما لجأت الحكومة الى الاقتراض من المصادر المالية العالمية. أما الشركات النفطية فإنها قامت بتقديم تسهيلات وتخفيضات ملحوظة من أجل أن تزيد من مبيعاتها. وهكذا صار الاقتصاد معتمداً بشكل كامل على بيع النفط مع الحاجة الى استيراد كل شيء. وكان الشاه معتمداً على مواصلة الانفاق على التسليح، غلا أنه قرر شراء السلاح مقابل النفط بدلاً من الدفع نقداً. وفي عام 1976 جرت مفاوضات بين إيران والشركات النفطية وباعة السلاح حيث جرى التفاوض حول: 1ـ شراء (300) طائرة من طراز اف ـ 16و (4) مدمرات من أمريكا مقابل بيعها 300 الف برميل نفقط في اليوم من قبل شركة النفط الوطنية الى عدة شركات نفطية أمريكية. 2ـ شراء إيران لصواريخ Repier بقيمة (400) مليون جنيه استرليني من شركة الصناعات الجوية البريطانية (باك) مقابل بيع (16) ألف برميل نفط يومياً الى شركة (شل). وبعد ذلك، جرت عدة معاملات في القطاع غير العسكري على المنوال السابق حيث كان الشاه يعتقد أن ذلك أفضل طريق للخروج من المأزق الذي يعانيه. كما تبعت ذلك اجراءات حكومية للتقشّف وتخفيض النفقات. الشعب لم يكن على علم بما يجري، والعمل في إنشاء قاعدة جابهار البحرية توقف، والوزارات قلصت نفقاتها، والعديد من صفقات الشراء أُلغيت.**

**وفي مقابلة مع الشاه طلب من الجميع مضاعفة نشاطهم وجهودهم، بعد ذلك قام بتشكيل (لجنة التفتيش الشاهنشاهية لتقوم بدراسة النواقص والحاجات بأسلوب جديد). (روبرت غراهام مؤلف كتاب (ايران سراب قدرت) يستعرض بالتفصيل جوانب الاقتصاد الإيراني والبرامج العمرانية وصفقات السلاح وتصدير النفط).**

**[11] قراردادهاى نفطي يا اسناد خيانت / فارسي/ تأليف ابراهيم رزاقي/ ص 76.**

# ****لفصل الثاني عشر****

# ****نهج المدرسة الإسلامية قبل انتصار الثورة****

**1ـ نظرة عامة:**

**تحدثنا في الفصول السابقة عن بلوغ النظام الشاهنشاهي ذروة المفاسد، وسنرى في فصل قادم كيف يتهاوى هذا النظام. إن جيل الإيرانيين الحالي، عاصر حقبة مهمة جداً من تاريخ إيران، حيث شاهدوا خلال السنوات الأخيرة من عمر النظام نهاية مرحلة تاريخية عمرها 2500 سنة من تاريخ إيران، فقد شهدوا أو شاركوا في صنع حوادث عديدة لم يشهد آباءهم وأجدادهم حتى جزءاً يسيراً منها. لقد وضعت امتنا أقدامها على طريق كان سلوكه بحاجة الى مقدمات واستعدادات عديدة، لكن جذور القضية كانت حيّة ومهيأة لتتنامى بسرعة كبيرة. فقبل انتصار الثورة بسنوات عديدة، طرح الإمام موضوع الحكومة الإسلامية وحدد بذلك هدف النهضة، حيث قال: (... آمل أن يؤدي اطلاع الأمة الإسلامية على مفهوم الحكومة الإسلامية وأبعادها الى تبلور أفكار واعية تؤدي الى في النهاية الى تحرُّك شخص مقتدر ليؤسس الحكومة الإسلامية الكبرى).**

**وقال سماحته:**

**(لدينا أكثر من 50 رواية في (وسائل الشيعة) و(المستدرك) تدعو الى الابتعاد عن السلاطين الظالمين، والى إلقام وعّاظهم حجراً، إنها تتوعد أولئك الذين يعينون السلاطين الظالمين ولو بصب الحبر في دواتهم، والى جانب ذلك، لدينا روايات كثيرة في فضل العالم والفقيه العادل، على باقي فئات الناس.. كل ذلك من أجل أن تتخلى الشعوب عن أجهزة الظلم، وأن تدمر قصور الظلم، وأن تصبح أبواب الفقهاء مشرعة أمام أفراد الأمة، لا ليقوموا بطرح المسائل الشرعية فقط، بل ليمارسوا الحكم العادل، ويؤسسوا الحكومة الإسلامية التي توفّر الأمن والسعادة والهناء للمسلمين، فهدف الإسلام هو تشكيل حكومة كبرى تقوم على اساس قانون راسخ..).**

**وقد لاحظنا أن انتفاضة 5 حزيران 1963 الكبرى وقعت اثر اعتقال الإمام الخميني، وكانت تحركاً دينياً سار على خطى المرجعية. وكانت تحركاً دينياً ـ سياسياً، لكنها لم تؤدِّ ـ بالرغم من اتساعها ـ الى سقوط النظام فوراً، إلاّ أنها استطاعت تحديد الهدف.[1]**

**لقد حاول أزلام النظام ـ وبدعم من القوى الدولية ـ إعادة الوضع الى حالته العادية، ومنح الشاه القوة التي مُنحت الى ابيه من قبل، واضفاء صفة التدين والاهتمام بالشؤون الدينية عليه، وعلى الرغم من أن ذلك كان قد حدث من قبل، لكنه اتخذ هذه المرة أبعاداً أوسع. فقد طبعوا (قرآن آريامهر)[2]. وقام الشاه بأداء الحج وزيارة الأئمة الأطهار، كما نُشرت في أرجاء البلاد صوَره وهو يؤدي مراسم العبادة والدعاء، والتشاور مع علماء الدين، كما أقام مجالس عزاء حسيني أبرزها مجلس قصر(كلستان) الذي أقامه البلاط في عاشوراء، وأسس(جيش الدين) التابع لدائرة الأوقاف[3]، إضافة الى تخصيص برامج دينية في الإذاعة والتلفزة، واجراء تغييرات وترميمات في المزارات المقدسة، وتصريحات الشاه في اللقاءات الصحفية بأنه من العارفين بالله والمكلّفين من قبل الباري عزّوجل! وإعداد مجموعة من الوعّاظ المتلبّسين بلباس علماء الدين، للدعاية والدعاء له.**

**كما أخذ يتظاهر بدعم مسلمي فلسطين وتأييدهم، وبذل قصارى جهده للتقرب من المتدينين والتظاهر أمامهم بأنه من دعاة الدين، لكنه كان يعمل في الوقت نفسه على إزالة كل الأسس الدينية والأخلاقية ليقضي على أية أرضية مساعدة لإقامة الحكومة الإسلامية التي كان يبشر بها الإمام الخميني.[4]**

**فقد كان النظام يريد تحقيق استقراره وثباته، وهذا ما تريده القوى الأجنبية المهيمنة على إيران، لأن ذلك يعين استمرار هيمنتها ومصالحها في هذا البلد، ولذلك فقد بُذلت شتى المحاولات وقصارى الجهود من أجل احتواء كل قوة تشكل خطراً على النظام وتحويلها الى قوة داعمة له، من اجل الحصول على أدلة تؤكد حقانيته، وأدوات تسوّغ مفاسده وانحرافاته بشكل عام، ولهذا نرى الشاه يكرّر عدة مرات الحديث عن إنشاء جامعة إسلامية كان يستهدف من إنشائها سلب بريق الحوزات العلمية التي كان الاستقلال المالي أهم خصائصها، واستخدام هذه الجامعة وسيلة لتربية وإعداد كادر جديد لـ(جيش الدين)، كي تعتبر الشاه ظلّ الله في الأرض، وتتلقى الأوامر منه باعتبارها أوامر دينية.**

**وهكذا سعى الشاه الى مواصلة جرائمه متستراً بالدين، خاصة بعد أن وجد في هذا السبيل حربةً تساعده في تنفيذ سياساته، ألا وهي الشيوعية. فكان يتهم كل من يعارضه بأنه ضد الدين حتى أن جهاز الأمن (الساواك) ومحاكمه العسكرية كانوا يحددون ما هو الدين ومن هم معارضوه!! الى أن بلغ الأمر بهم أن يتهموا بعض مراجع المسلمين الكبار بالانحراف عن الدين. فالمرجع الصحيح ـ في رأي النظام ـ هو الذي ينشغل في شؤون دينية صرفة، أو أنه يتدخل في السياسة لصالح الحكومة.**

**2ـ تنامي المعارضة الإسلامية:**

**بعد نفي الإمام، اتسم تعامل الحكومة مع علماء الدين المجاهدين بالعنف. وكان عدد السجناء من هؤلاء يزداد تدريجياً. المدارس الدينية والمساجد القديمة في أنحاء البلاد أصبحت قاعدة أساسية لتحرك الإسلاميين ومعارضتهم للسلطة، باعتبار أن هذه المراكز بعيدة عن الأنظار، لكن الساواك كان قد قرر مراقبة علماء الدين من أتباع الخميني(القائد المنفي) والقضاء على أي تحرُّك لهم في المهد، وهكذا شنت حملة اعتقالات ضد أساتذة الحوزة العلمية في قم، وفي هذا الإطار فقد قام النظام بإلقاء القبض على عدد من طلبة الحوزة كانوا يقومون بتوزيع منشورات معارضة للحكومة في 21/3/1966 (ليلة عيد النوروز المحلّي) كان بينهم الشهيد محمد المنتظري وآية الله الرباني الشيرازي. واقتيدوا الى سجن قزل قلعة في طهران.**

**وهكذا اقترن بدء السنة الشمسية الجديدة بالتظاهرات والاضرابات والاعتقالات التي تعدت حدود قم الى باقي المدن، وبعد انتشار أخبار التعذيب الذي مورس بحق العلماء المجاهدين ظهرت ردود فعل عديدة على ذلك تمثلت بالبرقيات والبيانات الاستنكارية التي اصدرها علماء البلاد، وبعد عدة أشهر وفي محاولة من الساواك لإزالة التوتر الذي ساد الأجواء، سمح لبعض العلماء المعتقلين بمقابلة ذويهم.**

**إن جهاد الأمة ضد الحكومة كان يقوم على أساس حق تطالب به المدرسة الشيعية دائماً، ألا وهو السعي لإقامة الحكومة الإسلامية.[5] ففي الجامعات والمراكز التعليمية والتربوية العالية، تنامت الجمعيات الإسلامية، كما كانت المساجد والحسينيات أحد المراكز المهمة للاجتماعات الإسلامية التي كانت تتخذ طابعاً جهادياً مناوئاً للسلطة أحياناً، كما أن بعض المساجد والمراكز الإسلامية الإرشادية اكتسبت شهرة كبيرة بفعل نشاطاتها الواسعة.**

**أما الشخصيات الإسلامية البارزة التي كانت تعرض الأبعاد المختلفة للإسلام، فقد أدت في هذه المرحلة أدواراً أوسع. فعلى الرغم من جميع المشاكل والعقبات، استطاعوا في مدة قصيرة عرض نتائج دراساتهم وتحليلاتهم بشكل جذاب بالرغم من تلوث الأجواء آنذاك، فبدأوا نشر الوعي بين صفوف الأمة ومقايسة أزلام النظام بمعاوية ويزيد ودفع الناس الى المعارضة وعدم الركون الى الظلم.**

**وقد كان استقطاب فئات الشباب الى الفكر الإسلامي الأصيل وتوسع الدراسات والبحوث وتزايد المحاضرات وصدور المئات من الكتب الإسلامية السرية الحاوية لبحوث ومواضيع جديدة وبأسلوب شيق، كل ذلك يكشف مدى عظمة التحرك الذي كان يتم آنذاك وعمقه.**

**فحسينية ارشاد ومسجد هدايت ومسجد الجواد ومسجد ارك ومسجد قبا، (من المساجد المعروفة في طهران)، تحولت الى مراكز علمية وارشادية وجهادية نشطة، كما كان بعضها على صلة وثيقة بالحوزات العلمية.**

**وقد سعى الباحثون الإسلاميون الى إلقاء محاضراتهم بشكل يثير النقمة في نفوس الأمة ضد النظام القائم. وهذا ما فعله آية الله المطهري وآية الله الطالقاني والدكتور شريعتي والدكتور مفتح وآخرين غيرهم، فقد كان كل واحد منهم ـ وبقدر استطاعته ـ شرارة تنقدح في ليل الأمة الرازحة في ظل الحكم الطاغوتي.**

**ولم يكن يروق للحكومة أن تنعقد اجتماعات تتوخى أهدافاً اصلاحية وجهادية. فكانت تبادر الى اغلاق مراكز هذه النشاطات كما حدث لحسينية(ارشاد) عام 1972، وبدلاً من ذلك كان النظام ينشئ (بيوت الشباب) ويخصص لها ميزانيات باهضة، ليقوم بعملية غسيل دماغ للشباب، وحرفهم عن نهج البناء الذاتي من خلال جرّهم الى الأفلام الماجنة والقمار ومراكز الفساد، لكن أمثال آية الله المطهري سعوا ـ بالرغم من قلة امكانياتهم ـ الى إيصال نداء الإسلام الأصيل الى جيل الشباب في أنحاء البلاد، فلم يكتفوا بنشاطاتهم في غرق المدارس الدينية أو توعية طلابهم وتثقيفهم، ودعم المساجد والمساعدة على ازدهار نشاطاتها بل كانوا يبحثون عن اجتماعات وحشود جديدة ليمارسوا فيها دورهم في التوعية.**

**فالمطهري كان على اتصال دائم بالإمام، ويواصل عمله في الخفاء، معتبراً دعم المجاهدين المسلمين الحقيقيين أحد الفرائض الشرعية. ومن خلال تدريسه في كلية الإلهيات ونشر مقالات إسلامية عديدة، دخل في حرب مباشرة مع الثقافة الغربية.[6] كما كان يدير نشاطات مسجد الجواد، ويعتبر أحد أركان حسينية(ارشاد). كان حديثه المستند الى منطق الإسلام يتسم بالصراحة والوضوح دوماً.**

**أما الدكتور شريعتي فقد كان ـ هو الآخر ـ يلعب دوراً كبيراً من خلال أسلوبه الجديد الخاص به، ودأب خلال سنوات الكبت المظلمة على عرض الإسلام والتعريف بشخصياته وقادته العظام، مثل الإمام علي وابنه الحسين(عليهما السلام) وتوضيح الظروف التي عاشوها والتي تطلبت أن يكونوا متمردين على ظلم الطواغيت. كما كان يوضح مفهوم الشهادة والجهاد بأسلوب مؤثر في النفوس، ويؤكد رجحان البعد الجهادي للإسلام على باقي ابعاده، الأمر الذي يثير الحماس في نفوس الشباب الذين كان يحدثهم عن العودة الى الذات والوصول الى الاستقلال في الشخصية، وكان شريعتي يتألق في محاضرته عندما كان يدور بحثه حول نماذج من الشخصيات الإسلامية مثل أبي ذر وسلمان، والقدوة الكبرى في التضحية والجهاد والإيمان والتقوى مثل زينب.**

**وحقاً فإن رجالاً مثل الحسين ونساءً مثل زينب، أصبحوا مصدر إلهام وحماس ثوري على مدى القرون، وهم نماذج تلهم الثورة والتحرك ضد الظلم والجور والأنظمة الطاغوتية. لقد برز شريعتي واشتهر من خلال اجادته فن التحدث عن الشخصيات القدوة، بأسلوب أدبي جياش، من خلال مقالاته ومحاضراته وكتبه العديدة.**

**وفي هذه الفترة، حُكم على الكثير من علماء الدين والمعارضين الإسلاميين بالسجن لمدد طويلة، كما مورس بحقهم التعذيب الوحشي حيث استشهد بعضهم تحت التعذيب أما آية الله الغفاري وآية الله السعيدي فقد لعبا دوراً كبيراً في توعية الرأي العام وتعبئته مما دفع بالنظام الى اعتقالهما وممارسة أبشع أشكال التعذيب بحقهما.**

**والمعروف أن الحوزة العلمية في قم قد تأسست على يد المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري تزامناً مع مجيء رضا خان الى السلطة في إيران، بالرغم من كل العقبات والمشاكل التي كان يختلقها النظام لمنع ذلك، وقد انجبت الحوزة علماء أفاضل أغنوا الفكر الإسلامي بدراسات وبحوث عميقة وقيمة.**

**وفي الأعوام الأربعين الأخيرة، تعرضت المدرسة الإسلامية الى هجوم فكري غربي، بحيث كانت الثقافة الغربية تسعى للتعتيم على الفكر الإسلامي، واستئصال جذور الإسلام وفكره في أعماق المسلمين الإيرانيين. لكننا نشهد في هذه الحقبة بالذات جهوداً علمية مثمرة قام بها علماء الإسلام، امثال العلاّمة الطباطبائي الذي قام بتأليف كتابه المعروف (الميزان في تفسير القرآن)[7]، وقد كان لإلمامه بالبحوث الفلسفية والسياسية والاجتماعية دورٌ كبير في شمولية تفسيره للقرآن الكريم.**

**3ـ الإمام الخميني في النجف:**

**رأينا في الفصول السابقة كيف أن الإمام وقف بوجه النظام الاستبدادي الملكي والهيمنة الاستعمارية موقفاً صلباً لا يعرف التساوم، وبحكم زعامته الدينية وحزمه في ابداء وجهات نظره، فقد تبوأ مقعد الزعامة للقوى المعارضة للحكومة، بل أنه أصبح القائد الأوحد الذي يستهدف إسقاط النظام، بسبب مرجعيته الدينية واعتقاده بعدم إمكانية فصل الدين عن السياسة. وقد كان يصرح علناً بأن هدفه أسقاط النظام. كما كان يتمتع بقاعدة شعبية قوية. وقد حال تظاهر النظام بأنه داعية للدين ومساند له دون جرّ آية الله الخميني الى المحاكمة أو الإعدام بالرغم من الوحشية التي كان يمتاز بها النظام الذي كان على يقين من ان إعدام الخميني سيؤدي الى سقوط النظام مباشرة، ولو كان النظام معتقداً بأن إعدام الإمام سيعيد الهدوء الى الأوضاع، لما توانى عن ذلك أبداً، كما فعل ذلك مع العديد من المعارضين الذين لم يكونوا بمستوى معارضة الإمام الخميني للنظام. إذن فقد كان النظام يعامل خصومه من الشخصيات على أساس منزلتهم السياسية والدينية والاجتماعية وهذا ما أخذه النظام بعين الاعتبار حتى عند نفيه للإمام.**

**لقد قضى الإمام في النجف ـ وهي منفاه الثاني ـ مدة 12 عاماً (1966 ـ 1978) حيث لم يستطع في البداية مواصلة نشاطاته التي مارسها قبل النفي، لكنه لم يركن الى ذلك، بل واصل مراقبته لممارسات الحكومة من بعيد. وكان يبدي وجهات نظره ويفضح اساليب النظام كلما اقتضت الضرورة. وكان ينبه الناس الى أهداف النظام ونهجه غير القويم. لكنه لم يستسلم للعب السياسية أبداً. فقد جعل الإسلام إطاراً لجهاده منذ البداية. وكان يدعو الجميع الى التمسك بهذا الإطار. وظل إسقاط النظام الشاهنشاهي وإقامة حكومة إسلامية هدفه الدائم ولهذا لم يتعاون مع المجموعات التي لا تنتهج، خطاً إسلامياً، وتلك التي تسلك نهجاً منحرفاً. كما أنه لم يتقرب الى الحكومة العراقية حتى عندما وصلت العلاقات العراقية الإيرانية الى أسوأ حالات توترها.**

**وخلال وجوده في النجف، واثر نشاطات الإمام السياسية فيها، أصبحت هذه المدينة مركزاً سياسياً نشطاً بعدما ظلت قروناً عديدة مركزاً علمياً وقاعدة للمدرسة الشيعية. ولكن قلما كانت تتدخل في الشؤون السياسية.**

**ولم يقطع الإمام الخميني اتصالاته بإيران والمجاهدين المسلمين العاملين ضد النظام بل كانت بياناته ـ بالرغم من أنها أصبحت أقل ـ تصل الى أبعد قرية في إيران، كما وقف العلماء المجاهدون داخل إيران بوجه الممارسات الحكومية بصلابة وشجاعة.[8] أما النظام فكان يبدي ردود فعل عنيفة حيال تداول أحاديث الإمام وبياناته بل وحتى اسم الإمام الخميني، وكان يقوم بتسويغ أي إجراء حكومي يحتج عليه الإمام ويندد به.**

**4ـ استمرار جهاد الإمام:**

**عقب نفي الإمام خارج البلاد، أجاب عن رسالة وجهها إليه فضلاء اصفهان بقوله:**

**(... أن أعمال النفي والقهر لن تؤدي إلاّ الى رفعة الأمة الإسلامية وسموّها، وهي عذبة ما دامت في طريق الدفاع عن أحكام الإسلام والتصدي لهيمنة الأجانب على بلاد المسلمين والوقوف بوجه التلاعب باستقلال ووحدة أراضي الدول الإسلامية).**

**وأضاف مؤكداً: (..على الحوزات العلمية المقدسة القديمة والجديدة والجامعات القديمة والجديدة وجميع فئات الشعب أن يعدوا أنفسهم للعصور المظلمة التي يحتاج فيها الإسلام الى قدر أكبر من الدعم والدفاع)[9].**

**وفي عام 1957 وتزامناً مع احتفالات ذكرى التتويج[10]وجه (قدس سره) نداءً الى الحوزات العلمية قال فيه(... خطتهم تقضي بالتقدم خطوة خطوة، وكلما تراجعتم انتم خطوة واحدة، تقدم هؤلاء خطوة مكانها، لقد عقدوا العزم على القضاء عليهم. لا تتصوروا أن اللين والمساومة ستدفعهم الى كف أذاهم عنكم، بل إن ردعهم لا يتم إلا بصمودكم وتصديكم وإبداء وجهات نظركم بصراحة وإطلاق صرخات مظلوميتكم. نبّهوا شعبكم وشعوب العالم الحرة الى الظلم الذي يمارسه الجهاز الحاكم بحق الشعب الإيراني المسلم، بلّغوا جرائم هؤلاء الى اسماع العالم بشتى الوسائل).[11]**

**(... إنني أعلم ما الذي تضمره طغمة الجبابرة الحاكمين للإسلام والمسلمين.. هؤلاء يعتبرونكم ـ أيها العلماء ـ مجرمين، تهمتكم هي خدمة الدين والقرآن، ومعارضة الهيمنة الأجنبية على الدول الإسلامية. تهمتكم هي معارضة الطغمة الظالمة المستبدة وما تقوم به من نهب وسرقة. تهمتكم هي علمكم وعدم رضوخكم للأجانب وعملائهم عديمي الكرامة.**

**إنهم يريدون إرسالكم بالقوة الى الخدمة العسكرية، وممارسة الاعتقال والقهر والضغوط والإهانة والنفي لتصبح الطريق سالكة أمام سياسات عملاء الأجانب.**

**يريدون أن يظل أهل القصور منغمسين في الشهوات، وأن يُقضي على فئة العلماء الإعلام والمفكرين والشباب الواعين الذين يقفون عقبة في طريقهم.**

**يريدون كمَّ أفواه الخطباء عن أي حديث إلاّ إذا كان فيه توجيه وتسويغ لجرائمهم وخياناتهم ووصفٌ لها بالرقي والتقدم..).[12]**

**يقول أحد علماء الدين الإيرانيين كان على اتصال دائم بالإمام:**

**(عندما وصل الإمام الى مطار بغداد، كان يتصور أنه سيواجه نفس الظروف التي واجهها في تركيا من قيود ورقابة. يقول المرحوم السيد مصطفى الخميني أننا لم نر أية مراقبة وأن بإمكاننا استقلال سيارة الأجرة والدخول الى المدينة. فلم يكن أحد باستقبالنا، وفي بغداد كنا نتمتع بحرية تامة، كل ما في الأمر أننا لم يكن بإمكاننا العودة الى إيران.**

**في ذلك الحين التقى الإمام وزير الشؤون المحلية العراقي مبعوثاً من قبل عبد السلام عارف وهنا كانت البداية، حيث سنرى فيما بعد محاولات المسؤولين لاستغلال وجود الإمام هناك، فعلى الرغم من عبارات الترحيب التي أدلى بها الوزير العراقي فإنه لم يسمع من الإمام رداً مشجعاً، بل أبلغه بأنه أحد طلاب العلوم الدينية وأنه يريد الالتحاق بالحوزة العلمية في النجف والانشغال في الشؤون العلمية.**

**وبعد موت عبد السلام عارف اثر تحطم الطائرة التي تقله، خلفه اخوه عبد الرحمن عارف الذي كان ليبرالياً مساوماً الى حد ما، ولم يكن يتصف بقوة أخيه وحزمه، حتى أن ضعفه وصل الى حد قيامه بزيارة إيران ولقاء الشاه. وفي تلك الفترة ترددت أحاديث حول احتمال نفي الإمام من العراق الى منطقة أخرى، حيث شنت اتحادات الطلبة الجامعيين في العالم الإسلامي برئاسة شاب عراقي يدعى حسين الشهرستاني حملة إعلامية واسعة، وبعث رئيسها الى عبد الرحمن عارف أبدى فيها دهشته من سماحه لنظام الشاه بنفي الإمام الى بلد آخر، واعتبر هذا امراً لا يمكن تصديقه.**

**وعلى أثر الحملة الإعلامية والاتصالات الواسعة التي قامت بها هذه الاتحادات، اضطر عبد الرحمن عارف الى الإعلان رسمياً بأن الحكومة العراقية لا تنوي إخراج الإمام من العراق أو عدم منحه تأشيره الإقامة هناك. وهكذا استمر الوضع على هذا المنوال حتى مجيء البعثيين الى الحكم بعد حوالي عام من الحرب العربية ـ الصهيونية عام 1967، وقد شهد تعامل البعثيين مع الإمام تقلبات وتغيرات كثيرة، إذ كان نظام الحكم في عهود ما قبل مجيء البعثيين عام 1968 يتسم بالاتجاه القومي والقرب من الدين الى حد ما.**

**وإذا كان الإمام قد تعامل مع عبد السلام وعبد الرحمن بأسلوب معين، فإن هذا الأسلوب لم يتسم بالصرامة والخشونة، على العكس مما ابداه مع البعثيين مع بدء تسلمهم الحكم، فقد كان موقفه منهم نابع من طبيعة عقيدتهم وأفكارهم. فلم يكن ـ منذ ذلك الوقت ـ يؤيد آيديولوجية هذا الحزب لكي يقيم معه علائق حسنة.**

**المهم فقد بدأ القلق يساور المحيطين بالإمام واصدقاءه من أن موقف الإمام هذا من النظام البعثي الفاشي قد يؤدي به الى الهجرة من العراق، لكن توتر الروابط بين النظامين الشاهنشاهي والعراقي قد بدد هذا القلق إلا أن السلطة العراقية ظلت تمارس رقابة شديدة على النشاطات السياسية والدينية للإمام. فخصصت مجموعة من شرطة الأمن لمراقبته سراً وعلناً وفي منزله ـ حيث يستقبل الزائرين ـ تردد باستمرار عناصر من شرطة الأمن على شكل فقراء يأتون للاستجداء، أو معممين يأتون للاستفتاء.**

**أما على الصعيد الإعلامي، فلم يكن البعثيون يسمحون ببروز اسم الإمام الخميني كشخصية دينية بارزة ومرجع تقليد للشيعة في العراق بل وحتى في أحلك الظروف عندما وصلت الأزمة في العلائق بين نظامي الشاه والبعث الى ذروتها ـ حيث اقترن ذلك بوفاة مرجع الشيعة آية الله العظمى الحكيم ـ وكان مطلوباً أن يخلفه مرجع آخر من علماء الشيعة كان من مصلحة النظام العراقي أن يبرز الإمام ليكون ذلك حربة فعالة ضد نظام الشاه، لكن النظام العراقي لم يفعل ذلك، بل وقع الاختيار على آية الله الخوئي خلفاً للحكيم، وهذا يعني أن الحكومة العراقية كانت تخشى من بروز اسم الإمام بنفس الدرجة التي كانت حكومة الشاه تخشى ذلك، فنراها تمتنع عن طرح اسم الإمام كابرز شخصية شيعية بعد آية الله الحكيم، وهكذا كان استبعاد الإمام عن المرجعية العليا يرضي الحكومتين العراقية والإيرانية، ففي تلك الفترة حالت الحكومة العراقية دون وصول وسائل الإعلام والصحفيين ـ الذين تهافتوا على العلماء المرشحين للمرجعية آنذاك ـ الى الإمام.**

**نستنتج من هذا، أن النظام العراقي لم يفكر في الاستفادة من وجود الإمام في العراق لغرض محاربة الشاه حتى عندما وصلت الأزمة في العلائق بين الحكومتين الى أشدها، فقد كان النظام يخاف من وجود الإمام بشكل بحيث انه لم يسمح له بممارسة نشاطاته السياسية في العراق إلا في ظل شروط وقيود كثيرة، وعندما سمح للمعارضين الإيرانيين بإيصال صوتهم عبر وسائل الإعلام العراقية، لم يسمح بذكر اسم الإمام حتى في القسم الفارسي من الإذاعة، الذي يستمع له الناطقون بهذه اللغة من الإيرانيين فقط، فضلاً عن أنه لم يكن اسم الإمام يتردد في باقي اللغات أبداً.[13]**

**لقد كان الإمام يتصرف بكل حزم منطلقاً من فكره الإسلامي بحيث إن النظام العراقي كان يملك نفس الخوف الذي كان يملكه نظام الشاه منه، وكان يتوجس خيفة من أن يمارس نفس هذه القوة القيادية في تحريك الداخل العراقي يوماً. وهكذا استمر الوضع على هذا المنوال حتى انتهت الأزمة في العلائق بين الحكومتين الى توقيع معاهدة الصلح في الجزائر، حيث اتفق الجانبان على إنهاء المشاكل الموجودة في روابطهما منذ زمن بعيد، كما تعهد العراق علاناً بأن لا يسمح للإمام بممارسة أي نوع من النشاط السياسي المعارض لحكومة الشاه، ومنذ ذلك التاريخ دخلت نشاطات الإمام السياسية مرحلة السرية، فقد ظل الإمام على نفس مواقفه الحازمة والمبدئية المعهودة. فكان يصدر البيانات ويوجه النداءات الى الشعب الإيراني وكل المسلمين في المناسبات المهمة، ويتخذ مواقف صريحة من الحوادث المختلفة، فكان كل ذلك يصل الى إيران بصورة سرية.[14]**

**5ـ محاولة اسكات الإمام:**

**التقارب الإيراني ـ العراقي كان يستلزم منع النشاطات السياسية للمعارضة الإيرانية في العراق، وخصوصاً الإمام الخميني. وقد أدى الموقف العراقي الجديد من الإمام الى ممارسة الإمام نشاطاته بطرق سرية. كما أن الأنظمة العربية العميلة كانت تعارض ـ كل على شاكلتها ـ ممارسة أية نشاطات سياسية معارضة للشاه. فقد كانوا يرون ان استمرار نشاطات الإمام بهذا الشكل المدروس وما يملكه من نفوذ في قلوب الإيرانيين وأحاسيسهم ومشاعرهم ـ بحيث أصبح القلب النابض لهذا الشعب؛ يمده بدماء جديدة باستمرار ـ رأوا أن استمرار ذلك من شأنه أن يهدد حياة كل الحكام العملاء بالخطر، لذلك مارسوا ضغوطاً على الحكومة العراقية لإقناع الإمام بالسكوت عبر شتى الوسائل أو فرض حصار كامل عليه.**

**وقبل أن تطلب الحكومة العراقية الى الإمام رسمياً الكف عن نشاطاته، حذر وزير الخارجية السعودية في مؤتمر عربي جميع الأنظمة العربية من أن السماح للخميني بمواصلة تحركه السياسي بهذا الشكل وهذا الوضوح والتواصل بالشعب الإيراني، لن يؤدي الى سقوط الشاه فحسب، بل سيؤدي الى تغير الأوضاع في المنطقة كلها.**

**يقول حجة الإسلام دعائي وهو من مرافقي الإمام في العراق:**

**(... قبل يوم من لقاء أكبر شخصية أمنية عراقية بالإمام، استدعتني مديرية الأمن في النجف، وأخبروني بأن مساعد رئيس الجمهورية وممثل مجلس قيادة الثورة وعضو قيادة حزب البعث العراقي ينوي التقاء الإمام غداً، وقد اوصلت الأمر الى الإمام الذي رأى من الأفضل السماح له بمقابلته ليرى ما عنده وماذا يريد.. وقال كان هذا الرجل من أكثر الشخصيات الرسمية العراقية قسوة وصلافة آنذاك، كما كان يشغل منصب مدير الأمن العام..).**

**وفي التالي حصل اللقاء وكنت أنا المترجم، وقد حاول سعدون شاكر التحدث مع الإمام باحترام وتواضع فقال (إنني باعتباري ممثلاً لرئيس الجمهورية وعضو مجلس قيادة الثورة، وحزب البعث، أحمل لكم رسالة خاصة، وهي أننا قدمنا تعهداً لنظام الشاه بعدم السماح بممارسة نشاطات معارضة له داخل العراق، ونحن في الوقت الذي نكنّ فيه الاحترام لكم ونرغب في بقائكم في العراق، إلاّ أننا نعتقد أن شخصية علمائية مثلكم عليها أن تنهمك في الشؤون الدينية الصرفة، وأن تترك السياسة لأهلها، لهذا فإننا نطالبكم ـ باعتباركم شخصية دينية نكنّ لها الاحترام ـ أن تكتفوا بممارسة شؤونكم الدينية والعلمية، وأن لا تسمحوا بممارسة الشؤون السياسية في العراق).**

**لكن الإمام أوقفه عند حده، بصراحته وحزمه المعروفين فقال له:**

**(.. إنّ الإسلام هو دين السياسة، والسياسة ليست منفصلة عن الدين أبداً، ومن واجب كل مسلم أن يطلع على الشؤون السياسية ويمارسها، لأن ذلك مرتبط بمصيره مباشرة).**

**كما أكد له بأن ما قاله يدل على خطأ وانحراف في التفكير، ثم قال(قدس سره):**

**(انني ذلك الخميني السابق الذي لم يغير من تفكيره ولم يتراجع عن أداء واجبه، أما أنتم فافعلوا ما شئتم..).**

**وهكذا فوجئ هذا الشخص الصلف، بموقف الإمام، فلم يكن يتصور ذلك من شخص يتصور أنه مجرد إنسان منفي أُجبر على البقاء في العراق.**

**ولم يكن هؤلاء يرغبون بأن يخرج الإمام من العراق، بل استهدفوا ابقاءه مع الوفاء بالتعهد الذي قدموه الى الحكومة الإيرانية. أي أنهم أرادوا إبلاغ هذه الرسالة الى حكومة الشاه وهي انهم استطاعوا اسكات أكثر معارضيه صلابةً وقوة، وحالوا دون قيامه بأي نشاط سياسي.**

**وهكذا فإن هؤلاء حاولوا أن لا يوصلوا الأمر الى مستوى بحيث يقرر فيه الإمام الخروج من العراق، لذلك فقد طلب إليه رئيس جهاز الأمن أن يواصل نشاطه الذي يريده ولكن دون انطلاق هذا النشاط من العراق مباشرةً. كما طلب إليه أن يعيّن خارج العراق من ينطق باسمه ليكون بامكان الحكومة العراقية الادعاء أمام حكومة الشاه بأن المعارضة لا تمارس أي نشاط ضدها من داخل العراق.**

**أما الإمام فقد رد ـ مبتسماً ـ على هذا الاقتراح قائلاً:**

**(إن موقفي الشخصي هو صاحب التأثير وليس من الصحيح أن أسكت أنا ويتحدث الآخرون باسمي. كلاّ، فالوضع يجب أن يستمر بالشكل الذي هو عليه الآن، فأن كنتم لا تطيقون بقائي، فسأغادر العراق).**

**عندها سأله سعدون شاكر الى أين ستذهبون؟ علماً بأن الإمام كان مضطراً للبقاء في العراق لكنه أجاب بكل صرامة:**

**(سأذهب الى مكان ليس مستعمرة للشاه وإيران) وهنا إحمرَّ وجه سعدون شاكر من شدة انزعاجه، لكنه لم يكن بإمكانه إبداء أي رد فعل، وهكذا انتهى هذا اللقاء دون أن تحصل الحكومة العراقية على النتيجة المتوخاة. بعدها حاولت خلق مشاكل ومصاعب لمضايقة الإمام، فبالرغم من أنها لم تطلب الى الإمام صراحة الخروج من العراق إلا أنها مارست ضده التضييق حتى أدرك سماحته أن البقاء في العراق أصبح غير ممكن.**

**وفي سياق هذه الضغوط، منعوا أي شخص من دخول بيت الإمام[15]مما دفع سماحته الى الاعتصام في منزله، ولما شاعت أخبار ذلك اضطرت السلطة الى التراجع، وأعلنت بأن بامكان أي شخص لقاء الإمام بعد أن طلبت إليه أن ينهي اعتصامه).[16]**

**6ـ قرار الإمام بالخروج من العراق:**

**السلطات العراقية أرادت إبقاء الإمام في العراق ومنعه من ممارسة نشاطه السياسي، لكن الإمام لم يكن مستعداً لذلك أبداً ولم تنفع في هذا السبيل كل الأساليب، بما في ذلك الاتصالات التي اجرتها السلطة مع الشخصيات المقربة من الإمام.[17]**

**وهكذا قرر الإمام مغادرة العراق الى إحدى الدول الإسلامية، حيث اختار سوريا التي لم تكن آنذاك ملزمة بأي تعهد للشاه، كما أن مواقفها كانت أكثر صراحة وثورية حيال نظام الشاه بالرغم من المصاعب التي كان سيواجهها الإمام خلال إقامته في هذا البلد من قبيل عدم وجود خط هاتفي مباشر بين سوريا وإيران. ومع كل ذلك كان الإمام يفضل التوجه الى سوريا خاصة وأن التوتر في العلاقات العراقية ـ السورية كان على أشده ولو كان الإمام قد أعلن ذلك، لحال النظام العراقي دون مغادرته العراق، ولهذا قرر الإمام الخروج عن طريق الكويت والتوجُه الى سوريا، فجرى الإعداد لذلك بشكل سري تماماً وتم الحصول على تأشيرة الدخول الى الكويت بشكل خاص جداً[18]، كما تم الحصول على تأشيرة الخروج دون أن تنتبه السلطات لمن أصدرت هذه التأشيرة.[19]**

**فقد قرر الإمام التحرك من النجف بعد صلاة الصبح، ومن النجف وحتى صفوان(نقطة الحدود العراقية ـ الكويتية) رافقت سيارة الإمام عدة سيارات تابعة لمديرية الأمن. ولدى وصوله الحدود الكويتية واجه الإمام رفض الحكومة الكويتية دخوله الى أراضيها. كما أن العراق لم يعد مكاناً مناسباً لنشاطات الإمام، أما الدول الإسلامية الأخرى التي كانت تتمتع بعلائق طيبة بنظام الشاه فلم تكن تسمح للإمام بالإقامة في أراضيها، أو على الأقل لا تسمح له بممارسة نشاطه السياسي. وفي ذلك اليوم، فكّر الإمام بالتوجه الى باريس، حيث سنتعرض الى تفاصيل هذه الهجرة التاريخية ونتائجها وذلك في الفصل الخاص بحوادث عامي 1978 ـ 1979.**

**ــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] الخميني الدؤوب ومدرس الحوزة العلمية، اتخذ ـ منذ البداية ـ الإسلام كرسالة إلهية راسخة تشمل العالم كله ومطابقة للفطرة الإنسانية، وهي رسالة لكل العصور والأزمان.. وجعل ترسيخ اسس الإسلام هدفاً ثابتاً له في جهاده الدؤوب، ولم يتوان لحظة واحدة في هذا السبيل وسخّر كل الأساليب والوسائل المشروعة لخدمة هذا الهدف المقدس، كما استبعد كل ما يحرف المسيرة عن هذا الهدف. وفي دروسه الأخلاقية، كان يركز على البعد المعنوي للبناء الإنساني وكذلك الحكومة الإسلامية، وكان ذلك موضوعاً شيقاً بالنسبة لتلاميذه. ثم انتقل في احاديثه من بناء الذات الى البناء الاجتماعي الصحيح، وبعد تعرضه للاعتقال والنفي بدأ يتحدث على الإسلام وحقائقه الكامنة في التوحيد، وبدأت صرخاته تتعالى (إن الهدف هو الإسلام واستقلال البلاد وطرد عملاء إسرائيل وتحقيق الوحدة مع الدول الإسلامية) شباط 1964. وفي كتابه (حكومت اسلامي) الصفحة (16) يقول الإمام: (يتوجب علينا منذ الآن البدء بالعمل لإرساء اُسس حكومة إسلامية حقة وعلينا أن نقيم حكومة تكون قدوة للآخرين وينبغي لنا أن نمارس الدعاية لها والتعريف بها حتى تتحول الى موجة عارمة، وتدريجياً ستنبثق من المسلمين أمة واعية لواقعها ومسؤولياتها، وتفرز من يثور على الواقع ويقيم حكومة إسلامية). وفي رد له على رسالة جمع من فضلاء مدينة نجف آباد الإمام الخميني: (إن إبعاد الى تركيا ومنها الى العراق لا يبعث على القلق، لأن ذلك يتم بسبب قيامي بمسؤوليتي في الدفاع عن أحكام الإسلام ومصالح المسلمين والتصدي للتغلغل الأجنبي في الدول الإسلامية، ومحاولتي التصدي للظلم الذي يمارَس بحق المسلمين). وفي رسالته الى الطلبة الجامعيين الإيرانيين المقيمين في أمريكا وكندا، في العشرين من جمادى الثانية عام 1390هـ.ش قال الإمام: (يتوجب عليكم أن تقوموا بإطلاع المجتمعات البشرية على الإسلام العظيم، سواء من ناحية الحكومة التي يدعو اليها والعدالة التي يطالب بها، أو أسلوب تعامل والي المسلمين مع الأمة، أو طبيعية إدارة الوالي لبيت المال).**

**[2] قال الإمام (إن نظام إيران يستهدف القضاء على الإسلام من خلال طباعته القرآن والتظاهر بالإسلام، وتأسيس جيش الدين التابع لمنظمة الأوقاف، وباقي الأساليب والعناوين الخادعة الأخرى كما يستهدف من ذلك أيضاً جرّ الأمة الى الذل والعبودية، وتحويل المسجد والمحراب النبوي الشريف الى أبواق دعائية للبلاط المعادي للإسلام). (من جواب الإمام على (رسالة المظلومية) الموجهة إليه في 9 صفر 1392هـ.ق نقلاً عن نشرة (آواى انقلاب) ص60).**

**[3] في ندائه بتاريخ 23 رمضان 1391هـ.ق خاطب الإمام الخميني الأمة قائلاً: (... سمعنا مؤخراً بتأسيس ما يسمى بجيش الدين، من فم أحد العملاء. إن تأسيس هذا الجيش غير المبارك الذي لن يكون إلا لخدمة أهداف الاستعمار وتجيير كل مصالح الإسلام لمصلحة الاستعمار، ليشكل خطراً كبيراً على المسلمين وعلى رأسهم العلماء الإعلام..).**

**[4] في أغلب نداءات الإمام التي وجهها في مناسبات مختلفة وفي المنفى، نشاهد اصراره على إقامة حكومة اسلامية قام بتحديد معالمها واطرها في أكثر من مناسبة. ففي رسالته الى الطلبة الجامعيين المقيمين في اوروبا بتاريخ 24 ربيع الأول عام 1391 هـ.ق يقول الإمام: ( لو اطلع جيل الشباب ـ من أية طبقة كانوا ـ على ماهية الحكومة الإسلامية وحقائقها؛ هذه الحكومة التي لم يُتح لها أن ترى النور إلاّ في عهد الرسول وخلافة الإمام علي (ع)، لو اطلعوا عليها، لتزلزلت أركان كل الحكومات الاستعمارية الظالمة ولانهارت كل المدارس المنحرفة كالشيوعية وغيرها...). وقد كان الإمام يتحدث عن الحكومة الإسلامية من جميع أركانها وأبعادها، ولتوضيح ذلك ننقل جانباً من محاضرته في إحدى جلسات التدريس: (الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون. فلا أحد يحكم غير القانون والقانون الإلهي له السلطة التامة على البشر، بما فيهم النبي (ص) وخلفائه وسائر الناس العاديين، فهم إينما كانوا وفي أي زمان وجدوا، يتبعون القانون الذي أنزله الله تعالى في القرآن وعلى لسان النبي(ص)). وفي درس آخر قال: (الغرض من نزول القوانين الإسلامية هو إقامة الحكومة، وليس إقامة امبراطورية وإنشاء قصور وجمع خدم وحشم، وتنصيب ولي للعهد، وما الى ذلك مما هو موجود الآن، والذي يستهلك أكثر من نصف ميزانية البلاد، فالإسلام بعيد عن كل هذا). وفي درس آخر قال: (لأن الناس لم يطلعوا على الإسلام الصحيح بكل ابعاده، ولماذا جاء وما هي أهدافه، لذلك فإنهم عندما يسمعوننا نقول بالدولة الإسلامية أو رئيس الدولة، يخلطون هذا الأمر مع الدول الموجودة الآن. وقد يتصورون أن رئيس الدولة الإسلامية يجب أن يجلس هو الآخر في قصر فخم، كالرئيس الأمريكي مثلاً، وله بلاط يبذخ وينفق على حساب الفقراء).**

**[5] راجع كتاب (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) الذي كتبه باللغة الفارسية آية الله الميرزا حسين النائيني، ويمثل هذا الكتاب حصيلة اجتهاد الميرزا حول موقف الشريعة من الطاغوت وقوى الضلال، ويوضح أن الإسلام هو أكبر داعم للحرية والعدالة الاجتماعية ويدعوا الى القضاء على أنواع الطفيليات الاجتماعية. المهم أن موضوع الحكومة في الإسلام كان محط اهتمام علماء الإسلام العظام على مرّ التاريخ أي أن أساس هذا الموضوع وجذوره قديمة وليست بالشيء الجديد.**

**[6] نشرت مجلة شاهد بتاريخ 4 أيار 1981 مقالاً ذكرت فيه أن مؤلفاته بلغت 40 مؤلفاً في مختلف شؤون العقيدة والتاريخ والعرفان والكلام والسيرة والفلسفة، والأخلاق وحتى الجنس من منظار عقائدي اسلامي.**

**[7] يقول المرحوم العلامة الطباطبائي في هذا المجال: (عندما جئت من تبريز الى قم، قمت بدراسةٍ لحاجات المجتمع الإسلامي ووضع الحوزة العلمية في قم، فوصلت الى هذه النتيجة وهي أن هذه الحوزة بحاجة ماسة الى تفسير للقرآن ليتسنى من خلاله إدراك مفاهيم هذه الأمانة الإلهية على أفضل وجه، ومن جانب آخر كانت الشبهات المادية قد انتشرت آنذاك، وهذا يتطلب تقديم بحوث عقلية وفلسفية ليتسنى للحوزة من خلالها إثبات الأسس الفكرية والعقائدية للإسلام بالأدلة والبراهين العقلية. ومن هنا رأيت أن الواجب الشرعي يحتم عليّ العمل ـ وبالاتكال على الله ـ من أجل سد هذين النقصين). لقد كانت النسخة الأصلية لكتاب (الميزان في تفسير القرآن) باللغة العربية وتقع في (20) جزءاً كل جزء منها يضم أكثر من 400 صفحة. وقد تمت ترجمة (الميزان) الى الفارسية بإشراف الطباطبائي نفسه، وطُبعت في (40) جزءاً. وقد لقي هذا الكتاب إقبالاً كبيراً على طبعه في بيروت وإيران. ومن خصائصه إنه يستخدم أسلوب تفسير القرآن بالقرآن إذ يقول العلاّمة الطباطبائي: إن التفسير الحقيقي هو الذي ينتج عن التدبر في القرآن وتفسير كل آية بالآيات الأخرى المتعلقة بها. وفضلاً عن ذلك فقد كان المرحوم الطباطبائي من الفلاسفة المعاصرين، فقد كان يستخلص مفاهيم ومباحث فلسفية عميقة ودقيقة من الآيات القرآنية، فهو يعتقد أن الفلسفة الإلهية لا تتعدى حدود المفاهيم القرآنية فيما يخص الإنسان والله والعالم، وانطلاقاً من هذه النظرة، ألف كتباً مثل (بداية الحكمة) و(نهاية الحكمة). وكتاباته حول التعريف بالفكر الشيعي كانت تسلك نهجاً وحدوياً بين المذاهب الإسلامية، فهو يعرض خصائص المدرسة الشيعية خاصة في كتاب (الشيعة في الإسلام) ومجموعة نقاشاته مع البروفسور كوربون، حيث يقدم الوجه الناصع للمدرسة الشيعية على حقيقتها.**

**فهم يعتقد أن التشيع ليس مذهب اقلية اسلامية تختلف مع الأكثرية حول أصول الدين الإسلامي ومبادئه بل إن الشيعة هم في الواقع فئة شعرت ـ خلال اتساع الدولة الإسلامية وما رافق ذلك من فساد سياسي واخلاقي لدى الأمويين والعباسيين وتغلغل أفكار غريبة دخيلة على الدين ـ شعرت أن العديد من العلماء شارفوا على الانحراف عن خط الإسلام المحمدي الأصيل من خلال اتجاههم دخيلة، بدل المعايير والمعايير والقيم الإسلامية، عندها قررت هذه الفئة العمل على إعادة المسلمين الى النهج القرآني وسنة النبي (ص)، وقد تحملت في هذا السبيل المصائب والأذى الكثير على مر العصور. إذن فالتشيع ليس نهجاً يوازي خط الأكثرية المسلمة، بل هون هج إسلام القرآن والسنة المحمدية(الصفحتان 18 و 19 من كتاب: الشيعة في الإسلام).**

**[8] في هذه الفترة، ظل علماء مجاهدون أمثال سعيدي وغفاري يواصلون نهضتهم وتصديهم للانحراف حتى نالوا الشهادة، مقدمين بذلك أرواحهم رخيصة على طريق أهداف الإمام الخميني ونهجه المقدس.**

**[9] (آواى انقلاب) مختارات من بيانات الإمام الخميني.**

**[10] احتفالات ذكرى تتويج الشاه عام 1967تزامنت مع حرب حزيران بين العرب وإسرائيل، وفي هذه المناسبة أصدر الإمام بياناً استنكر فيه هذه الاحتفالات كما ندد فيه بإسرائيل بقوله: (..لقد عملت الدول الكبرى على زرع هذه الغدة الخبيثة في قلب الدول الإسلامية، وها هي جذورها الفاسدة تمتد لتشكيل تهديداً للدول الإسلامية،ولهذا يجب أن تتظافر جهود الدول والشعوب الإسلامية لاجتثاث جذور هذه الغدة الفاسدة.. فإسرائيل تشهر السلاح بوجه الدول الإسلامية وعلى الدول والشعوب الإسلامية أن تقتلع هذه البؤرة الفاسدة من جذورها، ومساعدة إسرائيل حرام سواء كانت على شكل بيع السلاح لها وتزويدها بالنفط، وهو أمر مخالف للإسلام تماماً. إن إقامة العلائق مع إسرائيل وحماتها، سواء العلائق المادية أو السياسية حرام ومخالف للإسلام، على المسلمين مقاطعة كل ما هو إسرائيلي). وقد تزامنت هذه البيانات مع ازدهار العلائق بين إيران وإسرائيل، وهو ما أدى الى قطع العلائق المصرية ـ الإيرانية في عهد جمال عبد الناصر. وبالرغم من أن الإمام كان في المنفى، إلا أنه وجه رسالة الى هويدا قال فيها: (.. لا تتآخ مع إسرائيل عدوة الإسلام والمشرّدة لأكثر من مليون مسلم، لا تجرح بذلك مشاعر المسلمين وعواطفهم، لا تطلق يد إسرائيل وأذنابها في سوق المسلمين أكثر من هذا، لا تعرِض اقتصاد البلاد للخطر، لأجل إسرائيل وأذنابها لا تدع الثقافة الإسلامية تذهب ضحية أهواء هؤلاء...).**

**[11] (آواى انقلاب) ص 173.**

**[12] المصدر السابق/ الصفحات 52و 66و 69.**

**[13] يقول السيد محمود دعائي في مقابلة نشرتها صحيفة (جمهوري اسلامي) في العدد 381 بتاريخ 6 تشرين الأول عام 1980م: (... الإمام اصدر أول فتوى شيعية لصالح المناضلين الفلسطينيين، وقد كان دعمه لهم واضحاً صريحاً، خاصة دعمه لمنظمة فتح، وقد أوجب فيها دعم الفلسطينيين وتقديم ما أمكن من المساعدة لهم، كما أجاز منح جزء من الحقوق الشرعية لدعمهم، وقد طبعها الفلسطينيون في كراس الى جانب فتاوى باقي علماء الإسلام ووزعوها في موسم الحج بعدة لغات. وبسبب وجود فتوى الإمام في هذا الكراس فقد منعت الحكومة العراقية توزيعه كما لم يسمحوا بطبع هذه الفتوى في صحفهم باللغة العربية. وكم كان مضحكاً أن يتم نشر نص الفتوى باللغة الفارسية في إحدى الصحف العراقية الصادرة باللغة العربية، أي أنهم لم يكونوا يريدون إطلاع غير الإيرانيين على فحوى الفتوى ليعرفوا موقف الإمام ورحابة صدره وشمولية نظريته فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني).**

**[14] مرة أخرى يصدر الشاه أوامره بخنق صوت الإمام. فقد عثر في بيت شريف امامي على رسالة مكتوبة على قطعة من الحرير الأبيض، تعود الى وزارة الخارجية وبالذات السفارة الإيرانية في العراق، حيث كتب السفير الإيراني صادق صدرية الى الخارجية الإيرانية قائلاً: (... آية الله الخميني لا يلتزم الصمت في العراق بل يواصل نشاطاته المكثفة ضد النظام لذا ارجوا إصدار الأوامر اللازمة في هذا المجال). ويؤكد السفير الإيراني (إن النشاطات المتواصلة لآية الله الخميني في النجف ضد النظام، أثارت موجة من القلق في العراق). وعندما وصلت الرسالة الى الشاه عن طريق خلعتبري ثم إمامي، كتب في أسفلها: (لقد أمرتُ عدة مرات بخنق هذا الصوت). (كيهان ـ 27 شباط 1979 ـ العدد 10648).**

**[15] المسؤولون العراقيون تصوروا أن الإمام لن يترك المكان الذي أقام فيه مدة (12) عاماً ولن يترك المركز الذي حصل عليه فيه، خاصة وأن الظروف كانت مهيأة ليتبوأ مقام المرجعية، واعتقدوا أنه سيرضخ للضغوط وسيضطر في النهاية الى مطاوعة الحكومة العراقية ويحد من نشاطاته العنيفة ضد الشاه. وكمرحلة أولى، قاموا باعتقال الأشخاص الذين كانوا يترددون على منزل الإمام، حيث اعتقلوا في يوم واحد عدداً كبيراً من زوار الإمام الذين كانوا يأتون ضمن قوافل وزارة الأوقاف الإيرانية لزيارة العتبات المقدسة، حتى وصل الأمر الى وضع رجال أمن لمراقبة منزل الإمام واعتقال من يدخله. وهنا اتخذ الإمام موقفاً حازماً، إذ اعلن اعتصامه في البيت وامتنع عن الخروج، وصاحب ذلك حملة اعلامية قام بها أنصار الإمام على الصعيد العالمي من خلال الاتحادات والمنظمات الإسلامية، كما نظمت المظاهرات والاعتصامات والهجمات على السفارات العراقية.**

**[16] الإمام كان يخرج من البيت ثلاث مرات كل يوم، وقت الظهر لأداء الصلاة وفي المساء لزيارة المرقد الطاهر للإمام علي، ومرة ثالثة يذهب الى المسجد لإلقاء دروسه. وعندما اعتصم الإمام في المنزل، بذل المسؤولون العراقيون مساعي حقيقية لاقناعه بالخروج لكنه اشترط لذلك أن يقدم هؤلاء تعهداً بعدم التعرض لأي من جماعته وزواره، وكانت الحكومة العراقية مستعدة لتقديم مثل هذا التعهد، لكن الإمام قال: إنني لا اثق بهذا التعهد، ومن الممكن أن يواصلوا مضايقة زواري فور خروجي من البيت. وهكذا امتنع عن الخروج، وكانت تلك عملية فضح لنوايا المؤولين العراقيين وممارساتهم، إذ كانا يدعون أنهم لا ينفذون ما يريده نظام الشاه.**

**[17] يقول حجة الإسلام دعائي في هذا المجال: (.. استدعاني مدير الأمن العام سعدون شاكر، باعتباري من المقربين الى الإمام، وكنت حاضراً في الاجتماع الذي تم بينه وبين الإمام. وعندما التقيته طلب مني ـ بأدب ورجاء ـ أن يعمد الإمام الى السكوت مدة شهر واحد، وقال (نحن لدينا التزامات حيال نظام الشاه، وليس من الصحيح أن يغادر الإمام العراق..) ثم طلب أن أرجو الإمام بأن يخفف من نشاطاته بعض الشيء وأن يقوم بتوزيع بياناته انطلاقاً خارج العراق فأجبته بأنني ووفقاً لمعرفتي بطبيعة موقف الإمام لا أتوقع لا أن يوافق الإمام على أن تخضع نشاطاته لأقل ضغط من أحد الأنظمة لصالح نظام متجبر، أو أن يعيد النظر في اسلوب عمله، لأنه شخص حاذق وحازم في مواقفه، لكنني مع ذلك نقلت طلب سعدون شاكر الى الإمام. عندها أدرك سماحته أنه لم يعد من المصلحة البقاء في العراق وقرر مغادرته). (جمهوري اسلامي/ 6/ تشرين الأول 1980).**

**[18] يقول السيد محمود دعائي (تم الحصول على تأشيرة الدخول الى الكويت دون أن يشعر الكويتيون من هو صاحب التأشيرة. فقد قام نجل ممثل الإمام في الكويت السيد أحمد المهري بالحصول على دعوة (طلبية) للإمام ونجله دون أن يشعروا بأن الإمام هو المقصود بالدعوة، لأن ذكر لقب الشخص غير ضروري هناك حيث يكتفون بالاسم الثلاثي للشخص، وهكذا تم ارسال الدعوة الى العراق). (جمهوري اسلامي / 6تشرين الأول 1980).**

**[19] يقول السيد محمود دعائي: (.. كنت أنا المسؤول عن متابعة شؤون تراخيص إقامة العلماء المجاهدين من أنصار الإمام. وقد حصلت على الموافقة الرسمية على مغادرة الإمام للعراق بحيث لم يتنبه مدير دائرة الجوازات في النجف لمن هذه الموافقة. وحتى عشية سفر الإمام، لم يكن أحد يعلم بالأمر، حيث قمت أنا بالاتصال بأحد المسؤولين العراقيين وأخبرته بأن الإمام سيغادر في اليوم التالي، فاستغرب المسؤول الأمر، وسألني وهل حصلتم على تأشيرة الخروج؟ أجبت: نعم، وكل شيء جاهز. وهكذا دهش المسؤولون العراقيون لكيفية سير الأمور بهذا الشكل دون أن يعلموا بالأمر). (المصدر السابق نفسه).**

# ****الفصل الثالث عشر****

# ****بدء الدورة (23) للمجلس وتصعيد الكفاح المسلح****

# ****واجراء اللجنة المشتركة والمحاكم العسكرية****

**1ـ نظرة عامة:**

**السنوات التي نحن بصدد الحديث عنها الآن، يمكن دراسة حوادثها من زوايا مختلفة. فقد مارس البرلمان(مجلس الشورى الوطني) في دورته الثالثة سكوتاً مطبقاً خلال السنوات الأربع هذه، واكتفى بكيل المديح للشاه. أما حزب (ايران الجديدة) فقد واصل نشاطه في ظل دعم جهاز الأمن الملكي وحمايته، حيث كانت الحكومة تحت سيطرته تماماً. كما استمرت صحيفة (رستاخيز) الناطقة باسم الحزب بالصدور خلال تلك الفترة.**

**في هذه الفترة اكتسبت إيران ثقلاً كبيراً، وارتفعت عائداتها من النفط بشكل كبير، وكانت الحرية مفقودة تماماً والنشاطات الاجتماعية يجري قمعها بوحشية. أما المجموعات المجاهدة فكانت تشنُّ حملات ناجحة على مراكز الشرطة والأمن، وتقتل جلاوزة (الساواك)، واستشهد في هذه العمليات العديد منهم.**

**الإمام كان يواصل من منفاه في العراق تحريك الناس ودفعهم للمقاومة من خلال كتاباته ونداءاته المسجلة على أشرطة التسجيل(الكاسيت). الشباب المؤمنون المؤيدون للإمام قاموا في قم بتجريد أحد أزلام النظام من سلاحه، ومن ثم قتله حيث أعقبت ذلك حملة اعتقالات ونفي واسعة في صفوف طلبة العلوم الدينية وعلماء الحوزة، كما زُج الناس بمختلف فئاتهم في المعتقلات، ومنحت الحكومة صلاحيات قمعية لما تسمى بلجنة مكافحة التخريب.**

**وعلى الصعيد الخارجي، اتخذت إيران في هذه الحقبة سياسة جديدة تمشياً مع الموقف الأمريكي حيال الصين الشيوعية.[1]الوفود الأمريكية والأوروبية واليابانية واصلت زياراتها الى إيران.**

**وفي الداخل جرى تطبيق سياسة الأبواب المفتوحة لسد الحاجة المحلية فتدفقت على إيران مختلف أنواع السلع الاستهلاكية. السفير البريطاني في طهران آنذاك (دنيس رايت) يبلغ وزير الخارجية الإيراني بأن إيران ستتحمل مسؤولية الحفاظ على الاستقرار في منطقة الخليج الفارسي في المستقبل. والسفير الأمريكي وليام روجرز اقتراح في تقرير مكون من (600) صفحة رفعه الى مجلس الشيوخ الأمريكي تشكيل اتحاد الإمارات الخليجية التسع بعد انسحاب القوات البريطانية، أما إيران فقد أصبحت شرطي المنطقة.**

**وقد بدأ في تلك الفترة الاهتمام العالمي ـ وخاصة من قبل أمريكا واليابان وفرنسا وإيطاليا وألمانيا ـ بأهمية المنطقة الخليجية وضرورة الحفاظ على الأمن والاستقرار فيها بعد الانسحاب البريطاني، فكانت وفودهم تزور إيران باستمرار. وفي هذه السنوات لم يكن الشاه يطيق سماع أي صوت معارض أو حتى منتقد بلين، ولم يكن يمر يوم لاتحاكم فيه المحاكم العسكرية جمعاً من الشباب المجاهدين. وحتى حيازة كتاب (نهج البلاغة) كانت يمكن أن تعتبر تهمة في رأي النظام، وكذلك مؤلفات الدكتور شريعتي التي كانت حيازتها تعتبر (تآمراً على النظام). كما كانت الرسائل العملية وخاصة رسالة الإمام[2] تعتبر كتاباً معارضاً للحكومة وحيازته مخالفة للدولة، خاصة وأن صاحب هذه الرسالة هو أول مفكّر اسلامي يرفض هذا النظام من الأساس. لذلك أصبح كل ما يمت له بصلة يعتبر معارضة للنظام.**

**مليارات الدولارات المتأتية من بيع النفط كان تمنح لمؤسسة بهلوي والعائلة المالكة والمرتبطين بها. الزراعة والثروة الحيوانية كانت في طريقها للفناء وفق خطة مدروسة. أما ما يتبقى من عائدات النفط فينفق في شراء الحنطة من أمريكا والبطاطا من باكستان والرز من تايلند والبصل من الهند والبرتقال من جنوب أفريقيا والجبن من الدانمارك والدجاج من هولندا والبيض من إسرائيل والأغنام من تركيا واللحم المجمّد من استراليا وامثال ذلك.**

**وقد أدت تلك العائدات الضخمة للنفط، والسياسة الاستهلاكية التي طُبقت في البلاد الى تضخم لم يسبق له مثيل في إيران.**

**وفي تلك الفترة التي ادعت فيها المؤسسات الحكومية أن معدل دخل الفرد السنوي بلغ (4) آلاف دولار، كان نصف الدخل القومي يذهب الى جيوب فئة تشكل نسبة 1% من السكان وتتألف من مجموعة ناهبين مرتبطين بالبلاط مثل علي رضائي ومنصور ياسيني وهجبر يزداني بالتعاون مع أزلام (الساواك) وأعوان الشاه مثل (علم) و(أيادي) و(اردشير زاهدي) الذين اقاموا نظاماً اقتصادياً فاسداً حتى أخذ بعض الناس يسميه بـ(نظام النهب)[3] وأخذوا يقارنون بحكومة الثمانية عشر عاماً الفرنسية في عصر لويس فيليب.[4]**

**أما (مؤسسة بهلوي) فقد جسدت في هذه الحقبة نظام النهب والسرقة بأوضح صورة، فاستحوذت على كل المرافق التي كانت تدر الأرباح، مثل مصانع السكّر والاسمنت والحديد والصلب، ثم انتقلت الى الأراضي والبيوت فبدأت بنهب الأراضي وبناء المجمعات السكنية والمدن على أوسع نطاق، وامتد نشاطها الى مناطق بعيدة مثل رامسر في شمال إيران وجزيرة كيش في جنوبها. كما اقامت كثيراً من مراكز القمار والفساد، وبذلك كانت تزيد من أموالها المتراكمة، إضافة الى نشرها الفساد والتحلل والانحطاط الاجتماعي والأخلاقي على نطاق واسع.[5]**

**2ـ الدورة الثالثة والعشرون للمجلس:**

**اجريت انتخابات الدورة الثالثة والعشرين لمجلس الشورى الوطني! في عام 1971، ولم يتغير القائمون بتمثيل هذا السيناريو، أما حزبا (ايران الجديدة) و(الشعب) فقد مثلا آخر دور لهما قبل ظهور حزب رستاخيز[6]، في إدارة لعبة الانتخابات، عبر قيامها بدراسة قوائم المرشحين. فحزب الشعب الذي كان له (32) مقعداً في الدورة السابقة، ادعى هذه المرة أنه يستحق مقاعد أكثر، وأن مقاعد المجلس سيزداد عددها ليتسنى له الحصول على عدد أكبر.**

**وحزب إيران الجديدة الذي كان خلال السنوات العشر التي سبقت ذلك يتحكم بتوزيع المناصب، اقام مؤتمراً كبيراً استغل فيه أموال الطامعين بالترشيح، وقد اشترك في هذا المؤتمر (3500) شخص من داخل إيران وخارجها حيث افتتحه هويدا، واختير فيه (كلالي) أميناً عاماً للحزب لأربع سنوات أخرى، وجرى الحديث في المؤتمر عن (التطورات) الحاصلة خلال السنوات الأربع الماضية، كما تكللت أعماله بلقاء المؤتمرين الشاه.**

**أما الشعب فلم يكن يعير أهمية لهذه اللعب، وكان ينظر إليها باشمئزاز، خاصة عندما ظهر حزب آخر نتيجة انقسام حزب (القوميين الإيرانيين) وأخذ يطالب بعدة مقاعد في البرلمان. وفي هذه الحقبة، ان من حق رياضي وشريف أمامي فقط الترشيح بشكل انفرادي ليتسنى لهما تولي رئاسة المجلسين. كما كان هويدا في هذه الفترة قد اكمل تمثيل لعبة الديمقراطية الغربية، وقام بجولة استغرقت شهراً للدعاية للعبة الانتخابات.**

**3ـ الصدامات والإعدامات:**

**بعد حادثة (سياهكل) التي مر الحديث عنها فيما مضى، حدث هجوم آخر في ربيع 1971 على مركز الشرطة في منطقة قلهك في الشمال الشرقي لطهران، كما قامت مجموعة أخرى باغتيال المدعي العام للجيش الجنرال (فرسيف) وتبع هذه اللعبة عدة هجمات على البنوك وانفجارات وهجمات على مركز الشرطة واغتيال عدة شخصيات حكومية. ففي صيف 1974 قتل المدعو (فاتح) وهو رجل أعمال قُتل على يديه عدد من عماله خلال اضراب لهم عام 1972.[7]**

**وفي عام 1975 قتل آمر حرس جامعة آريامهر وشهرياري الذي يقال أنه كان أيضاً ممثلاً للساواك في حزب (توده) الشيوعي آنذاك[8] كما قتل اللواء طاهري وعدد من الأمريكيين منهم العقيد لوئيس هاوكينز، ضابط الاتصال في السفارة الأمريكية عام 1973، وضابطان برتبة عقيد تابعان للقوة الجوية الأمريكية عام 1975، وثلاثة أمريكيين عاملين في جهاز التجسس السري (آيبكس) في صيف 1976.**

**وقد كان بث محاكمة خسروا گلسرخي الكاتب الصحفي وكرامت دانشيان من التلفزيون، ينطوي ـ ضمنياً ـ على اعلام مضاد للحكومة. وفي عام 1975 حدثت حرب عصابات في لورستان بقيادة الدكتور هوشنك اعظمي وهي حرب اكتسبت صفة عشائرية لا علاقة لها بالتنظيمات السياسية.**

**وقد قامت المنظمات السياسية بإصدار كراسات تتضمن تعليمات لمواصلة العمليات المعارضة للنظام، وقد سعت تلك المنظمات في هذه الكراسات الى (الاستلهام) من قادة أبطال مثل كارلوس وماريكلا وجكوار في مجال حرب العصابات.**

**وبالرغم من تنوع هذه الكراسات، لكنها كانت تتضمن تحاليل سياسية متشابهة في بعض الأحيان، فقد كانت جميعها تستند الى الماركسية ـ اللينينية، لكنها كانت تهاجم التنظيمات الشيوعية العاملة في السابق مثل حزب توده، إذ كانت المجموعات الجديدة تدرك جيداً أن جموع الناس هي التي بإمكانها تقويض النظام، لكنها عملت على طرح نظريات متباينة، لتقوم باستقطاب الناس وجذبهم نحوها، ويبدو انهم خلطوا بين أوضاع إيران من جانب وكوبا وتشيلي من جانب آخر.**

**فقد كان النقص الذي تعانيه نظريات هؤلاء ناتجاً عن جهلهم بالأواصر المعنوية التي تربط أبناء الشعب الإيراني، بل كانوا يركزون على دراسة ظروف الشعوب الأخرى بالرغم من ادعائهم بأنهم يدرسون طبيعة المجتمع الإيراني ويقومون بتحليلها. لكن تحركاتهم كانت تنم عن جهلهم بظروف المجتمع. فالكبت والقمع الوحشي الذي تمارسه أجهزة الحكم، لم يكن يسمح بالنشاط الحر لأية مجموعة، وعلى الرغم من ذلك فقد قام عدد من الشباب بتشكيل مجموعات جهادية صغيرة نفذت عدة تفجيرات وعمليات اغتيال، خارقة بذلك جدار الصمت المخيم على الساحة. وقد تحدثنا فيما مضى عن عدد من الشباب بتشكيل مجموعات جهادية صغيرة نفذت عدة تفجيرات وعمليات اغتيال، خارقة بذلك جدار الصمت المخيم على الساحة. وقد تحدثنا فيما مضى عن عدد من المجموعات العاملة آنذاك، حيث ألقي القبض على أغلب كادرها، بينما واصل من تبقى منهم، نشاطه.**

**ونصل الى هنا الى ما بعد عام 1971 والحوادث التي شهدتها هذه الحقبة التي استمرت حتى عام 1975. ففي عام 1971، شكل جمع من الشباب المتدينين من مدينة نهاوند مجموعة باسم (مجموعة أبي ذر) للعمل ضد الحكومة، فقد كانوا ممن هم دون العشرين عاماً، وكانا على علم ببدء النشاطات المسلحة لباقي المجموعات الإسلامية، وفي عام 1972 قامت هذه المجموعات بعدة تفجيرات وعمليات مسلحة[9]. لكن أفردها وقعوا في قبضة السلطة بعدما جرّدوا شرطياً من سلاحه وقتلوه في قم، حيث أعدم ستة منهم في 19 شباط عام 1973.[10]**

**وشهدت هذه الفترة أيضاً تحرُّك عالم مجاهد هو آية الله الغفاري، الذي كان يؤمن بنهج الإمام الخميني وقيادته، وكان يصر على مواصلة هذا النهج، مما أدى به الى الاعتقال عدة مرات، وفي عام 1974 استشهد تحت التعذيب.[11]**

**وخلال هذه الأعوام، شهدت الساحة خلافات وانقسامات داخل المجموعات العاملة، وتبدلات في مواقفها، الأمر الذي اتاح لأجهزة أمن السلطة فرصة مناسبة لقمعها والقضاء عليها. فالعديد من المناضلين فقدوا إخلاصهم السابق، كما توقف دعم العلماء لهم، وقد كان هذا الدعم يوفر لهم مساعدات مالية لا يستهان بها.[12]**

**أما الإمام الخميني فقد كان ـ وهو في منفاه ـ حصناً منيعاً للإسلام، لم يكن يسمح بأي انحراف عن خط الإسلام الأصيل مهما كانت الذريعة. فهو لا يعترف إلا بإسلام القرآن والسنة المحمدية والأئمة، والذي ظل الفقهاء والمراجع العظام يحملونه في زمن الغيبة الكبرى، وكان يرفض رفضاً قاطعاً أي التقاط من المدارس الفكرية الأخرى[13]ولهذا لم يؤيد اولئك الذين يعملون وراء عناوين إسلامية، لكنهم يستمدون من أفكار أخرى كالماركسية في معارضتهم للنظام.[14]**

**وكان يؤكد باستمرار ـ خاصة في بياناته التي كان يرسلها الى الطلبة الجامعيين الإسلاميين في اوروبا وأمريكا ـ أهمية المحافظة على الموازين الإسلامية وصيانة الرسالة من كل بدعة[15]. أما الشباب الذين لم يكونوا يتحركون على أساس إسلامية راسخة بل اتجهوا الى مدارس فكرية أخرى ـ لاعتقادهم بأن انتصار الإسلام أمر بعيد ـ فقد حاولوا عقد مصالحة بين الإسلام وأفكار أخرى كالماركسية.**

**وفي هذه الفترة أيضاً، نشهد حصول تصفيات دموية على يد أجهزة أمن الشاه، وكان أحمد آرامش أحد المشمولين بها.[16]**

**4ـ (7 حزيران) 1975:**

**خلال النصف الثاني من عام 1974 واوائل 1975، كان التطبيل الإعلامي يدور حول الوصول الى الحضارة الكبرى وفي هذه الفترة، أعلن عن تأسيس حزب (رستاخيز) ـ أي البعث ـ الذي واجه ردود فعل واسعة تمثلت بمظاهرات عارمة خرجت في الفترة من 5 ـ 7 حزيران عام 1975 من قبل طلاب الحوزة العلمية في قم. فخلال أعوام السكوت وفقدان الأمل كان يقام في المدرسة الفيضية في قم كل عام احتفاٌ تأبيني لشهداء فاجعة 5 حزيران عام 1963.**

**وفي عام 1975 تصاعدت وحشية أساليب القمع التي كانت تمارسها أجهزة النظام، بعدما أصبح الحزب الجديد مسيطراً على كل شيء، أما الإمام الخميني فقد أصدر بياناً حرّم فيه الانتماء الى الحزب وطلب من العماء وطلبة العلوم الدينية إحياء ذكرى 5 حزيران على أحسن ما يرام.**

**وكان يوم 5 حزيران يصادف الخميس، حيث توافدت على مدينة قم المقدسة أعداد كبيرة من أهالي المدن الأخرى لأداء مراسم الزيارة، فأصبحت مدرسة الفيضية مركزاً للمظاهرات التي استمرت حتى اليوم التالي، حيث حاصرت قوات الشرطة والأمن هذه المدرسة وقطعت عنها الماء والكهرباء، ومنعت دخول أي شخص إليها.**

**وفي اليوم التالي (7 حزيران) وصلت قوة إضافية قوامها (300) من قوات المغاوير (القوات الخاصة) فسيطر جلاوزة الأمن على الشوارع الرئيسية في قم، وشنت القوات الخاصة هجومها على المدرسة الفيضية مكررة بذلك حوادث عام 1963، فاعتقلوا حوالي (500) شخص، وبعد ممارسة التعذيب بحقهم في سجن ايفين بطهران، أفرجت السلطة عن (200) منهم فيما ساقت 200 آخرين الى الخدمة العسكرية الإجبارية، أما الباقون فقد حُكم عليهم بالسجن لمدد مختلفة تراوحت بين 3 و 15 عاماً.**

**وبعد 48 ساعة من الحادثة، كتبت الصحف وبتوجيه من الساواك أن عملاء الرجعية السوداء والحمراء المتلبّسين بلباس العلماء، قاموا بأعمال شغب رافعين شعارات شيوعية، وقد تم كشف مقادير من المتفجرات والمنشورات المعادية داخل غرفهم[17]، وعلى الفور أصدر الإمام بياناً ربط فيه هذه الحوادث بما جرى في 5 حزيران 1963 وفضح أكاذيب أذناب السلطة. وفيما يلي نص البيان الذي أصدره الإمام:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الى فئات الشعب الإيراني الشجاع والمظلوم كافة (ايدهم الله تعالى)**

**إنّ الأخبار الواصلة من إيران بعد الفشل الذريع الذي لحق بلعبة تأسيس حزب الشاه الجديد وبالرغم من أنها تبعث على الألم والأسى فإنها في نفس الوقت تبعث على الأمل وتُعتبر بادرة حرية تلوح في الأفق. وأن ما يبعث على الأسف، هو أنه وفي الوقت الذي تتحرر فيه باقي الشعوب الواحد بعد الآخر من نير الاستعمار، وتحصل على استقلالها وحريتها، فإن الشعب الإيراني المسلم العظيم يرزح تحت نير أحد أكثر الحكام رجعية وأحد العملاء المطيعين للاستعمار، وأكثر المستبدين ظلماً وقسوة، ويعاين ممن صادر كل حقوق هذا الشعب، وخيم عليه بظلمه واستبداده، فأجهزة (الساواك) تحولت وبأمر من الشاه، الى محاكم تفتيش كتلك التي سادت في القرون الوسطى، تمارس أنواع القمع والإهانة والتضييق والتعذيب بحق كل الذين يعارضون حزب الشاه، وهم غالبية الشعب الإيراني.**

**إنهم يريدون فرض عقائد الشاه وأفكاره على كل فئات الشعب من علماء دين واساتذة جامعات وتجار وفلاحين وعمال وموظفين، حتى لو كانت هذه الأفكار معارضة للإسلام ومصالح المسلمين، وحتى لو تعارضت مع استقلال الشعب والحريات العامة، ومن يعارض هذه الأفكار يكون مصيره الاعتقال والتعذيب والحرمان من حقوقه الإنسانية، والمعارضين لحزب الشاه يُنعتون بالرجعيين والمتخلّفين، وهم يستحقون، في رأي السلطة كل أشكال القمع.**

**إننا نأسف لما يتعرض له الشعب من قمع وحشي، وللهجوم الذي تعرضت له جامعات البلاد، نأسف لحادثة 7 حزيران 75 التي شهدتها المدرسة الفيضية ودار الشفاء والتي أعادت الى الأذهان من جديد فاجعة 5 حزيران 1963 والهجوم الوحشي لأزلام الشاه على المدارس الدينية التي لا تعمل إلا لنشر العلم وتعليم الفقه الإسلامي والدفاع عن القرآن مثلما نأسف لتحطيم النوافذ والأبواب، وتكسير الأيدي والأرجل والضرب المبرّح حتى الموت، ورمي الشباب العزّل من السطوح لا لذنب إلاّ لأنهم يقولون عكس ما يريده حزب الشاه، أو بتهمة تأبين ضحاياه 5 حزيران.**

**وحسبما تقول بعض الصحف الأجنبية فإن عدد الشهداء في 7 حزيران هذا العام قد بلغ خمسة واربعين شخصاً إضافة الى عدد كبير من الجرحى الذين رفضت المستشفيات معالجتهم، كما القي بأكثر من (300) شخص آخر في غياهب السجون ولا يُعرف شيء عن مصيرهم. هذا هو التحضر الذي يسود بلدنا، وهذه هي معايير الديمقراطية، وهؤلاء هم النساء المتحررات والرجال الأحرار!**

**إننا نأسف لوضع الصحافة الإيرانية التي تخضع لإشراف مباشر من أجهزة أمن الشاه (الساواك)، وهي تكتب ما تملي عليها هذه الأجهزة وتلصق ما تريده من تهم بحق هذا وذاك.**

**ومع كل هذه المصائب، يبقى الأمل في يقظة الأمة، والأعمال الكفاحية التي تخوضها الجامعات في أرجاء إيران حسبما اعترف به الشاه، ومعارضة العلماء الأعلام وفئة المثقفين وباقي فئات الأمة بالرغم من كل ظروف القمع والقهر التي تمارسها السلطة، كل هذا يمثل بارقة أمل بقرب نيل الحرية والتخلص من نير الاستعمار.**

**إن رفض الشعب الانخراط في حزب الشاه ومسرحية انتخاباته الخيانية لهو نموذج حي على يقظة الشعب وقرب انتصاره.**

**وإنني إذ أُعزّي الشعب الإيراني العظيم بما حل به من مصائب مؤلمة، ولما حلّ بالقرآن وحرمة أهل البيت(عليهم السلام) من إهانة، ولما حدث في واقعة 15 خرداد 1342(5 حزيران 1963) و 17 خرداد 1354(7 حزيران 1975م)، فإنني أُبارك لهذا الشعب بشائر إشراقة صبح الحرية وقطع دابر الاستعمار واذنابه من هذا البلد.**

**تحيةً للقتلى والمصابين في 5 حزيران.**

**تحيةً لضحايا 7 حزيران المظلومين.**

**تحية لفئة أهل العلم والخطباء المحترمين.**

**تحية للشباب الغيورين في جامعات إيران.**

**تحية للمسلمين المؤمنين في أنحاء إيران الذين وجهوا ـ برفضهم الاشتراك في الانتخابات وفي حزب الشاه ـ صفعة قوية لأهل الهراء التافهين وأثبتوا بذلك وفاءهم وولاءهم العميقين للإسلام والمسلمين.**

**تحية للمعتقلين الذين يعانون صنوف العذاب في سبيل أهداف الإسلام المقدسة.**

**تحية للشباب والجامعيين الإيرانيين خارج البلاد الذين يعملون بجد لخدمة إسلامهم وأخوتهم المسلمين، ويفضحون مجازر الاستعمار وأذنابه وجرائمهم.**

**وإنني، إذ أعيش لحظات العمر الأخيرة، يساورني قلق كبير من ممارسات هذا الشخص الذي يتشبث بكل الحيل والوسائل والذي واجه مقاومة شعبية عنيفة، فقد يصعّد هذا الشخص جرائمه وسفك دماء الشعب الغيور أكثر مما فعل لحد الآن، ويرتكب مجازر بحق العلماء والمفكرين عبر اتهامهم بالرجعية السوداء والحمراء عندما يصاب بالانهيار العصبي جراء المقاومة الشعبية لسياساته.**

**أسأل الله أن يقينا شر العناصر الخبيثة وأن يقطع دابر الأجانب من بلادنا. والسلام عليكم ورحمة الله.**

**الأول من رجب 1395**

**روح الله الموسوي الخميني.**

**5ـ المجموعات الإسلامية الأخرى:**

**اتجه الشباب الذين تربوا في المساجد والجمعيات الإسلامية وامتازوا بالالتزام الشديد بدينهم وتفضيلهم إياه على باقي الأفكار، والاطلاع على جهاد الإمام، اتجهوا الى تشكيل مجموعات دينية تمارس الأعمال الجهادية بكل أشكالها، بما في ذلك العمل المسلح.**

**ولم يكن هؤلاء يملكون تنظيمات كبيرة وقوية، لكنهم استطاعوا في الأعوام التي تلت سنة 1975 تقديم تضحيات عديدة وعرض بطولات ملفتة للنظر. وقد حملت هذه المجموعات أسماء (الأمة الواحدة) و(الفلق التوحيدي) و(الفلاح) و(البدر) و(الموحدون) و(الصف) و(المنصورون). وقد تمكنت ـ كل واحدة في أرجاء البلاد ـ من تحريك الأمة وتوعيتها، وهكذا اتسع نطاق عملها في عدة مناطق، منها طهران وخوزستان وكرمان واصفهان ومناطق أخرى عديدة.[18].**

**ــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] قامت شقيقتا الشاه (أشرف وفاطمة) وزوجته فرح بزيارة الى الصين كل على انفراد، حيث استقبلهن المسؤولون الصينيون بحفاوة. وقد كانت أشرف تتولى في الغالب الاتصالات الدولية للشاه، كما كانت ترأس ممثلية إيران في لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة.**

**[2] (الرسالة العملية) هي مجموعة الفتاوى الشرعية على صعيدي العبادات والمعاملات، ووفقاً لاجتهاد احد المراجع، الذي يقوم باعدادها لمقلديه(المترجم).**

**[3] (انقلاب ايران تحت رهبري امام خميني)ص 24.**

**[4] المصدر نفسه.**

**[5] المصدر السابق/ ص 35.**

**[6] حل الدكتور كني في تلك الفترة محل (عدل) كأمين عام للحزب وهذا هو حزب الشعب الذي أسسه (علم) والذي يختلف عن حزب الشعب الذي أسسه السيد محمد صادق الطباطبائي خلال الدورة الرابعة عشرة لمجلس الشورى الوطني!. فقد كان الطباطبائي يرأس المجلس في تلك الدورة، ومع هذا لم ينخرط في حزبه إلا خمسة من النواب.**

**[7] (ايران دكتاتوري وتوسعه) فريدهاليداي/ص 227.**

**[8] المصدر السابق/الاجراء المتعلق بمجموعة (فدائيان خلق).**

**[9] تُنسب الى هذه المجموعة عدة عمليات من قبيل تفجير مقر اتحاد النساء في نهاوند، واحراق سيارات قوات الدرك والشركة التعاونية واغتيال أحد الرأسماليين في نهاوند.**

**[10] صحيفة كيهان/ 19/2/1979.**

**[11] آية الله الشيخ حسين الغفاري اشترك في جهاد العلماء عام 1962 بكل فعّال، وفي شهر محرم من نفس العام اعتقل ومعه عدد من العلماء، وفي الأعوام 66 الى 71، اعتقل عدة مرات لكن الساواك كان قد أصبح أكثر عنفاً ووحشية حيث سلم جسده( بعد استشهاده تحت التعذيب) الى أهله مضمخاً بدمه (كتبت عنه مجلة (پيام انقلاب) في 20/12/1980).**

**[12] يقول هاشمي رفسنجاني في هذا المجال: (كانت في السجن 16 مجموعة سياسية، أكثرها من الشباب المتحمسين، وهناك تعرفنا على (مجاهدين خلق) ومنذ ذلك الحين شعرت بالتباين الفكري بيننا وبينهم. فعندما استشهد أحمد رضائي في السجن، خطبت في المعتقلين، إلاّ أن أعضاء هذه المنظمة احتجوا معترضين على حديثي عن الجنة والنار والثواب والعقاب بذريعة أنه سيضعف موقفهم أمام اليساريين. المسألة الأخرى هي أننا كنا ننفصل عن الشيوعيين في السجن، باعتبار ان هؤلاء ملحدون وكفار لكن التيار الجديد آنذاك غيّر هذا النظام، فقد قالوا بأن لنا أهدافاً مشتركة، ويجب أن نكون معاً وأن نشترك في كل شيء، لكننا لم نكن نوافق على ذلك. وخلال محاكمة قادة (مجاهدي خلق) سئل أحدهم عن رأيه بالماركسية، فأجاب (نحن نحترم الماركسية). لكننا نرفض الماركسية، فلم احترام ماركس مادام ينكر وجود الله؟ فهل يمكن الجمع بين الكفر والإيمان؟ لقد قدم أحد مفكريهم تحليلاً عن نهجهم فقال (أننا اكتسبنا علم النضال من الماركسية، إذ لا يمكن تحقيق النصر بدونه، ومن جانب آخر فإن النضال داخل المجتمع الإسلامي لا يمكن أن يتم دون الاعتماد على الإسلام، وعلى هذا فإن علينا أن نمد جسراً بين الماركسية والإسلام، لنتبع الاثنين معاً!! فبالماركسية نناضل، ومن خلال الإسلام تتوفر لنا الأرضية اللازمة للنضال)!. كانوا يحللون الدين بشكل لا يتعارض مع الماركسية، وقد ظلوا لسنوات عديدة يطرحون فكرة وجوب الجمع بين الماركسية والإسلام.**

**[13] العالم المجاهد الشهيد المطهري كان صاحب هذه النظرة حيث يقول: (أنا انصح أولئك الذين يفكرون بهذا الشكل ـ أي يريدون مطابقة الإسلام بالمدارس الفكرية غير الإسلامية، أو ادخال عناصر من هذه المدارس في الفكر الإسلامي ـ وأخبرهم أنهم يقومون بخدمة الاستعمار سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد.. وخدمة هؤلاء للإستعمار تفوق بكثير خدمة عملاء الاستعمار السياسي والاقتصادي، ولهذا فإن خيانة هؤلاء للشعب أعظم وأكبر...) (صحيفة جمهوري اسلامي، الملحق الخاص بالذكرى السنوية لاستشهاد شريف واقفي)**

**[14] حجة الإسلام دعائي، أحد العلماء المجاهدين الذين كانوا على اتصال دائم بالإمام في منفاه بمدينة النجف، يتحدث عن العلاقة بين الإمام ومنظمة (مجاهدين خلق) وعدم تأييد الإمام لهذه المنظمة فيقول: (.. عندما توترت العلائق بين نظام الشاه والنظام العراقي، قام المعارضون الإيرانيون باختطاف طائرات مدنية إيرانية واجبارها على الهبوط في مطار بغداد ثلاث مرات فالعملية الأولى قام بها ثلاثة طلبة جامعيين.. وقد حدثت هذه العملية قبيل اغتيال رئيس الساواك السابق على يد عناصر الساواك نفسه في بغداد، حيث أشيع في طهران أن هؤلاء الشباب الثلاثة هم الذين اغتالوه، وذلك بهدف تشويه سمعتهم. أما عملية الاختطاف الثانية فقد قامت بها مجموعة من الشباب المؤيدين للقضية الفلسطينية والذين كانوا قد حصلوا على حق اللجوء السياسي في العراق. أما الثالثة فكانت عملية اختطاف طائرة متجهة من دبي الى ميناء بندر عباس الإيراني وكان على متنها تسعة ركاب إضافة الى طاقمها. وقد نفذ العملية عدد من أفراد كادر منظمة (مجاهدي خلق). حيث قاموا بتعذيب الركاب التسعة، تحت اشراف المدعو(بناهيان) وكان من أعضاء هذه المجموعة موسى خياباني وسعيد مشكيني قام حسين روحاني. وقد سعى قادة المنظمة بعد هبوط هذه الطائرة في بغداد الى الاتصال بالإمام وباقي صحبه المجاهدين في العراق لمساعدتهم في إطلاق سراح المختطفين، حيث أرسل المرحوم آية الله الطالقاني رسالة الى الإمام القائد كتبت بالحبر السري جاء فيها (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (وهي الآية التي نزلت في حق أصحاب الكهف). وقد نقل الرسالة الى النجف السيد (مرتضى تراب حق شناس) فاختبرت الإمام بأن شخصاً ممن أثق بهم جاء يحمل رسالة من السيد أبو الفضل الزنجاني وآية الله الطالقاني. وبحضور الإمام تم تظهير الرسالة وقرأها الإمام فرد بأنه سيجيب على الأمر في الغد. وفي اليوم التالي رد الإمام بأنه لا يستطيع عمل شيء لأن المسؤولين العراقيين سيكون لهم مطاليب مقابل ذلك وأنه ـ أي الإمام ـ لا يريد التعاطي مع المسؤولين العراقيين. وبعد مدة اتصل بي مرتضى تراب حق شناس مرة أخرى، واخبرني أنه مكلّف من قبل منظمة (مجاهدين خلق) بالاتصال بالإمام واطلاعه على نهج المنظمة وبرنامجها وأفكارها والحصول على دعمه لها قدر الإمكان. ثم قام بعرض جوانب من أفكار ومتبنيات المنظمة لي، ولما كنت أنا طالباً عادياً ـ واعتماداً على توثيق شخصيتين كبيرتين للمنظمة وهما الزنجاني والطالقاني ـ فقد رغبت في أن اقبل اقتراحهم بأن أصبح حلقة وصل بينهم وبين الإمام. وفي المرحلة التالية من الاتصالات جاء (حق شناس) ومعه حسين روحاني وهو أحد أعضاء الكادر الأعلى للمنظمة، وطلباً اللقاء بالإمام وعرض حقائق ومعلومات عن المنظمة على سماحته. وقد بذلت ما بوسعي في هذا السبيل أما الإمام فقد أدرك انها منظمة تبنّت الإسلام حديثاً وتنتهج الكفاح المسلح والسري وكان ذلك الانطباع لدى سماحته اعتماداً على دعم الزنجاني والطالقاني لهما، ولذلك لم يمانع من استقبالهما والاستماع لما يطرحانه. وقد فسح الإمام المجال لحسين روحاني ليتحدث له في خمسة لقاءات مباشرة، وكان روحاني قد جلب معه اثنين من كتب المنظمة ليطلع الإمام من خلالها على ايديولوجيتها وهما كتابا (راه انبياء راه بشر) و (الإمام الحسين)، ولأن الكتابين كانا قد طبعا بحروف صغيرة، فقد طلب الإمام أن تعاد كتابتهما ليتسنى له قراءتهما. ,هكذا مكث حسين روحاني ثلاثة أسابيع في غرفتي بمدرسة اليزدي في النجف قام خلالها بإعادة كتابه محتوى الكتابين وكنا نوصل ما ينجز منها كل يوم الى الإمام للاطلاع عليه. وفيما يخص الكتاب الأول (راه انبياء راه بشر) أي (طريق الأنبياء طريق البشر) قال الإمام: ( انهم ينكرون فيه وجود المعاد، ويعتبرونه عبارة عن السير التكاملي لهذا العالم ليس إلاّ، وهم بهذا يخالفون العقائد الإسلامية للإسلام. وكان استنتاج الإمام من آيديولوجيتهم هو أنهم يتصفون (بالتمسك) وليس (التعبد) أي أنهم يستخرجون هذه المفاهيم من القرآن ونهج البلاغة ويعرضونها بهذا الشكل ويتمسكون بها بشكل أعمى دون أن يكون لديهم إيمان حقيقي بها). ولهذا فقد رفض الإمام تأييدهم إذ قال: (انكم تؤمنون بالكفاح المسح في هذه المرحلة وهذا خطأ لأن هذا ليس وقت الكفاح المسلح في هذه المرحلة وهذا خطأ لأن هذا ليس وقت الكفاح المسلح ولذلك فأنكم لن تفلحوا في ذلك الآن). وقد رفض تأييد هذه المنظمة بالرغم من كل الضغوط التي مورست في هذا السبيل كما أنه لم يشطب عليها بالكامل. ولا بأس هنا من التأكيد على أنه كان للمنظمة منشورات وكتبت عديدة، لكنها لم ترسل الى الإمام غير الكتابين السالفي الذكر واخفى قادتها عنه كتباً أخرى مثل (اقتصاد بزبان ساده) أي (الاقتصاد المبسط) وكتاب (شناخت) أي (المعرفة) (صحيفة جمهوري اسلامي، العدد 317، 7/7/1980).**

**[15] يلخص أحد تلامذة الإمام وهو حجة الإسلام هاشمي رفسنجاني إشكالات الإمام على منظمة (مجاهدين خلق) كما يلي: (الاشكال الأول الذي يورده الإمام يخص فهم المنظمة لمعنى الكفر والإيمان. فهؤلاء يقولون أن مسيرة الإنسان نحتو الله هي مسيرة تكاملية تخضع لقانون المادية التاريخية التي تندرج من العبودية وحتى الشيوعية مروراً بالاقطاع والرأسمالية والاشتراكية، وهذا في رأيهم هو طريق الله والإيمان، فالإيمان عندهم هو سلوك هذا السبيل مروراً بهذه المراحل، والكفر عندهم هو وضع العراقيل في هذا الطريق. فسبيل الله عندهم هو الانتقال من مرحلة الى مرحلة أخرى من مراحل المادية التاريخية، ومن يجهد مثلاً في سبيل الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية سيكون تقدمياً وهو مجاهد في سبيل الله، أما الذين يضعون العقبات في طريق هذا(التطور) فهم امبرياليون ورجعيون وهم كفار وأعداء لله. هذه هي نقطة الخلاف الرئيسة بين فكر الإمام الذي هو فكر الإسلام، وإيديولوجية هؤلاء. فهؤلاء يرون أن أشخاصاً مثل (لينين) و(ماو) قضوا عمرهم يعملون من أجل نقل البشر الى مرحلة تاريخية جديدة لا يمكن اعتبارهم كفاراً، بينما نحن نقول إن هؤلاء ينكرون وجود الله ورسالة نبيه، ودينه، فكيف لا يعتبرون كفاراً؟ بينما (مجاهدين خلق) يعتبرون أن الكافر هو من يسد الطريق الى الله، وأن هذين الشخصين فتحا هذا الطريق ولهذا فالماركسيون، ليسوا كفاراً!! نحن نعتبر وجود الله والرسالة والمعاد كفراً، وعمل الكافر لا قيمة له حسبما يصرح القرآن، الذي يؤكد أن عمل الكافر وجهوده كالسراب في الصحراء، أو كالرماد في يوم عاصف سرعان ما يتطاير ولا يبقى منه شيء ومن جهة نظرنا، فإن منكري وجود الله ومنهم الشيوعيون، لا قيمة لهم أبداً، فالمسلم الذي يؤمن ويعبده هو مسلم ولو لم يجاهد، أما الشيوعي فهو كافر نجس مهماهه كافح وناضل. أما محور الخلاف الثاني فهو حول الديالكتيكية، فهؤلاء يؤمنون بأربعة اصول في المعرفة، كما أن لهم أصلاً خامساً هو الهداية. ويشكل الاقتصاد المحور الثالث للخلاف بين فكرنا وفكر هؤلاء، فهم يتبنون نظريات ماركس الاقتصادية بينما للإسلام قوانينه واسسه الاقتصادية الخاصة. والمحور الرابع للخلاف يكمن في الجانب الفقهي فهم لا يعترفون باختلاف الآراء بين الفقهاء ويقولون إن الأحكام واحدة ويمكن استخراجها من القرآن ونهج البلاغة ومتطلبات الزمان. ولا يعترفون بالرسائل العملية للعلماء( رسائل الفتاوى)، فهم يقولون أن العلماء يريدون بهذه الفتاوى تطبيق أحكام تعود الى ما قبل 1400 عام، وهذه النظرة دفعتهم الى إلغاء عدة مسائل شرعية منها الطهارة. أما محور الخلاف الخامس فيكمن في المعاد، ففي ادبيات هؤلاء يتضح أنهم لا يأخذون بنظر الاعتبار مسائل الدار الآخرة، فهم يتجاهلون ذلك من أجل استقطاب أعداء الدين. وأخيراً فإن هؤلاء يجيزون ارتكاب بعض المحرمات خاصة الأخلاقية منها، من أجل تحقيق أهداف معينة، مثل معيشة فتاة وفتى في أحد اوكارهم دون أن يرتبطا بعلاقة شرعية، مسوّغين ذلك بأن النضال يستدعيه..)**

**[16] بعد انتصار الثورة، صدر كتاب تحت عنوان (هفت سال در زندن آريامهر) أي (7سنوات في سجن الشاه) وهي مذكرات أحمد آرامش الرئيس السابق لمنظمة التخطيط ناقش فيه الناشر العديد من الحوادث السياسية عقب عام 1941، كما أورد شرحاً مفصلاً لحياة أحمد آرامش وكيفية قتله على يد الساواك في تشرين الأول عام 1973. فقد ادعى الناشر أن أحمد آرامش كان من الساعين لإقامة نظام الشاه مما استدعى قتله. وفي هذا الصدد يقول اسماعيل رائين (أزلام النظام في الساواك كانوا يبتدعون كل يوم اسلوباً جديداً لتصفية معارضي الشاه. فبعدما أصبح الاعتقال والتعذيب بأمر من المحاكم العسكرية أسلوباً قديماً، لجأوا الى عمليات التصفية الجسدية أو الرمي من الطائرات والتعذيب حتى الموت والاغتيال في الشارع. وقد تم تصفية أحمد آرامش لتذمر صاحب الجلالة(!) وانزعاجه منه). لقد كان (آرامش) أحد سياسي الحقبة التي أعقبت حوادث عام 1941، فقد شغل منصب وزير العمل في حكومة قوام السلطنة عام 1946، وفي عام 1960 أصبح وزيراً للدولة ورئيساً لمنظمة التخطيط في عهد حكومة (شريف امامي) وبالرغم من ذلك فقد أصبح في صف المعارضة. انتهت حياته برصاصات انطلقت من رشاشات رجال الأمن عندما كان يتجول في أحد منتزهات طهران عام 1973 (هفت سال در زندن آريامهر/ص 177).**

**[17] صحيفة كيهان ـ 7 /حزيران 1979.**

**[18] بعد انتصار الثورة اتحدت هذه المجموعات السبع مع بعضها تحت اسم منظمة (مجاهدين انقلاب اسلامي)، ولأجل عرض تاريخ المجموعات المؤلفة لهذه المنظمة فقد قامت بطبع سلسلة كتب خصص الأول منها للحديث عن مجموعتي (منصورون) و(امت واحدة) حيث كانت للمجموعة الأولى نشاطات جهادية في كرمان وبهبهان وأهواز وغيرها، أما الثانية (امت واحدة) فقد ظلت في السجون. ومن بين نشاطات المجموعات السبع تنفيذ عمليات عسكرية وتفجيرات ومحاولات اغتيال المرتبطين بالنظام إضافة الى نشر تحليلات سياسية، وقد فقدت هذه المجموعات عدداً من اعضائها خلال صدامات مسلحة مع قوات السلطة.**

# ****الفصل الرابع عشر****

# ****تشكيل حزب الشاه (رستاخيز)****

# ****ومصير آخر مجلس شورى(وطني)****

**1ـ سعي الشاه لكسب الدعم الشعبي:**

**سعى الشاه ليكون مركز جميع القوى داخل إيران، وكان يتصور أنه سيصبح بذلك في عداد رؤساء الدول الكبرى. وقد دفعته تملقات أعوانه ومديحهم له الى التصديق بأنه عقل مدبّر ونابغة كبير ووارث كوروش! وكان يريد أن يعامله رئيس حكومته علم، ويعتبر كل تطاول على حقوق الشعب حقاً من حقوقه ومفضلاً على المصلحة العامة، وكان يرغب في أن يرضخ الجميع لما يفعل، ويؤيدوا ذلك، وكان يثير تعجبه هو كيف لا يعرف الشعب قدره، بل كيف يجرؤ بعض الأشخاص على معارضته! وظل يفهم الديمقراطية على أنها حرية قيام الشعب بتبجيله والتسبيح بحمده باعتباره بطل التاريخ!**

**وكان يتحدث لسنين طوال عن ايجابيات نظام الحزبين ويعرب عن أمله بأن تنحو البلاد هذا المنحى، باعتبار أن أمريكا وبريطانيا تملكان حزباً للأكثرية وآخر للأقلية يتنافسان بينهما بالوسائل المشروعة السليمة، ولذلك قام بتشكيل حزبي (الوطنيين) و(الشعب) وعمل ما بوسعه لاستقطاب الناس إليهما، لكن كل جهوده ومساعيه بات بالفشل، لأن هذين الحزبين كانا حكوميين ولا يعملان لمصلحة الشعب، بل كانا أداة لتنفيذ سياسات الأجانب، وكان كل مهما بوقاً للشاه يردد أحاديثه وتصريحاته الفارغة، وكانا يتسابقان في التمجيد بأعمال الشاه وسياساته.**

**ثم جاء تشكيل حزب (ايران الجديدة) فتظاهر بالمنافسة مع حزب الشعب، إلا أنه لم يستطع جذب الشعب إليه، وبقي تنفذ هذا السيناريو مستمراً، وبمرور الزمن كان الناس يزدادون نفوراً واشمئزازاً منه، ولم يكن باستطاعة الشاه إدراك المقاطعة الشعبية للأحزاب، فلم يكن يعلم أن كوادر هذه الأحزاب الذين يديرون هذه اللعبة هم أنفسهم لا يؤمنون بما يعملونه وكانوا يتخذون الحزب غطاءً لمصالحهم.**

**وبعد عام 1971، تعب الشاه من لعبة الحزبين بعدما أصبح هذا الأمر أضحوكة للناس واستمرارها كان يجلب الفضيحة له، وكان لابد من الخروج بلعبة جديدة، فكانت ولادة حزب رستاخيز(ويعني البعث) من هذين الحزبين. ففي 1 آذار 1975 أعلن الشاه في خطاب له، عن تشكيل هذا الحزب، وبذلك انحلت جميع الأحزاب الأخرى مثل (إيران الجديدة) و(الشعب) و(القومية الإيرانية) وغيرها، وانخرط جميع أعضائها في الحزب الجديد.**

**2ـ توجيه الشاه لتأسيس الحزب:**

**يقول الشاه إن حزب الأكثرية كان يمسك بالسلطة لسنوات عديدة، وقد قدم الكثير، ولا داعي لتغييره، لكن حزب الأقلية كان الخاسر هنا، في وقت لا يوجد فيه فرق بين حزبي الأقلية والأكثرية، فما الداعي لأن يتمتع أعضاء حزب الأكثرية بامتيازات وظروف أفضل من أعضاء حزب الأقلية، إن هذا التقسيم لم يكن عادلاً.**

**لقد اعترف الشاه بأن لعبة الحزبين كانت من تدبيره وهو وأنها كانت غير عادلة، فقد أرسل مجموعة الى حزب (إيران الجديدة) وأخرى الى حزب الشعب. وها هو الآن يتصور أن جمع أعضاء الحزبين في حزب واحد، يؤمن عدالةً أكثر لهم. ومن جهة أخرى، كان الشاه يتصور ان عدم إقبال الناس على الانتماء لأحد الحزبين، هو كونهما متشابهين ولا مسوّغ لتفضيل أحدهما على الآخر، ولهذا رأى أن دمجمها في مؤسسة واحدة سيدفع الناس الى الإقبال عليها والانتماء لها بشوق ورغبة.**

**الأمر الآخر الذي دفعه الى حل الحزبين وتأسيس حزب (رستاخيز) هو الأموال الضخمة التي كانا ينفقانها، بالرغم من أنهما كانا يحصلان على الأموال عن طريق الاستغلال والاختلاس واغتصاب حقوق الناس، لكن ذلك يشكّل ـ على أية حال ـ مشكلة بالنسبة للحزبين، وقد رأى الشاه أن تأسيس حزب رسمي، سيحل هذه المشكلة. فكونه رسمياً، سيؤدي الى تخصيص ميزانية رسمية خاصة له. وهذا ما حدث عند تأسيس حزب رستاخيز حيث رصدت له خلال السنوات الثلاث ونصف من عمره عشرات الملايين من التومانات، فقام بإنشاء الأبنية الضخمة كما أصدر صحيفته التي بدأت بنشر أهدافه والتعريف بها.**

**3ـ تحريم الانخراط في حزب رستاخيز:**

**بعد تشكيل الحزب مباشرة، أصدر الإمام الخميني بياناً بتاريخ 28 صفر 1397هـ.ق، كما وجه في الأول من رجب من نفس العام نداءً الى الشعب الإيراني وبياناً الى الجمعية الإسلامية للطلبة الجامعيين في أمريكا وكندا بتاريخ 17 رمضان 1395، أعلن فيها رأيه الصريح والحازم، الذي يعتبر حكماً شرعياً باعتباره أحد مراجع الشيعة، وفيما يلي نص هذا البيان:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**(نظراً لمخالفة هذا الحزب للإسلام ومصالح الشعب الإيراني المسلم، فإن الانخراط في هذا الحزب محرم على عموم الناس ومساعدة للظلم واستئصال المسلمين ومخالفة هذا الحزب ومعارضته هي من أوضح حالات النهي عن المنكر، ولأن هذه اللعبة الجديدة تمت بأمر من الجبابرة لإبعاد الشعب عن الشؤون السياسية، وأعلنت على لسان الشاه من أجل تشديد حالة الكبت وفتح الطريق أمام تنفيذ مآربه، وسلب الشعب قدرته على المقاومة وحبس أنفاسه في الصدور، فإن الواجب الشرعي يدفعني الى التذكير بهذا الأمر، ليتسنى للأمة الإسلامية ـ وقبل فوات الآوان ـ النهوض والمقاومة بوجه هذه اللعبة الخطيرة الجديدة.**

**ويجب القول سلفاً إن الإعلان عن هذا الحزب، إنما هو اعتراف من الشاه بالفشل الذريع لمشروع (الثورة البيضاء) الاستعمارية وعدم حصوله على الدعم الشعبي. فالذي كان يصرخ قبل عشر سنوات مدعياً أن الشعب يؤيد ثورته، وأطلق عليها (ثورة الشاه والشعب) يقوم اليوم بتقسيم الشعب الى صنوف مختلفة، ليخلق له مؤيدين بقوة السلاح، فلو كانت الثورة ثورة الشاه والشعب فما الداعي لتأسيس هذا الحزب المفروض؟!.**

**وفيما يتعلق بهذا الحزب المسمى بـ(البعث الوطني لإيران) يجب القول إن تأسيسه بهذا الشكل المفروض يخالف الدستور والموازين الدولية، ولا نظير له في أي من دول العالم. فإيران هي البلد الوحيد الذي يؤسس حزباً بأمر من (الملك) ويجبر الناس على الانخراط فيه، ومن يمتنع عن ذلك فمصيره السجن والتعذيب أو النفي أو الحرمان من الحقوق الاجتماعية.**

**إنّ الشعب المحروم في هذا البلد مضطر للتظاهر بتأييد النظام الشاهنشاهي، هذا النظام المتآكل المرفوض والمحكوم بالزوال من منظار الإسلام النظام الذي يوجه كل يوم ضربة جديدة للإسلام، ولو سنحت له الفرصة ـ لا قدر الله ـ فسيقوم حتى باجتثاث جذور القرآن. إنه النظام الذي دمر وجود هذا الشعب وسلب كل حقوقه وحرياته، والنظام الذي قضى على الشباب والمثقفين، بالسجن أو النفي، وها هو اليوم يريد رفع عدد ضحاياه وسجنائه بهذه اللعبة الجديدة.**

**الشعب الإيراني المسلم مضطر للرضوخ للشاه الذي تلطخت يداه حتى المرفق، بدماء العلماء وأبناء الأمة الإسلامية، والذي يريد بيع آخر قطرة من نفط هذا البلد، وتسليم ثمنه ـ وبتفاخر ـ الى الأثرياء والناهبين، بعناوين مختلفة.**

**الاستعمار الأمريكي لا يستثمر ذخائره النفطية، بل يشتري النفط من الباقين ليبقى نفطه ذخراً لمصالح بلاده. لكن شاه إيران يفرط بكل هذا الذهب الأسود، ليقضي على ثروة إيران وبدلاً من أن يقوم بانفاق عائداته على محرومي الشعب وجياعه وعراياه، يقوم بتسليمها الى أسياده المستعمرين أو يشتري بها الأسلحة المدمرة ليدافع بها عن مصالح المستعمرين واطماعهم في إيران والمنطقة، وليواصل بها قمع الحركات المناهضة للاستعمار.**

**فحتى الأمس كان الشاه يسوق الاقتصاد الى الانهيار، عبر اقتراض الديون التي تقصم الظهر، واليوم نراه يسوق الشعب نحو الافلاس ويعيقه عن النمو والتطور من خلال شراء الاسلحة واعطاء القروض الضخمة. وما صفقة الـ 15 مليار دولار الأخيرة التي أبرمها مع أمريكا المستعمرة إلا ضربة مدمرة أخرى يوجهها للأقتصاد الإيراني.**

**الشعب الإيراني مضطر لمنح صوت التأييد لشخص دمَّر الزراعة والثروة الحيوانية في البلاد حتى أصبحت إيران تستورد الحنطة والرز واللحوم والزيوت وباقي المواد الغذائية وبأسعار باهضة. ففي بداية ما يسمى بالثورة البيضاء، كان الشاه يزفّ البشرى للفلاحين بأن الاصلاح الزراعي سيوفر ما يسد حاجة إيران الى الغلال، واليوم نراه يفاخر ـ بدلاً من أن يخجل ـ بأنه استورد خلال هذا العام 2.5 مليون طن من الحنطة و400 ألف طن من الرز، بينما يعلم المطلعون أن محافظة واحدة في إيران مثل خراسان بامكانها انتاج ما تحتاجه البلاد من الحنطة، لكن (الثورة البيضاء) للشاه قضت على هذه الإمكانية.**

**منذ عشر سنين والشاه يبشر بتقدم إيران، بينما غالبية الشعب تعيش في فقر وحرمان. طهران تبدو من الخارج متطورة حيث يقوم ببناء القصور والأبنية لأعوانه، على حساب المحرومين والفقراء، أما القرى التي يشكل أهلها غالبية سكان إيران فإنها تفتقر الى أبسط مستلزمات الحياة. واليوم نرى الشاه يعد الشعب بالتطور خلال 25 عاماً. لكن الشعب الإيراني الواعي يعي جيداً بأن هذه الوعود الكاذبة هي التي دمرت الثورة الزراعية، وساقت الفلاحين والعمّال من وضع سيئ الى أسوأ، وحرمت البلاد من صناعة مستقلة، وهذا ما لا يمكن إصلاحه إلا بزوال هذا النظام المنهار بمشيئة الله تعالى.**

**فإذا ما نفد النفط على يد هذا النظام، فسيحل بالشعب فقر عظيم لا طريق للخروج منه إلاّ الرضوخ للذل والانقياد الى الآخرين، فالشعب الإيراني الشريف، لم تعد لديه زراعة ولا صناعة، وعليه أن يعيش بالفقر والفاقة، أو أن يصبح خادماً عند المستثمرين الأثرياء.**

**إن الشاه يتحدث باسم الدستور والحركة الدستورية بينما هو على رأس المنتهكين للدستور، وهو الذي قضى على الحركة الدستورية. وما خطابه الأخير والضجيج الذي افتعله حول حزبه وإجبار الناس على الانتماء إليه إلاّ نموذج واضح على هذا الأمر إضافة الى ممارساته الأخرى التي تؤكد انتهاكه للدستور من قبيل سلب حرية الصحافة وإجبار الأجهزة الأعلامية على الدعاية لما يعارض مصالح البلاد، والتطاول على حقوق الشعب وسلب الحريات الفردية والجماعية.**

**إن الانتخابات المزوّرة وتأسيس المجلس الصوري لهو انتهاك للدستور والحركة الدستورية، وإنشاء القواعد العسكرية والتجسسية للأجانب لهو معارضة صريحة للحركة الدستورية، وكفّ يد الشعب عن أفضل أراضيه وإطلاق يد الأجانب وأذنابهم القذرين مثل إسرائيل لهو انتهاك واضح للدستور وخيانة كبرى للبلاد، والسماح للأجانب بالاستثمار واطلاق أيديهم للهيمنة على جميع شؤون البلاد ونهب ثرواتنا النفطية تحت ستار (الحاكمية الوطنية) وكفّ يد الشعب عن النشاطات الاقتصادية خيانة للشعب وانتهاك صريح للدستور. وإعطاء الحصانة للأجانب وأذنابهم أمر يعارض الدستور والحركة الدستورية. كما أن تخل الشاه في شؤون البلاد والسلطات الثلاث بمثابة عودة الى عهود الظلم والاستبداد المظلمة، وهو انتهاك للدستور الذي ينص على أن الشاه شخص غير مسؤول في الدولة.**

**ولا زال هذا الشخص يتبجح بثورته (البيضاء). هذه الثورة التي تسببت في تحطيم الشعب، الثورة التي لم تؤدِ إلا الى شل كل الطاقات الفعّالة، الثورة التي اعترف الشاه ـ وبعد عشر سنوات ـ بخوائها وفشلها. الثورة التي تريد إيصال الثقافة الاستعمارية الى أقصى قرى وقصبات البلاد، وإفساد شباب هذا البلد. ومن يخالف ثورة الشاه، يكون مصيره الاعتقال والتعذيب والحرمان من الحقوق الإجتماعية. فئات الشعب المختلفة من تجار وفلاحين وعمال لم تحصل في هذه السنوات العشر إلاّ على الوعود الكاذبة، وسيسمعون بعد الآن وعوداً أخرى، وأن عارضوا هذه الثورة السوداء المعلونة، فسيكون مصيرهم مظلماً.**

**على العلماء الأعلام وباقي الفئات أن يعلموا أن تأسيس هذا الحزب هو مقدمة لمآسي وآلام جديدة ستظهر آثارها يوماً بعد آخر، وعلى مراجع المسلمين أن يحرّموا الانتماء الى هذا الحزب وأن لا يسمحوا بتضييع حقوق الشعب الإيراني المسلم، وعلى سائر فئات الأمة وخاصة الخطباء وطلاب الحوزة وشباب الجامعات والعمال والفلاحين والتجار وأصحاب المهن أن يعلموا أن جهادهم ومساعيهم الدؤوبة والشاملة، ستدمّر أسس هذا الحزب وليكونوا على ثقة من أن النظام يسير نحو السقوط، وأن النصر هو من نصيب الشعب.**

**وعلى الشعب أن يحذر من أحابيل الإعلام الحكومي الفارغ، فمع تصاعد الممارسات الحكومية المنافية للإسلام وأحكامه، تقوم وسائل الإعلام، ولأجل خداع السذّج، ببث دعاء كميل والمجالس الحسينية، كما أن الحكومة تنتهك أحكام القرآن من جانب، وتقوم ـ من جانب آخر ـ بطبع القرآن وتوزيعه على نطاق واسع.**

**إنني ـ وأنا في موطن الغربة ـ أتألم لما حلّ بالشعب الإيراني وكم بودّي أن أكون الآن بينهم، ولأشاركهم جهادهم المقدس لإنقاذ الإسلام وإيران.**

**اسأل الله العلي أن يقطع أيدي الأجانب وأذنابهم عن البلاد.**

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

**روح الله الموسوي الخميني**

**28 صفر 1395**

**4ـ مراحل نشاطات حزب رستاخيز:**

**خلال السنواتا لثلاث والنصف التي عمل فيها الحزب، سعى المشرفون عليه الى تمثيل مسرحيات عجيبة على الصعيد الداخلي، ففي عام 1975 بدأوا العمل التنظيمي ووضعوا النظام الداخلي ورسموا المنهج وحددوا (الهدف) وشنّوا حملة لكسب الأعضاء لحزبهم حيث كان بإمكانهم استحصال تراخيص حتى للمجموعات السياسية المحضورة قانونياً.**

**وفي عام 1976 بدأت مرحلة بناء الأجنحة المختلفة للحزب، حيث افرزوا جناحين، هما (التقدمي) و(البنّاء) لكن الطريف أنهم أنفسهم لم يكونوا يعرفون الفرق بين الجناحين، ولربما ظلوا لا يفقهون معنى ما يردّدونه من كلام حتى تلاشى الحزب، لكن المهم أنهم كانوا مأمورين بتشكيل أجنحة للحزب.**

**وفي عام 1977 بدأت مرحلة الركود والهدوء النسبي في تحركات الحزب وضجيجه. إذ لجأ مسؤولو الحزب الى التحرك بحيطة وحذر كبيرين، حيث بدأ الحزب يتعرض لحملات عنيفة من قبل الشعب. وفجأة، انحلّ الحزب عام 1978، لكن لك ظل دون اعلان رسمي، واتضحت معالم الاضمحلال بشكل أوضع بعد هزيمة زعيم الجناح التقدمي جمشيد آموزغار. فبدأ المتحمسون للحزب بالانسحاب منه، ووصل الأمر الى رفض الجميع القبول بمنصب الأمين العام للحزب، فأضحى أشبه ببؤرة لأمراض مسرية.**

**وفي شباط 1978 تأسست أول لجنة مركزية للحزب ووافقت على تشكيل جناح ثالث، لكن قبل أن يبدأ هذا الجناح بدراسة شؤون إيران برئاسة هوشنغ نهاوندي، الذي كان عليه إعادة البريق الى الحزب برزت قضية حل هذا الحزب.**

**فقد أعلن الشاه أن الحزب لم يعد شاملاً، واعقب ذلك عودة أعضاء التنظيمات السابقة الى تنظيماتهم، ثم تقليص ميزانية الحزب، أما الموظفون الرسميون في الحزب فقد انتابهم القلق على مصيرهم، أما الذين كانوا قد انتدبوا من دوائرهم للعمل داخل الحزب فقد طالبوا بإعادتهم الى أماكن عملهم السابقة بعدما أصبح العمل داخل إطار الحزب سبباً للفضيحة. كما باتت (مجموعة دراسة شؤون إيران) ترفض كونها جناحاً من أجنحة الحزب وعندما اقترن اسم الحزب بالخزي والعار، بدأ البحث عن اسم جديد له، إذ تصوروا أن اطلاق اسم (حزب الحركة الوطنية الإيرانية) على الحزب سيمكنه من إيجاد مكان له في مقدمة صفوف مسيرة الثورة الإسلامية لكن هذه المحاولة باءت بالفشل أيضاً. المهم فإن تأسيس هذا الحزب والبرلمان شكل المرحلة الأخيرة من عمر النظام الملكي.**

**5ـ برلمان رستاخيز:**

**تأسست الدورة الرابعة والعشرون للبرلمان بالاعتماد على حزب رستاخيز، وكان آخر برلمان في العهد الملكي. وقد جرى افتتاح هذه الدورة في أواسط عام 1975، عندما كان الحزب في ذروة نشاطاته وضجيجه، وقام أعضاؤه بترشيح أنفسهم الى المجلس كحزبين، وهكذا أصبح البرلمان مقتصراً على أعضاء الحزب، وحتى (شريف امامي) و(رياضي) اللذان كانا مستقلين دائماً، انخرطا في صفوف الحزب واحتفظا بمنصبي رئاسة البرلمان ومجلس الشيوخ.**

**ولم يستمر عمر هذا المجلس لأكثر من ثلاثة أعوام، إذ تصاعدت في السنة الثالثة حوادث الثورة التي لم تكن في الحسبان أبداً، وقد أجرى هويدا انتخابات هذه الدورة من المجلس، لكنه اضطر فيما بعد الى دخول السجن جوعاً لينقذ بذلك النظام المتهاوي، وقد كان على البرلمان الرستاخيزي القضاء على الإسلام فبدأ بتغيير التاريخ الهجري الى التاريخ الشاهنشاهي، لكنه لم يفلح في ذلك.**

**وقد شهد هذا البرلمان سقوط حكومات هويدا وآموزغار وشريف إمامي وازهاري وبختيار الذين كانوا قد حصلوا جميعهم على ثقة المجلس. أما مصيره هو فقد اقترن بمصير النظام الذي سقط فيما بعد.**

**6ـ تغيير التاريخ الهجري الى الشاهنشاهي:**

**شهد عام 1975 ذروة محطات التفرعن والتجبر الشاهنشاهي وآخرها إذ نهض النظام لمحاربة نبي الإسلام بشكل رسمي، من خلال القضاء على كل مظاهر الثقافة الإسلامية، وكان يتصور أن محو الاسس والدعامات المعنوية الإسلامية من الأذهان سيمكنهُ من القضاء على كل القوى التي تعارضه، وبالتالي القضاء على كل عناصر النهضة الإسلامية.**

**لقد اطلع الشاه بشكل جيد على نصوص بيانات الإمام القائد التي هاجم فيها احتفالات الشاه، وأدرك جيداً أن الإمام اعتمد على الإسلام وأحكامه كمحور لحملاته الهجومية. لذلك تصوّر أن عليه المبادرة اليوم، وبالاعتماد على حزب رستاخيز المؤلفة من (22) مليون عضو! الى قطع دابر المعارضة. وهكذا فقد طالب في جلسة افتتاح البرلمان الرستاخيزي عام 1975 ـ الذي قامت أجهزة أمنه بتزكية أعضائه بشكل دقيق! ـ طالب النواب بانقاذ الثقافة الإيرانية من كل أشكال الثقافات الدخيلة! عليها، وكان يعني بذلك الإسلام ومفاهيمه. فالذين اعدّوا للشاه كلمته التي ألقاها هناك كانوا قد استهدفوا منه محاربة الإسلام واستئصال جذور الثقافة الإسلامية من خلال نعتها بالثقافة الدخيلة التي تتعارض مع روح الثقافة الشاهنشاهية لإيران.**

**ولم يكن الشه يرى ضيراً في ترسيخ الثقافة الغربية وتغلغلها في إيران، لأنه كان يسوق البلاد باتجاهها بسرعة كبيرة، وكان يفهم التمدن والتحضر على أنهما الإقبال الشامل على كل القيم الغربية.**

**أما أعضاء البرلمان الذين يتوجب عليه إبداء الطاعة العمياء للشاه، فقد عملوا على نفس هذا النسق، وفي اوائل عام 1976 شنوا أول هجوم لهم على الإسلام من خلال إلغاء التاريخ الهجري وإلزم الناس باتباع التاريخ الشاهنشاهي الذي أقرّه مجلسا النواب والشيوخ في اجتماع مشترك وبذلك أجبر الناس والمؤسسات الحكومية والشعبية على استخدام هذا التاريخ.**

**ومن أجل أن يثبت المتملقون الطفيليون ولاءهم للشاه، فقد اعتبروا بداية التاريخ الهجري 1320هـ.ش(1941م) مقترنة بذكرى مرور 2500 عاماً على بدء الحكم الملكي، على الرغم من احتفالهم بهذه الذكرى عام 1350هـ.ش/1971م وهكذا أصبح العام الهجري 1355(1976م)، يصادف عام 2535 شاهنشاهي، وفي ذلك دلالة أيضاً على أن عمر حكمه يبلغ 35 عاماً. وكان ذلك الاجراء من أكثر ممارسات هذا النظام والشاه شخصياً خزياً وعاراً، ولم يكن باستطاعته تسويغ ذلك بأي شكل من الأشكال. فقد كان ذلك بمثابة هجمة اعلامية كبرى ضدّ الشاه، شنها هو بنفسه، وكان ذلك اعلاناً صريحاً منه بتضاد الإسلام مع الشاهنشاهية.**

# ****الفصل الخامس عشر****

# ****الانفتاح السياسي****

**نظرة عامة:**

**وصلت سياسة القمع والاستبداد الى طريق مسدود، بالرغم من أن النظام كان قد بلغ ذروة قوته ورسوخه سواء على الصعيد الخارجي أو الداخلي، فقد ارتفعت عوائد النفط بشكل كبير وأخذ النظام يساعد دولاً أخرى بشتى السبل، وكان يحلم بإرساء أسس دولة امبريالية صغيرة في إيران، خاصة وأنه كان يتمتع بدعم أمريكي كبير ليصبح قوة كبيرة في المنطقة. وليجعل من إيران (جزيرة أمان) للغرب.**

**لكن الذي حل بهذا النظام اربك جميع الحسابات الغربية والأمريكية، عندما تعرض النظام الملكي بتاريخ الطويل وقوته المعروفة الى السقوط. فأمريكا لم تكن ترغب أبداً بأن يتعرض النظام مطيع لها ومنفذ لسياساتها الى ما تعرض له النظام الملكي في إيران، فقد بذلت كل مساعيها للقضاء على أي احتمال بزعزعة الوضع، وعملت على عكس ذلك تماماً، ولم تستطع السيطرة على الموقف بالرغم من كل المحاولات.**

**وطبيعي أن نظام الشاه لم يكن يريد التخلي عن الحكم، وكان مضطراً للتجاوب مع السياسة الأمريكية الجديدة، لافتقاره للاستقلال منذ البداية ولجوئه الى سياسات القمع والكبت الداخلي بدعم من الخارج، الأمر الذي افقده عوامل السيطرة على الثورة التي بدأ لهيبها يتصاعد.**

**1ـ كارتر وحقوق الإنسان:**

**في عام 1976 انتهت فترة رئاسة فورد للولايات المتحدة، بعد أن كان قد خلف نيكسون عقب فضيحة ووترغيت.**

**وفي شتاء 1976 بدأت الحملة الانتخابية التي تنافس فيها كالعادة الحزبان الديمقراطي والجمهوري. ورفع مرشح الحزب الديمقراطي جيمي كارتر شعار (حقوق الإنسان) في معركته الانتخابية ضد منافسه الجمهوري؛ هذه الحقوق التي ظلت أمريكا تنتهكها عشرات السنين بل إنها قامت وبنت قوتها وتحولت الى قوة عظمى على هذا الانتهاك المتواصل. فهل كان رفع هذا الشعار يعني بالضرورة تغيير السياسة الأمريكية؟ وهل كانت أمريكا تنوي حقاً الكف عن إثارة الفتن وإشعال الحروب هنا وهناك؟ وهل إنها قررت وقف عمليات النهب والهيمنة في أنحاء العالم؟ أم أنها كانت لعبة إعلامية انتهت بانتهاء الانتخابات الرئاسية بعد أن اتخذ كارتر هذا الشعار جسراً للوصول الى السلطة؟**

**والحقيقة فإن القرارات والسياسات في أمريكا. تُرسم من قبل الكارتلات والكتل الرأسمالية الاحتكارية، وعندما تقتضي مصالحها اتخاذ سياسات معينة، تقوم بتحريك أحد الأحزاب ودعمه ودفعه الى الساحة ليؤدي دوره المطلوب. فمثلاً يتم اختيار الحزب الديمقراطي لإعلان سياسة سليمة تحررية، ثم ينتهي به الأمر الى مرحلة شن الحروب[1]. أو أن يختار الحزب الجمهوري لرفع شعار الحرب والقمع والعنف ويتسلم السلطة بالقوة.[2]**

**وقد جاء كارتر الى السلطة عام 1976 في ظل شعارات الدفاع عن حقوق الإنسان وعدم دعم الأنظمة والقوى المستبدة وتضمنت الحملة الدعائية الانتخابية اشارات صريحة الى أنظمة مثل إيران واورغواي والفيليبين وكوريا وباكستان وغيرها. كما أثيرت قضية الحاكم الأسباني الدكتاتور فرانكو، الذي خيم باستبداده وظلمه على الشعب الأسباني سنوات عديدة.**

**2ـ الهدف من رفع شعار حقوق الإنسان:**

**في عام 1976 أصبح العالم ينظر الى أمريكا على أنها قوة عدوانية غاصبة لحقوق الشعوب ومدافعة عن الأنظمة الاستبدادية المتهرئة. وكان على الساسة الأمريكيين تحسين هذا الوجه القبيح الذي أصبح سمة بارزة لها ومحاولة العودة الى وضعها الذي شهدته بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، ودفاعها عن الديمقراطية، وكانت بذلك تحاول العودة الى عهد كانت تدّعي فيه دعم التحرريين.**

**واعتماداً على وجهات نظر باحثيها ومنظري سياساتها، أدركت أمريكا أن بعض الدول الخاضعة لهيمنتها وصلت مرحلة الانفجار، وأن العملاء الذين نصبتهم على رأس الأمور في هذه البلدان عجزوا عن تطبيق سياسات اصلاحية كاملة، أو أن تطبيق هذه السياسات أعطى نتائج عكسية، الأمر الذي زاد من حالة التمرد وجعل الغليان الشعبي ناراً تحت الرماد.**

**ومن جهة أخرى، فقد أدركت أمريكا أن بعض منافسيها القدماء ـ مثل البريطانيين ـ بدأوا تحركات جديدة وصلت أحياناً الى التحرش بالسياسة الأمريكية، من أجل الحصول على مواطئ قدم جديدة لهم. وقد ألحق ذلك بعض الأضرار بمصالح الشركات الأمريكية الكبرى، كما رأى الأمريكيون أن ذلك كان ينفذ على يد حكام عملاء في بعض البلدان وأن من الضروري إزاحة هؤلاء المنافسين عن مناطق النفوذ الأمريكي بأساليب مقبولة شعبياً.**

**كما كانت تحدوا أمريكا الرغبة في توجيه ضربة قوية الى السوفيت للرد على الهجوم الإعلامي السوفيتي ضدها، إذ كان الاتحاد السوفيتي قد صعد من هجومه الإعلامي ضد الغرب بزعامة أمريكا لدرجة كبيرة جداً، مما دفع أمريكا الى استخدام سلاح (حقوق الإنسان) الذي يتعارض تماماً مع دكتاتورية المعسكر الشرقي. فالنهج السوفيتي والذي تقتدي به الأنظمة الشيوعية في الدول الأخرى لا يمكنه أبداً مراعاة حقوق الإنسان. ولهذا فقد ركز الهجوم الإعلامي الأمريكي على هذا المحور ودعم ذلك المعارضون السوفيت امثال زاخاروف. وهكذا وصل كارتر الى السلطة لأنه سيوجه ضربة قوية الى السوفيت عبر رفع شعار الدفاع عن حقوق الإنسان الذي سيمكّن امريكا أيضاً من تحسين سمعتها واضفاء طابع النسيان على الذكريات المرة التي ظلت من فيتنام وكوريا وباقي أرجاء المعمورة التي عانت من جرائم الأمريكيين.**

**3ـ اصداء السياسة الأمريكية في إيران:**

**كانت غيران من أهم المناطق التي يستلزم تطبيق السياسة الأمريكية الجديدة فيها مع الإبقاء على مستوى الهيمنة الأمريكية على أوضاع هذا البلد كما في السابق. فيحصل الشعب على الحرية ويشارك في قرارات الحكومة. ولا تكتفي أمريكا بعدم التعرض الى مصالحها والمساس بهيبتها، بل تريد أن تظهر أمام الشعب بأنها المنقذ والمدافع عن حقوقه.**

**لقد استهدفت السياسة الأمريكية تسليم زمام الأمور بيد حكومة تستطيع نزع فتيل الثورة من الشعب، حكومة لا تستخدم أساليب الملاحقة والقمع والسجن والتعذيب بل تسمح لدعاة التحرر بممارسة العمل السياسي، وتروّج لشعار الاستقلال مع احتفاظها بالولاء والتبعية لأمريكا. فقد أدرك الساسة الأمريكيون آنذاك خطورة النتيجة التي كان سيؤول إليها تصاعد حملات قمع الشعب، وكانت ترى في طرح شعارات الدفاع عن حقوق الإنسان، سبيلاً لتفادي هذا الخطر. إذ أرادت التعتيم على ما راتكبه عملاؤها طوال عدة سنين من خلال شعارات جوف لا مصداقية لها، إضافة الى عملية تغيير في رموز النظام.**

**ولم يكن باستطاعة نظام الشاه مواصلة نهجه السابق الذي باتت أمريكا تعارضه، فلم يكن مستقلاً في قراراته ولا يملك إرادة اتخاذ سياسة تتعارض مع مصالح أمريكا. وهكذا استمرت السياسة السابقة للشاه ما دامت أمريكا لم تعلن عن سياستها الجديدة، أما عندما اعلنت عنها فلم يكن أمام نظام الشاه إلا التماشي معها.**

**وكان يساور الشاه قلق كبير من التغيير في السياسات الأمريكية، لذلك فقد أبدى تعاطفاً مع الجمهوريين خلال الانتخابات الأمريكية. وقد كان يتصور أنه حتى لو فاز الديمقراطيون وطبقوا السياسة الجديدة التي أعلنوها، فسيكون بامكانه العودة الى وضعه السابق بعد اضطراب داخلي على شاكلة ما حدث عام 1960 وما بعده وانطلاقاً من هذا الأمل، بادر الى اعلان سياسة الانفتاح السياسي الداخلي.**

**وبعد فوز الديمقراطيين في الانتخابات الرئاسية الأمريكية ومجيء كارتر الى سدة الحكم، لاحت في الأفق بوادر غموض في العلائق الثنائية اتضحت معالمها في الخطابات والتصريحات المتبادلة بين مسؤولي البلدين[3]. وكان الشاه يرغب في التعجيل بلقاء كارتر وإعادة المياه بين البلدين الى مجاريها لضمان مستقبل ثبات الحكم في إيران.**

**وهكذا بادر الشاه، على الرغم من كل ذلك، الى الاعلان عن إلغاء التعذيب، والتحقيق من سنوات المحكومين بالسجن وسمح لممثلي الصليب الأحمر الدولي بزيارة السجون واللقاء بالسجناء السياسيين، وظهرت بوادر تشير الى الحد من سطوة الساواك، فمثلاً كان معروفاً قبل تلك الفترة أن سماع تسجيلات لنداءات الإمام عقوبته السجن والتعذيب، أما بعد تطبيق السياسة الجديدة، فقد خفت سطوة أجهزة الأمن ولم يعد النظام يتعامل بأسلوب القمع السابق، وهكذا شهدت عمليات توزيع المنشورات السرية والأشرطة التي تحوي بيانات الإمام انتعاشاً ملحوظاً، بل تطور الأمر الى عقد اجتماع لمناقشة الوضع في البلاد[4]، بعدها بدأت عملية العفو عن السجناء.**

**لكن ذلك لم ين ليطفئ شعلة المعارضة، بل إن عمليات كشف تاريخ التدخل الأمريكي في إيران وجرائم الساواك واتضاح أبعاد اتساع نطاق الفساد وخواء شعار الدفاع عن حقوق الشعب الإيراني المسلم، كلها عوامل ساهمت في دفع عملية الجهاد ضد الحكم الى الإمام وعززت الأمل بالنصر المحتوم.**

**ــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رفع الرئيس الأمريكي آنذاك (ترومن) شعار تحقيق الاستقلال والحرية للشعوب. لكنه هو نفسه الذي أشعل حرب كوريا، وكندي الذي انتخب عام 1960، من أجل التصدي للاستبداد والظلم، والذي تزامن مع رئاسته منح حريات نسبية في إيران بين الأعوام 1960 ـ 1963 لكنه نفسه الذي شن الحرب على كوبا وحاصرها بحرياً حتى أوشك العالم أن يدخل في حرب عالمية ثالثة آنذاك.**

**[2] الحزب الجمهوري يمثل حزب اليمين في أمريكا، ولا يميل الى أعطاء حريات سياسية. وخلال حكم هذا الحزب، حدثت الكثير من الانقلابات في أمريكا اللاتينية وأفريقيا، وقد أشاع هذا الحزب أجواء الرعب والأرهاب التي تلاحظ نماذج منها في إيران بين عامي 1971 ـ 1973.**

**[3] في خطاب لشقيقه الشاه (اشرف) في الأمم المتحدة وفي مقابلة صحيفة للشاه قبيل زيارته لأمريكا، شن الاثنان هجوماً على سياسة كارتر حول (حقوق الإنسان) باعتبارها (وسيلة للتدخل في شؤون الآخرين) انظر (نگرشي كوتاه بر انقلاب اسلامي ايران/ ص 47).**

**[4] يوم 10 كانون الأول من عام 1977، واستلهاماً من سياسة كارتر(المدافعة) عن حقوق الإنسان عقدت جمعية أنصار الحرية وحقوق الإنسان اجتماعاً حضره عدد كبير من الأعضاء منهم زنجاني وبازركان وسنجاني، حيث بعثوا برسالة الى فالدهايم يطلبون منه التدخل لإطلاق سراح السجناء السياسيين. وقد استطاع هؤلاء وفي ظل الانفراج السياسي كتابة المقالات والقاء المحاضرات والخطابات التي كانت تنتشرها صحيفتا كيهان واطلاعات بعناوين زيارة، وأحياناً كان يتم الافراج عن بعض السجناء السياسيين لأجل هؤلاء، وبذلك سعت الحكومة الى منح هذه الشخصيات منزلة بين الناس وإظارهم على أنهم المعارضون الحقيقيون للنظام. وقد كان أكثر هؤلاء عنفاً المدعو علي أصغر سيد جوادي، لكن الوثائق التي عثر عليها بعد انتصار الثورة والتي ورد فيها اسم (سيد جوادي) كشفت أن أمريكا لم تكن تراهن على شاهبور بختيار فقط، بل إنها وضعت عدة اشخاص كاحتياطي لها حيث وصل أحدهم الى منصب رئيس الجمهورية. كما أقام عدد من الأشخاص يطلقون على أنفسهم (نقابة الكتّاب) عشر أمسيات شعرية في حدائق النادي الإيراني ـ الألماني، وبدعوة من معهد (غوته). وللأسف فإن هذه الأمسيات اقيمت برعاية دولة أجنبية.**

# ****الفصل السادس عشر****

# ****شرارات الثورة عام 1977****

**1ـ نظرة عامة:**

**كانت حوادث عام 77 ـ 1978[1] بمثابة مقدمة للثورة التي انتصرت في عام 1979، فالقوى المعارضة كانت تعد العدة للتصعيد. أما النظام المستبد فقد حاول التظاهر بمنح الحريات وإشاعة سياسة الانفتاح السياسي فتحاشى في البداية دخول مواجهات مباشرة مع الشعب، وقلل من أساليب القمع والمطاردة والسجن والتعذيب والإعدام، لكنه واصل سياسة القضاء على المعارضين بطرق سرية أو في مواجهات في الشوارع.**

**وفي المقابل سعى الى دعم بعض المعارضين وفسح المجال أمامهم لانتقاد السلطة. وبعد خطاب (آموزغار) حول حرية الرأي والقلم، تقدم جمع من رؤساء الصحف الذين جرى اغلاق صحفهم في السنوات السابقة لأسباب مختلفة بطلب تراخيص للعمل الصحفي.**

**2ـ زيارة الشاه لأمريكا:**

**سافر الشاه الى أمريكا للقاء كارتر، وكانت هذه الزيارة مختلفة عن زيارته السابقة لأمريكا، ذلك لأنها تتم في ظل (انفتاح سياسي) كما تزامنت معها مظاهرات احتجاجية حاشدة لإيرانيين المقيمين في أمريكا ومن جهة أخرى، سعى سفير الشاه في أمريكا المدعو اردشير زاهدي وبالتنسيق مع جهاز الساواك الى إنزال عناصر مؤيدة للنظام الى الميدان ليهتفوا بحياة الشاه.**

**ومقابل البيت الأبيض جرت مظاهرات صاخبة للطلبة الجامعيين الإيرانيين المقيمين في أمريكا حيث هتفوا خلالها ضد الشاه، واشتبكوا مع عناصر الأمن المؤيدة له، مما دفع بالشرطة للتدخل. ونقل التلفزيون الإيراني جزءاً من هذه المظاهرات المعادية للشاه ليوحي للشعب بأن الانفتاح السياسي هو السائد في البلاد.**

**3ـ الشرارة الأولى للثورة:**

**بينما كان النظام الشاهنشاهي منهمكاً في تنفيذ سياساته الجديدة وتغيير بعض رموزه وبيادقه علّه يستطيع التعتيم على جرائمه السابقة، وإذا به يواجه بشرارات الثورة، التي كان يتبع كلاً منها تصاعد لهيب سرعان ما ينتشر هنا وهناك.**

**ففي قم، انطلقت أول صرخة مدوية احتجاجاً على المقال الصحفي المنشور في صحيفة اطلاعات بتاريخ 28 كانون الثاني 1978 والذي تضمّن إساءة الى الإمام الخميني، وباستشهاد عدد من طلبة العلوم الدينية تصاعد لهيب الانتفاضة حتى هزّ أركان النظام عندما وصل الغضب الشعبي ذروته في أربعين هؤلاء الشهداء في قم وتبريز، بينما بدأت المدن الإيرانية تنضم الى الانتفاضة الواحدة تلو الأخرى مما سلب النظام واسياده القدرة على معالجة الأمر.**

**أما الإمام الخميني الذي لم يترك ـ ومنذ نفيه ـ جهاده المرير من خلال توعية الأمة بالحقائق وتعيين واجبها الشرعي، فقد بادر هذه المرة أيضاً الى توجيه الأنظار الى الهدف والمسؤولية الملقاة على عاتق الشعب بقوله:**

**(..يا جموع المسلمين، ها هو الإسلام العزيز يستنجد بكم أينما كنتم. وعلى الجميع السعي الى تلبية دعوته للتعويض عما لحق به على يد سلاطين الظلم خاصة خلال الخمسين عاماً الماضية من الحكم البهلوي المعادي للإسلام والشعب.**

**فالنبي (ص) يقول: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيتهِ).**

**وعليكم الحذر من الانتهازيين من أتباع المدارس غير الإسلامية الذين يتحينون الفرص للتغلغل في أوساطكم لطعنكم من الخلف، فبادروا الى أبعادهم عنكم وعدم فسح المجال لهم لتنفيذ مآربهم فبغير الإسلام وشعاراته المقدسة لا يمكن للبلاد أن تتحرر. فانتفاضة تبريز إسلامية، كما هي ثورة كل الشعب الإيراني، وأجهزة اعلام النظام تحاول خداع الرأي العام عبر الادعاء بأنها ماركسية! أو من فعل اتباع ما يسمى بالماركسية الإسلامية! وهو دليل واضح على أن هؤلاء لا وجود لهم في إيران، وإلاّ لما عمدت أجهزة الإعلام الى طرح إسمهم.**

**على الجميع، بمختلف اتجاهاتهم وانتماءاتهم، أن يعلموا أن النصر مستحيل إلاّ بالاعتماد على الإسلام والاستظلال براية التوحيد والقرآن. ولأن النظام يسعى الى تشويه سمعة الثورة عبر نسبها الى كتل منحرفة لا وجود لها بين فئات الشعب، فإن على جميع المجموعات السياسية وفئات المثقفين أن تعلن ـ وبكل صراحة ووضوح ـ انتهاج طريق الإسلام والسعي لتطبيق قوانين العدالة القرآنية، وأن يلتحقوا بفئة العلماء والعمال وعموم الشعب، وبذلك سيفوّتون الفرصة على الأجانب الذين ينفذون هذه الأحابيل على لسان الشاه. وفي غير هذه الحالة، فإن إلصاق أسماء الماركسية أو الماركسية الإسلامية سيعزل هذه الفئات الصغيرة عن باقي أبناء الشعب الذين يشكلون السواد الأعظم)[2].**

**وقد عملت توجيهات الإمام وتعليماته، واستجابة الأمة وأعلان استعدادها لأداء الواجب، على ظهور حالة وحدة وتلاحم ووعي عمت الشعب كله، وكان ذلك ضرورياً لدفع مسيرة الثورة نحو الهدف المرسوم لها. وقد وقف النظام الشاهنشاهي وحماته أمام هذا الوضع عاجزين عن فعل شيء.**

**4ـ وفاة نجل الإمام بطريقة غامضة:**

**كان العالم المجاهد السيد مصطفى الخميني الابن الأكبر للإمام وأحد سواعده المهمة، إذ اعتقل بعد نفي والده ثم نُفي أيضاً ليلتحق بالإمام في تركيا، ومن هناك رافقه في هجرته الثانية الى النجف ولم يبتعد عن والده الذي كان يخوض من هناك جهاده المرير، يوماً واحداً، كان شاباً متحمساً ذا شخصية قوية، لا يقبل المهادنة، عالماً في الدين وخبيراً في السياسة، وكل ذلك جعل منه مصدر خطر على النظام.**

**وفي أحد الأيام، وجد في غرفة نومه وقد فارق الحياة دون أن يعاني من مرض أو عارض صحي، ولما كان الناس يدركون أن الساواك قد بدأ يستعمل أساليب غامضة وسرية في التخلص من المعارضين[3]، فقد اعتبروا موت السيد مصطفى لا يخرج عن تلك الممارسات الاجرامية، فأقيمت في داخل إيران مجالس التأبين والتعزية لدرجة أثارت حفيظة النظام ودفعته الى إبداء رد فعل حيال ذلك.**

**5ـ مقال صحيفة اطلاعات:**

**في يوم السبت 7 كانون الثاني 1978(المصادف 27 محرم 1398) نشرت صحيفة اطلاعات مقالاً بعنوان (إيران والاستعمار الأحمر والأسود) تحت اسم مستعار هو (أحمد رشيدي مطلق) تضمَّن إساءة مباشرة وصريحة الى آية الله الخميني، فقد جاء فيها (الخميني هو الوحيد الذي نهض بتحريض من الاقطاعيين لمعارضة الحكومة والقوانين والثورة البيضاء التي تتماشى مع الإسلام! أما العلمءا الآخرون فهم يؤيدون هذه القوانين ويحظون بالمقابل بالاحترام المطلوب)!**

**وقد عمل كاتب المقال ـ وبكل وقاحة ـ على إلصاق صفة حب الشهرة وعدم الإيمان، بالإمام الذي نذر نفسه وحياته وكل وجوده لخدمة الإسلام والأمة، فهو يصفه بـ(الشاعر العاشق) و(عميل الاستعمار) و(السيد الهندي)!!..الخ.**

**وقد تزامن نشر هذا المقال في 7 كانون الثاني، مع احتفالات (حرية المرأة) وكشف الحجاب، كما جاء بعيد الضجة التي أثيرت في البلاد ومجالس التأبين التي أقيمت على روح الشهيد السيد مصطفى الخميني.**

**وقد كان النظام يعرف جيداً مصدر الخطر الذي يهدده، ويعرف دور الشخصية القوية الحازمة التي تقود الشعب المسلم راسخة الخطى فقد أدرك النظام أن نفي الإمام لم يؤدِ الى عدم انفضاض الناس من حوله فحسب، بل رسَّخ من قيادته للأمة وكشف للعيان ما كان يحذّر منه الإمام من قبل، فادعاءات الشاه الفارغة فيما يخص ثورته البيضاء، ظلت مجرد شعارات جوف.**

**كما أن الهيمنة الأمريكية على مقدرات البلاد وصلت الى درجة أن الساسة الأمريكيين يفرضون على الشاه عنوةً، انتهاج سياسة الانفتاح السياسي الداخلي! التي قبلها مضطراً خوفاً على عرشه.**

**فقد كانت أمريكا تتوخى من سياساتها الجديدة نزع فتيل الأوضاع المتفاقمة داخل دول مثل إيران، لتبقى الأنظمة في محلها، وتستمر الهيمنة الأمريكية دون منغصات، ولأجل تنفيذ هذه السياسة، توجّب على الشاه اتباع اسلوبين متزامنين:**

**الأول: فسح المجال لتجار السياسة وعشاق المناصب، للنزول الى ميدان السياسة وإبراز اسمائهم ومعارضتهم للنظام، والسماح لهم بالدفاع عن حقوق السجناء وتوجيه الاتهامات ضد أعضاء الحكومة وكتابة مقالات تهاجم بعنف سياسات الشاه.**

**والثاني: العمل على توجيه حرابه صوب القائد الحقيقي للثورة، وقذفه بشتى التهم وتشويه سمعته ومحاولة فض الناس عنه.**

**فقد تصور النظام أن بإمكان مقال صحيفة اطلاعات وأمثالها ثني الحوزات العلمية عن مواصلة نهج الخميني، وقد كان هذا المقال بداية تطبيق هذه السياسة، لكنها سرعان ما اعطت نتائج عكسية تماماً.**

**6ـ اصداء المقال:**

**واجه هذا المقال المشين ردود فعل عنيفة في أرجاء إيران، كان اسرعها في مدينة قم التي عمتها موجة غضب عارم جعل المدينة تعيش في وضع غير عادي. ففي اليوم التالي لصدور الصحيفة جرى تعطيل دروس الحوزة وصلوات الجماعة والمجالس العامة واحتشد الناس في مدرسة (خان) كما تدفقت جموع أخرى باتجاه بيوت العلماء الكبار. وكانت الجموع تنتقل بين بيوت المراجع الكبار لتستمع منهم الى صوت الاحتجاج والغضب، وهكذا استمرت هذه الحالة حتى العصر[4]، وعند المساء احتشدت الجموع الغاضبة في (المسجد الأعظم) وهتفت (يعيش الخميني) و(الموت لحكومة بهلوي) كما مزقوا نسخاً عديدة من صحيفة (اطلاعات) ولدى خروج الجموع من المسجد هاجمتها قوات الشرطة وتحول الأمر الى صدامات عنيفة انتقلت الى باقي شوارع المدينة.**

**7ـ الاثنين الدامي في قم:**

**يوم الاثنين 9/1/1978، تجمع طلاب العلوم الدينية منذ الصباح الباكر أمام مدرسة (خان) وميدان الروضة المقدسة في قم المقدسة. وقد زاد اغلاق الأسواق من حجم الحشود المتجمعة. بعدها اتجهوا الى منزل أحد العلماء، وواصلوا تنقلهم بين منازل العلماء حتى الظهر، وقد قامت قوات الشرطة باستعراض عضلاتها أمام الناس في عدة شوارع. وبعد ظهر ذلك اليوم، كانت الحشود الغاضبة تتصدى بصدورها لرصاص قوات الحرس الملكي والشرطة.**

**يقول مؤلف كتاب (انتفاضة صناع الملاحم في قم وتبريز) ـ بالفارسية ـ في وصفه للحادث: (... تجمع بالقرب من مركز الشرطة في ميدان فاطمي بقم عدداً كبيراً من قوات الحرس الملكي كما سدّوا الشارع بعدة سيارات للشرطة. كانت جموع الشعب تتدفق في شارع صفائية، والمدارس معطلة وكذلك المحلات التجارية. التظاهرات لم تقتصر على طلبة العلوم الدينية بل إن عامة الناس كانوا يشكلون غالبية المتظاهرين، حتى النساء اشتركن في التظاهرة وكذلك طلاب المدارس. وعندما واجهوا الموانع وسط الشارع، لجأوا الى الرصيف. وهنا قام الجلاوزة بتمثيل سيناريو خبيث، إذ قام أحدهم بتحطيم زجاجة البنك المجاور كما رمى اثنان آخران منهم حجرتين باتجاه الزجاج المتبقي فحطماه، وبذلك اختلقوا ذريعة لمهاجمة الناس. فبدأوا يضربونهم بالهراوات بقسوة، فلجأ الناس الى الأزقة وبدأوا باطلاق الشعارات، كما حملوا الحجارة ليدافعوا عن أنفسهم. واستمر الجلاوزة يطلقون النار في الهواء مدة خمس ساعات.**

**الناس حطموا يافطة المكتب المركزي لحزب رستاخيز في تلك المنطقة، وقد سقط عدد منهم مضرجين بدمائهم فحمل المتظاهرون أجسادهم وتعالت هتافات (لا إله إلا الله) بينما إطلاق الرصاص كان لا يزال مستمراً. المتظاهرون كتبوا بدماء الشهداء والجرحى المسفوكة عبارة (السلام على الخميني)، وقد استمر اطلاق الرصاص حتى الساعة التاسعة ليلاً. أعداد كبيرة من الجرحى والمتظاهرين هربوا طلباً للنجاة، حيث اختبأوا في البيوت القريبة.**

**وفي العاشر من كانون الثاني حصلت صدامات أيضاً، لكن الاضراب العام جعل المدينة تعيش في صمت مطبق.**

**وقد انتقل خبر مذبحة قم الى باقي المدن وأدى الى مصادمات وحوادث عنف في اصفهان ومشهد ونجف آباد مصحوبة باضراب عام استمر عدة أيام. أما في طهران فقد اصدر العلماء بياناً حول هذه الحوادث.**

**ولم يعرف بالضبط عدد الشهداء في حوادث قم، فقد ذكر بعضهم أنه يترواح بين 80 و90 شخصاً. وهكذا التحقت حوادث 9 كانون الثاني 1978 في قم بحوادث 5 حزيران 1963 وذكراها السنوية في عام 1975 وأكدت من جديد أن الانتفاضة مستمرة.**

**وقد كانت تلك الحوادث خبر جواب على حملة الإعلام الواسعة التي شنها النظام ضد الحوزة والعلماء وحاول من خلالها تشويه سمعة النهضة الإسلامية، فعقب هذه الحوادث تم نفي عدد من العلماء الى مناطق اخرى من البلاد، كما أدت الى موجة احتجاج في الجامعات تطورت الى إضراب وتظاهرات ومهاجمة مراكز الحكومة والشرطة.**

**الصحافة العالمية تناقلت أنباء هذه الحوادث وقد دفعت الاضطرابات في الجامعات الحكومة الى إغلاق أغلب الجامعات بشكل رسمي. كما بدأت حالة السخط الحوزوي والعلمائي والجماهيري على الشاه يتخذ أشكالاً جديدة. كما عطلت الحوزة العلمية في النجف الأشرف (العراق) دروسها، وأصدر آية الله الخميني وآية الله الخوئي بيانات بهذا الشأن، وفي باقي البلدان الإسلامية مثل سوريا ولبنان والكويت وافغانستان والباكستان أعلن أساتذة الجامعات وطلبتها تضامنهم مع الشعب الإيراني.**

**8ـ حوادث تبريز:**

**شدهت مدينة تبريز مركز محافظة آذربايجان الغربية شمال غربي البلاد حوادث كبرى في ذكرى أربعينية حوادث قم فقد أعلن علماء تبريز يوم 18 شباط 1978 حداداً عاماً بهذه المناسبة، وأكدوا تضامنهم مع أهالي قم، كما أعلنوا عن إقامة مجلس تأبين كبير. وصباح ذلك اليوم تدفقت جموع الشعب بمختلف فئاته صوب مسجد المدينة الكبير لكن قوات الشرطة التي كانت تحيط بالمسجد منعت الجموع الغاصبة من دخوله، وعندما احتشد الناس وازدادت أعدادهم تدريجياً، لجأت الشرطة الى اخافتهم عبر اطلاق النار في الهواء لكن الجموع ردت على ذلك باطلاق هتافات (يعيش الخميني) ومهاجمة الشرطة، فاحرقوا دراجاتهم البخارية وسياراتهم كما هاجمت الجماهير الغاضبة البنوك وحطمت زجاجها واحرقت عدداً منها، بعدها هاجمت محلات بيع الخمور ودور السينما ومقر حزب رستاخيز وأحرقت حوالي 15 سيارة تابعة له. وفي عدة مناطق من المدينة، قامت الجماهير بتحطيم صور الشاه وزوجته وابنه المنصوبة في الساحات والشوارع، وأحرقت كل سيارة عسكرية وجدتها في طريقها.**

**وقد فقدت الشرطة القدرة على السيطرة على الموقف، فنزلت قوات الدرك المدعومة بالدبابات الى الشوارع، أما الناس فكان سلاحهم الحجارة فقط. فبدأت أصوات الرصاص تسمع في أرجاء المدينة، واستمرت المواجهة حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً. الحكومة أعلنت الأحكام العرفية في المدينة، والمستشفيات امتلأت بالشهداء والجرحى.**

**أما حكومة (جمشيد آموزغار) فقد ادعت بأن أيدٍ أجنبية تقف وراء حوادث تبريز، وذهب رئيس الوزراء أبعد من ذلك عندما ادعى بأن المتظاهرين في تبريز جاءوا كلهم من خلف الحدود (ويعني روسيا!). وقد سعت الحكومة الى سلب النهضة أصالتها الدينية، فقد أدعى الشاه في مقابلة مع الإذاعة البريطانية أن حوادث قم وتبريز جاءت نتيجة لـ(اتحاد غير مقدس بين الشيوعيين وأشخاص رجعيين جداً).**

**9ـ حوادث يزد في أربعينية شهداء تبريز:**

**لم يحتفل أبناء يزد في ذلك العام بأعياد الربيع التي تبدأ في 21 آذار وتستمر مدة 15 يوماً، وذلك اتباعاً لتعليمات قائد الثورة وتوجيهاته. فقد استعد أبناء هذه المدينة لإحياء ذكرى شهداء تبريز البطلة. وفي 30 آذار أقيم مجلس تأبين حاشد في (الروضة المحمدية) وفي نهايته، خرج الناس الى الشوارع وهم يهتفون (الله أكبر) و(لا إله إلا الله) و(يعيش الخميني) و(الموت للشاه). وخلال مسيرة التظاهرة، قام الناس بتحطيم زجاج عدة بنوك ودور سينما ومحلات لبيع المشروبات ومراكز حزب رستاخيز.**

**وفي اليوم التالي، أمضت المدينة اضراباً شاملاً بدعوة من آية الله صدوقي، وتجمع الناس في المسجد ليخطب فيهم العلماء مطالبين بإعادة الإمام الخميني الى البلاد وإطلاق سراح السجناء السياسيين ـ وعلى رأسهم العلماء ـ وإنهاء الحكم الدكتاتوري. وفي ختام الاجتماع الحاشد، خرجت جموع الناس الى الشوارع أيضاً في تظاهرة احتجاجية فتصدت لهم قوات الشرطة والجيش واطلقت عليهم الرصاص، فقُتل عدد منهم وجُرح آخرون وقد لجأ الناس الى الأزقة المحيطة بمحل الاشتباك لكنهم وقعوا في كمين كانت قوات الشرطة قد نصبته لهم.**

**وبعد هذه التظاهرة نفت السلطة عدداً من علماء المدينة الى مدينة ايرانشهر، كنا اعتقلت أعداداً من المتظاهرين.**

**10 ـ شرارات الثورة:**

**بعد نشر مقال رشيدي مطلق في صحيفة اطلاعات، بدأت التساؤلات تثار حول هدف النظام من هذه العملية، وهل إنه فكر بنتائجها أم أنه أراد فقد الاساءة الى الإمام وتشويه سمعته وعزله عن الأمة؟**

**وبتعبير آخر: هل إن أجهزة الأمن كانت تتوقع ما حدث فعلاً من إضرابات واحتجاجات ومع ذلك استهدفت قمع الشعب والعودة الى عهد الاستبداد والكبت الذي ساد إبان 5/ حزيران/ 1963؟**

**هناك من يؤيد هذا الرأي ويستدل عليه بأن الانفتاح السياسي كان قد فُرض على الشاه وكان عليه افتعال حوادث تسوّغ له ترك هذا الانفتاح. فقد كان عليه أن يقنع أمريكا بأن الشعب الإيراني لم يصل بعد الى تلك الدرجة من النضج السياسي التي تؤهله للتمتع بالحرية السياسية! وأن استبدال الكبت والقمع بالانفتاح سيدفع المتعصبين والمتطرفين الى إثارة الفوضى، كما أن الشيوعيين المعادين للغرب سيستغلون هذه الفرصة، وعندها سيكون من الصعب ضمان بقاء إيران في أحضان الغرب. ولهذا فإن الحل الأفضل هو إلغاء عملية الانفتاح السياسي، وهكذا فإن النظام استخدم قضية المقال الصحفي كوسيلة لافتعال هذه الحوادث.**

**كما يستدل بعض مؤيدي هذا الرأي على صحته بأن النظام نفذ جريمة إحراق سينما (ركس)[5] والجمعة السوداء[6] لتنفيذ هذا الهدف، وأن النتائج غير المتوقعة لهذه الحوادث، جعلته يفقد سيطرته على الأمور.**

**وعلى الرغم من أن هذا الرأي لا يخلو من صحة، خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار الاستدلال الذي يتقدم به مؤيدوه، وطبيعة ممارسات أجهزة الأمن التي كانت تُقدم على أي عمل من شأنه الإبقاء على النظام الشاهنشاهي، إلا أننا لا يمكننا قبول هذا الرأي بشكل مطلق. إذ يمكن اعتبار أن الهدف من نشر المقال المذكور هو محاولة الإساءة الى الخميني والتقليل من منزلته، وما دام ذلك لم يتم بالإرهاب والتعذيب والقمع، بل جاء بنتائج عكسية تماماً، فقد لجأ النظام الى أسلوب آخر يتلخّص في تشويه سمعته والإساءة إليه عبر خطة طويلة الأمد من شأنها عزله وتشويه سمعته، وتحويل الأنظار الى مراجع آخرين.**

**وكان المقال الصحفي بمثابة خطوة أولى على هذا الطريق، لكن النتائج العكسية التي ترتبت عليه حالت دون مواصلة هذا السبيل، إذ وقف جميع العلماء ـ حتى الكبار منهم، والذين توقع النظام أن يلتزموا السكوت على الأقل ـ صفاً واحداً مقابل النظام واجراءاته الساذجة. وهكذا ثبت للنظام خطأ جميع حساباته، فوقف الناس، يتحدون الدبابات والبنادق بصدورهم، وكان كل شهيد يسقط يزيد من لهيب الانتفاضة المتصاعدة، وتحوّل الأمر الى ثورة عارمة بعد سنوات من السكوت والكبت.**

**لقد فقدت حكومة (جمشيد اموزغار) السيطرة على الأوضاع ومع ذلك نراها تزعم أن غالبية الشعب تدعم الاجراءات الصارمة التي اتخذتها الحكومة لقمع المعارضة!**

**وستوضح الحوادث القادمة كيف أن الأمة كانت مطيعة للإمام الى حد الإقدام على اجراءات غير عادية، وكان استشهاد كل شخص يزيد الباقين ثورة وحماساً، وقلما نرى ـ على مر التاريخ ـ مثل هذه الدرجة من التلاحم بين الأمة وقائدها.**

**وقد وضحنا فيما سبق أن المدرسة الشيعية تمتلك هذه الأرضية التي تساعد على إقامة حكم إسلامي. وهذا ما دفع المستعمرين ـ على مر العصور ـ للعمل على فصل الدين عن السياسة، وتلويث المفاهيم الإسلامية الصحيحة بمجموعة من الخرافات والمفاهيم الدخيلة.**

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] وفاة الدكتور علي شريعتي في لندن أثارت شريحة كبيرة من المثقفين المسلمين، خاصة وأن هناك قرائن ودلائل كانت تشير الى ضلوع الساواك في قتله. فقد اعتقل شريعتي في إيران مدة عامين هاجر بعدها من إيران مستغفلاً رجال الأمن. أما نظام الشاه، الذي يرى الكثيرون أنه قتل شريعتي، فقد قرر جلب جثمانه الى إيران وإقامة تشييع رسمي له ليستثمر ذلك سياسياً لمصلحته، لكن الجمعية الإسلامية للطلبة الإيرانيين في اوروبا، وعائلة شريعتي وأصدقائه تنبهوا الى هذه اللعبة، وقاموا بتشييع الجثمان في لندن وسوريا، وفضحوا خلال مراسيم التشييع جرائم نظام الشاه.**

**[2] نص الرسالة المطولة نسبياً في صحيفة كيهان بتاريخ 2/8/1978.**

**[3] نلاحظ في عهد الشاه خاصة خلال تعاظم نفوذ الساواك وبطشه عدة وفيات حدثت في ظروف تثير الشك، وقد اعتبرها الناس من فعل الساواك، وهنا نذكر عدة حالات منها:**

**أولاً ـ في عام 1975 أعلن رسمياً أن 9 سجناء قتلوا خلال محاولتهم الهروب من السجن، ولم يصدق الناس ذلك، وقد اعترف الجلاوزة بعد انتصار الثورة بأنهم قتلوا هؤلاء بالتعذيب.**

**ثانياً ـ في عام 1968، إدعي أن صمد بهر نغي، الكاتب القصصي للاطفال وغير المرغوب فيه من قبل النظام، قد غرق في نهر أرس، علماً بأنه كان سبّاحاً ماهراً. وقد اعتبر الناس أن الساواك مسؤولاً عن قتله.**

**ثالثاً ـ في عام1974، أعلن عن وفاة الكاتب والمفكر المعروف جلال آل أحمد، الذي عُرف بتصديه للثقافة الغربية المبتذلة ومُنعت عدة كتب له. وكان يقيم في قريته القريبة من بحر قزوين. وقد اصدر الساواك الأوامر بدفنه على الفور.**

**رابعاً ـ في عام 1971، أعلن عن وفاة الدكتور باقر الكاشاني في حادث سيارة مشكوك في أمره، وكان طبيباً اخصائياً وهو نجل المرحوم آية الله الكاشاني، وكان يخوض جهاداً متواصلاً ضد النظام. وقد اعتبر الكثيرون أن الساواك هو الذي دبّر حادث السيارة، خاصة بعدما حدثت صدامات خلال مراسم تشييعه.**

**خامساً ـ في عام 1966 أعلن عن انتحار بطل المصارعة الإيراني غلام رضا تختي، لكن أحداً لم يصدّق ذلك، خاصة وأنه تعرض من قبل لمضايقات عديدة من قبل الحكومة.**

**سادساً ـ في عام 1969، أعلن عن موت الدكتور حسن أرسنجاني وزير الزراعة السابق. وكان قد عُزل من منصبه عام 1963 ولجأ الى السفارة الإيطالية وكان سبب الوفاة المعلن هو السكتة القلبية لكن الاعتقاد الذي كان سائداً هو أنه قُتل بسبب مهاجمته الحكومة باستمرار.**

**سابعاً ـ في عام 1974، قتل ناصر عامري، الأمين العام لحزب الشعب بسبب انتقاده للنظام. وقد تم القتل في حادث سيارة.**

**[4] خطب آية الله العظمى الگلبايگاني في جموع المتظاهرين قائلاً: (ايدكم الله أيها الطلاب الأعزاء فقد نهضتم بمسؤوليتكم مقابل الإهانة التي وجهت الى مقام العلماء. ولقد كانت وحدتكم وتحرككم في هذا الوقت، حيث يستعد الرئيس الأمريكي لزيارة إيران، ضربة كبرى للنظام الذي يتوخى المنفعة هذه الزيارة. إن هؤلاء كاذبون في ادعائهم أننا نؤيد ممارساتهم).**

**[5] جريمة إحراق سينما ركس ارتكبها نظام الشاه إبان تصاعد لهيب الثورة الإسلامية، حيث بادر أزلامه افتعال حريق مهول فيها أدى الى استشهاد أكثر من (600) شخص من روّادها (المترجم).**

**[6] الجمعة السوداء: مجزرة أخرى ارتكبها النظام قبيل انتصار الثورة الإسلامية بعدة شهور حيث هاجم آلاف المتظاهرين ـ الذين اجتمعوا في (ميدان جاله) وسط العاصمة متحدّين حظر التجول ـ جواً رضا بالذخيرة الحية، وقد أسفرت المجزرة عن استشهاد آلاف المتظاهرين (المترجم).**

**الفصل السابع عشر**

**عام الانتصار 78 ـ 1979**

**بعد سقوط الوزارات الملكية وسفك دماء الشعب**

**نظرة عامة:** **في تاريخ إيران الممتد الى عدة آلاف من السنين، يحتل العام الهجري الشمسي 1357(1978 ـ 1979) منزلة خاصة، بلحاظ الحوادث التاريخية التي شهدها.** **ولا يمكن أبداً مقارنة حوادث هذا العام بالحوادث التي شهدتها إيران من قبل، مثل هجوم الاسكندر على إيران، أو فتح إيران على يد المسلمين وسقوط الساسانيين، أو عام استقلال إيران وانفصالها عن الخلافة المسمّاة (إسلامية)، أو ثورة الدستور وأمثالها، فعلى الرغم من أهمية كل تلك الحوادث، إلا أنها تظل أقل بكثير من حوادث عام 1357هـ.ش من حيث الأهمية والآثار المترتبة عليها في إيران والمنطقة والعالم ككل.** **ففي هذا العالم، تحققت وحدة الشعب الإيراني بشكل لم يسبق له مثيل، حيث انضوت تحت لوائها حتى الأقليات الدينية من اتباع الأديان الأخرى في إيران. والحوادث التي أسلفنا ذكرها لم يكن أيٌ منها نابعاً من إراد الشعب، بل جرت ـ في الغالب ـ بتدخل قوة أجنبية بينما الدافع المحرك لفئات الشعب في عام 1357هـ.ش كان معنوياً دينياً محضاً وليس دوافع مادية ودنيوية، ولهذا رأينا جميع شرائح الشعب وفئاته تشارك في الثورة، وكل منها تعتبر انتصار هذه الثورة انتصاراً لها.** **والعامل الآخر والأهم في انتصار الثورة، هو وجود قيادة متميزة، استطاعت الاستلهام من تجارب 1400 عام من تاريخ الإسلام والتشيُع، دون استخدام الأساليب التقليدية التي تُستخدم في الانقلابات والثورات المعروفة. فالشعارات والهتافات السياسية الإسلامية التي كان يطلقها المتظاهرون، أركعت الحكومة وزلزلت أركان الهيمنة الاستعمارية في أنحاء العالم، مما دفع قوى الاستعمار الى إعادة النظر في أساليبها وسياساتها لمواجهة هذا الخطر الجديد. وسنتناول في هذا الفصل الحوادث التي شهدها العام الهجري الشمسي 1357 (1978 ـ 1979) والتي انتهت بانتصار الثورة الإسلامية.**

**القسم الأول** **من آذار حتى آب 1978م** **1ـ آذار 1978:** **حلول فصل الربيع يحمل في إيران معاني عديدة، واحتفالات الربيع ظلت لقرون عديدة تحمل دلالات وطنية وإسلامية، لكن نوروز عام 1357هـ.ش قد اختلف تماماً، فالاحتفالات اُلغيت بعد صدور بيان للإمام الخميني (قدس سره) واقيمت بدلاً عنها مجالس عزاء واُعلن الحداد العام.** **ولقد لقي هذا الإعلان تجاوباً شعبياً أكثر بكثير مما حدث قبل سنوات من ذلك. فقد صادف أن اقترنت ذكرى أربعينية شهداء تبريز مع احتفالات الربيع، كما شهدت خلاله مدن يزد وكرمان وشيراز واصفهان وجهرم وأهواز تظاهرات صاخبة اقترنت بحوادث قتل متفرقة، وهكذا بدأ العام الإيراني الجديد[1] بغليان شعبي عارم تجسّد في صور مختلفة.** **2ـ أربعينية الشهداء:** **لعبت مناسبات الأربعين التأبينية في عام 1357هـ.ش(1978 ـ 1979) دوراً مهماً في تأجيج جذوة الثورة، وزاد من دور هذه المناسبات وتأثيرها ذكرى عاشوراء وأربعين الإمام الحسين عليه السلام.** **وفي 19 آيار تحولت ذكريات أربعينية الشهداء في عدة مدن الى تظاهرات واسعة ضد النظام.** **كما التحقت عشرات المدن بركب هذه الثورة، وانطلقت شعارات (استقلال ـ حرية ـ حكومة اسلامية) مدوية من ملايين الحناجر. وبالرغم من إطلاق شعارات أخرى مثل (رفع الظلم) و(الخبز والمسكن والحرية) من قبل بعض الأشخاص إلاّ أنها لم تكن تلقى رواجاً، لأنها خالية من نفحات الإسلام ومفاهيمه، وكل شعار من هذا القبيل لم يكن يلقى التأييد.** **فالجماهير التي كانت تشيّع أجساد شهدائها من المساجد لم تكن تعير أية أهمية للمسكن أو الخبز والرفاه الدنيوي، لذلك لم تكن تكثرث بهذه الشعارات.** **والذين كانوا يتصورون أن ثورة طبقية قد تفجرت سرعان ما أدركوا أنهم على خطأ كبير، وأن الذي يحصل هو نهضة إسلامية لا يمكن حرف مسيرتها بأي سلاح أو قوة أخرى، ولهذا اضطر هؤلاء ـ على الرغم من عدم إيمانهم ـ الى الإنضواء تحت لواء هذه النهضة وشعاراتها الإسلامية وقائدها الإمام الخميني (رض). فهؤلاء لم يشاركوا في الثورة عن إيمان وعقيدة، بل إن مصالحهم هي التي إقتضت ذلك.** **3 ـ (5حزيران) 1978:**

**لعبت الذكريات السنوية لحوادث الأعوام السابقة دوراً كبيراً في تأجيج لهيب الانتفاضة الشعبية وترسيخها أكثر فأكثر. ففي ذكرى مجزرة 15 خرداد (5 حزيران 1963)، عم البلاد اضراب عام، فبقي الناس في بيوتهم في عملية احتجاج صامتة. وقد أثبت ذلك أن الجهاد له أشكال مختلفة، فتارة بالهتاف وأخرى بالصمت العام، فكل ذلك كفيل بعزل الحكومة عن الشعب، وسير الأمة نحو الوحدة والتلاحم.** **4ـ (15 شعبان) 1398 ـ 21 تموز 1978:** **تحظى مناسبة النصف من شعبان ـ ذكرى ميلاد الإمام المهدي (عج) ـ بأهمية كبرى لدى الشعب الإيراني المسلم، ففيها تقام الاحتفالات، وتُزيَّن الشوارع والأزقة والبيوت. لكن هذه المناسبة اتخذت عام 1398 (1978) طابعاً آخر، فقد دعا الإمام القائد الأمة الى عدم الاحتفالات في مبادرة احتجاج ضد الحكومة بينما بادرت الجهات الحكومية الى تزيين بعض المؤسسات الرسمية ومراكز الشرطة!** **وقد بادرت (الجبهة الوطنية) المؤلفة من عدة أحزاب صغيرة جداً للعودة الى الساحة السياسية في هذه المناسبة عبر تأسيس مجلس مؤقت للقيادة[2]. فقد أحسوا أن البلاد مقبلة على تطورات مهمة، لكنهم كانوا يجهلون طبيعة هذه التطورات بالتحديد، إذ تصوروا أن الانفتاح السياسي الذي يدعمه كارتر هو الذي دفع الأمة الى النضال، وعليهم استثمار هذه الفرصة لكسب أعضاء جدد وفتح عدة مراكز وعمل مقابلات صحيفة عند الحاجة.** **5ـ شهر رمضان وبيان الإمام (قدس سره):** **شهر رمضان كان دائماً مناسبة لتجمع المسلمين، والمسجد هو مكان العبادة، ولم تجد الأمة أفضل منه قاعدة للجهاد. فقبل حلول شهر رمضان المبارك في ذلك العام، كان الإمام قد أعدّ برنامجاً كاملاً لذلك، فأصدر بياناً من ثمانية بنود حدّد فيه مسؤوليات الفئات المجاهدة، وخاصة شريحة الخطباء والوعاظ الذين انطلقوا يفضحون إجراءات النظام وسياساته المعادية للإسلام والأمة، ويدعون الناس للعودة الى مبادئهم الإسلامية الحقة.** **وقد أثار ذلك حفيظة أزلام النظام فراحوا يصعدون من مهاجمتهم للمساجد وقمعهم للخطباء وحشود الناس[3]، بينما أطلق الإمام صرخته المدوية، داعياً الى مواصلة الجهاد والدفاع عن الحق والإسلام، مؤكداً أن ذلك من أكبر العبادات. وكانت شيراز واصفهان من مراكز الغليان الشعبي العارم في هذا الشهر، وقد أصدر الإمام بياناً تاريخياً جاء فيه:** **بسم الله الرحمن الرحيم** **تفيد التقارير الواردة من إيران أن النظام يواصل مجازره في المدن الدينية واصفهان وشيراز، ليقدم مصاديق جديدة على جرائم الشاه التي لا تعرف الحدود. ويقال إن الشاه قال في أحد أحاديثه الصحفية التي حِيلَ دون نشرها: إنني سأدمّر إيران ثم اغادرها. وقد أثبتت الجرائم الأخيرة أنه يقوم الآن بتنفيذ ذلك.** **إن الشعب الإيراني يدرك جيداً أن الشاه هو السبب وراء كل ما يعانيه، وكل ما حل بالبلاد من مصائب ولن يتخلى هذا الشعب عن جهاده حتى ينتصر وينال استقلاله وحريته.** **إن على الشعب أن يعلم أن الشعوب الحرة لم تنل حريتها بسهولة، والنبي الأكرم (ص) ظل يواصل جهاده ضد الظالمين حتى الرمق الأخير، بالرغم من كل المصاعب التي عاناها في هذا السبيل، وأمير المؤمنين قضى عمره في سبيل الجهاد ضد الطغاة والظالمين الذين كانوا يدعون الإسلام.** **إنّ الدفاع عن الحق والإسلام هو من أكبر العبادات.. دعوهم يلطخون معابدنا بالدماء في هذا الشهر المبارك وليغلقوها، فإن المسلمين سيضاعفون عبادة الله في هذا الشهر الشريف.** **ووفقاً للأخبار الواصلة، فإن العلماء الأعلام في شيراز اعلنوا في بيانهم أن عدد الشهداء بلغ العشرات والجرحى يعدّون بالمئات. فقد هاجم أزلام الشاه المسجد وقتلوا وجرحوا الناس العزّل فيه ثم أحرقوه.** **كما أن مذبحة أصفهان الوحشية تبعث على الألم والأسى، فأهالي هذه المدينة يُمنعون ـ وتحت قوة السلاح وباسم الحكم العسكري ـ من عقد أية اجتماعات دينية، ولا يحق لهم حتى إبداء وجهات نظرهم.** **إن على العسكريين وأصحاب المناصب الحكومية أن يعلموا أن المجازر التي يأمرهم النظام بارتكابها لن تؤدي إلا الى تشويه سمعتهم وجلب العار لهم. الى متى يواصل ضباط الجيش والشرطة والدرك إصدار أوامر قتل الأخوة فيتم تنفيذها بواسطة مجموعة من الجلاوزة المغفّلين، دون أن يعترضوا على ذلك؟** **من أجل من تفعلون هذا؟ من أجل إنسان يواصل تشديد الضربات لإسلامكم وشرفكم وحريتكم ويهدر كرامتكم أمام العالم ويصوركم على أنكم خدم مطيعون تنفّذون كل عمل قبيح للحصول على رواتب تافهة؟** **أمن الإنسانية أن تحدث كل يوم مجازر بحق الأبرياء بأيديكم أنتم أو بأيدي من لا تملكون حق الاعتراض عليه؟** **إنكم وبذريعة إطاعة الأوامر تقومون بقتل أخوتكم في الدين، ولكنكم أنتم مسؤولون عن ذلك فضلاً عن الشاه.** **أنكم ـ وبحكم الأمر الإلهي ـ يجب أن تعلنوا العصيان وعدم إطاعة أوامر الظالمين بالقتل والظلم، لا تشتروا جحيم الدنيا والآخرة بقتلكم إخوتكم، فأين الآباء والأمهات الثكالى بفقد أبنائهن الشباب سيقضّ مضجعكم. إنهن امهاتكم أنتم، هل فكّرتم أنكم تجلبون ـ بكّل رصاصة تطلقونها ـ الأسى والألم لعائلة واحدة على الأقل؟ توبوا الى الله بأسرع وقت والتحقوا بصفوف جيش الحق، واطمئنوا بأن الفوز سيكون من نصيبكم في الدنيا والآخرة.** **يا ضباط الجيش الإيراني وقادته!** **أدّوا دينكم للإسلام والمسلمين ولا تركنوا للذل أكثر من هذا. على جميع الشرائح الإسلامية من علماء وخطباء وطلاب وجامعيين وشباب وتجار وعمال وفلاحين واعين وأحزاب سياسية، أن تبادر الى توعية مراتب الجيش والشرطة والدرك واطلاعهم على الواقع، ودعوتهم للمشاركة في عملية الثورة وإنقاذ الشعب من شر هذا الظلم والحيلولة دون استمرار تقتيل النساء والأطفال والشباب والشيوخ ودون التضحية بالإسلام من أجل إشباع شهواته.** **وإنني، وفي أيام عمري الأخيرة، أمدّ يدي بتواضع الى جميع المجموعات التي تجاهد من أجل إقامة الإسلام وتطبيق شرائعه التي هي الطريق الوحيد لسعادة البشر، والضمانة الأكيدة لحرية إيران واستقلالها عن الاستعمار القديم والجديد، وأطلب العون من الجميع.** **إنّ هذا الشخص قد عقد العزم على محو الإسلام، ويتظاهر بمختلف الحيل والأكاذيب بتأييده للإسلام والأمة.** **واليوم، حيث الشعب الإيراني الشجاع (ايده الله تعالى) قد أدرك أحابيل النظام ودسائسه، ونهض بوجهه عن وعي وإدراك كاملين، فإن على فئات المفكّرين من كتّاب وخطباء أن يضعوا يداً بيد، ويكشفوا جرائم النظام بحق الشعب المظلوم. على الطلاّب والجامعيين الأعزاء في أنحاء إيران وكذلك الجامعيين الملتزمين خارج إيران فضح جرائم هذا العنصر الخطير في أنحاء العالم، واطلاع جميع الشخصيات الحرة على الظلم الذي يتعرض له الشعب الإيراني، ومطالبتهم بتقديم الدعم لإنقاذ إيران من مخالب الاستعمار العالمي.** **على جميع الفئات ترك الخلافات الهامشية والنهوض صفاً واحداً لإنقاذ انفسهم واستخدام كل الوسائل المتاحة للقضاء على هذا المفسد في الأرض، فالسكوت مقابل هذا الظالم يعتبر مخالفة لمصالح الإسلام وسيرة الأنبياء العظام والأئمة الأطهار(عليهم السلام).** **إن كل ما يحرف الشعب الإيراني الشريف عن نهجه الأساس اليوم إنما هو من عمل الشيطان.** **إنني أقدّم هنا التعازي لأهل البيت (عليهم السلام) وعموم المسلمين وخاصة المؤمنين في شيراز واصفهان (أيدهم الله تعالى) والى ذوي الشهداء الأبطال، وأعتبر نفسي شريكاً لهؤلاء في عزائهم.** **آمل أن يواسي أهالي باقي المدن، أهالي هاتين المدينتين الكبيرتين (اصفهان وشيراز) وأن يشاركوا سكانهما العزاء والحزن. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).**

**روح الله الموسوي الخميني** **8 رمضان 1398**

**6ـ حالة الطوارئ في ظل حكومة آموزغاز:** **مرت حكومة آموزغار بمرحلة صعبة في ظل ما سمي بالانفتاح السياسي، وكانت تسعى لاجتياز الأزمة مستعينة بما لديها من أجهزة أمنية للحفاظ على كيان النظام، لكنها فقدت السيطرة على الأمور خلال شهر محرم، وأصبح الوضع في اصفهان حرجاً لها، فالتظاهرات مستمرة وهجمات عديدة وقعت على أكبر فندق في المدينة يدعى فندق (شاه عباس) وعدد من دور السينما والمصارف والدوائر الحكومية التي اُحرقت على يد الجماهير الغاضبة، كما أسفرت الحوادث عن مقتل عدد من أعوان السلطة، وهنا بدأ الخطر يتهدد أرواح الخبراء الأجانب وخاصة الأمريكيين منهم. وقد أدى الأمر الى اعلان الحكم العسكري في مدن اصفهان ونجف آباد وشهرضاوهمايون شهر.** **وقد كان إعلان الحكم العسكري بمثابة دليل على ضعف النظام مقابل هذه الحوادث حيث استثمر قائد الثورة هذا الوضع ليصدر في 17 آب عام 1978 بياناً دعا فيه الى مواصلة الجهاد المرير حتى الإطاحة بالنظام الملكي وإقامة حكومة إسلامية.** **7ـ فاجعة إحراق سينما ركس:** **لهيب الثورة كان قد تصاعد واتسعت رقعته، والاجراءات الحكومية لم تكن تجدي نفعاً، لهذا اضطر الشاه الى مواصلة الانفتاح السياسي وربما لم يكن باستطاعته التخلي عن ذلك، ففي 19 آب تحدث عن خدماته التي قال إنها ستوصل إيران الى الحضارة الكبرى في المستقبل وقارن ذلك بـ (مخاوف بعض الناس) ويعني بذلك بيانات الإمام التي كانت تدعو الى مواصلة الجهاد.** **وفي اليوم التالي لقي المئات من الناس حتفهم (بين 400 و700 شخص) في حريق شب في سينما ركس بمدينة آبادان، احترقوا حتى تفحمت أجسادهم وكان بينهم عدد كبير من النساء والأطفال، حيث هزت هذه الفاجعة إيران كلها، وكانت فاجعة كبرى لان نظير لها. ولم يكن عدد كبير من الناس يعتقد بضلوع الحكومة بهذه الجريمة حتى بعد أيام من وقوعها، حيث حاول النظام استغلالها لتوجيه ضربة الى المتمردين الإسلاميين من خلال اتهامهم بها والادعاء بأن ذلك نابع مما يسميه بهلعهم الكبير، لكن النتيجة جاءت عكسية تماماً.** **فقد انتشرت بين الناس تفاصيل الحادثة من قبيل اقفال أبواب خروج الناس من السينما وطبيعة المواد الحارقة والتأخر عشر دقائق في استدعاء سيارات الاطفاء وخلو صنابير الإطفاء من المياه في مدينة تضم أكبر مصفاة للنفط في العالم، وقرب السينما من مقر الشرطة وغيرها من المؤشرات والآراء المطروحة من قبل الخبراء والتي نبهت الناس الى ضلوع الساواك والشرطة في الجريمة المروعة التي استهدفت بث الرعب في قلوب الشعب.** **وقد كانت الفضيحة من السعة والوضوح بحيث لم يقبل الناس أي توضيح أو تسويغ لها وقد أدى ذلك الى اصطدام كثير ممن كانوا بعيدين عن السياسة، ويصفون المعارضين بالمخربين، بالواقع، الأمر الذي غيّر كل أفكارهم ونهجهم، ومنذ ذلك الحين بدأت الأنظار تتوجه الى الحكومة كلما حدثت جريمة أو مجزرة أو اعتداء همجي.** **وهكذا التحقت خوزستان بركب الثورة.** **وفي الحادي والعشرين من شهر رمضان عمت مدن البلاد وخاصة مدن خوزستان تظاهرات عارمة، فقد أدرك الجميع أن فاجعة سينا ركس كانت من تدبير الشاه أما وكالة الأنباء الإيرانية فقد نسبت الجريمة الى من أسمتهم بـ (المخربين) وادّعت أن عشرة أشخاص اعتقلوا بتهمة ضلوعهم في الحادثة.** **لقد تعدت قضية سينما ركس حدود إيران، الى أنحاء العالم لتصبح الخبر الأول في تلك الأيام، مما جعل بقاء حكومة اموزغار في الحكم أمراً مستحيلاً.** **8ـ سقوط حكومة آموزغار:** **التظاهرات والمسيرات التي اعقبت فاجعة سينما ركس في آبادان، كانت مؤشراً على تصاعد موجة السخط الشعبي، ولم يكن بأمكان حكومة آموزغار أن تفعل أي شيء، وساد الاعتقاد بأن إقالتها قد تؤدي الى تهدئة الأوضاع[4]. وأخيراً،سقطت الحكومة في نفس اليوم الذي نشر فيه آموزغار في الصحف تقريراً بأعمال حكومته خلال عام وقدم خطة عمل للمستقبل.**

**القسم الثاني:** **من منتصف آب حتى اوائل تشرين الثاني 1978** **1ـ حكومة الوفاق الوطني:** **مجيء شريف إمامي الى الساحة أعاد الى الأذهان حوادث عام 1960م عندما أراد لعب نفس هذا الدور، لكن يبدو أن ظروف عام1978 كانت تختلف كثيراً عن ظروف عام 1960، إذ لم يعد باستطاعة هذا الماسوني القديم خداع الناس بالألفاظ والعبارات المنمقة، فقد بادر شريف إمامي الى التعريف بأصله ونسبه، وأكد أنه يقلّد شريعتمداري، كما ألغى التاريخ الشاهنشاهي المتبع آنذاك، وأمر بإغلاق اندية القمار كلها، ووعد بمعاقبة المستغلين، ومنح الحرية للصحافة والقيام بمصالحة وطنية[5]!** **ولكن هل كان بإمكان أحد نسيان تاريخ وممارساته وفضائحه السابقة في مجلس الشيوخ ومؤسسة بهلوي؟ بالطبع لا. وهذا ما أدركه شريف إمامي بنفسه، فبادر الى لعبة جديدة عندما بدأ يعلن أ،ه اليوم ليس كما كان قبل عشرين عاماً! وأنه (عقد العزم على تغيير الأوضاع)[6]، ولكن من كان بإمكانه تصديق هذه الادعاءات، فحتى الناس العاديين كانوا يدركون جيداً أنه أحد أزلام النظام الفاسد وأداة لتنفيذ سياسات الأجانب في البلاد.** **فقد تصور أن بامكانه خداع الجميع، وفتح قنوات مع العلماء، والتظاهر بأنه مقلد ومطيع لهم. وهكذا بدأ ـ وبمساعدة علي اميني[7] ـ بترديد عبارة أن العلماء لا يريدون سوى احترامهم، وأن الحكومات السابقة لم تراع ذلك كما بدأت تُنشر مقالات حول معاناة آية الله الخميني، وظل أميني يعد بأن ينهي(سوء التفاهم)! الحاصل بمجرد التقائه بالإمام ويكرّر دائماً بأن (الخميني عانى كثيراً لكن اخلاقه السامية كفيلة بإنهاء المشكلة وإعادة البلاد الى الحالة الطبيعية).** **وقد كان بعض أزلام النظام وأبواقه يأسفون لعدم تولي علي أميني منصب رئيس الوزراء وهو الذي يملك كل هذه الكفاءات! كما أخذوا يقارنون بين كفاءة شريف إمامي وعلي أميني في عام 1961، وأن (خطأً قد حدث آنذاك، فلو كان أميني أو صديقي أو سنجابي قد تولى مهام المسؤولية آنذاك لاستطاع إنهاء الأزمة وإعادة الهدوء الى البلاد لصالح بقاء النظام واستمراره، وأن الشاه قد تأخر في هذا الإجراء وضيّع بذلك فرصاً عديدة)!** **لكن حكومة شريف إمامي لم تستمر حتى لثلاثة أشهر بالرغم من كل الجهود التي بذلتها الشبكات الماسونية السرية.** **2ـ صلاة عيد الفطر:** **صادف عيد الفطر في عام 1398 هـ يوم 4 أيلول 1978م، وكان طبيعياً أن تشهد صلاة العيد تجمعاً حاشداً للمصلّين الذين تدفقوا من أنحاء طهران منذ الصباح الباكر، باتجاه منطقة قيطرية في شماء طهران. وقد سعى الشهيد الدكتور مفتح ـ الذي كان علماً من أعلام الثورة في الداخل ـ الى إقامة هذه الصلاة بأبهى ما يمكن. وتحول زحف الناس باتجاه قيطرية الى مظاهرات مليونية عمّت أغلب شوارع طهران، وجسّدت ـ بوضوح ـ درجة التلاحم الشعبي.** **ووقفت الجموع الغفيرة للصلاة صفاً واحداً، مجسدةً عمق الروح الإسلامية، ومدى الغضب الشعبي ضد النظام الذي لم يكن باستطاعته التصدي لهذا الاستعراض الشعبي الديني، وقد سلب هدوء الجموع ونظامها الدقيق الحكومة أي ذريعة للتصدي لهم. وهكذا كانت تلك الصلاة خطوة ناجحة عادت بالنفع على الأمة المنتفضة على النظام.[8]** **وقد شجع نجاح هذه التظاهرات والمسيرات الأمة على تكرار هذه التجربة ي نفس الفترة، فأعلنت الحداد وإقامة المسيرات بمناسبة استشهاد جمع من الناس على يد أزلام السلطة.** **3ـ الجمعة السوداء (17 شهريور 1357 ش ـ 8 أيلول 1979م):** **لم يكن قد مضى على تشكيل حكومة (الوفاق الوطني) أكثر من 15 يوماً، عندما أقدم النظام على ارتكاب إحدى أكبر الجرائم في التاريخ وذلك في ميدان جاله(ميدان الشهداء حالياً) بطهران واستشهد خلالها الآلاف من أبناء الأمة. فقد ايقن الناس ـ وبعد المسيرات المليونية عقب عيد الفطر ـ أن السلطة لا تنوي مهاجمة المظاهرات السلمية والهادئة، فقرروا الخروج يوم 8 أيلول بمسيرات ضخمة، بدأت منذ الصباح الباكر.** **وفي نفس اليوم أعلنت السلطة الأحكام العرفية في طهران و12 مدينة أخرى منذ الساعة السادسة صباحاً، وراحت السلطة العسكرية تصدر البلاغات الواحد تلو الآخر، وهي تهدد الناس وتتوعدهم بالاجراءات الصارمة.[9]** **وقد اعاد النظام بهذه المذبحة الى الإذهان جريمة (15 خرداد ـ 5 حزيران 1963) وكان يأمل أن تؤدي الى إخماد الثورة والسيطرة على الأوضاع لعدة أعوام أخرى[10]. فقد تقاطر الناس على ساحة (جاله) منذ الصباح الباكر، وفي أقل من ساعتين امتلأت الساحة والشوارع المؤدية إليها بالحشود الغاضبة؛ أُمهات يحملن أطفالهن، ورجال يصطحبون أبناءهم الصغار، وكان الجميع يمشون بخطى ثابتة، ليقدموا ـ كما في الأيام السابقة ـ عرضاً سلمياً هادئاً لقدرة الأمة وقوتها، وليؤكدوا أن عامل قوتهم ووحدتهم ما زال موجوداً، وأنهم سيواصلون نهضتهم حتى سقوط النظام.** **لقد كان إعلان الأحكام العرفية بمثابة إعلان حرب على جموع الناس. فقد وصف أحد الكتّاب هذه الفاجعة بقوله: (.. قامت السلطات برش تراب مشبع بالبنزين في تلك المنطقة، ثم قام جلاوزتها باشعاله. وقامت الأمواج المتلاطمة من المتظاهرين بإحراق عدة سيارات ومتجر حكومي كبير بعدها فتحت القوات الحكومية نيران أسلحتها الرشاشة، وانهال الرصاص على الناس العزل من كل حدب وصوب، من الأرض، والجو بواسطة الطائرات العمودية.** **كما قامت السلطة بسد جميع الشوارع والأزقة المؤدية الى تلك المنطقة بالدبابات والمدرعات لمنع المتظاهرين من الهرب. فلم يكن الهدف تفريق المتظاهرين ولا إخافتهم، بل قتلهم جمعياً، فحتى الذين كانوا يلجأون الى منازل تلك المنطقة، كانوا يتعرضون للقتل خلال عمليات التفتيش، كما حالت السلطة دون وصول الإمدادات الطبية الى الجرحى في المستشفيات. وقبل الظهر، كان الآلاف من الأبرياء العزّل مضرّجين بدمائهم).[11]** **لقد كانت الجمعة السوداء انعطافاً كبيراً في مسيرة الثورة المتصاعدة إذ لم يعد باستطاعة أقطاب النظام التحدث عن القانون والحكومة والدستور، أما الأمة فلم يعد باستطاعتها بعد هذا انتهاج طريق سلمي، كما عُرض في دور السينما في أوروبا وأمريكا فلمٌ حول الفاجعة مدته خمسون دقيقة، أثار دهشة العالم، فلم يكن بين المتظاهرين من يحمل السلاح، كما أن قانون الطوارئ لم يكن يسمح لفتح النار على أحد ابداً.** **وهكذا فقد غيرت هذه المذبحة مسار الثورة فبدلاً من أن تثير الرعب في قلوب الناس، رأينا أنها دفعتهم الى التصعيد والانتقام وقد حملت النساء القسط الأكبر من عبء المقاومة، بعدما قدّمن العدد الأكبر من الشهداء في المذبحة. ولم يكن بإمكان النظام تدارك الأمر بعدما وصل الى طريق مسدود، وأصبحت كلمة (الوفاق الوطني)! مثاراً للسخرة، إذ كيف يمكن انتظار الهدوء والسكون من الآباء والأمهات الذين فقدوا أبناءهم الشباب في هذه المجزرة المروّعة، بل إن بعضهم لم يستلم حتى جثة ضحيته.** **وقد ظهرت أصوات معدودة تنادي بالهدوء وانتظار انتهاء حالة الطوارئ، خوفاً من بطش النظام، إلاّ أنها لم تلقَ آذاناً صاغية وتلاشت في بحر الجماهير الغاضبة التي كانت تنفذ تعليمات قائدها. فقد أصدر الإمام (قدس سره) بياناً بدد فيه كل أشكال التردد والخوف وجاء في البيان:** **بسم الله الرحمن الرحيم** **أيها الشعب الإيراني الشريف والشجاع** **مرة أخرى يثبت النظام ـ وعبر فرض الأحكام العرفية في طهران وعدد من المدن ـ أنه لا يملك قاعدة شعبية. إن اعلان الحكم العسكري في أجواء يعمها الهدوء ـ كما اعترفت بذلك إذاعة النظام ـ ليس أمراً مخالفاً للقانون فحسب، بل هو جريمة لا تُغتفر، والذي أمر بذلك، هو الشاه المجرم شخصياً، فلم يجد الشاه وسيلة لقتل الناس الأبرياء أفضل من إعلان الحكم العسكري. لقد شهدت طهران وباقي المدن الإيرانية الكبرى مسيرات سلمية شارك فيها الناس لإظهار مظلوميتهم واحتجاجهم على مجرم تسلَّط على مقدراتهم وارتكب الجرائم والخيانة بحق بلاده كما يواصل انتهاك دستور البلاد في وضح النهار. أنه احتجاج على ممارسات مجرد فرّط بوجود وكيان هذه الأمة.** **وقد قام بهذا الاحتجاج أناس يتمتعون بمستوى عال من الوعي السياسي والديني، حتى أنهم كانوا ينثرون الورود على قوات الجيش، لكن (حكومة الوفاق الوطني)! اعتبرت ذلك انتهاكاً للدستور، بينما الشعب هو الذي كان يحتج على من انتهك الدستور، واعني بذلك الشاه، أنه احتجاجٌ على النظام المفروض على الشعب، واظهارٌ لمظلومية الشعب.** **لكن الحقيقة هي أن الشاه أراد الانتقام من هذا الشعب الاعزل فدبّر هذه المذبحة في ظل لعبة مكشوفة، متصوراً أنه قد خنق الأنفاس في الصدور لكن الأوان قد فات، والشعب الإيراني بلغ اليوم درجة كبيرة من الوعي.** **إنني لا أملك معلومات دقيقة عن عدد القتلى والجرحى في أنحاء إيران، لكن وكالات الانباء أكدت أن القتلى بالمئات أما الأخبار الواصلة من إيران فتؤكد أنهم جاوزوا الألف شخص.** **على الشعب الإيراني الآن إمداد الجرحى الذين لا يحصون، بالدم والأدوية والطعام، وأن لا يبخلوا عليهم بأي دعم مالي يحتاجونه.**

**إن وجه إيران زاهر هذا اليوم، والبطولات مشهودة في كل مكان من البلاد، فهذا هو طريق أمير المؤمنين وسيد الشهداء الإمام الحسين.** **ليت الخميني كان بينكم، ليقتل معكم في جبهة الجهاد في سبيل الله. اطمئن يا شعب إيران أن النصر لك آجلاً أم عاجلاً.** **لقد سعى الشاه ومعه ما تسمى بحكومة (الوفاق الوطني) الى توريط العلماء الشرفاء والسياسيين المحترمين بهذه المذبحة، لكن هذه الخدعة سرعان ما انكشفت (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً).** **على العالم أن يرى أن هذا هو المقصود بالانفتاح السياسي داخل إيران، وهذا هو النظام الديمقراطي، وهذا هو العمل وفق الدين الإسلامي من منظار الشاه وحكومته. فهم يقومون اليوم ـ وبحجج واهية ـ باعمال النفي والاعتقال، انهم يريدون القضاء على علماء هذا البلد ومفكريه ومثقفيه لئلا يفكر أحد من الناس بالحرية.** **وأنتم يا أبناء الشعب الإيراني، يامن صممتم على إنقاذ أنفسكم من شرّ نظام الشاه وأثبتم قدرتكم على ذلك في عيد الفطر والرابع من شوال أمام كل العالم. واثبتم للعالم أن نظام الشاه ليس له مكان في إيران بعد اليوم، اطمئنوا بأن ما من قوة بإمكانها التصدي لثورتكم.** **يا أبناء جيش إيران الوطني الغيور، لقد رأيتم كيف أن الشعب معكم، ينثر عليكم الزهور، وتعلمون أن هؤلاء الناهبين يستخدمونكم أداة لقتل إخوتكم من أجل مواصلة ظلمهم. إلتحقوا بباقي اخوانكم الذين انضموا الى صفوف الأمة، لا تدعوا شعبكم يضرج بدمائه ووطنكم يتعرض للنهب والدمار، سجّلوا أسماءكم في صفحات التاريخ الناصعة، واجتثوا جذور الظلم والخيانة.** **وأنتم يا علماء الإسلام العظام وأيها السياسيون الشرفاء، يا من لا ترهبون ضغوط الشاه وممارساته إنكم قدوة الشعب ومحط أنظاره، وفي هذه الظروف الحساسة عليكم أن لا تكتفوا بالاستقامة والثبات، بل إعملوا ما في وسعكم لرفع معنويات الشعب، وشحذ الهمم لديه لمواصلة المقاومة والتصدي. وحّدوا صفوف الأمة لمواجهة العدو. أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ النصر للإسلام والمسلمين.** **والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

**روح الله الموسوي الخميني** **6 شوال 1398**

**وعقب هذه المذبحة، سعت الحكومة، وعن طريق مجلس الشورى الوطني! الى حرف مسير الانتفاضة الشعبية، فقد أوعزت الى عدد من النواب الذين عهد اليهم لعب دور الأقلية في المجلس بممارسة عملية انتقاد ومهاجمة صريحة للحكومة السابقة وممارساتها، فقام هؤلاء بتنفيذ دورهم على المستوى الذي تصوروا أنه يشفي غليل الجماهير الثائرة، وهي محاولة من السلطة لجعل المجلس محطّ أنظار الشعب، الأمر الذي من شأنه امتصاص النقمة الجماهير وإخماد جذوة الثورة.** **لكن النتيجة جاءت ـ وكالعادة ـ عكسية تماماً، فبدلاً من أن يحصل هؤلاء النواب على ثقة الشعب، بادرت الجماهير الى استغلال خطابات هؤلاء النواب للتعرف من خلالها على ممارسات الحكومة وجرائمها التي لم يسبق لهم الإطلاع عليها من قبل، فكانت تلك الخطابات الرنانة! بمثابة صبّ الزيت على النار، بعدما كشف الناس حقيتقها، وراحوا يستخدمونها لتأجيج نار النقمة الجماهيرية إذ إن منح مجلسي الشورى والشيوخ الثقة لحكومة شريف امامي، ومبادرتها الى اعلان الأحكام العرفية في ساعاتها الأولى، جعل الناس يدركون حقيقة كل اللعب التي تجري في المجلس وخارجه.[12]** **وقد تصور بعض الأشخاص أن إعلان الأحكام العرفية يتعارض والمهمة المناطة بالشاه من قبل حكومة كارتر، بإشاعة أجواء الانفتاح السياسي، ولهذا فإن حكومة كارتر ستعلن عدم تأييدها للشاه، لكن ما حدث كان عكس ذلك تماماً، إذ أعلنت الإدارة الأمريكية دعمها للنظام الشاهنشاهي في تلك الظروف الحساسة، مما بدد آمال اولئك الأشخاص (السعاة للحرية!)، تلك الآمال التي علقوها على هذه اللعب والمسميات.** **وكان لحدوث زلزال طبس بعض الدور في التخفيف من الأزمة، إلا أن عجز الحكومة عن تعويض الخسائر وتلافي الأضرار الحاصلة من الزلزال، وقيام أبناء الشعب ـ وعلى رأسهم العلماء ـ بحملة إغاثة وإمداد للمنكوبين، زاد من حرج النظام. كما زاد من حدة الأزمة تردد إشاعات حول دفن نفايات ذرية في مناطق من إيران.** **4ـ الإعلام العالمي ومجزرة 8 أيلول (17 شهريور):** **تناقلت وسائل الإعلام العالمية أنباء مجزرة ميدان (جاله) بأشكال متفاوتة، فقد نقلت وكالة الأنباء الفرنسية في 8 أيلول 1978 الخبر كالتالي: صباح اليوم حدثت مواجهات دامية بين قوات الجيش والمتظاهرين الذين تجمعوا في ميدان جاله. وقد فتح الجيش النار على المتظاهرين كما استخدم القنابل المسيلة للدموع مما أدى الى سقوط (10) قتلى في الوهلة الأولى كم جرح عدد آخر، وكان آلاف المتظاهرين قد تجمعوا في ميدان (جاله) منذ الليلة الماضية، حيث قرروا فيما يبدو القيام بمظاهرة ضد النظام. وفي البداية جلس الجميع على الأرض. الجنود قاموا من جنبهم بإطلاق عدة عيارات هوائية في محاولة لتفريق الحشود لكنها كانت تزداد شيئاً فشيئاً، مما اضطر العسكريين الى فتح الناس فقتل في الوهلة الأولى حوالي (10) منهم.** **أما وكالة الاسوشيتدبرس، فقد أذاعت الخبر في 8/9/1978 كالتالي:** **(بعد ساعتين من المصادمات في طهران، شوهدت شاحنات مملؤة بالقتلى والجرحى تغادر مسرح الاشتباكات، وعند الظهر، عاد الهدوء الى طهران، لكن أصوات عيارات متفرقة لازالت تسمع في أرجاء العاصمة. ويقول شهود عيان إنهم رأوا شاحنة واحدة على الأقل تغادر مسرح الحادثة في ميدان جاله وهي مملؤة بالقتلى والجرحى.** **وكانت الجموع تهتف بالموت للشاه و(يعيش الخميني). كما تقدم العديد من المتظاهرين باتجاه الجنود المدججين بالسلاح الرشاش مما أدى الى سقوط الكثير منهم مضرّجين بدمائهم، فبادر الجنود الى نقلهم بالشاحنات الى خارج مسرح الحوادث).** **كما نقلت وكالة الأنباء الألمانية الخبر في 8 أيلول 1978 كالتالي:** **(لم يعد الناس في إيران يتظاهرون مطالبين بتطبيق القوانين الإسلامية أو الحريات السياسية فقط، فالحكومة قد استجابت بعض الشيء لهذه المطاليب نسبياً، بل إن المتظاهرين يطالبون الآن باسقاط نظام الشاه، وهذا ما تبيَّن بوضوح في تظاهرات الأمس في طهران والتي كانت أكبر تظاهرات يشهدها التاريخ الإيراني، فقد كان المتظاهرون يهتفون (إيران بلادنا الخميني قائدنا، والموت لسلالة بهلوي). ومنذ شهور أصبح واضحاً أن آية الله الخميني هو الوجه البارز في الصراع على السلطة في إيران فهو يعيش في منفاه في العراق منذ عام 1963، ومن هناك كان يطالب الشعب بأسقاط نظام الشاه، ومن هتافات المتظاهرين تتضح مدى استجابة الشعب لنداءاته).** **وجاء في تحليل نشرته صحيفة (دي فولت) الصادرة في بون:** **(استمرت خلال يوم الجمعة ـ التي هي عطلة رسمية لدى المسلمين ـ التظاهرات وأجواء التوتر في الشوارع، مما اضطر حكومة شريف امامي الى إعلان الأحكام العرفية. أما المتظاهرون، فلم يكونوا يطالبون بالاصلاحات، بل كانوا يهتفون (الموت للشاه) و(إما الخميني وأما الدم) ولقد لبّى النظام طلبهم وسالت الدماء.** **فقد قام أفراد الجيش بإطلاق النار على المتظاهرين، فهو ـ أي الجيش ـ لازال يطيع أوامر الشاه ويدافع عنه. لقد اضطرت الحكومة الى الاستعانة بالجيش بعد أن سعت الى تحاشي ذلك. العلماء المعتدلون أرادوا إعطاء الحكومة الجديدة فرصة لالتقاط الانفاس، حتى أن الرجل المتنفذ والقوي في قم آية الله شريعتمداري أعلن يوم الأربعاء رسمياً تجنبه أي نوع من التظاهرات. لكن هذه التظاهرات كشفت ـ أكثر فأكثر ـ الوجه الحقيقي المحرك لهذه الاضطرابات، ألا وهو آية الله الخميني الذي يعيش الآن في منفاه بالعراق).** **وفي العاشر من أيلول ـ أي بعد يومين من فاجعة ميدان جاله ـ نشرت وكالة الأنباء الفرنسية تحليلاً للوضع في إيران جاء فيه:** **(في إيران التي يتوجب عليها العيش في ظل الأحكام العرفية مدة ستة أشهر، توجد جبهتان متصارعتان هما الجيش والدين، ولا شك أن مستقبل نظام الشاه في إيران، بل ومستقبل الشرق الأوسط كلّه، سيتوقف على نتيجة هذا الصراع، فالجيش الإيراني استخدم كل أسلحته لقمع تظاهرات الجمعة السوداء في طهران، التي كادت أن تطيح بالنظام، وقد يكون الشاه استطاع الحفاظ على عرشه في هذه الجريمة، لكنه ـ في الوقت نفسه ـ قضى على كل فرصة للحوار مع المعارضة.** **وبعد حوادث الجمعة السوداء، اوصت الخارجية الأمريكية رعايا أمريكا البالغ عددهم أكثر من (42) الف شخص بالحذر والابتعاد عن مناطق الاضطرابات. وفي افتتاحية صحيفة التايمز جاء ما يلي: (استطاع الشاه خلال سنوات إحكام قبضته على الأوضاع في إيران أكثر مما فعله أي حاكم آخر ـ لكنه يرى أن زمام الأمور يفلت من يديه). أما وكالة الاسوشيتدبرس فقد قالت: (إنه باعلان الأحكام العرفية انتهت الحريات الممنوحة للشعب بعد 13 يوماً فقط).** **أما القسم الفارسي في إذاعة كولونيا فقد قدر عدد المتظاهرين بمئة ألف شخص، وفي تحليل لصحيفة (فرانكفورتر الغماينه)، حول مجريات الحوادث في إيران كتبت تقول: مذبحة الجمعة السوداء هزت أركان النظام.** **وجاء في صحيفة الغارديان البريطانية: (لقد دخلت الحكومة الإيرانية في اشتباك دامٍ مع شعبها، وقد يؤدي ذلك الى الإطاحة بها، أو على الأقل عزلها وإضعافها.** **أما إذاعة صوت الجبهة الشعبية لتحرير عمان فقد قالت: لقد أنزل الشاه قوات الساواك والجيش ـ وكل ما يملك من أدوات القتل والدمار ـ الى الشوارع، لكن كل ذلك لم يستطع الحد من الغضب الشعبي، بل جعل الشعب أكثر إصراراً على مواصلة التصدي للقمع الشاهنشاهي. وقد حاولت أجهزة الشاه اخفاء العدد الحقيقي للضحايا فأعلنت أن عدد القتلى لايتجاوز الـ58 شخصاً فضلاً عن آلاف الجرحى.** **أما مجلس الشورى الذي تظاهر بخروجه من التبعية لحزب رستاخيز فقد بدأ لعبة كشف الحقائق ـ وظهرت فيه أقلية تنتقد ما جرى في الجمعة السوداء، كما اتهم ممثل تبريز الحكومة بالضلوع في الجريمة لعدم تقديمها اقتراح إعلان الحكومة العسكرية في الوقت المناسب، و(ارتكابها جرائم تتعارض والدستور) كإطلاق النار على الناس والذي كان يتعارض حتى مع قانون الطوارئ المعلن، كما لجأ عدد من المحامين الى دار آية الله شريعتمداري خوفاً من الملاحقة، وحاصرت قوات الأمن دار شريعتمداري للحيلولة دون توافد عوائل الضحايا.** **وفي هذه الأثناء قام الإمام الخميني بفضح هذه اللعب التي تجري في البرلمان وغيره في بيان بشّر فيه الشعب الإيراني بالنصر والحرية، وجاء في جانب من البيان:** **(اليوم حيث يجتمع أذناب الشاه في البرلمان ليمثلوا مسرحية وضيعة خادعة تستهدف تبرئة المجرم الأصلي وإلقاء مسؤولية هذه الخيانة العظمى في أعناق الآخرين. وحيث انكشفت حقيقة الوجوه الكريهة التي تدعي الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان، فإن على الشعب الإيراني المظلوم إعلان الاضراب وإقامة مجالس العزاء وإعلان يوم الحادي عشر من شوال يوم حداد عام. وبعد كل هذه التضحيات والعزاء، فإننا بانتظار الفرحة الكبرى، فستشهدون بأُم أعينكم الاستقلال والحرية بعون الله).** **وجاء في جانب آخر من البيان:** **(اعزائي، اطمئنوا بأنكم منتصرون، فقيامكم بوجه دكتاتور العصر الذي انتهك حرمة كل المقدسات الدينية والوطنية، هو كقيام أمير المؤمنين بوجه معاوية الذي لم يرتكب أكثر مما يرتكبه دكتاتور العصر اليوم).** **وفي نهاية البيان حذر الإمام من ألاعيب الحكومة بقوله:** **(لا تخدعكم ألاعيب حكومة الشاه ونوّابه في المجلس، فكلماتهم الخادعة تستهدف إنقاذ الشاه الذي يشرف على السقوط، فالعالم كله أدان الشاه ووقف الى جانبكم).** **5ـ دور المرأة في الثورة:** **على الرغم من ادعاءات نظام الشاه، والحكم الملكي البهلوي ـ الذي دام حوالي 57 عاماً ـ فيما يخص منح الحقوق المشروعة للمرأة، إلا أن هذا النظام عمل في الواقع على توجيه ضربات في الصميم لهذه الفئة من المجتمع، فالمتغربون كانوا يدّعون في عهد الشاه أنهم يخوضون نضالاً مريراً من أجل حصول المرأة على حريتها!** **وفي عهد رضا خان (والد الشاه المقبور)، عمدت الحكومة الى منع ارتداء الحجاب الإسلامي وإجبار النساء على السفور، وصاحب ذلك اعلام واسع بأن النساء قد نزلن الى ساحة العمل البنّاء، جنباً الى جنب مع الرجل.** **وفي التعديل الذي أُجري على قانون الانتخابات عام 1962، تم التطرق فيه الى المرأة وحريتها! وحقوقها كمبدأ ثابت يتبنّاه النظام، أعقب ذلك تأسيس منظمة المرأة، وأُعطيت عدة مقاعد في مجلسي الشورى والشيوخ للنساء، كما اعطيت حقائب وزارية لعدد آخر منهن.** **لكن كل هذه الاجراءات كان لها مردود عكسي، فبدلاً من أن تتحول المرأة الى قوة مؤيدة وداعمة للنظام، نراها أصبحت قوة معارضة له، وبدأت المعارضة تعلن للأمة أن هذه الحرية المزيفة التي يدعي النظام منحها للمرأة، تتعارض بشدة والأخلاق والدين والكرامة، وبالتالي تشكل إهانة كبيرة لمقام المرأة السامي، فحرية المرأة كانت تعني إطلاق العنان للعلائق بين الجنسين وهذا ما يتعارض وقيم المجتمع وأخلاقه. وراحت القوى المعارضة تلفت أنظار العامة، الى أخطار هذه الحرية وما تؤدي إليه من تفتيت العائلة وانحلالها، وإشاعة الفساد والتحلل على جميع المستويات، كما حوّل النظام المرأة الى سلعة وأداة للدعاية واستقطاب المستهلكين الى السلع الأجنبية.** **لكن المرأة الإيرانية بدأت تشق طريقها الصحيح وسط هذا الضجيج، فمنذ بداية النهضة، كانت النساء تخرج في المسيرات الاحتجاجية التي ابتدأت من قم وسرت الى باقي المدن، وهن يرتدين كامل حجابهن الإسلامي، كما كان يلجن مجالات العلم والتحصيل وحتى السياسة، ويخضن جهاداً مريراً من أجل كسب حقوقهن والتصدي لأعداء الدين وعلى رأسهم النظام المستبد، وقد لمعت أسماء العديد منهن في عملية المقاومة البطولية، كما دخلت الكثير منهن السجن وتعرضن للتعذيب.** **وقد أدت بيانات الإمام الخميني (قدس سره) والدور القيادي للعلماء، الى مشاركة جموع غفيرة من النساء في كل مراحل الجهاد السياسي، فكان لهن الدور الكبير في تعويض النظام وزعزعة أركانه.[13]** **6ـ مفاسد البلاط:**

**رأينا فيما مضى أن البلاط الملكي كان أحد أهم مراكز نشر الفساد والفحشاء، وأفراد العائلة المالكة كانوا يجيزون لأنفسهم ارتكاب أي عمل من شأنه نشر الفساد واشاعة الفحشاء، فضلاً عن تغلغلهم في كل مجالات الزراعة والتجارة والصناعة، وحتى في تهريب المخدرات، حيث كانت أغلب عمليات التحقيق في جرائم شبكات تهريب المخدرات تتوقف بعدما يتبين ضلوع أحد أفراد العائلة المالكة فيها، وقد وصلت أنباء هذه الفضائح الى كل الناس، خاصة في ظل أجواء ما يسمى بالانفتاح السياسي.** **وقد واصل هويدا لدى توليه منصب وزير البلاط بعد موت أسد الله علم، نفس الممارسات. وسعت الحكومة ـ خلال الحقبة التي نحن بصدد الحديث عنها ـ الى عزل بعض رموز الفساد والفضائح، في محاولة منها لخداع الرأي العام وإخماد جذوة الغضب الشعبي، فعمدت الى إقالة هويدا من وزارة البلاط ثم اعتقلته، ثم استدعت نصيري واعتقلته.** **بعدها قامت السلطة بإناطة منصب وزير البلاط الى علي قلي أردلان البالغ من العمر 80 عاماً والذي قضى عمره في تولي مناصب مهمة مختلفة. فبدأ هذا الشخص بالحديث عن نظام دالخي جرى تدوينه من شأنه الحد من فساد أفراد العائلة المالكة، والقيام بإصلاحات معينة داخل البلاط، كما تحدث عن تشكيل لجنة تقوم بمتابعة ممارسات أفراد هذه العائلة في جميع دوائر الدولة ومؤسساتها، كما أعلن عن تعيين أشخاص يقومون بالتحقيق بممتلكات العائلة البهلوية والشكاوى المقدمة ضدهم. لكن كل ذلك حدث في وقت غادر فيه أغلب أعضاء العائلة المالكة إيران بعدما حصلوا على قروض كبيرة جداً.** **7ـ بدء العام الدراسي 78 ـ 79 تفاقم الأزمة:** **النظام كان يخشى الطلاّب بشكل كبير، فقد أدرك أن بدء العام الدراسي واجتماع الطلاب في المدارس من شأنه خلق مشاكل عويصة له، وقد زاد الطين بلةً ـ بالنسبة للنظام ـ البيان الذي وجهه الإمام الخميني الى طلاب المدارس بمناسبة بدء عامهم الدراسي الجديد، حيث أدرك هؤلاء أن عليهم أن يتحملوا جانباً من عملية الجهاد والمقاومة جنباً الى جنب مع طلبة الجامعات الذين سمعوا الكثير عن جهادهم وبطولاتم. وهكذا استعد ملايين الطلاب في مدارس البلاد لأداء دورهم التاريخي والمشاركة في تقرير مصير بلادهم.** **وفي الأيام الأولى من العام الجديد، تحولت المدارس المتوسطة والثانوية في طهران الى أماكن لتجمعات طلابية حاشدة، تحولت تدريجياً الى مسيرات ضخمة كانت تتجه ـ عادة ـ الى جامعة طهران. وهكذا فعل بيان الإمام الخاص بالطلبة فعله وادى مفعوله، بالشكل الذي لم يكن النظام يتوقعه أبداً.** **وفي تلك الأيام، تصاعدت الاشتباكات وازداد عدد الضحايا[14]وانتقلت الاضرابات والاعتصامات الى خارج البلاد فأصدرت الحكومة بياناً دعت فيه الإيرانيين المقيمين في الخارج الى العودة بشرط مراعاة الدستور. ووردت في البيان إشارة ضمنية الى الإمام الخميني حيث صرح البيان أن بإمكان المعارضين إبداء وجهات نظرهم وآرائهم عبر الإذاعة والتلفزيون والصحف.[15]** **وفي 7 أيلول 1978 افتتح الشاه آخر دورة لمجلس الشورى الذي كان مقتصراً على أعضاء حزب رستاخيز. وحاولت الحكومة إظهار الاضطرابات وكأنها تعبير عن مطاليب رفاهية ومادية وادعت أن الأزمة ستنتهي بمجرد تلبية هذه المطاليب.[16]أما وزير العدل (باهري) فقد حاول ـ من جانبه ـ تهدئة الأوضاع فأعلن عن تحويل المبنى المركزي لحزب رستاخيز الى مركز لمكافحة الفساد، وشكل محكمة لمحاكمة المسؤولين الحكوميين السابقين، وبدأ إطلاق الاتهامات والإعلان عن ممارسات المسؤولين، لكنها ذهبت جميعاً أدراج الرياح أمام موجة الاضرابات والاعتصامات والتظاهرات الشعبية التي لا يمكن السيطرة عليها.** **وفي تلك الفترة، وصل الإمام الخميني الى باريس، وبدأ من هناك توجيه نداءاته القصيرة التي بدأت وسائل الإعلام العالمية تتناقلها، وانهالت على أثر ذلك برقيات المحافل والشخصيات الإيرانية المعارضة، على الرئيس الفرنسي، وبدأت أبناء الانتفاضة تسمع في أرجاء العالم وخاصة بعد تقاطر الصحفيين على طهران لتغطية أنبائها، وملاحظة مدى الأواصر القوية التي تربط هذا الشعب الغاضب بعالم يعيش في المنفى، ولم يسمح له بالدخول حتى الى الكويت.** **ولم يكن قد مضى على دخول الإمام الى فرنسا إلا عدة أيام حتى طلب ممثلو قصر الأيزيه من الإمام إيقاف نشاطاته السياسية، مما أجّج ـ مرة أخرى ـ نار السخط الشعبي، وتصاعدت موجة الاحتجاج على ذلك. وفي داخل إيران، حاولت الحكومة التعتيم على القيادة الفردية والمتميزة للإمام، من خلال دفع عدد من العلماء أصحاب النفوذ، الى الواجهة والتظاهر بأنهم يمثلون قيادة المعارضة.** **وقد قلنا إن شريف إمامي ادعى منذ توليه الحكومة أنه مقلد لشريعتمداري، كما قام باناطة هذا الدور بعدد من السياسيين وأعضاء المجلس وحتى أعضاء في حزب رستاخيز، وتدريجياً جعلت الحكومة من منزل شريعتمداري قاعدة للمعارضة، تحظى بالدعم الحكومي عسى أن يساعد ذلك على صرف أنظار الناس عن الإمام بشكل كامل، أو على الأقل إشراك شخص آخر بعملية قيادة المعارضة، مما يتيح لها المجال لإخماد الانتفاضة تدريجياً من خلال اختراقها لها وسيطرتها على الشخص الثاني فيها. وكانت هذه أبرز خطة خبيثة استخدمها النظام الشاهنشاهي لمواجهة الثورة ومحاولة إخمادها.[17]** **8ـ إضراب الصحافة:** **عندما رأى أصحاب الصحف ومحرروها دخول الثورة في مرحلة خطيرة أدركوا أنهم أضروا كثيراً بمصالح المجتمع في الماضي، لذا قرروا التعويض عن الماضي، وبدء مرحلة جديدة من حياة الصحافة السياسية، فبادروا الى اعلان إضراب منذ 12 أيلول 1978 شمل الصحف الصباحية والمسائية الصادرة في طهران، احتجاجاً على الرقابة المفروضة عليها، مما اضطر الحكومة الى إصدار بيان أعلنت فيه إلغاء الرقابة، وجاء في نهايته:** **(1ـ تتعهد الحكومة بضمان حرية الصحافة وفقاً لما نص عليه الدستور.** **2ـ تتعهد الحكومة، وإيماناً منها بحرية الصحافة، بعدم التدخل في عمل الصحافة ما دام وفق القانون.** **3ـ تتعهد الحكومة بضمان الأمن المهني للعاملين في الصحافة، وترجع جميع الانتهاكات الحاصلة في هذا المجال الى السلطات القضائية..).** **وقد وقع هذا البيان رئيس الوزراء واثنان من وزرائه إضافة الى تواقيع أعضاء اللجنة التي تمثل المضربين.** **وقد تلقت الصحافة هذا البيان باهتمام بالغ وأبرزته في مانشيتات كبيرة من قبيل (نهاية قرن من الرقابة). وقد جاء في تقرير لوكالة اليونايتدبرس للأنباء أن(البيان الذي أصدره شريف إمامي قد أنهى قرناً من الرقابة الحكومية على الصحافة ومنح الصحافة كل الحريات التي نص عليها الدستور). لكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد هاجمت قوات من الساواك في أحد الأيام مقر صحفيتي كيهان واطلاعات في محاولة لإعادة الرقابة الحكومية مرة أخرى وبالقوة، بعدما ادعى شريف إمامي إلغاءها والى الأبد، وقد دفع ذلك الصحافة الى بدء إضراب مفتوح استمر طويلاً، حصل الصحفيون خلاله على الدعم المطلق من قبل المجموعات السياسية المعارضة.** **وخلال اجتماعه بممثلي الصحافة المضربة، ردّ شريف إمامي على إشاعة زوال الحكومة بقوله: (أعلن لكم هنا بأنني موجود، وسأظل في الحكم فأنا مضطر لأن أبقى!)، وكان الجميع يعرف أن الاضطرار يعني أنه مجبور على البقاء لتنفيذ السياسات الخارجية. لكن هذا الإجبار انتهى بعدما اُنيطت هذه المهمة بالمدعو(أزهاري) ليشكل حكومة جديدة.** **وبعد انتهاء اضراب الصحافة، أصدر أصحاب الصحف بيانات عديدة أكدوا فيها أنهم سيعملون جاهدين ـ ووفقاً لما تعهدته الحكومة ـ على نشر الحقائق والوقائع دون أي تغيير أو حذف، ليكون بإمكان الشعب الإطلاع على حوادث البلاد، كما تعهد أصحاب الصحف بالابتعاد عن كل أشكال الأغراض الشخصية والتدخلات غير المشروعة التي من شأنها الإساءة الى قدسية القلم.**

**وقد رافق الاضراب وانتهاءه ضجيج كثير، واُذيعت حول الأمر بيانات عديدة، لكن القطاعات الشعبية والعلماء كانوا بعيدين عن ذلك، إذ يبدو أن الحكومة استغلت هذا الأمر، وقامت بإدارة هذا الضجيج عبر أيديها، كما قامت بحملة إعلامية واسعة عند انتهاء الأضراب في محاولة لاستغلاله في إنهاء كل الاضرابات التي عمت باقي القطاعات.** **9ـ أربعينية شهداء الجمعة السوداء:** **كان طبيعياً أ، تكون لذكرى مرور أربعين يوماً على مجزرة الجمعة السوداء أبعاد واسعة وشاملة، بسبب كثرة الشهداء الذين سقطوا خلالها وكذلك تزامنا مع تصاعد لهيب الثورة والتحاق قطاعات جديدة بركبها، كما أنها صادفت في الذكرى السنوية لوفاة نجل الإمام الأكبر، السيد مصطفى الخميني. وهكذا شهد يوم 16 اكتوبر/ تشرين الأول 1978 اضراباً عاماً، شمل جميع أرجاء البلاد بما فيها المراكز التعليمية والتجارية، ولم تنفع كل التدابير الوقائية التي اتخذتها الحكومة بالتعاون مع الصحافة، لتحاشي تنفيذ هذا الاضراب[18]، بل عم الاضراب والتظاهرات مدن البلاد، كما سقط خلالها عدد من القتلى والجرحى.** **10ـ هجرة الإمام التاريخية من النجف الى باريس:** **لكلمة الهجرة دلالات ومعانٍ قيمة، تجسدت وتوضحت أكثر في التاريخ المعاصر، من خلال هجرة الإمام الخميني، فقد حدثت هذه الهجرة في وقت شهد سلسلة حوادث وتغييرات وأزمات حادة، هي الأهم في تاريخ إيران، فكانت الثورة في ذروتها، وجميع المنظمات القمعية العالمية، كالمخابرات المركزية الأمريكية والموساد الإسرائيلية و(انتلجينت سرفيس) الإنكليزية قد هبت لدعم (الساواك) لحرف مسيرة الثورة وإخماد جذوتها، وهذا ما كشفته ـ فيما بعد ـ الوثائق التي كانت بحوزة الساواك.** **لكن هجرة الإمام جاءت رداً حازماً أحبط جميع المؤامرات ونقل الثورة الى مرحلة أكثر خطورة على النظام، فقد أخرجت هذه الهجرة الانتفاضة الشاملة في إيران، من الطريق المسدود الذي وصلت إليه الأوضاع السياسية داخل إيران، والذي ترك آثاره السلبية على مسيرة الثورة، ومنذ يوم الهجرة، أصبح للمسيرات الاحتجاجية وسقوط الشهداء والجرحى معنى أكثر عمقاً وتأثيراً.**

**لقد جاءت هذه الهجرة، لتكون امتداداً لخط الإمامة الشيعية المليء بأحداث الجهاد والهجرة، كما رسخت المعنى الحقيقي للقيادة، وأعادت الصرخة التاريخية المدوية التي انطلقت من حنجرة إنسان شهد تاريخاً امتد لأكثر من ثلاثة عشر قرناً من تحمل الظلم والكبت والتمييز.** **وكان واضحاً أن هذه الهجرة تكتيك منطقي وأسلوب جديد لتحقيق حكم الإسلام، وكان لها معناها الخاص، لدى ملايين الناس الذين قطعوا أكثر من نصف الطريق باتجاه الهدف. فقد كانت تعني أن النهضة مستمرة ـ وبلا هوادة ـ وأن النصر قريب.** **ويمكن دراسة وتحليل هذه الهجرة التاريخية من جهات مختلفة، لاستخلاص معانٍ ومفاهيم وعبر لكل القادة السياسيين الدينيين خلال القرون القادمة. فالهجرة والجهاد يكمل أحدهما الآخر.** **لقد كانت هجرة الإمام من النجف الى الكويت[19]، ومنعه من دخول الأراضي الكويتية، ثم التوجه الى باريس، منعطفاً كبيراً في تاريخ إيران المعاصر، ولنطلع على تفاصيل هذه الهجرة التاريخية كما يرويها المهاجر بنفسه. فخلال استقباله لأعضاء الحكومة عام 1979، روى الإمام الخميني قصة هجرته الى العراق ثم الى فرنسا فقال:** **(عندما غادرت تركيا الى العراق، كان المسؤولون العراقيون يزورونني ويؤكدون أن العراق بلدك، وقد تعاقبت على السلطة حكومات عديدة، وفي الفترة الأخيرة، كنا قد قررنا تصعيد نشاطاتنا، إلا أن الحكومة العراقية بدأت مضايقتنا تدريجياً. ففي البداية أحاطوا المنزل بعدة عناصر أمنية بحجة توفير الحماية لي وبثوا إشاعات بأن عناصر معينة تريد اغتيالي، وقد كان واضحاً أن ذلك كذب محض، وتدريجياً بدأوا بزيادة عدد أفراد الأمن حول البيت، حتى اتضح أخيراً أن الهدف ليس حمايتي، وبعدها جاء لي أحد رؤساء أجهزة الأمن في بغداد، وكان إنساناً مرناً مجاملاً في حديثه وقال لي: إفعل ما شئت، فنحن لا نعترض.** **وبعد عدة أيام، جاءني شخص آخر قالوا إنه ذو منصب أعلى من الأول وابلغني رسمياً بأن الحكومة العراقية لها التزامات حيال حكومة إيران، ولهذا فإننا لا يمكن أن ندعك تواصل نشاطاتك من هنا.** **وفي اليوم التالي جاءني نفس الشخص وقال: يجب أن لاتكتب أو تقول شيئاً أو ترسل شريطاً مسجلاً من هنا، لأن هذا يتعارض والتزاماتنا حيال الشاه، فأجبته بأن هذا واجب شرعي عليّ، فإنا أوجه بياناً، وأخطب على المنبر عند الضرورة وكذلك أرسل تعليماتي ونداءاتي على الكاسيت إلى إيران، فهذا هو واجبي الشرعي، وأنتم اعملوا بواجبكم أيضاً.** **واستمر الحديث حتى أخبرته بأنني لست مصّراً على البقاء هنا، فأنا سأذهب الى أي مكان يمكنني منه أداء واجبي، وليس مهماً لي أن أبقى في النجف أو اغادرها فقال: إينما ستذهب فلن يكون بإمكانك ممارسة نشاطاتك فقلت ـ ولم أكن قد حددت مكاناً معيناً ـ سأغادر العراق، وسأذهب الى باريس، فليس هذا البلد مرتبطاً بإيران وخاضعاً للشاه.** **فانزعج من هذا الرد لكنه لم يجب بشيء. ثم فهمت من السيد دعائي الذي كان يتولى الترجمة فيما بيننا انهم يريدون إيذاء من حولي، فخشيت أن يتعرض هؤلاء لأذى أكثر فقلت للسيد دعائي بأن يعدّ مقدمات سفرنا من العراق، فقام باستحصال تأشيرة الدخول الى الكويت.** **فقد كنا ننوي الذهاب الى الكويت ومن ثم الى سوريا، ولم أكن أفكر في التوجه الى باريس أبداً، وانطلقنا من النجف بعد الفجر، وعند الحدود مع الكويت، رفضوا السماح لنا بالدخول بسبب الروابط الخاصة التي كانت تربط هذا البلد بالحكومة الإيرانية آنذاك.** **بعدها عدنا الى العراق ومكثنا في البصرة حيث قررنا هناك عدم التوجه الى سوريا، بل الذهاب الى باريس، وقد كنت في تلك الفترة مشغولاً بكتابة بيانات موجهة للشعب الإيراني أشرح فيها الأوضاع. ولم أكن أفكّر من قبل بأنني سأقيم في باريس، ولعل اليد الغيبية كانت وراء كل ما جرى ، فالإدارة الإلهية كانت هي التي تسيّر الأمور منذ البداية، وكل ما حدث اكن بإرادة الله فقط، وحتى عندما أردت العودة الى طهران وما رافقها من أحداث وعندما وصلنا الى باريس، كان بعض الأخوة بانتظارنا حيث اخترنا إحدى ضواحي باريس للإقامة فيها، ليلتحق بنا فيما بعد باقي الأخوة تدريجياً.** **وفي البداية كانت الحكومة الفرنسية تتعامل معنا بدرجة كبيرة من الحيطة والحذر، لكنها تخلت عن هذا الحذر فيما بعد فكانت بياناتي وتوجيهاتي تنشر في وسائل الإعلام بالشكل الذي لم أكن أتوقعه، كما أخذت الوكالات العالمية ـ وحتى الأمريكية منها ـ تنقل أخبارنا الى أنحاء العالم وحتى داخل أمريكا، فكنا نتحدث عن الشعب الإيراني ومعاناته.** **وكل يوم كانت تزورنا مجموعات من الإيرانيين من داخل إيران وخارجها، وكان ذلك يزيد من عزمنا وإصرارنا على مواصلة هذه المهمة، وأخيراً قررنا العودة الى إيران، لكن جهوداً مكثفة بُذلت لمنعنا من ذلك، فبختيار الذي هو وريث الشاه في جرائمه، بذل جهوداً حثيثة لعرقلة عودتي الى إيران.** **وقد أدركت عند ذلك أن هذه العودة تحمل أضراراً كبيرة للحكم، ولهذا فأنهم يبذلون المستحيل لمنعي، وبالإتكال على الله ـ تعالى ـ وهو مُعيننا دوماً، قررت العودة وبالفعل عدت.**

**وقد كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ عوناً لشعبنا في نهضته منذ البداية، ومن ألطاف الله علينا أنه منع هؤلاء من مواصلة التصدي لنا، ولو حدث في إيران، كما حدث في أفغانستان لكنا قد خسرنا كثيراً، وصحيح أننا قدمنا ضحايا وخسائر في الثورة لكنها كانت قليلة بفضل الله ورعايته...) ( صحيفة كيهان 4 اكتوبر/ تشرين الأول 1979).** **لقد جاءت هذه الهجرة في نفس الوقت الذي قررت فيه الحكومة العراقية الحد من نشاطات الإمام بشكل جدي، كما كان الساواك قد أعد خططاً ـ كُشف النقاب عنه فيما بعد ـ تقضي باختطاف الإمام وجلبه الى إيران.[20]** **وقد سبق القول عند الحديث عن نشاطات جهاز الأمن الملكي (الساواك) أن نشاطات هذا الجهاز الإرهابي قد تجاوزت حدود إيران لتمتد الى باقي الدول التي يسكنها المعارضون، خاصة تلك التي نشط فيها هؤلاء، وكان طبيعياً أن يصبح العراق ساحة لفعاليات نشطة لساواك بسبب وجود زعيم المعارضة. فقد كشفت الوثائق التي عُثر عليها فيما بعد أن عدداً من عناصر هذا الجهاز قد ارسلوا الى العراق لتضاف الى العناصر المقيمة هناك. إذ قام هؤلاء بتزويد الجهاز المركزي للساواك في طهران بتقارير عن الإمام وأتباعه في العراق[21]، وقبيل هجرة الإمام الى باريس، قام الساواك بتكثيف نشاطاته.** **وبعد هجرة الإمام الى باريس، انهالت برقيات الاحتجاج على حكومة بغداد وبرقيات الشكر للحكومة الفرنسية، كما قام أصحاب البرقيات بإطلاع المسؤولين الفرنسيين على منزلة الإمام، وتعريفهم بشخصيته، كما أرسلت بعض البرقيات الى الإمام نفسه.[22]** **11ـ اضراب العمال والموظفين:** **بدأت حملة الاضرابات بإضراب عمال الصناعات النفطية، وتبعه إضراب عمال وموظفي الاتصالات السلكية واللاسلكية، ثم البنوك ومصفى النفط في خارك ومؤسسة تصيفة الماء وتوزيعه وعمال المواصلات والنقل، وظل الاضراب يتوسع ويعم قطاعات جديدة كل يوم حتى أصيبت الحياة في البلاد بالشلل التام.** **وقد أطلق المتظاهرون في الشوارع اسم مدرسة الثورة على حالة الاضرابات، وادى الى تضعضع أركان الاقتصاد، فقد عم الاضراب جميع المصانع والدوائر والمؤسسات الحكومية باستثناء العسكرية منها ومراكز الساواك والبلاط.[23]**

**وعمد العاملون في استخراج النفط وانتاجه الى إيقاف أعمالهم تماماً لأن حكومة شريف إمامي ومن بعده أزهاري قامت بوضع جميع المخزون النفطي تحت تصرف الجيش الذي كان يصدّره الى إسرائيل وجنوب أفريقيا بينما لم يكن يزوّد الناس بحاجاتهم اليومية من الوقود في محاولة لممارسة الضغط عليهم وإخماد جذوة ثورتهم.** **وقد أصبح إضراب عمال النفط سلاحاً قوياً استخدم ضد الحكومة، إذ أصبحت طوابير الناس أمام محطات النفط والبنزين، جزءاً من عملية الجهاد ضد السلطة، وقد فشلت كل الاجراءات الحكومية لإنهاء الإضراب، أما العاملون في محطات الكهرباء فقد قللوا من حجم عملهم مما أدى الى قطع الكهرباء لمدة ساعتين، حيث تبدأ فترة قطع الكهرباء قبيل بدء أخبار برامج الحكومة العسكرية التلفزيونية التي تذيع أخبار البلاد.** **وقد فشل النظام في السيطرة على الوضع على الرغم من لجوئه الى أساليب القمع والسجن والمذابح، إذ بدأت كل القطاعات الرسمية من اقتصادية وسياسية وثقافية وقضائية وإدارية تخرج من سيطرته الواحد تلو الآخر.** **ولم يكن الإمام الخميني ليترك الأمة في هذه الظروف، دون ان يغذيها بالتوجيهات ويبشّرها بالنصر، فقد وجه بياناً، كان الأخير قبل عودته الى إيران، الى العاملين في شركة النفط الإيرانية في 14 ذي القعدة 1398 جاء فيه:** **(تحية مني ومن شعب إيران الى عمال شركة النفط الإيرانية وموظفيها.** **يا من بيّضتم بإضرابكم المشرّف وجه أُمتكم.** **إنّ إضرابكم، بكل أيامه وساعاته، له أكبر الأثر في إضعاف النظام وتدميره. إنه إضراب له قيمته لدى الشعب الذي حُرم من نعمة هذا الذهب الأسود الذي ظل يتعرض للنهب طوال سنين على يد الخونة، وقد وضعتم اليوم حدّاً لهذا النهب ومنعتم استمرار نهب ثروة هذا الشعب الفقير، ووجهتم بذلك ضربة مدمرة للخونة الذين استخدموا هذه الثروة سنداً لبقاء حكوماتهم الطاغوتية وعروشهم الشيطانية.** **إنّ كل ساعة من إضرابكم هي خدمة كبرى للخالق عزوجل ولبلدكم الإسلامي. إن الذين يريدون إنهاء هذا الاضراب بالقوة، إنما هم مجرمون وخدم للأجانب وخونة للشعب والوطن.** **على الشعب الإيراني الشريف أن يدعم كل العمال والموظفين المضربين في شركة النفط وباقي المؤسسات والدوائر الحكومية، وأن يعوضوهم ما يلحق بهم من أضرار مادية وغيرها وأن يشجعوهم على مواصلة إضرابهم المقدس الذي يقومون به إعلاناً لسخطهم واستيائهم من الشاه الخائن وعائلته القذرة، ودعماً للجهاد الشامل الذي يخوضه الشعب.** **إنّ الحكومة العسكرية غير الشرعية تحاول بقوة السلاح إعادة الناس الى الوضع الطبيعي، غافلة عن أن رضى الشعب لا يمكن كسبه بالحراب. هذه الحراب ستؤدي ـ في النهاية ـ الى انفجار كبير.** **إنّ الحكومة العسكرية المجرمة هي آخر وسيلة لجأ إليها الشاه لإنقاذ نفسه، وهذه أيضاً لن يكتب لها البقاء، لأن هذا النظام متآكل من الداخل.** **إنّ الخونة القذرين من أنصار الشاه يحاولون إخافة الناس من سقوط الشاه وما يسمونه بالفراغ الذي سيحدث، لكننا علينا أن ننظر ما الفراغ الذي ملأه الشاه لدى وجوده.** **إنّ الشاه لم يملأ غير جيوب الأجانب وجيوبه واتباعه، هؤلاء الخونة سيلاقون جزاءهم بإذن الله آجلاً أم عاجلاً. على أمريكا أن تكف عن محاولة الإبقاء على الحكومة العسكرية بالقوة، وإراقة دماء الناس العزل كل يوم، عليها أن تكف عن أساليب التهديد والوعيد لإجبار عمال النفط على إنهاء إضرابهم بعدما أخذوا يطالبون بزوال الشاه فالنفط يجب أن يبقى للأجيال القادمة. الأفضل لأمريكا أن تعيد النظر بسياساتها ومواقفها الداعمة للشاه، وعلى الساسة الأمريكيين تحذير حكومتهم من سياساتها الظالمة المنافية لأبسط حقوق الإنسان، والتي هي بالتالي منافية لمصالح الشعب الأمريكي، فنهضتنا الإسلامية المقدسة قد وضعت حداً لدهر من النهب والدكتاتورية في إيران.** **على المسؤولين الذين يأمرون بفتح النار على الشعب أن يعملوا بأن انتصار هذا الشعب قريب، وسيقتص من الخونة، بكل صرامة. ولا قيمة لعهودهم والتزاماتهم أمام الشاه، فالغضب الثوري لن يرحمهم، عليهم أن يعلموا أن الشاه قد يحاكمهم ويسجنهم كما يحاسب خدمه المطيعين، ويضحي بهم من أجل بقائه وخلاصه.** **إنني أشكر جميع المضربين من أجل إنقاذ الوطن وخدمة الإسلام والمسلمين، من جميع القطاعات والفئات؛ معلّمين وتجاراً وكسبة وعمالاً وموظفين وصحفيين وغيرهم.** **وأطلب ـ وبتواضع واحترام ـ من جميع العلماء في البلاد (أعلى الله كلمتهم) باعتبارهم طلائع النهضة الإسلامية الكبرى والسد المنيع أمام قوى الشرق والغرب والأعوان المخلصين لصاحب العصر الحجة (عجل الله فرجه)؛ أطلب إليهم أن يبادروا الى تعويض كل أنواع الضرر المادي الذي يلحق بالطبقات المستضعفة التي هي دائماً في مقدمة صفوف الصراع والجهاد، وذلك من الحقوق الشرعية (سهم الإمام).** **اقدّم شكري لجميع فئات الشعب الإيراني الشريف وخاصة فئة العلماء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته). روح الله الموسوي الخميني.** **12ـ فاجعة المسجد الجامع في كرمان:** **بينما كان خمسة عشر ألفاً من النساء والرجال والأطفال مجتمعين في مسجد كرمان في ذكرى أربعينية شهداء ميدان جاله بطهران، هاجمت مجموعة مؤلفة من مئتي صعلوك من سكان الصرائف الجبلية، المجهزين من قبل السلطة بالهراوات والعصي، جموع المجتمعين في المسجد.** **ومع بدء هجوم الأوباش، أغلق الناس أبواب المسجد، إلا أن المهاجمين قاموا بتكسير ما وجدوه أمامهم وتحطيمه أما الشرطة وجلاوزة الأمن فقد قاموا باستخدام الغازات المسيلة للدموع مما جعل الناس داخل فناء المسجد في وضع حرج للغاية، ثم كمنوا في الخارج وبدأوا بضرب كل من يضطر الى الخروج من المسجد، بعدها قاموا بإحراق جانب من مكتبة المسجد وهاجموا الجناح الخاص بالنساء وانهالوا بالضرب المبرح على النساء والأطفال، مستخدمين هراوات مزودة بمسامير ونتوءات حديدية من شأنها إحداث جروح بليغة في أجساد الضحايا، وأثناء هروب أعداد كبيرة من المجتمعين في المسجد، قامت الشرطة بإطلاق النار عليهم بأصابت عدداً كبيراً منهم.** **وإكمالاً للجريمة، بادرت القوات الحكومية الى إحراق عدد من المحال التجارية في أرجاء المدينة والتي تعود ملكيتها الى بعض المجتمعين داخل المسجد، وقد أثبتت التحقيقات اللاحقة أن الجريمة تمت بتخطيط مسبق من قبل الساواك وبتنسيق مع الشرطة ومسؤولي المحافظة، وقد اعتبرت هذه الجريمة، مرحلة جديدة ومنعطفاً جديداً لمسيرة الانتفاضة الشعبية الإسلامية ضد النظام.** **وإثر هذه الجريمة، وصل كرمان مبعوثون من قبل العلماء وغيرهم للتحقيق في الجريمة، كما أصبحت مادة للشعارات والهتافات المضادة للحكم، كما اعتبر إحراق المسجد، بمثابة تكرار لجريمة إحراق سينما ركس آبادان. أما الإمام الخميني(قدس سره) فقد اعتبرها انعكاساً للانهيار العصبي الذي أصيب به الشاه وأذنابه.[24]** **13ـ احتفالات عيد ميلاد الشاه:** **كان شهر (آبان) الهجري الشمسي(تشرين الأول ـ تشرين الثاني) يحمل للشاه وعائلته أفراحاً مضاعفة حيث تقع في هذا الشهر ذكرى ميلاده، ولذلك فإن البلاد تشهد احتفالات ضخمة تنفق فيها الملايين وتُعطل فيها الأعمال. فمنذ بداية العام الدراسي، ينشغل طلاب المدارس بأمور غير الدراسة من قبيل التدرُّب على الألواح السويدية التي يستمر التدرب عليها مئات الساعات، ومن ثم يقومون بعرضها خلال الاحتفالات، لأن العائلة المالكة ترغب في ذلك. لكن ذكرى ميلاد الشاه في ذلك العام كانت غير عادية ومختلفة تماماً عما كان يحدث خلال 37 عاماً مضت فلم تكن هناك احتفالات ولا مهر جانات رياضية ضخمة، فقد كان من المستحيل قيام ذلك، بينما تشهد شوارع مدن إيران يومياً سقوط العشرات من المواطنين وسط دوي هتافات (يسقط الشاه) التي تملأ أجواء البلاد.[25]** **ومع ذلك نشاهد العبيد المطيعين من رجال البلاط يقدمون فروض الطاعة ويبدون تملُقهم للشاه الذي رد على رسالة رئيس البرلمان حول أخطاء الماضي! بالقول (بالتأكيد حدثت أخطاء في الماضي، فانحرف بعضٌ عن جادة الصواب والإخلاص، كما حدث سوء تنظيم، لكن كل ذلك يمكن إصلاحه، كما أنه يتوجب الآن مواصلة مكافحة الفساد). ويبدو أن الشاه كان يجهل تماماً الهتافات التي تملأ أجواء البلاد، بل يحاول استغفال الملايين عبر تسميته لعمالته العريقة بـ(الأخطاء العادية) وعودته الى ممارسة لعبة (مكافحة الفساد) القديمة.** **وقد استمرت في تلك الفترة عملية إطلاق سراح السجناء السياسيين الذين كان بينهم عدد من كبار العلماء امثال آية الله الطالقاني اللذين استقبلهم الناس بحفاوة بالغة، كما أعلنت الحكومة فصل عدد من مسؤولي الساواك، كما قدم الى البرلمان مشروع قرار لإعادة الاعتبار للسجناء السياسيين، وهناك برز الى السطح مرة أخرى علي أميني حيث أعلن عن اجتماعه بالشاه وحديثه عن إنقاذ البلاد.** **وبالرغم من كل هذه الإجراءات اليائسة، كانت أغلب المدن الإيرانية غارقة في التظاهرات الدامية، كما كان انتاج النفط قد توقف بشكل كامل، النواب مثلوا سيناريو جديداً، إذ قاموا باستدعاء الوزراء وطالبوهم بتوضيحات عن الأوضاع، ثم أعلن عن استقالة رئيس الوزراء ليقوم بتأسيس حزب جديد، بعدما أحسَّ بخطورة تولّي منصب تنفيذي، كما اعتزل باهري العمل الحكومي بعد الهزيمة التي مُني في البرلمان. الصحف كانت تنشر كل يوم احصائيات عن عدد القتلى والجرحى ومراكز الاضرابات وتفاصيل أنباء التظاهرات.** **وقد رأت الحكومة أن إضراب عمال النفط وتوقف الانتاج بشكل كامل بمثابة ضربة قاتلة لها، فلجأت الى الجيش ليقوم باحتلال جميع المنشآت النفطية، ويقال إن توقف تصدير النفط قد ترك آثاراً سلبية سريعة على اقتصاد بريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا وأسبانيا واليابان.** **14ـ صعوبة الاجتماع بالإمام:** **تعتبر صعوبة ممثلي الحكومة بالإمام، من الظواهر الملفتة للنظر خلال مراحل الثورة، ففي الأيام الأخيرة من حكومة (آموزغار) بدأ أقطاب النظام مساعي للوصول الى الإمام وكسب رضاه وبالتالي إنهاء الأزمة، وخلال عام كامل، توسلت الحكومة بكل السبل للالتقاء بالإمام إلا أنها فشلت تماماً. فالإمام كان يستقبل أي إيراني مقيم في الخارج إلا أنه يرفض بشدة استقبال أي مبعوث للحكومة مما جعل من ذلك حلماً لأقطاب النظام.** **وعندما جاء شريف إمامي الى الحكم رافعاً شعار المصلحة الوطنية، تصور أنه سيتمكن من لقاء الإمام في النجف، لكنه ـ أي الإمام ـ رفض ذلك بتاتاً، كما لجأ إمامي الى بعض العلماء علّهم يساعدوه في تحقيق هدفه، لكن الفشل كان نصيبه أيضاً. وعندما هاجر الإمام الى باريس، سافر إليها اردشير زاهدي مرتين، وكان في كل مرة يبذل قصارى جهده للاجتماع بالإمام دون أية نتيجة.** **وعندما (تطوع) علي أميني لتولي منصب رئيس الوزراء للمحافظة على النظام وإنهاء الأزمة وإرضاء الناس! قرر الاجتماع بالإمام الخميني (قدس سره) بعدما أدرك أنه مصدر المعارضة ومحورها، وقد علّق آمالاً كبيرة على هذا اللقاء، حيث مهد لذلك باطراءات ومديح للإمام وتحدث عن لقائه به عام 1961، وبعدما اقتنعت السياسة الأمريكية ونظام الشاه باللقاء وكلفوه به، لم يلق إلا الفشل أيضاً إذ أعلن الإمام بكل صراحة (ليس هناك ما نتفاوض حوله، ولن نعطي أية مهلة ما دامت ستعني استمرار الوضع الحالي[26]). وعندما رأى الإمام أن هذا التحرك يحظى بتأييد كارتر قال:** **(لقد حدثت في المدن الإيرانية مذابح ومجازر مروعة خلال الأشهر الماضية. وفي تظاهرات طهران في (17 شهريور) قتل الكثير من الناس. السيد كارتر الذي يدافع بحماس عن أحد السجناء في الاتحاد السوفيتي، لا يتردّد أبداً في تأييد جميع هذه الجرائم والمجازر التي ترتكبها الحكومة الإيرانية، وهذا ينطبق أيضاً على الصين والاتحاد السوفيتي).** **وفي عهد حكومة ازهاري حاول بعض الأشخاص القيام بدور الوساطة وقاموا بعدة رحلات بين طهران وباريس لكنها لم تثمر أبداً، ولم يستطع مقابلة الإمام آنذاك إلا بعض رموز المعارضة شرط ان لا يتحدثوا باسم النظام، أمثال سنجابي وبازركان[27]. فهؤلاء كانوا يتصورون أن الإمام يجهل حقائق الوضع داخل إيران بسبب ابتعاده عنه سنين طوال، فكانوا يطلبون منه اتخاذ مواقف مرنة، لكنهم كانوا يقتنعون في نهاية اللقاء بوجهات نظر الإمام بل ويتحمسون لها. فعندما التقى ممثل الجبهة الوطنية الدكتور سنجابي الإمام، أعلن عن (3) أسس لإنهاء الأزمة مما أدى الى اعتقاله فور عودته الى إيران في 11 تشرين الثاني 1978.[28]** **15ـ أحداث الجامعة (4 تشرين الثاني 1978):** **كانت طهران قد تحولت في تلك الأيام الى مسرح لمواجهات مستمرة.. واطلاق الرصاص يُسمع في كل حدب وصوب، والدخان يملأ سماء طهران. جامعة طهران تحولت الى قلعة حصينة، وأنين الجرحى كان يُسمع في كل مكان، والمواجهة غير المتكافئة مستمرة بين جلاوزة النظام المزودين بأحدث الأسلحة، والطلاب المسلّحين بالحجارة. كانت الجامعة ملتقى التضامن بين طلبة المدارس والجامعة... وبينما كانت حشود الطلاب المتظاهرين تتدفق على الجامعة. بينما أخذت قوات النظام تحاصرها من كل جانب.** **وفي الرابع من تشرين الثاني 1978 وبينما كانت الجامعة تغص بالمتظاهرين، وفجأة بدأ إطلاق النار وكذلك القنابل المسيلة للدموع، فبدأ الطلاب يركضون ويطلقون الشعارات وقد بلغ الحماس والسخط الشعبي ذروته، وتعالت هتافات(لاتخافوا إنها رصاصات هوائية) و(الله أكبر)، فلم يكونوا يعلمون من أين يطلق الرصاص. المتظاهرون بدأوا يهتفون (سنقتل من قتل اخوتنا).** **وفي الساعة الواحدة بعد الظهر، كان أزيز الرصاص يسمع من مناطق قريبة من الجامعة، بعدها بدأت سيارات الأسعاف تطلق صفاراتها وهي متجهة نحو الجامعة. فانتشر خبر هذه المجزرة الجديدة في أرجاء طهران كلها بسرعة كبيرة، وصارت الجامعة تسبح بالدماء والدخان. وكل شهيد كان يسقط، كان يزيد من حماس المتظاهرين وغضبهم فيهجمون بالحجارة على قوات السلطة.** **وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر انتقلت المواجهة من الباب الجنوبي ال الباب الشرقي، وأخذ الطلبة يشعلون الإطارات لإبطال مفعول الغازات المسيلة للدموع، فكانت أعمدة الدخان الأسود تتصاعد الى عنان السماء. وانتقلت المواجهة تدريجياً الى الشوارع الأخرى المحيطة بالجامعة حيث غطّتها دماء الشهداء، ولم يعرف الطلاب معنى التعب في ذلك اليوم.** **وفي الساعة الثالثة والنصف، بلغ إطلاق النار ذروته، فكان الطلاب يلجأون الى مجاري المياه والأبنية القريبة للنجاة من رصاص الغدر. وعند الساعة الثامنة والنصف مساءً كان الحزن يخيم على طهران، بينا تدفّق الناس على المستشفيات حاملين الأمدادات الضرورية من أغطية وقطن ومستلزمات طبية، وليتبرعوا بالدم لانقاذ حياة الجرحى.** **ولم تنقطع التظاهرات في شوارع طهران، بل استمرت حتى العاشرة ليلاً، فكان ذلك اليوم، أحد الأيام الدامية في تاريخ الثورة. وفي اليوم التالي، قام أزلام النظام باشعال النار في أرجاء المدينة وفرض إجراءات قمعية جديدة، تمهيداً لقيام الشاه بتشكيل حكومة عسكرية.** **فحكومة شريف امامي التي ضرّجت الآلاف من الناس العزل بدمائهم خلال شهرين، لم تستطع وضع حد للتظاهرات وهتافات الاحتجاج التي تطلقها الجماهير المليونية، ولهذا لجأ الشاه الى حكومة عسكرية علّها تتمكن من قمع الشعب بوحشية أكبر، ومثل هذه الحكومة بحاجة الى أرضية مناسبة.** **وهكذا قام جلاوزة الساواك في اليوم الأول بإشعال النيران في دور السينما وبعض الدوائر الحكومية الكبيرة. وفي اليوم التالي، ظهر الشاه ليوجّه نداءً هزيلاً ينم عن مدى هزيمته، إذ أعلن تشكيل حكومة عسكرية برئاسة أزهاري.** **وفي 6/11/1978، أعلن النظام إغلاق أبواب جميع الجامعات والمدارس في البلاد، في محاولة للحد من التظاهرات المتزايدة للطلاب، حيث حلت الحكومة العسكرية محل حكومة الوفاق الوطني!** **وبعد مسيرات عاشوراء(يومي التاسع والعاشر من محرم) قررت الحكومة فتح المدارس المتوسطة، لكن هذا الافتتاح سرعان ما صاحبته عودة التظاهرات الطلابية الصاخبة، فاعلنت الحكومة إغلاق 22 مدرسة متوسطة، لكن المظاهرات عمت في اليوم التالي باقي المدارس والمراكز التعليمية. فقد اعتصم أساتذة جامعة طهران، وفي اليوم التالي اعتصم عدد آخر من الاساتذة في وزارة التعليم العالي، وكان من بينهم الاستاذ(نجات اللهى) الذي قتل في 26 كانون الأول حيث وقعت أثناء تشييع جثمانه، مجزرة أخرى.** **16ـ الجهاز القضائي يلتحق بالاضراب:** **يعتبر الجهاز القضائي من الأجهزة القوية التي كانت في قبضة الحكم الملكي، ومع ذلك، فقد كان هذا الجهاز يتخذ مواقف سلبية من النظام، إذ طالما كان مسؤولو هذا الجهاز يحتجون على انتهاك القانون، ولهذا نرى الحكومة تبادر الى تأسيس ادعاء عسكري ومحكمة عسكرية لتقوما بدور الأجهزة القضائية وتمارسا انتهاك القانون والظلم دون منغصات.** **وخلال تصاعد موجة التظاهرات، حظي القضاة غير المؤيدين للسلطة والذين لم ينتموا الى صفوف حزب رستاخيز، بدعم الشعب، حيث كانوا يتصدون للنظام كما خاضوا في بعض المدن صدامات مع أزلام السلطة إضافة الى القيام باعتصامات واضرابات في مناطق متفرقة بانتظار ما سيفسر عنه الوضع في طهران.** **وقبل اعلان الحكومة العسكرية، كان القضاة ينظمون تجمعات محدودة، ويضربون عن ممارسة بعض الأعمال، لكنهم كانوا يواجهون معارضة بعض زملائهم بحجة إن إغلاق المراكز القضائية هو كتعطيل المستشفيات والمراكز الطبية. لكن القضاة قرروا أخيراً بدء اضراب شامل، حيث دعوا الى اجتماع للقضاة يوم 5 تشرين الثاني وهناك انقسم المجتمعون الى مجموعتين: الأولى: ايدت وزير العدل ووقفت ـ بالتالي ـ الى جانب شريف امامي، واقترحت عدة حلول لمنع حدوث الاضراب والتعاون مع وزير العدل، كما أعد أعضاء هذه المجموعة مسودة بيان يدعو وزير العدل الى مطالبة البرلمان بمنح صلاحيات أكبر للقضاة.** **أما المجموعة الأخرى، فكان اعضاؤها من مؤيدي الانتفاضة منذ البداية، كما احتجوا بشدة على دخول وزير العدل الى هذا الاجتماع وكانوا يؤكدون أن الجهاز القضائي يجب أن يكون في خدمة الشعب في تصديه للحكم الغاشم.[29]** **وعقب هذا الاجتماع، بدأت فكرة الاضراب تكتسب قوة أكبر، وقد اقترح بعض القضاة تشكيل تجمع للقضاة المخلصين، ليكون قاعدة للجهاد ضد السلطة، وبعد تحركات واتصالات عديدة أعلن عن تأسيس(مجمع قضاة إيران) الذي يضم في عضويته كل القضاة المخلصين المعارضين للظلم البهلوي، وقد ذهب اعضاء هذا (المجمع) الى مقر إقامة الإمام الخميني بعد عودته، وتلقوا منه التوجيهات اللازمة لتأسيس جهاز قضائي ثوري جديد.**

**القسم الثالث** **6 تشرين الثاني 1978 ـ 7 كانون الأول 1979** **1ـ تشكيل الحكومة العسكرية:** **بعد حوادث 5 تشرين الثاني وخطاب الشاه، كُلّف ازهاري بتشكيل الحكومة[30]بعد أن انهارت حكومة ما يسمى بالوفاق الوطني بسلسلة من الفضائح والجرائم[31]. وفي البداية قامت القوات المسلحة بالسيطرة على الصحف الخاضعة لهيمنة الحكومة والتي كان قد دار الجدال حول منحها الحريات. لكن هذه الصحف اعلنت اضراباً مفتوحاً استمر 61 يوماً، وهي الفترة التي حكمت فيها الحكومة العسكرية، وقد طالبت الصحف بثلاثة أمور، هي:** **1ـ اطلاق سراح الصحفيين المعتقلين.** **2ـ الامتناع عن اعتقال المحررين.** **3ـ ضمان حرية الصحافة.** **وقد لبّت الحكومة الأمرين الأولين وبقي الثالث دون تنفيذ، مما حدا بكل الصحف وحتى صحيفة رستاخيز! بمواصلة الاضراب. لكن صحفاً ومجلات صغيرة واجهت معارضة شديدة من قبل نقابة الصحفيين وخلال فترة اضراب الصحف، كان الناس يتابعون الأخبار من خلال الإذاعات الأجنبية أو من خلال النشرات الجدارية والمنشورات اليدوية التي توزَّع في التجمعات العامة. أما الإذاعة والتلفزيون فقد كانتا تخضعان لرقابة مشدّدة من قبل الحكم العسكري.** **وقبل إعلان أعضاء الحكومة العسكرية، أعلن الشاه في خطاب له أنه نادم على اجراءاته السابقة ووعد بتصحيح تلك الأخطاء والمجيء بحكومة يرضاها الشعب وقال (لكن الظروف الحالية تتطلب حكومة عسكرية مؤقتة لحل الأزمة) والتمس العلماء مدّ يد العون له. لكن هذه التصريحات لم تخدع أحداً، فالشعب لم يعد يعرف الهدوء ولا الخوف من السلطة، وطهران أضحت مدينة مشلولة الحركة، والبازار(السوق الكبير) في إضراب تام، وطوابير الناس أمام مركز بيع الوقود والمخابز طويلة جداً. وكان من المتوقع أن يعلن انهاء الاضراب في 24 تشرين الثاني لكن الاعلان جاء ليمدّد الإضراب لفترة أخرى، وأصدر العلماء بياناً أكدوا فيه ضرورة مواصلة الإضراب العام.** **وفي اليوم التالي، صوّب جندي ـ فيم حلّة باچنار بطهران ـ رشاشته الى قائده العسكري وأرداه قتيلاً بعدما كان قد أعطى الأوامر بفتح النار على الناس. ولم يكتف بذلك بل فتح النار أيضاً على باقي الضباط في المنطقة بعدما حاولوا قتله. وقد جسّدت هذه الحادثة هشاشة الوضع داخل الجيش وعدم جدوى الاجراءات التي يتخذها قادة الجيش لرفع معنويات الجنود الذين كانوا يتعاطفون مع الناس تدريجياً.[32]** **2ـ اطلاق نداء (الله اكبر) من سطوح المنازل:** **يوم الجمعة الأول من محرم عام 1399هـ.ق شهدت طهران وباقي المدن تظاهرات عديدة لم يسبق لها نظير في تاريخ النضال السياسي في العالم. فقد وقفت السلطة أمام تلك التظاهرات عاجزةً تماماً، ولم تكن الهتافات تخرج عن عبارتين مقدستين هما (الله اكبر) و(لا إله إلا الله) وهي هتافات هزت أرجاء البلاد وأيقظت الكثير من القلوب التي كانت لاتزال في سبات عميق.** **وقد جرى التخطيط من قبل لهذه التظاهرات العظيمة التي كانت شيئاً جديداً لم تألفه الدنيا من قبل. فلم ينزل المتظاهرون الى الشوارع ولم يقفوا وجهاً لوجه أمام قوات النظام، بل صعد الملايين من الناس الى السطوح يطلقون نداءات (الله اكبر) و(لا إله إلا الله) فكانت تشق عنان السماء وتولّد حالة رعب وهستيريا لدى أزلام السلطة الذين راحوا يطلقون النار في الهواء في محاولة للتعتيم على الهتافات المقدسة ولكن دون جدوى. كما خرجت أعداد كبيرة من الناس المجتمعين في المساجد الى الشوارع بنفس الهتاف، ليمتزج مع هدير الدبابات وأزيز الرصاص وصفارات سيارات الأسعاف التي تنقل الجرحى والشهداء.** **وفي اليوم التالي، وقف ازهاري في البرلمان ليدّعي بأن نداءات (الله اكبر) واطلاق الرصاص كانت تنطلق من مسجلات الصوت التي اُعدت من قبل، وجرى بثها من مكبرات الصوت، في محاولة منه للتقليل من أهمية هذا الانعطاف الجديد في مسيرة الجهاد الشعبي. لكن هراءه لم يغير من الحقيقة شيئاً واستمرت تلك التظاهرات بنفس القوة، فكان لها أكبر الأثر في تجسيد البعد الإلهي للثورة وتعميق الأمل في نفوس الأمة التي كانت توشك على النصر. وكانت (مرحلة محرم) الجهادية قد بدأت بنداء من الإمام الخميني جاء فيه:** **بسم الله الرحمن الرحيم** **(مرة أخرى تمتد يدا لشاه المجرم ومن خلال حكومة الصعاليك العسكرية لتضرج أبناء الشعب الإيراني بدمائهم مع بداية شهر محرم الحرام.** **مرة أخرى يشن السفاكون ومصاصو الدماء والناهبون هجومهم على أبناء الإسلام والقرآن، ويضرجون براعم الإنسانية بدمائهم الزكية، باستخدام الدبابات والمدافع والرشاشات.** **إن الأخبار المفجعة التي لا تُحتمل، والواصلة من أرجاء إيران العزيزة حتى هذه اللحظة ـ حيث لم يمض بعدُ اليوم الأول من شهر محرم ـ قد أثارت في نفسي الألم والأسى. وهذه الأخبار تكشف أبعاد جرائم الشاه ودولته المجرمة، كما تكشف للعيان شجاعة شعبنا الغيور وشهامته. وإن أعداء الإسلام من مؤيدي النظام اليزيدي يقفون اليوم بوجه أنصار القرآن والإسلام المعارضين الأشداء للنظام الطاغوتي السفياني، يريدون القضاء على الشعارات الإسلامية والحسينية التي تهدف الى إحياء الإسلام ونيل الحرية والاستقلال وإقامة حكومة القرآن بدل سلطة الشيطان، وحكومة القانون والعدل بدل قانون الغابة، مستخدمين في هذا التصدي الإجرامي، ما لديهم من دبابات ومدافع ورشاشات جرى دفع أثمانها من جهود وعرق جبين هذا الشعب.** **إنهم غافلون عن أن الأمة التي نهضت بوعي كامل بأن نهضتها شرعية وإلهية، إنما تنظر الى كل هذه الأسلحة باستهزاء وسخرية. وإن هذه الأمة هي شيعة أعظم رجل في التاريخ، إنها من شيعة الرجل الذي سطّر ملحمة عاشوراء العظيمة بنفر قليل من الرجال، تلك الملحمة التي اقبرت ـ والى الأبد ـ السلالة الأموية المجرمة.** **وبعون من الله، فإن شعبنا العزيز، سيواصل نهج الإمام الحسين (عليه السلام) وسيدفن ـ عبر التضحية بدماء أبنائه ـ السلالة البهلوية الشيطانية في مقبرة التاريخ، وسيرفع راية الإسلام في أرجاء البلاد، بل في كل البلدان.** **إن ارتكاب المذابح بحق مواكب العزاء الحسيني وصمة عار في جبين الشاه الخائن وأنصاره المحليين والدوليين، ومبعث فخر واعتزاز للشعب الإيراني الذي يتصدى للأسلحة المتطورة بقبضاته المتراصّة، التي بها اهتزت عروش الظلم والغدر. إنني وعبر هذه المسافات البعيدة، اُرسل سلامي اللامتناهي الى الشعب الإيراني العظيم واُشاركه في كل أفراحه وأتراحه واُعلن وفائي التام له.** **إنني أطلب العون من جميع البشر، لدعم الأهداف التي نهض شعبنا من أجلها كما أطلب من المسلمين كافة تقديم العون لهذه النهضة الإسلامية التي تستهدف انقاذ الإسلام والدول الإسلامية. إنني أنصح أولئك الذين يلتزمون الصمت القاتل أو الممارسات الداعمة للشاه الخائن بأن يلتحقوا بشعبنا المظلوم الذي يضحي بدمه من أجل الإسلام، ويتغلبون على أهوائهم النفسية. إن شعبنا منتصر سواء لجأ الشاه الى الحراب لمواصلة سلطته أم لا، فقد سجّل شعبنا مفاخر كبرى في حضرة الخالق.** **لقد اهتزت شعوب العالم لثباتكم أيها الأعزاء في سبيل إحقاق الحق ودحض الباطل. فقد وجدت الشعوب المظلومة، في نهضتكم نهجها المنشود. ولقد نلتم بنهضتكم هذه رضى الله الذي هو فوق كل الأمور. وإنني أطلب من الجنود في أرجاء البلاد أن يهربوا من المعسكرات، فالواجب الشرعي يحتّم عليكم أن لا تكونوا في خدمة الظالم.** **إنني اُطلب آباء أصحاب المناصب الرسمية وامهاتهم وعوائلهم بمنع أبناءهم من إطاعة أوامر الأجانب وخدّام الشاه، كما أطلب من جميع ضبّاط الجيش ومراتبه الالتحاق بشعبهم والفوز بفخر خدمة المسلمين، كما أرى لزاماً عليَّ تقديم شكري الجزيل للمشاركين بالإضراب الشامل المدعوم من قبل الشعب. هذه الاضرابات القيمة تلعب ـ بالرغم من صعوبتها ـ دوراً كبيراً في تحقيق الأهداف المقدسة للنهضة الشعبية. واصلوا اضرابكم وشلوا جميع أجهزة هذه الطغمة الشريرة.** **إن تقديم العون لهؤلاء الخونة حرام ومخالف لرضى الله، واطاعة أوامر هؤلاء ـ مهما كان السبب ـ إنما هو معارضة للإسلام والخالق عزوجل. إضراب العاملين في قطاع النفط والحيلولة دون إهدار ثروة الشعب العظيمة إنما هي إطاعة للباري عزوجل. كما أُعلن هنا تأييدي ودعمي لبيان مدرسي الحوزة العلمية وفضلائها العظام (دامت بركاتهم) الخاص بيوم التضامن الشعبي مع الاضرابات التي تقوم بها المؤسسات الحكومية وخاصة شركة النفط. واُعلن هنا ـ باعتبار فرداً من هذه الأمة ـ تضامني مع المضربين.** **وفي هذه البرهة الحساسة التي يتوجب علينا فيها تحديد مصيرنا، فإن كل من يتقاعس عن اداء واجبه ويتنصل عن دعم النهضة، سيُطرد من حضرة إمام العصر(عجل الله فرجه الشريف)، كما يتوجب على أبناء الشعب طرد هذه العناصر من صفوفهم، وعدم القبول بما يقدمونه من أعذار وذرائع، وكل من يسعى من محترفي السياسة للحصول على منصب حكومي في ظل الشاه، سيطرد من صفوف الشعب وسيعتبر مخالفاً للإسلام. على الانتهازيين أن يقبعوا في أماكنهم، فلامكان لهم اليوم أبداً.** **إن أمام الشاه طريقاً واحداً للإفلات من غضب الشعب، ألا وهو التخلي عن عرش الهيمنة والظلم. وفي هذه البرهة الحساسة، يتحمل المراجع العظام والعلماء الأعلام (دامت بركاتهم) وكذلك الخطباء المحترمون مسؤولية كبيرة جداً، فنحن جميعاً مسؤولون أمام الله تعالى. وكلُّ تساهل وتقاعس سيكون خدمة للظالم وهدراً لدماء الشهداء، وتمهيداً للقضاء على المصالح الإسلامية السامية ومصالح البلاد.** **إنني أشكر جميع فئات الشعب المحترمة التي تأسّت في جهادها، بجهاد الإمام الحسين (ع) ونهجه، والله معكم والقرآن حاميكم).** **والسلام على من اتبع الهدى**

**روح الله الموسوي الخميني** **1/1/1399**

**وبعد أسبوع من الاضراب، احتجاجاً على إعلان الحكومة العسكرية، عاد البازار الى مزاولة نشاطاته التجارية بناءً على طلب من عدد من العلماء، لكن المدن ظلت تواصل اضرابها، فمدن قم ومشهد وشيراز واصفهان وسنندج وساري وغيرها كانت تعيش إضراباً شاملاً، وزارة المالية ظلت تعيش إضراباً عن العمل منذ شهر مضى، مخازن النفط وما زالت مقفلة بوجه الأجانب، وابناء الجنوب الأبطال ـ حيث مراكز النفط ـ مازالوا صامدين مصرين على تلبية مطاليبهم السياسية. طهران اضحت مسرحاً لقوات مسلحة قوامها مئة ألف عسكري وعشرات الدبابات والمدرعات، وأجواء الكبت والقمع تلقي بظلالها على كل مكان.** **الشاه اشترى كميات كبيرة من القنابل المسيلة للدموع من أمريكا متصوراً أنها ستنهي الاضراب وتيعد الناس الى أعمالهم. أما فرح ديبا ـ زوجة الشاه ـ فقد لجأت الى خداع الناس، فتظاهرت بالتوبة واللجوء الى الأئمة الأطهار، فسافرت الى العراق وصلّت في مرقد أبي الأحرار الإمام الحسين في كربلاء، ثم توجهت الى النجف الأشرف حيث مرقد الإمام عليه (عليه السلام)مرتدية العباءة (التشادور) السوداء والجوارب السميكة، بينما كانت وسائل الإعلام تتابع وتنشر تفاصيل هذه اللعبة، والتلفزيون والراديو يتابعان كل تحركاتها ويبثانها مباشرة على الهواء.** **أما الصحف فقد امتنعت عن الصدور مرة أخرى، والأخبار أخذت تنتقل عن طريق الناس فقط أو عبر الهاتف. أزلام الشاه وأمريكا واصلوا مجازرهم بحق الناس العزل، فهاجموا زوار مرقد الإمام الرضا(عليه السلام) وقتلوا بالرصاص عدداً منهم.** **أربعمئة ألف معلم واصلوا إضرابهم، بينما لجأ أزلام الشاه الى شتى أساليب القمع والإرهاب لإجبار تلاميذ المدارس والجامعات على إنهاء الإضراب.** **3ـ عاشوراء ذروة الغليان:** **يوماً التاسع والعاشر من شهر محرم كل عام كانا ناقوس خطر للحكومات التي تعاقبت على حكم إيران، فقد كانت شخصية يزيد متجسدة في أولئك الحكام، ولهذا كانوا يخشون كل حديث عن يزيد وظلمه وجرائمه، كما كانوا يعادون ـ وقد يعاقبون ـ من يركّز في حديثه على يزيد، فقد كان من الطبيعي أن تؤدي أيام عاشوراء والحديث عن ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) الى توعية الكثير والتحاقهم بركب الثورة.** **ومع اقتراب ذكرى عاشوراء في ذلك العام، كانت الأوضاع تزداد تأزماً، كما ازدادت حالات الفرار من الجيش. فقبل ذلك، لم يكن قادة الجيش يتصورون أن ظاهرة الهروب ستصل الى هذا الحد، لكن ما حدث في معسكر لويزان، جعل القوات المسلحة في وضع يشرف على الانهيار، فقد قام مجموعة من الثوار المندسين في صفوف حرس الشاه الخاص(الخالدون) بفتح نيران رشاشاتهم على عدد كبير من زملائهم الضباط والمراتب في الحرس الخاص في صالة الطعام بمعسكر لويزان وأوقعوا في صفوفهم عدداً من القتلى والجرحى[33]. وكان ذلك يحمل الكثير من المعاني والدلالات للنظام.** **فقد تحمل الشاه ظاهرة هروب العسكريين وكان يأمل بأن يوضع حدٌّ لها، لكن هذه الحادثة ادخلت الرعب واليأس الى قلبه ووجد أنه عاد وحيداً عاجزاً، ولم يعد يثق بإعلان بعض أذنابه الوفاء له، والوعود التي كانوا يقدمونها بإعادة المياه الى مجاريها لم تعد تستطيع طمأنته.** **فالصحف الكبرى مثل كيهان وإطلاعات التي اعتاد الناس قراءتها عشرات السنين، لم تعد تصدر، وكل يوم يسقط العشرات من المدنيين قتلى على أيدي قوات النظام، والتظاهرات الواسعة تعم أرجاء البلاد. ولم تستطع حكومة أزهاري أن توصل عمرها الى الشهرين، وخلال هذه الفترة كانت الصحف مستمرة في إضرابها، كما التحق بهذا الاضراب غالبية العاملين في الإذاعة والتلفزيون، وظهرت تغييرات ملحوظة على طبيعة برامجها المسموعة والمرئية.** **ومع اقتراب يومي التاسع والعاشر من محرم، قام آية الله الطالقاني ـ الذي كان قد اُطلق سراحه للتو ـ بعملية اختبار لوحدة القوى الوطنية والدينية. فقد حظر الحاكم العسكري في طهران إقامة أية مسيرات وتظاهرات سياسية، وسمح بإقامة مجالس العزاء في المساجد والتكايا فقط، كما كرر الإعلان أن (المخربين يعدون العدة لإراقة الدماء). لكن آية الله الطالقاني أعلن أنه سيتحدى كل الأخطار المحدقة وسيبدأ مسيرة من بيته في الساعة التاسعة من يوم التاسع من محرم. وضمت المجموعات السياسية والجمعيات صوتها اليه ودعت الى المشاركة في هذه المسيرة، مما أجبر الحكومة على التراجع عن تهديداتها في اللحظات الأخيرة[34]، فسحبت العسكر من طريق المسيرة وخرجت المسيرة المليونية طيلة يومين، فكانت طهران في يد الشعب دون السلطة. وخلال تلك اليومين، أعلن الشعب والحكومة كلاهما أنهما بعيدان عن أحدهما الآخر وأن كلاً منهما في واد.** **وقد تحولت تظاهرات محرم في ذلك العام من مراسم عزاء الى استعراض ديني كبير وانتخابات شعبية كبرى بدون احصاء الأصوات، كما رسخت ارتباط بقائدها الإمام الخميني(قدس سره). فقد حملت الجماهير المليونية صورة وجابت بها شوارع طهران[35].** **لقد ارتدت طهران في ذلك اليوم حلّة جديدة، وكان ذلك بمثابة استعداد لثورة كبرى، وإقرار حكومة العدل، وتصميم راسخ عن الأمة على الإطاحة بالطاغوت ومواصلة الجهاد ضد الإمبريالية. وقد كان البيان الذي صدر عن التظاهر الكبرى[36]يعكس بوضوح أوضاع البلاد ومطاليب الشعب. فقد قدرت وكالات الأنباء عدد المشاركين في المسيرة بين 3 ـ 4 ملايين شخص، وقد كان الشعب مسروراً لهذا الاستعراض الشعبي الذي جسد تلاحم كل فئاته.** **أما الجيش فقد ركز جهوده لحماية المناطق الشمالية للمدينة حيث يسكن كبار المسؤولين، وأحاطت الدبابات بقصر الشاه في منطقة نياوران، فقد كانت شعارات المتظاهرين أكثر حماساً، وكلها تؤكد أنها ستقتص من الشاه كما كانت هتافات(يسقط الشاه) تنطلق من ملايين الحناجر، وخلال وقت قصير انتشرت أخبار هذا الانعطاف الكبير في مسيرة الثورة، في أنحاء العالم واعتبره المراقبون بمثابة استفتاء شعبي على مواقف الشعب من الشاه.** **وخلال تلك الأيام، اغلقت الحكومة مطار طهران بوجه الرحلات المحلية والدولية، لكن عدداً كبيراً من الصحفيين كانوا قد وصلوا إيران من قبل، والطائرات العمودية العسكرية كانت تحلّق في أجواء المدن وخاصة طهران لمراقبة الأوضاع وحماية المراكز الحساسة وفتح النار على المتظاهرين إذا حاولوا الاقتراب منها، لكن صفوف الشعب المتراصة ومحافظة المتظاهرين على النظام سلب السلطة أية قدرة على التدخل.** **وفي تبريز ومشهد تظاهر ملايين الأشخاص، وفي اصفهان تحركت جموع الشعب باتجاه تماثيل الشاه في الساحات العامة وهاجمتها، بينما راحت الطائرات العمودية تطلق النار عليهم من الجو مما أدى الى قتل عدد كبير من المتظاهرين، وفي هذه الأثناء وصل بيان من الإمام وبالسرعة المعهودة، وجرى إلصاقه على الجدران في الشوارع والأماكن العامة ليعطي زخماً جديداً للشعب الثائر فقد جاء في البيان:** **بسم الله الرحمن الرحيم** **(تحية من الأعماق للشعب الإيراني الشجاع. لقد أثبتم للعالم بارادتكم التي تُقهر وشعاراتكم المدمرة، بانكم ترفضون الشاه وتصرون على إزاحته من عرش الظلم، واثبتم بالاستفتاء الشعبي الأخير الذي قمتم به افتقار الشاه للقاعدة الشعبية، وهذا ما اكدتموه عدة مرات كما اُحبطت ادعاءات التافهين الذين ادعوا عدة مرات أن المعارضين هم فئة قليلة من المخربني وأن الشعب يريد الشاه، وهذه المرة أيضاً وجهتم بقبضاتكم القوية ضربة كبرى الى أفواه هؤلاء، إن الله راضٍ عنكم، وإمام العصر (عج) يشيد بكم، وإن الإسلام يفخر بكم، يا من تقدمون التضحيات من دماء شبانكم من أجل رفع رايته خفاقة.** **وإنني ـ وبقلب مفعم بالأمل والحب لكم أيها الأعزاء ـ أشعر بفخر كبير وأنا أراكم تصرون على الإطاحة بنظام الشاه واقتلاع جذور النظام الشاهنشاهي وإقامة حكومة الجمهورية الإسلامية. لقد جددتم في مسيرات التاسع والعاشر من محرم العظيمة العهد مع سيد الشهداء وإمام المظلومين والمضحين عليه الصلاة والسلام.** **لقد أعلنتُ تزامناً مع هذه المسيرات لجميع الحكومات أن هذا الاستفتاء العفوي خلال هذين اليومين، لم يبق أي شك في أن الشعب يرفض الشاه بتاتاً، وأن أي رئيس دولة ينوي مساندة الشاه سيحرم من نفط إيران، وستعتبر اتفاقياته المعقودة مع الشاه لاغية وسيستمر ذلك ما داموا يساندون نظام الشاه.** **وعلى الشعوب أن تعترض على زعمائها، وعلى مجلس النواب الأمريكي أن يستوضح حكومة كارتر. لقد طلبتُ من الضباط الشبان في الجيش، أن يلتحقوا بالشعب ليتخلصوا من هيمنة المستشارين العسكريين الأجانب ويعودوا الى أحضان الشعب.** **على الضباط الشبان المحترمين الامتناع بحزم عن التصدي لإخوتهم واخواتهم وأن يلتحقوا بصفوفهم، وذلك ما يريده الإسلام. واطلب من الشعب أن يحتضن هؤلاء الضبّاط وأن يوفر لهم الحماية الكافية ويقدّم لهم الدعم اللازم.** **على الشعب أن يدرك أن الظروف حساسة جداً، وان لا يعير اهتماماً للأصوات الداعية الى التخاذل والسكوت سواء كانت عن قصد أو جهل، وأن يوسع احتجاجه ضد الشاه. ولأن وسائل الإعلام في حالة اضراب شامل الآن، فإن على الشعب فتح قنوات اتصال بين جميع المدن وإيصال أخبار الحوادث والتظاهرات والبطولات الى كل المدن.** **أُقدم شكري الجزيل للشعب العزيز، وأسأل الله له النصر، والذي سيكون نصراً للقرآن الكريم والإسلام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).**

**روح الله الموسوي الخميني** **11 محرم 1399**

**4ـ السلطة الحاكمة ومسيرات عاشوراء:** **قرر جهاز الأمن الشاهنشاهي(الساواك) التصدي للتظاهرات الشعبية مستعيناً بأعداد كبيرة من أزلام السلطة من الأجهزة الأخرى، واستخدموا شاحنات الجيش فهاجموا مسيرات إصفهان ومدن أخرى وأوقعوا اصابات في صفوف الشعب، ولما لم تؤدِ هذه الخطوة الى النتيجة المطلوبة، واعلنت السلطة ـ من خلال الإذاعة ـ أن الأوامر صدرت الى الحكام العسكريين في كل المحافظات بالتصدي للتظاهرات وقمعها.** **أما ازهاري فقد ظل عاجزاً أمام موجة الاضرابات الكبرى، ولم يكن باستطاعته اتخاذ أي اجراء، فلجأ الى التهديد والوعيد، فهدد بعواقب وخيمة تنتظر الشعب في حال عدم انهاء الاضراب)، كما هدّد عمال النفط بعدم دفع رواتبهم قائلاً (مادمنا لا نبيع النفط فلن يكون لدينا مال ندفع منه الرواتب، كما أن استمرار الاضراب سيدفعنا الى شراء النفط الكويتي بأسعار باهضة، وسنتشري الحنطة وباقي المواد الغذائية من بلدان أخرى، لكن الخزينة الآن خاوية، ولذا لن نتمكن من دفع رواتب العمال والموظفين ما دام الإضراب مستمراً، وعلى الوزارات طرد الموظفين المضربين، ولن نسمح لعدد من الشيوعيين بالعمل داخل البلاد).** **وفي تلك الاثناء لجأ الشاه الى طريق آخر، فقرر عقد لقاءات (ودية) مع المعارضين، فطلب العون من الجبهة الوطنية وقيل في حينها أن لقاءً تم بين الشاه والدكتور سنجابي سكرتير الجبهة الذي كان قد اعتقل بعد عودته من باريس ولقائه بالإمام هناك، ولم يصدق أحد هذا الخبر لأن الإمام كان قد أعلن أن كل من يلتقي الشان سيطرد من صفوف الشعب، لكن سنجابي اعترف فيما بعد باللقاء، إلا أنه أوضح الأسباب والمسوّغات لذلك.** **وبالرغ من أن هذا اللقاء لم يؤدّ الى نتائج إيجابية ولم يسفر عن إناطة رئاسة الوزراء بسنجابي، واستبداله ببختيار من قبل الشاه، إلا أنه جاء خلافاً للنهج الواضح الذي أعلنه الإمام وأذعن له سنجابي في باريس.** **فقد أدى هذا اللقاء، ولقاءات أخرى مع قادة الجبهة وأخيراً تنصيب بختيار ـ الذي هو أحد رموزها ـ رئيساً للوزراء، الى سلب الجبهة اعتبارها الشعبي وتأييدها الجماهيري خلال أيام الثورة وادى الى إثارة شبهات حول تاريخ رموزها وممارساتهم السابقة.** **ولما كانت حكومة ازهاري العسكرية قد رأت هزيمتها بنفسها فقد لجأت الى الانتقام من الشعب عبر ارتكاب مذابح دامية في قم ومشهد وتبريز واردبيل وطهران ومناطق عديدة أخرى، وكانت مقبرة (بهشت زهرا) في طهران أحد أهم مراكز التجمع الشعبي، حيث يتجمع الناس حول قبور الشهداء، ويناقشون الأوضاع ويتخذون القرارات بشأنها، ويعاهدون الشهداء على مواصلة الطريق، كما كانت المنشورات تُوزع أو تُلصق على الجدران هناك.** **وكانت الحكومة تعتقل الجرحى من المستشفيات، ولهذا كان الناس يتولون معالجتهم داخل البيوت. وفي الأيام الأخيرة من عام 1978، جرى فتح المدارس، لكن تظاهرات الطلاب عادت من جديد، وأضحى هتاف (يسقط الشاه) يدوّي في كل حدب وصوب. فكان أزلام النظام يطاردون التلاميذ ويقتلون عدداً منهم في الشوارع بسبب ترديدهم لهذا الهتاف.** **كما كانت ظاهرة الطوابير الطويلة أمام مراكز توزيع النفط مشهودة في كل مكان، حيث قررت الحكومة ممارسة الضغط على الشعب لإركاعه والتخلي عن مواصلة الثورة، لكن الشعب كان يقاوم بصلابة، وفي هذه الأثناء تم تشكيل لجنة من خمسة أشخاص تقوم بزيارة المراكز النفطية لتطلب من العمال المضربين إنتاج ما يكفي لسد حاجة الناس فقط شرط عدم تصدير قطرة واحدة منه الى الخارج.** **5ـ الإعلان عن تهريب ما يعادل 13 مليار تومان من العملة الصعبة:** **اعلن البنك المركزي في عهد حكومة ازهاري قائمة بأسماء 175 شخصاً قاموا خلال حكومة شريف امامي بتهريب ما يعادل 13 مليار تومان من العملة الصعبة الى الخارج وعلى الرغم من تكذيب ازهاري لهذا النبأ، إلا أنه اضطر أخيراً الى إحالة الأمر الى المحكمة العليا للتحقيق.** **وقد جاءت نتيجة التحقيق لتؤيد هذا الأمر، وصدر الأمر بمنع المهربين من مغادرة البلاد، لكن معظم هؤلاء هربوا خلال فترة الشهرين من حكم ازهاري وقد فُتحت خلال تلك الفترة 17 رصيداً بعناوين سياسية يبلغ مجموعها 3750 مليون تومان وأودعوها في حسابات خاصة في بنوك سويسرا وفرنسا وأمريكا.** **وقد كان للكشف عن هذه القائمة ردود فعل واسعة حيث كشف كيف أن أعوان النظام كانوا يستعدون للهروب من إيران وترتيب مستقبلهم.** **وعقب ذلك تم نشر قوائم أخرى من ممتلكات مؤسسة بهلوي والشاه، وكان ذلك يزيد من روح المقاومة عند الشعب ويرفع من ضراوة ثورته، بعدما انكشف له اكثر فأكثر كيف أن البلد الذي يعيش فيه ملايين الفقراء يضم اناساً يملكون كل هذه الأموال الطائلة ويقومون بتهريبها الى الخارج، وما السبب وراء الذعر الذي دب في قلوب هؤلاء ودفعهم الى تهريب أموالهم الى الخارج.** **هذا الوضع دفع الناس الى سحب أموالهم من البنوك التي اضحت خزائنها شبه خالية، حتى أن بعضها لم يكن يستطيع دفع مبلغ 10 آلاف تومان، وهكذا أضحى الإفلاس يهدد كل الطبقات وفي تلك الفترة تم تأسيس عدة صناديق لدعم العمال والموظفين المضربين وكان تمويلها يتم من قبل التجار والعلماء.** **وفي مجلس الشيوخ أعلن رئيس الوزراء أنه سيتولى إدارة شؤون البلاد بكاملها وأن الشاه لن يتدخل في شيء بل سيظل بمثابة مستشار سياسي ذي تجربة طويلة في شؤون البلاد، كما أعلن أن الحكومة الوطنية التي يطالب بها آية الله الخميني، لا يمكن تحقيقها الآن، وإلا فإن الشعب يجب أن يتهأ لسلسلة انقلابات كبرى.** **ولم يكن هذا التحذير، يتم بمعزل عن التحذير الذي وجهه الرئيس الفرنسي آنذاك(جيسكار ديستان) الى الإمام الخميني والذي طالب فيه الإمام بالكف عن مواجهة الشاه.** **6ـ أيام دامية في مشهد:** **مشهد مدينة مقدسة مكتظة بالسكان كانت هي الأخرى ناشطة في دعم الثورة بالتظاهرات والاضرابات. وخلال الأيام 30 و31 من شهر كانون الأول 1978 والأول من العام الجديد، شهدت تظاهرات المدينة مجازر عديدة قام بها أزلام السلطة، كما شهدت المدينة موجة إضرابات كبرى. فعندما أعلن موظفو مركز المحافظة إضرابهم، توجهت المسيرات باتجاه مبنى المحافظة وهناك، وخلال خطاب حماسي للعالم المجاهد السيد الخامنئي، هاجمت الدبابات والمدرعات الجموع المحتشدة، فقتلت حوالي خمسمئة منهم كما وصل عدد الجرحى الى الألف، لكن ذلك أجّج نار الثورة أكثر فأكثر، فهاجمت الجموع الغاضبة دبابات الجيش واشتعلت النار في العديد منها كما احتلّت عدة مراكز للشرطة، كما قتلت عدة مراكز للشرطة، كما قتلت بالركل والضرب أحد ضباط الجيش ويُدعى كمالي، وأحرقوا السوق المركزي للجيش وشنقوا ثلاثة من أفراد الساواك في (ساحة الشاه).** **7ـ الاجتماع الرباعي:** **بينما كانت الأزمة في إيران قد بلغت ذروتها، عقد زعماء أمريكا وانجلترا وفرنسا وألمانيا اجتماعاً لمحاولة وضع ترتيبات جديدة تضمن لهم بقاء إيران في قبضتهم، وبالرغم من سرية المحادثات، لكن المعلومات المتسربة منها أكدت أن كارتر أعرب عن عميق قلقه لما يجري في إيران كما قدم شرحاً للأهمية الستراتيجية التي يتمتع بها هذا البلد أما الرئيس الفرنسي فقد ابدى وجهة نظره باعتبار أن الإمام يقيم في بلده، وفي ضوء نتائج زيارة مبعوثه بونياتوفسكي الى إيران واجتماعه بالشاه، أما المستشار الألماني هلموت شميت ورئيس الوزراء البريطاني كالاهان فقد حذّرا من عواقب قضية الوقود والطاقة، وقد ظلت قراراتهم سرية كما لم يصدروا أي بيان عقب الاجتماع، لكن الأيام التالية شهدت طرح قضية تولّي بختيار لرئاسة الوزراء ومحافظته على حكم الشاه، وبدأت المحاولات لفتح قنوات اتصال بين بختيار والإمام الخميني، ولهذا الغرض زار الجنرال هايزر ايران ومكث فيها شهراً كاملاً، لكن موقف الإمام لم يتغير لكن الإمام أعلن أن أية حكومة تتعاون مع النظام الإيراني الحالي ستكون مرفوضة بتاتاً.** **8ـ سقوط الحكومة العسكرية:** **لم يكن إعلان الحكومة العسكرية أمراً مستبعداً، إذ كان من الطبيعي أن يلجأ الشاه الى العسكر لمواجهة الثورة المتصاعدة، لكن الشيء المؤكد هو أن أية حكومة عسكرية لم يكن بإمكانها القضاء على الثورة، فقد كانت حكومة اُويسي[37]العسكرية في طهران جرّبت حظّها في حوادث 8 أيلول (17 شهريور) في ظل حكومة شريف إمامي، ورأت كيف أن الأسلحة النارية هزمت أمام سلاح الشهادة والتحدي، وكانت النتيجة تصاعد لهيب الثورة وخروج الشعب منها أكثر صموداً واصراراً على مواصلة طريقه. ولم تستطع حكومة ازهاري عمل أي شيء سوى أنها زادت من قلق الدوائر الإمبريالية وخوفها مما يجري، وعندما رأى النظام هذه النتيجة، عاد من جديد الى لعبة المصالحة الوطنية منح الديمقراطية.**

**القسم الرابع** **المساعي الأخيرة وتشكيل حكومة ديمقراطية اشتراكية** **1ـ نظرة عامة:** **الآمال الأمريكية بالإبقاء على الشاه تبددت، وحل محلها يأس شديد[38]، فالمذابح المتواصلة التي ارتكبتها حكومة ازهاري زادت من وخامة الأوضاع، وبدأت المحاولات الأمريكية والغربية للعثور على صيغة تضمن بقاء إيران في الفلك الغربي، حتى لو سقط الشاه، ولهذا بدأ التحرك صوب انصار مصدق وأتباعه، فقد أبقتهم أمريكا كاحتياطي لها، وقدمت لهم الدعم الكافي خلال السنوات الماضية، وقد آن الآوان لتستخدم هذا الاحتياطي في خدمة سياساتها.** **فبعض هؤلاء كان يمارس نشاطات إعلامية انطلاقاً من أمريكا، وهم ينتظرون اليوم الذي يصل فيه دورهم لتولّي السلطة. كما كانت مجموعات أخرى من هؤلاء تعيش في دولة أوروبية مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا، تقوم بالبحث والدراسة في سياسات مصدق ونهجه، كما كانت تطبع خطاباته. وفي إيران، كان يعيش قسم من هؤلاء فكانوا يرفعون اسم مصدق في كل مناسبة للإشارة الى هويتهم.** **ومنذ اندلاع الشرارة الأولى للثورة، والحديث يدور حول ضرورة اختيار أحد مؤيدي مصدق لإدارة شؤون البلاد، وقد كثر هذا الحديث في عهد حكومة ازهاري كما كان أنصار مصدق يقومون بنشاطات اعلامية خلال فترة الانفتاح السياسي، رافعين اسمه مؤكدين على أنه قائدهم. وكان من مصلحة أمريكا أن يطفو على السطح أشخاص يحملون صفة وطنية، وفي نفس الوقت يتصدون للنهضة الإسلامية.** **وكان في النموذج المصدقي خير مايلي المطالب الأمريكية، فقد استطاع مصدق من قبل القضاء على تيار ديني كبير قاده المرحوم آية الله الكاشاني، تحت ستار شعبي ووطني استمر حتى بعد الإطاحة به، حيث تمثل في أتباعه ومؤيديه الذين شكلوا الجبهة الوطنية.** **وفي العام 1978، كان هدف أمريكا الأول، هو الحصول على شخص (مصدقي) ليتولى مقاليد السلطة، بعدما يئست من إمكانية الإبقاء على الشاه، وحتى لو بقي كان لابد وأن يستعين بهذا النموذج المصدقي في شؤون الحكم. وهكذا تبدد القلق الأمريكي، بعدما جرى إعداد عدة عناصر من هذا الخط، ولا نعني هنا أن جميع أتباع مصدق كانوا عملاء لأمريكا، يتسلمون منها الأوامر مباشرة، لكن الحقيقة هي أن السياسات الأمريكية كانت تمرر عبر هؤلاء، وقد يكون بعضهم يجهل المنحى الذي يسير فيه، لكنه يشعر في النهاية أنه يتمتع بدعم قوي، وكان بعضهم يوعزها الى كفاءته واهليته لذلك.** **فالمصدقيون كانوا يرون أن الثورة كانت تنطلق من المساجد، وبيانات الإمام الخميني ونداءاته كانت تؤجج لهيب الثورة وتدفع الناس العزل الى التصدي لدبابات النظام واسلحته الأخرى، لكنهم كانوا غير مقتنعين بانعدام أي تأثير لهم على الثورة. ولهذا كانوا يوزعون منشوراتهم خلال التظاهرات المليونية، ويصدرون البيانات ليوحوا بأن الثورة هي ثمرة جهودهم، والشعب إنما نهض لتأييدهم، وكانوا يؤكدون للصحفيين إسلامية، والشعب مسلم ويريد حكومة إسلامية، وكل فريق يدّعي غير ذلك عليه أن يخرج من صف الثورة، اما من يريد المشاركة في الثورة فعليه أن يضع اسم جبهته أو حركته جانباً، وينخرط في صفوف الشعب.[39]** **2ـ تنصيب بختيار رئيساً للوزراء:** **وقع اختيار أمريكا على شاهبور بختيار من بين باقي المرشحين ليكون رئيساً للوزراء، ولم يكن هكذا الاختيار من فعل الصدفة، بل إنها وجدت فيه كل المواصفات المطلوبة، فهو من أتباع مصدّق الأساسيين، وكان وكيلاً لإحدى الوزارات في حكومة مصدق. وبعد الإطاحة بمصدّق اعتقل فترة من الزمن وظل ممن يرفعون ويدعون إليه ويعتبرونه القائد الفريد، كما كان بختيار مجداً في تنفيذ السياسات الأجنبية في إيران، ففي عهد هيمنة النفط البريطانية، كان خادماً مطيعاً في هذه الشركة. وفي عام 1958 أعلن تأييده لنظرية ايزنهاور، وإضافة الى ذلك، كان بختيار يرفع شعار الوطنية، وكان عضواً فعالاً في الجبهة الوطنية، فضلاً عن تزعمه لحزب إيران، كما كان يحظى بتأييد أصدقائه ومؤيدي هذا النهج، ممن كانوا في الجبهة الوطنية أو حزب إيران و (نهضة الحرية)، كما استطاع بعض هؤلاء زج أنفسهم في الحاشية المحيطة بالإمام خلال إقامته في باريس.** **لقد اختار الشاه بختيار، واشترطت أمريكا لذلك مغادرة الشاه لإيران عدة أشهر،[40]وفي خطاب اذاعي، أعلن الشاه للشعب أنه بحاجة الى استراحة طويلة وأنه يحاول مغادرة البلاد لفترة معينة. فقد كانت أمريكا تسعى الى القضاء على مقاومة الإمام والشعب، من خلال تنصيب بختيار واستغلال اصدقائه الذين كانوا آنذاك مقلدين للإمام ومترجمين له في باريس.** **لكن بختيار لم يكن بإمكانه كسب التأييد الشعبي، فلم تنفع كل محاولات وصفه بـ(الوطني) و(المخلص) في التعتيم على عمالته لأمريكا وتنفيذه لسياساتها، والدعم الكبير الذي قدمه له كارتر[41]. فعندما تسلم أمر التنصيب من الشاه، اتضح أن منصبه لا يملك أية قيمة. فالشعب قد نهض ضد الحكم الملكي، وطالب ـ عبر مسيراته المليونية واضراباته ـ بزوال هذا النظام، فكيف يمكن أن يرضى بالدكتور بختيار وحكومته التي تتشكل بأمر من الشاه[42]. وهكذا فقد كانت الفضيحة التي لحقت ببختيار بدرجة بحيث أجبرت حتى الجبهة الوطنية على ادانته تحاشياً لغضب الشعب[43]، خاصة وأن الإمام كان قد أعلن أن كل معارض تسول له نفسه التقرب من الشاه والقبول بمنصب حكومي سيُطرد من صفوف الثورة، وهكذا أضحى بختيار خائناً للثورة والشعب.** **وبعد انتصار الثورة، كشف أحد مترجمي الإمام في باريس، أن كارتر كان قد أرسل في 8 كانون الثاني 1979 تهديداً الى الإمام بتحويل إيران الى حمامات دم مالم يدعم حكومة بختيار. وقد سلم الرسالة نفوذه من أجل منع المعارضة الشعبية لحكومة بختيار. واكد له أن الشاه سيخرج من إيران قريباً، وجاء في الرسالة (قد يؤدي الأمر الى تدخل الجيش، وبذا ستزداد الأوضاع وخامة، أليس من الأفضل أن تشهد إيران الآن مرحلة من الهدوء).** **وقد أعرب كارتر عن أمله بأن تبقى هذه الرسالة سرية جداً. ويقول يزدي: إن هذه الرسالة جرى إعدادها في لقاء زعماء الدول الأربعة الكبرى في جزر الكاريبي.** **وقد رد الإمام على رسالة كارتر كالآتي:** **(تتضمن رسالة التهديد هذه مطلبين:** **الأول: تأييد حكومة بختيار، أو السكوت حيالها على الأقل، والآخر التلويح باحتمال وقوع انقلاب عسكري وتوقع حدوث مذابح واسعة. وبهذا فانكم تريدون إخافتنا.** **أما فيما يتعلق بحكومة بختيار، فانكم تطالبوننا بالعمل خلافاً لقوانيننا، ولو افترضنا اننا سنرتكب هذا الخطأ فاننا سنواجه رفضاً قاطعاً من قبل الشعب الذي تحمل كل هذه المعاناة، وقدم التضحيات من أجل التحررمن سلطة النظام البهلوي. فشعبنا لن يرضى بأن تذهب كل دمائه وتضحياته هدراً، ويبقى الشاه في مكانه، أو أن يذهب الشاه ليعود وهو أسوأ مما كان. كما أن شعبنا لا يوافق على شورى السلطنة فهو يعارض الدستور أيضاً، وقد أعلنت ذلك مراراً.** **أما فيما يتعلق بالسكوت وتهدئة الأوضاع، فنحن نريد للبلد أن ينعم بالهدوء والاستقرار دوماً، لكن تحقيق الهدوء والاستقرار ليس ممكناً ما دام الشاه موجوداً في الحكم. ولو كان السيد كارتر حسن النية الى هذا الحد فليُخرج الشاه من إيران ويكف عن دعم حكومة بختيار وليرضخ بذلك للمطاليب المشروعة للشعب، وبذلك سيحل الاستقرار وتحقن الدماء.** **أما قضية الانقلاب، فقد أخبروني الآن أن انقلاباً عسكرياً يوشك أن يحدث في إيران، وأنهم ينوون ارتكاب المزيد من المجازر، وقد طلبوا مني تحريم شراء السلع الأمريكية وتحذير أمريكا من الضلوع في دعم هذا الانقلاب).[44]** **وفي هذا الصدد صرح الإمام للتلفزة الإيطالية:** **(..حكومة بختيار غير قانونية، فقد عينها الشاه، والشاه لا يملك صفة شرعية، بل إن وجوده مخالف للقانون، وقد أيد بختيار مجلساً الشورى والشيوخ، وهذا أن المجلسان غير قانونيين أيضاً، إذن فنحن ضد بختيار فالحكومة التي سنشكلها، هي حكومة جمهورية تستند الى الشعب ودستورها هو الإسلام، فهي دولة إسلامية ولا مكان لمعارضي الدين فيها، لأنهم لن يكسبوا أصوات الناخبين، لأن مجتمعنا إسلامي).[45]** **لقد جرى تشكيل حكومة بختيار من خلال رفع اسم مصدق وصورته وجرى تقديم الحكومة الى الشاه، أما الشعب فقد رفضها منذ البداية وبدأ يستعد لمراسم الحداد في 7 كانون الثاني/ يناير، حيث ذكرى المجازر التي ارتكبها النظام في مشهد وقزوين. أما الصحف فقد انهت إضرابها بموافقة من الإمام، لكن الاضرابات الشاملة، كانت ما تزال مستمرة، فيما يصدر الإمام بيانات لحل مشاكل الأمة ويجري تنفيذها أولاً بأول، بينما وزراء حكومة بختيار، لا يستطيعون حتى دخول الوزارات.** **أما أميني، الذي كان يتوقع حتى تلك اللحظة حصوله على منصب رئيس الوزراء، فقد أصدر بياناً أعلن فيه انتهاء وساطته.** **وفي تلك الاثناء، أصدر الإمام بياناً أعلن فيه حالة الطوارئ في البلاد. وجاء في بيانه:** **(1ـ على العلماء الأعلام والخطباء المتحرمين تذكير الفلاحين الأعزاء بضرورة شحذ الهمم هذا العام لزراعة القمح بشكل واسع والامتناع عن زراعة المواد الغذائية التي تمنحها الحكومة المجرمة الى الأجانب، فليس مستبعداً من هؤلاء الخونة افتعال حالة مجاعة مصطنعة لإركاع الشعب، وانني أرجو الناس عامة دعم الفلاحين في هذا السبيل.** **2ـ لقد بعثت وفداً لتقصّي الحقائق ومعالجة الأمر للتصدي لاعلام السلطة الخبيث، فيما يخص إضراب عمال النفط، وقد أصدرت أوامري باستخراج ما يسد حاجة الأمّة من النفط فقط، بالرغم من أن المطلعين يؤكدون وجود مخازن احتياطية كبيرة من النفط للاستهلاك المحلي، لكن الحكومةن تريد افتعال ازمة حادة، حيث يقال إن ازلام السلطة العسكريين يقومون بتفريغ هذه المخازن ونقل محتوياتها الى أماكن مجهولة. وانتهز هذه الفرصة لأقدم شكري للعاملين في شركة النفط لتعاونهم مع الوفد المرسل.** **3ـ أطلب من التجار والكسبة والمهنيين المحترمين عدم رفع أسعار المواد الغذائية والسلع الاستهلاكية، لئلاّ يرتكبوا ظلماً بحق الشعب المظلوم المجاهد فالظلم والإجحاف مرفوض في كل الظروف.** **كما أن هذا السلوك سيصب ـ في هذه الفترة الحساسة ـ في مصلحة الجهاز الظالم الحاكم بما لا يرضي الله تبارك وتعالى، ولهذا فإنني أشدد على ضرورة عدم تخطي حدود الانصاف في التسعير والبيع، بل وتخفيض الأسعار للمستعضفين والمعدمين، وسيكون لذلك أثر كبير على دعم حركة النهضة الإسلامية، وكسب رضا الباري عزوجل، أسأل الله التوفيق للشعب الإيراني المجاهد للوصول الى أهدافه الإنسانية الإسلامية).** **روح الله الموسوي الخميني** **وبعد هذا البيان، أعلن العاملون في شركة النفط بأنهم سيقومون باستخراج ما يسدّ الحاجة المحلية، وسيحولون دونتصدير قطرة واحدة منه، وفيما لو حالت الحكومة دون وصول النفط المستخرج الى الشعب، فإنهم سيلتحقون بباقي القطاعات المضربة.** **أما الشعب، فقد قام ـ واستلهاماً من بيان الإمام ـ بتشكيل مجاميع صغيرة أخذت تساهم في إيصال الوقود والمواد الغذائية الى الناس، إذ قامت بتوفير اللحوم والرز والخضروات والحبوب وباقي المواد الغذائية بأسعار زهيدة، وإيصالها الى الناس دون أية أرباح، وقد شكّل الطلاّب والشبان الغالبية العظمى لأعضاء هذه المجموعات، أما الانتهازيون الذين كانوا بانتظار هذه الأيام لرفع أسعار السلع فقد خابت آمالهم، فظاهرة التآزر الشعبي بلغت حداً يصعب تصوره في بلد تسعى الحكومة فيه بكل الأساليب الى اختلاق أزمات وظروف حرجة للشعب.** **3ـ مجلس الوصاية:**

**عندما يئس الشاه من كل شيء، وبات يدرك حتمية سقوطه، لجأت الى الصلاحيات القانونية المدرجة في الدستور، بحثاً عن سبيل للنجاة فقد سعى لإيجاد ذرائع ومسوّغات لخروجه من البلاد، ذلك الأمر الذي كان بمثابة إخراج اجباري له، فادعى أنه يغادر البلاد للعلاج والاسترخاء، لكن الأوضاع المحيطة به كانت متدهورة لدرجة أن لا أحد من مرتزقته والمقربين إليه كان يوافق على العضوية في مجلس الوصاية، الذي يشكله لتولي إدارة البلاد في غيابه.** **فقد سعى لاختيار أشخاص أوفياء له، وفي نفس الوقت، لا يملكون سوابق سيئة لدى الشعب، وقد ترددّت أسماء عديدة لعضوية هذا المجلس لكنهم جميعاً رفضوا ذلك مثل اميني وسنجابي وصديقي. وقد شكّل المجلس أخيراً بعضوية رئيس الوزراء ورئيسي مجلس الشيوخ والنواب، ورئيس أركان الجيش، والسيد جلال الدين الطهراني بسبب تقربه الظاهري من الحوزة والعلماء، ولم يكتب لهذا المجلس الاستمرار ولم يجتمع إلاّ مرة واحدة لانتخاب الطهراني رئيساً له، ليتسنى لهم الاتصال بالإمام، لكن هذا الرئيس لم يستطع الالتقاء بالإمام، إلاّ بعد تقديم استقالته من المجلس، واعلانه أن هذا المجلس غير قانوني، وقد جاء في استقالته ما يلي:** **الأحد، الأول من شهر بهمن 1357هـ.ش، الموافق للثاني والعشرين من صفر 1399هـ.ق ـ باريس.** **لقد كان قبولي لرئاسة مجلس الوصاية في إيران بدافع الحفاظ على مصالح البلاد والسعي لإقرار الهدوء، لكن المجلس لم ينعقد بسبب سفري الى باريس لتحقيق هدفنا الأساس، وفي هذه الفترة شهدت أوضاع البلاد تطورات سريعة تحتم علينا احترام الرأي العام، ولهذا واستناداً الى فتوى سماحة آية الله العظمى الخميني(دامت بركاته) القاضية بعدم شرعية هذا المجلس، فإنني أعلن أن هذا المجلس ليس قانونياً. وأقدم استقالتي منه.** **اسأل الله ـ تعالى شأنه ـ أن يصون إيران وشعبها المسلم من كل سوء في ظل رعاية وبركة إمام العصر (عجل الله فرجه) وأن يحفظ لنا استقلال بلادنا العزيزة.** **محمد الحسيني، سيد جلال الدين الطهراني** **4ـ المجلس يمنح الثقة للحكومة الاشتراكية الديمقراطية:** **بعد مناقشات مطولة لم يسبق لها مثيل في برلمان الشاه، فاز بختيار بثقة المجلس بـ(149) صوتاً من مجموع (205) اصوات فيما عارضه (43) نائباً وامتنع 13 منهم عن التصويت.** **وقبل حصوله على الثقة قال بختيار: إن ما يتضمنه برنامج عمل حكومتي، موجودة في نظام الجبهة الوطنية، وعلى هذا فإنني قد أدرجت أهداف الجبهة كاملة في منهاج عمل الحكومة. ففي الخليج الفارسي لن تلعب إيران بعد الآن دور الشرطي، والجامعات ستكون مستقلة، والجيش ستجري عليه عملية تطهير.** **وقد جاء منح الثقة له، بعد صدور أمر تعيينه من قبل الشاه، فقد كان السائد منذ عام 1953، عندما عزل البرلمان عن ممارسة دوره الحقيقي، أن يتم صدور أمر التعيين الملكي، ثم يقوم المجلس بمنح الثقة لكن بختيار، ولأجل أن يتظاهر باستقلاليته ووطنيته ومشروعية تعيينه طلب أن يتم منحه الثقة في المجلس أولاً، قبل أن يقوم بتسلم أمر تعيينه من الشاه.** **5ـ بختيار يحتمي بالدستور:** **بقي الجانب المتعلق بحقوق الشعب، من الدستور مجمداً طيلة 75 عاماً، ولكن كلما كان النظام يواجه مأزقاً خطيراً، كان يلجأ الى الدستور. وآخر مرة كانت في 6/1/1978 عندما لاحت أمامه مؤؤشرات الثورة. إذ طالب الشاه بتطبيق الدستور، لكن الوقت كان قد فات.** **وفي إحدى المقابلات الصحفية، أعلن بختيار أن الشاه قد انتهك الدستور، وهكذا بدأ يطرح معارضته لعودة الشاه الى البلاد، أما الشعارات التي كانت تطلقها جموع الشعب الغاضبة ضدّه، فقد ردّ عليها بالقول(فيما يخص تلك الهتافات الموجهة ضدي شخصياً، أو ما يكتب ضدي، فلن يثير غضبي، لكنني لن أسكت حيال استمرار إهانة الجيش ومسؤولي البلاد.. إن إشاعة استقالتي وتركي لمتراس الدستور عارية عن الصحة، فلن اترك متراس الدستور مهما كلف الأمر، فكل شبر من أرض الوطن يساوي عندي كل الوطن، ولن أتوانى في الدفاع عن وحدة البلاد).** **6ـ رحيل الشاه:** **كان خروج الشاه من إيران في 16/1/1979 حدثاً مهماً، إذ تبدلت التظاهرات الجماهيرية في أنحاء البلاد الى أفراح شعبية[46]. فقد اختلف رحيل الشاه هذه المرة عن خروجه من البلاد فيما مضى، فخلال 37 عاماً من حكمه الملكي، غادر الشاه إيران مئات المرات، لكن عودته كانت دائماً مؤكدة، لكنه يغادر البلد هذه المرة بضغط من الشعب الذي كان يصرخ بصوت واحد (الموت للشاه) ولم يكن تنفع معه كل المذابح الدموية. فالقوات التي أعدّها الشاه لهذا اليوم لم تعد تستطيع فعل شيء، ولا أمل في عودته هذه المرة، لكنه لم يكن يريد الاذعان لهذه الحقيقة المرّة عليه، ولهذا فإنه ظل حتى اللحظة الأخيرة يؤكد أن سفره للعلاج والاستراحة من عناء العمل، وينيط عودته بتحسن صحته وانتهاء مدة علاجه. لم يكن يعمل ما يختبئ له المستقبل، كما لا يعلم أين سيذهب بالتحديد، لكنه ظل يبذل المحاولات الأخيرة، فقد تأخّر عن مغادرة البلاد حتى يطمئن على حصول حكومة بختيار على ثقة المجلس، وبدء اعمالها تحت راية الدستور، إذ سعى الى رفع هذه الراية كمحاولة أخيرة للحفاظ على الحكم الملكي، بالرغم من أنه ظل ينتهك هذا الدستور طيلة 37 عاماً.** **وعندما كان الشاه يغادر ايران بطائرته الخاصة،[47]كانت مشاعر الغضب والفرحة الشعبية في نفس الوقت قد بلغت ذروتها، فكل الشعب كان يعلم أن ذهابه، يعني انتهاء العهد الملكي وبدء العهد الجمهوري وهكذا ظهرت على جدران الشوارع عبارة (الجمهورية الإسلامية) إيذاناً ببدء عهد جديد من تاريخ إيران، أما وكالات الأنباء فقد أكدت أنه حتى لو ظل الشاه في إيران، فسيكون رمزاً فقط دون أي دور عملي في الحكم.** **وقد قلّد الشاه ما فعله أبوه عند إخراجه من إيران، إذ حمل معه صندوقاً فيه شيء من تراب إيران، تأكيداً لـ(حبّه) لبلده! وما أن أعلن المذياع نبأ مغادرة الشاه مطار طهران، حتى انفجرت موجة عارمة من الفرح الشعبي، إذ نزلت جموع مليونية الى الشوارع تهتف وتبدي فرحها وسرورها، بينما راحوا يلصقون صور الإمام الخميني على سيارات الجيش. واضاءت السيارات في الشوارع مصابيحها وأخذت تطلق العنان لأبواقها. كبار السن من النساء والرجال لم يتخلفوا عن هذا المهرجان الشعبي، بل راحوا يرشون العطور من سطوح المنازل والأبنية. النساء المحجبات كن يرفعن ايديهن بعلامة النصر، بينما الرجال كانوا يهاجمون تماثيل الشاه في الساحات العامة ويحطمونها، فيما راح بعضهم يوزع الحلوى على أفراد القوات المسلحة. وبالرغم من ذلك فقد حدثت بعض المواجهات المتفرقة وأسفرت عن مقتل وجرح عدد من الناس.** **وامام السجن، تجمع الناس مطالبين بالإفراج عن باقي السجناء السياسيين. أما أولئك الذين سجنهم الشاه كاجراء تحذيري للشعب، من أعوانه والمقربين منه، أمثال هويدا ونصيري وآزمون وغيرهم، فقد احسوا بالخطر الحقيقي يداهمهم.** **وفي باريس، كانت الأوساط السياسية والصحفية تنتظر تعليق الإمام على خروج الشاه من إيران، إذ تدفق الصحفيون على محل اقامته في نوفل لوشاتو[48]وبدأت وسائل الإعلام تبرق ـ بسرعة ـ احاديث الإمام وتصريحاته، فقد كان يتحدث للصحافة يومياً، وقد جاء حديثه متزامناً مع خطاب بختيار في مجلس الشيوخ وادعائه بأنه من عائلة دينية وأنه له صلة قرابة بعائلة الإمام، وأن الإمام لا يُشكل على أسلوب عمله كثيراً.** **وفي حديثه اليومي المعتاد، خاطب الإمام الشعب الإيراني بقوله:** **(إن أمريكا التي اضحت متيقنة من سقوط الشاه، لجأت الى أساليب جديدة فها هي تدعم الحكومة التي عينها الشاه ساعية الى الحفاظ على هذا النظام. إنهم يريدون تهدئة الأمة كما يقولون، ولهذا قاموا بإخراج الشاه من البلاد، بانتظار ان تسنح الفرصة لإعادته ثانية، لذلك نراهم يبذلون المستحيل لكسب الدعم لهذه الحكومة والاعتراف بها بينما هي حكومة غير شرعية، ولا مكان لها بين الشعب وعلى الشعب أن يتظاهر ضد هذه الحكومة، وعليه النهوض بوجهها حتى اسقاطها، بالرغم من أنها ساقطة قانونياً. فالشعب الذي تصدى للحكومة العسكرية، سيتصدى لهذه الحكومة التي لا تختلف في وعودها ونهجها عن سابقاتها).** **7ـ ذكرى أربعين الإمام الحسين (ع):** **خرج الشاه من إيران، وترك محلّه بختيار كأمل أخير. قادة الجيش، ظلوا يتسلمون التعليمات من الجنرال الأمريكي هايزر حول كيفية دعم بختيار في تلك الأوضاع، وبالرغم من حصول بختيار على ثقة مجلس النواب والشيوخ إلا أن كل الظروف كانت غير مساعدة لممارسته السلطة، وقد حلت في تلك الفترة مناسبة ذكرى أربعين الإمام الحسين، وبهذه المناسبة وجه الإمام الخميني بياناً تضمن تعليمات جديدة للأمة، فقد جاء فيه:** **بسم الله الرحمن الرحيم** **لقد حلّت ذكرى أربعين سيد المظلومين والشهداء (سلام الله عليه) وقد عاشت أمتنا مناسبات أربعين عديدة. لقد عانينا خلال السنوات الأخيرة مصائب وكوارث مدمرة. لقد تزامن أربعين الإمام الحسين(ع) هذا العام، مع أربعين عدد من أتباعه وسالكي نهجه فدماء هؤلاء الأحرار، هي امتداد لدماء شهداء كربلاء. أربعين هذا العام غير عادي، فشعبنا العظيم في إيران سيدفن هذا النظام، إنه يعلن معارضته لمجلس الوصاية غير الشرعي، ودعمه لقيام الجمهورية الإسلامية. ونحن نعيش في هذا الظرف الحساس، لابد من لفت أنظار الأمة الى عدة أمور:** **1ـ تفيد المعلومات الواصلة لنا أن أزلام السلطة يقومون ليلاً بتفريغ المخازن والسايلوات من محتوياتها من الحنطة والغذاء في محاولة لخلق مجاعة مصطنعة، أحبطوا هذه المؤامرة الجديدة، فالتساهل حيالها غير جائز شرعاً.** **2ـ تفيد المعلومات أن الحكومة الأمريكية تنوي سرقة الأسلحة والمعدات العسكرية التي فرضتها على الشعب الإيراني مقابل نهب نفطه. وهنا يتوجب على ضباط الجيش ومراتبه التصدي لهذه المؤامرة، وقد سمعت أنه تم تفجير بعضها كما يتوجب على الشعب العزيز مؤازرة الجيش في هذا العمل، وأن لا يدع ثروة الشعب تتعرض للدمار والنهب أكثر من هذا، وليعلم الضباط الأعزاء أن التهاون في هذا الأمر انما هو خيانة للإسلام والوطن.** **3ـ ادعو الفلاحين الأعزاء لشحذ الهمم للزراعة، خاصة الزراعة الديمية.** **4ـ على المصارف الإسلامية، منح الفلاحين القروض اللازمة لدعم الزراعة.** **5ـ اطلب من جميع البنوك خارج إيران، عدم تسليم ايداعات السراق الذين نهبوها من أبناء شعبنا.** **6ـ احذر اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب غير القانونيين من حضور اجتماعاتهما، والمخالف منهم سيتعرض لعقاب الشعب الإيراني الشريف.** **7ـ اطلب من الجامعيين المحترمين، مواصلة اطلاق شعاراتهم المعارضة للنظام الفاسد والاستمرار بتظاهراتهم ضد الحكومة الغاصبة ومجلس الوصاية غير الشرعي، وإبعاد الأساتذة المرتبطين بالجهاز الحاكم الظالم والمؤيدين لفساد النظام وظلمه من صفوفهم.** **8ـ احذّر الذين شاركوا في عضوية مجلس الوصاية غير الشرعي، من أن تصرفهم غير شرعي، وتدخلهم في مقدرات البلاد جريمة كبرى، وعليهم الابتعاد عن هذا العمل حالاً، وبغير ذلك سيكونون ـ وحدهم ـ المسؤولين عن عاقبة سلوكهم.** **9ـ أعضاء مجلس قيادة الثورة الإسلامية موجودون الآن داخل البلاد، وسيعلن عن اسمائهم قريباً.** **10 ـ اسأل الله أن يشملنا برحمته الواسعة وينقذنا من الأشرار المحليين والأجانب.** **والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته** **روح الله الموسوي الخميني** **ويلاحظ هنا كيف أن الإمام أخذ يدير أمور البلاد باعتباره الولي الفقيه.** **وقد لعبت التظاهرات الشعبية الخاصة بيوم الأربعين دوراً كبيراً في عرض القوة الشعبية، وهتافات (الله أكبر) كانت تهز كيان الطواغيت، النساء والأطفال كانوا يشكلون نسبة كبيرة من المتظاهرين. المسيرات كانت على شكل صفوف متراصة من اناس قرروا تقرير مصيرهم بانفسهم، صور الإمام وبأحجام مختلفة، كانت مرفوعة في المسيرة، الجموع تحركت من ساحة الإمام الحسين وحتى ساحة الحرية في أقصى غرب طهران، عبر شارع (انقلاب) ـ أي الثورة ـ امام الشوارع المؤدية الى هذا الشارع من الشمال والجنوب، فكانت تغص بالجموع التي تلتحق بالمسيرة، كما التحقت بجموع الشعب جموع كبيرة من أبناء الأقليات الدينية كاليهود والزرادشت والأرمن.** **لقد كانت المسيرة بمثابة تحدٍ للهيمنة الأمريكية، والشعارات المرفوعة كانت تعكس درجة التلاحم الشعبي الذي لم يُشهد له مثيل من قبل. وفي الساعة الثانية عشرة ظهراً قرى البيان الختامي للمسيرة الذي كان ينقل الى المشاركين عبر 800 كبرة صوت. وقد انتهت مسيرة طهران في ذلك اليوم بدون أية حوادث مهمة، لكن عدداً من المتظاهرين قتل في أهواز ودزفول ونجف آباد.** **وقد جاء في البيان الختامي لمسيرة طهران:** **بسم الله الرحمن الرحيم** **(في هذا اليوم التاريخي الذي دخل فيه الشعب الإيراني المجاهد المسلم مرحلة جديدة من مسيرة نهضته ضد الطاغوت، تزامناً مع ذكرى أربعين سيد الشهداء وقدوة الأحرار الحسين بن علي (ع)، وفي ظل القيادة الحازمة والواعية للمرجع الديني الكبير والقائد العظيم الإمام الخميني وباقي المراجع والعلماء الواعين والمجاهدين، فإن دماء آلاف الشهداء بدأت تينع، وهاهم المشاركون في هذه المسيرة، والذين يشكلون الأغلبية الساحقة للشعب الإيراني البطل، يعلنون مطاليبهم بصوت واحد وقلب واحد يؤكدون إصرارهم على مواصلة حتى تحقيقها:** **1ـ نعلن أن سلطة العائلة البهلوية غير شرعية، ونطالب بإزاحة الشاه الذي اغتصب ـ كما فعل أبوه ـ السلطة بالقوة.** **2ـ نرفض النظام الشاهنشاهي الرجعي، ونطالب بإقامة حكومة الجمهورية الإسلامية في إيران، جمهورية إسلامية حرة تستند الى رأي الشعب وتقوم على أساس تعاليم الإسلام.** **3ـ نعلن تأييدنا لتشكيل مجلس قيادة الثورة الإسلامية في إيران من قبل المرجع الكبير وقائد جهاد الأمة الإمام الخميني الذي يحظى بتأييد مطلق من قبل الأمة، ونطلب منه الإعلان عن هذا المجلس وتشكيل الحكومة المؤقتة بأسرع وقت ليتسنى لها تسلم زمام الأمور ورسم مستقبل إيران استناداً الى رأي الشعب.** **4ـ نؤكد عدم اعترافنا بحكومة بختيار التي جاءت الى الحكم بأمر من السلطة الملكية غير الشرعية ومصادقة من مجلسي الشورى والشيوخ غير الشرعيين.** **5ـ الشعب يكنّ الاحترام للجنود والضباط والمراتب الذين يقفون الى جانبه ويدعمون الثورة الإسلامية. ونحن نطالب كل العسكريين بعدم الابتعاد عن الشعب وأن لا يدعوا السلطة تستخدمهم أداة لقمع الأمة والمجاهدين الأحرار.**

**6ـ إن النهضة الشعبية هي إسلامية بالكامل، وتشارك فيها كل الفئات الشعبية بإخلاص، ولا ترتبط بأي شكل من الأشكال بأية جهة أجنبية، وشعبنا سيظل محافظاً على اصالته الإسلامية ووحدة صفوفه في الجهاد، ونحذر هنا الفئات والمجموعات كلها من الفرقة والخلافات والتشتت.** **7ـ نتطلع الى إقامة علائق حسنة مع جميع الشعوب والأنظمة شرط أن لا تعرقل جهاد شعبنا البطل، وأي موقف سلبي من جانب هذه الحكومات سيترك اثره المباشر على الروابط السياسية والاقتصادية، معها في المستقبل.** **8ـ نؤكد أن شعبنا سيواصل جهاده من خلال التظاهرات والاضرابات وباقي السبل، حتى النصر النهائي وإقامة حكومة العدل الإسلامية، وقد أثبت شعبنا عملياً قدرته على تحمل كل الصعاب في هذا السبيل، مؤمناً بالوعد الإلهي بالنصر المؤزر.** **9ـ نطالب الأعضاء غير الشرعيين للمجلسين بعدم الحضور في جلساتهما، وبالالتحاق ـ بدلاً ـ بصفوف الشعب.** **10ـ نطالب الذين قبلوا عضوية مجلس الوصاية غير الشرعي بالاعلان عن عدم شرعية عضويتهم، وعليهم أن يعلموا أن جميع شؤون البلاد يجب أن تدار من قبل مجلس قيادة الثورة الذي سيشكله الإمام الخميني).** **لجنة إقامة مسيرة الأربعين.**

**وقد أثارت مسيرات الأربعين ارتياح الإمام وزادت من عزمه، فأصدرت بياناً ثانياً، أعلن فيه قرب عودته الى إيران وحدد مصير مجلس الشورى ومجلس الوصاية وقوى الأمن الداخلي. فقد جاء في البيان:** **(السلام والتحيات على أبناء إيران الغيارى كافة.** **يامن اكدتم في ذكرى اربعين الإمام الحسين (سلام الله عليه) وحدتكم وإصراركم على خلع الشاه واجتثاث جذور نظامه، وإقامة حكومة إسلامية. إن نهضتكم المقدسة وإصراركم على نيل الاستقلال والحرية وطردكم ألد عدوّ لكم ولوطنكم من بلادكم وقيامكم بدفن أكبر مجرم وخائن لوطنكم.** **لقد أثبتم بنهضتكم وثباتكم لجميع الشعوب المستضعفة أن الأسلحة المتطورة والقوى الشيطانية لا يمكنها التصدي لإرادة شعب نهض يدافع عن عقيدته وحقه ببطولة، كما أثبتم أن قوة الشعب الواعي تتغلب على أسلحة القوى الكبرى.** **لقد ذهب الشاه، وانهار النظام الملكي، وسرّاق بيت المال قاموا بتهريب أموال البلاد الى الخارج، وخرجوا الواحد تلو الآخر، لكن شعبنا الشجاع سيعاقبهم جميعاً. لقد ولّوا وخلّفوا وراءهم مشاكل واضطرابات ودماراً كبيراً لكن على الشعب أن يعيد بناء كل شيء بإذن الله، بالرغم من أن ذلك يتطلب سنين طوال.** **وانني إذ أقدّم شكري الجزيل للشعب العزيز، اذكره ببعض الأمور:** **1ـ اعلمكم بأنني سألتحق بكم سريعاً بعون الله تعالى، لأكون في خدمتكم، وأعمل على معالجة بعض الأمور، بهمتكم وشجاعتكم، ونتمكن معاً من التغلب على الفساد.** **أعزائي: استعدّوا لخدمة الإسلام والأمة المحرومة، استعدوا لخدمة عباد الله، فهي خدمة الله. وسأكون بينكم خلال أيام بعون الله وساواصل اداء واجبي معكم.** **2ـ احذروا نواب محمد رضا بهلوي الذي اغتصبوا المجلسين، واطلب منهم أن ينسحبوا من مجلس الشعب ويتركوهما لممثلي الشعب ليعودوا اليهما بعد خمسين عاماً من غصب هذا الحق الشعبي، وسترون جميعاً باذن الله ماذا تعني الانتخابات الحرة، والبرلمان السليم. انني احذر هؤلاء من أن دخولهم هذين المجلسين لن تحمد عقباه وسيتحملون وحدهم مسؤولية عواقب هذا الأمر.** **3ـ مرة أخرى، احذر اعضاء مجلس الوصاية الذين هم غصن تابع لتلك الجذور غير الشرعية، وادعوهم للانسحاب منه وعدم التمادي في معارضة إرادة الشعب.** **4ـ مرة أخرى، اوصي قوى الأمن الداخلي والقوات البرية والبحرية والجوية بالحفاظ على النظام والتعاون مع الأمة الشريفة الواعية.** **ايها الشعب الواعي،** **قفوا بوجه الأشخاص أو المجموعات المنحرفة التي تريد إثارة المشاكل وخيانة البلد والثورة خدمة لمصلحة الأجانب، وحذّروهم من التمادي في ممارساتهم اللاإنسانية واللاإسلامية واللاوطنية، وأدعوهم للالتحاق بكم.** **اسأل الله تعالى النصر المؤزر للشعب الإيراني.** **والسلام عليكم ورحمة الله**

**روح الله الموسوي الخميني.**

**وفي هذه الأثناء، قرر بعض نوّاب البرلمان الذين أفاقوا لتوّهم ورأوا أنفسهم محاصرين من قبل الشعب، الانصياع لأوامر قائد الثورة والانسحاب من البرلمان، لكن بختيار حال دون ذلك، فقد كان يرى ـ واعتماداً على الدعم الأمريكي ـ أن النجاح سيكون حليفه في النهاية، ولذلك لم يكن مستعداً للانسحاب بهذه البساطة، ولهذا بادر الى تقديم مقترحات ومشاريع عديدة الى البرلمان ليوحي بأن حكومته تختلف عن باقي الحكومات التي سبقته.** **كما كان يطلق أكاذيب إعلامية كبيرة املاً في أن يستطيع بها خداع الشعب المسلم المجاهد، وكان ينتظر إجراءات ـ من جانب أمريكا ـ لعرقلة عودة الإمام الى إيران، لكن حنكة الإمام وصرخات جموع الغضب المليونية للشعب المنتظر لقائده، أحبطت كل الآمال والاجراءات الاستعمارية المتخذة.** **وكانت مسيرة طهران الكبرى في 27 كانون الثاني 1979 نذيراً بسقوط آخر حكومة للشاه وعودة مظفرة لقائد الثورة.**

**القسم الخامس** **الإمام يعلن تشكيل مجلس الثورة** **1ـ تشكيل مجلس الثورة:** **بينما كان الشاه يبذل آخر محاولة لصيانة النظام الملكي من السقوط والقوى الدولية تبحث عن حل يضمن لها مصالحها، كانت كل القوى المعادية للثورة قد دعمت حكومة بختيار وتعهدت أمريكا بحماية هذه الحكومة ودعمها، وبذلت من أجل ذلك كل جهد تملكه من أجل إخماد شعلة الثورة ولو مؤقتاً، فقدمت ـ مثلاً ـ مشروع قانون لحل الساواك الى مجلس الشورى (الرستاخيزي) في محاولة لإعادة الحيوية والنشاط له، لكن الإمام كان يوجه في الوقت المناسب ضرباته القاضية الى جسد النظام المحتضر. وكان الاعلان عن تشكيل مجلس الثورة أحد تلك الضربات الموجعة التي وضحت ـ في نفس الوقت ـ معالم الوضع ومجريات الأمور، ورسمت النهج الذي كان يجهله بعض الأشخاص.** **فحتى ذلك الوقت لم تكن قوى الثورة تدرك كيفية امكان انتقال السلطة، كما كان بعض الانتهازيين يتصور أن عملية انتقال السلطة تكتنفها بعض المشاكل والصعاب، لهذا راح هؤلاء يقدمون المشاريع والاقتراحات للحصول على موطئ قدم لهم في السلطة.** **لكن الإمام كان قد أعلعن باستمرار أن هذه النهضة إسلامية وعلى الذين يفكرون بإقامة حكومة غير إسلامية الخروج من صف الشعب. وفي بيانه المؤرخ في 12/1/1979 أعلن الإمام عن تشكيل مجلس مؤقت باسم (مجلس الثورة الإسلامية) من أشخاص صالحين معتمدين متدينين، وسيبدأ المجلس عمله قريباً. وكانت هذه أول مرة يطرح فيها رسمياً اسم (مجلس الثورة الإسلامية).** **2ـ أعضاء المجلس:** **لم يتم الاعلان عن أسماء أعضاء مجلس الثورة الإسلامية قبل انتصار الثورة، وكانت الأسماء التي تتداولها الألسن مجرد تكهنات، فضلاً عن أن المقربين من الإمام في باريس كانوا قد اطلعوا على بعض الأسماء البارزة في تشكيلة المجلس. وفي هذا الصدد يتحدث الشهيد الدكتور آية الله البهشتي عن بدايات تشكيل المجلس فيقول:** **(لقد قام الإمام نفسه بتعيين الأشخاص في هذا المجلس، بمعنى أن سماحته كلف بادئ الأمر مجموعة مؤلفة من خمسة أشخاص من العلماء بمسؤولية استكشاف وترشيح الأشخاص اللازمين لإدارة البلاد مستقبلاً، وهؤلاء الخمسة هم: آية الله المطهري، وحجة الإسلام الرفسنجاني، وآية الله الموسوي الأردبيلي، والدكتور باهنر وأنا. ثم أضيف الى المجموعات السداسية، كل من آية الله الطالقاني، والسيد علي الخامنئي، وقد بدأنا ـ نحن الستة الأوائل ـ بالتحري والبحث ومناقشة صلاحيات أشخاص مثل السيد بازركان والدكتور سحابي وعدد آخر ممن كان الإمام يعرفهم من قبل واستقبلهم في باريس، ثم قدمنا رأينا النهائي الى الإمام في باريس فوافق هو أيضاً على انضمامهم الى المجلس وهكذا تم تشكيل المجسل من عدد من العلماء المجاهدين والشخصيات التي تملك خلفيات جهادية وسياسية على أساس الإسلام، وأخذ المجلس يعقد اجتماعاته في منازل أعضائه).[49]** **3ـ مهام مجلس الثورة:** **لم يكن لدى مجلس الثورة الإسلامية نظام داخلي ولا منهج يحدد مسؤولياته ومهامه، ولهذا نجد هذا المجلس يتعرض لتغييرات وتقلبات كثيرة خلال مدة عمله، حتى إنه تولى في إحدى المراحل مسؤولية الشؤون التنفيذية للبلاد بشكل مباشر.** **ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ** **[1] السنة الهجرية الشمسية الإيرانية تبدأ مع بداية فصل الربيع أي في 21 آذار من كل عام (المترجم).** **[2] اعيد تشكيل الجبهة الوطنية بمبادرة من شاهبور بختيار في عام 1977 تحت اسم (اتحاد قوى الجبهة الوطنية) التي تشكلت من ثلاثة أحزاب هي (حزب إيران) لبختيار وحزب (ملت إيران) لفروهرو (جبهة النهضة الوطنية الاشتراكية) لرضا شايغان، وكان (حسيبي) يرأس مجلس قيادة الجبهة، واللجنة المركزية مؤلفة من سنجابي وبختيار وفروهر ورضا شايغان ومشيري. هذه الجبهة قررت استغلال أجواء الانفتاح السياسي، وكانت تتحين الفرص وتراقب التضحيات التي يقدمها الشباب المخلصون، حتى يتم زعزعة الأوضاع وفسح المجال لهؤلاء السياسيين بتشكيل الحكومة واحتلال كل المناصب الحساسة.** **[3] الهجوم الذي تم على مسجد(لرزاده) في طهران، مساء الحادي عشر من شهر رمضان، نموذج من هذه الهجمات الوحشية، حيث استخدم فيه أزلام النظام اقصى درجات العنف والوحشية. فقد كان هذا المسجد مقراً لاجتماعات جماهيرية حاشدة، وقد اعتقل النظام خطيب المسجد، ثم هاجم أفراد الحرس الملكي والشرطة المسجد بالغازات المسيلة للدموع، ثم فتحوا النار على الجماهير المحتشدة فقتلوا ثلاثة أشخاص وجرحوا أعداداً كبيرة وهكذا قيل في حينها إن فاجعة المسجد الجامع في كرمان قد تكررت في طهران.** **[4] ألقى محمد رضا جلالي النائيني عضو مجلس الشيوخ خطاباً في هذا المجلس قبل خمسة أيام من سقوط حكومة آموزغار، وكان واضحاً أن هذا الخطاب جاء وفق خطة معدّة مسبقاً تستهدف تغيير الحكومة و(جلالي) عضو في المحفل الماسوني الإيراني وعضو في الجبهة الوطنية، كما شغل منصب رئيس نقابة المحامين لعدة سنين، وفيما يلي نورد جانباً من خطابه الذي يكشف مدى تدهور الأوضاع في ذلك الحين، وكذلك مدى قرب مجلس الشيوخ من الشاه، فقد تحدث عن أوضاع البلد، والحكم العسكري في اصفهان وحادثة سينماركس في آبادان والمظاهرات والاضراب في يزد، واتهم المسؤولين بانهم فشلوا في البرهنة على اخلاصهم لـ(صاحب الجلالة)، بعدما تسببوا في كل هذا السخط الشعبي وقال: (إن (جلالة) الشاه واسلافه خدموا البلاد، خلال 2500 عام، ونحن أوفياء للسلالة البهلوية وتريد أن يعيش الشاه مئة وعشرين عاماً وأن يكون في كل يوم منشأ خدمات جديدة للبلاد، لكن هذا الأمر يتطلب أن تأتي حكومة نشيطة وفعالة لا تؤدي ممارساتها الى تذمر الناس وسخطهم. إن المسؤولين الحاليين اعتدوا على حقوق الناس، فنهبوا أموالهم واعتدوا حتى على شرفهم وأعراضهم، ألم يقم تميوربختيار باغتصاب إحدى النساء؟ أهكذا يكون رئيس جهاز الأمن؟ أيمكن له اعتقال الناس وتعذيبهم عبثاً؟ هذه الممارسات أدت الى موجة سخطٍ وتذمر في صفوف الناس. الوزير يجب أن يكون نشيطاً في عمله، لا أن يستغل منصبه لجمع الأموال والذهاب الى الخارج لشراء الأبنية والأثاث والأراضي. هذه الممارسات أدت الى موجة من السخط. هذه البلاد يجب أن تصدح من مآذن مساجدها نداءات (الله أكبر) فلو تسلم مقاليد الأمور أناس يعارضون الدين الإسلامي، فلن يسمع نداء (الله اكبر) من مأذنة مسجد! (هذا السناتور يتظاهر بالحرص على الإسلام كما تظاهر الشاه بذلك من قبل). الى متى نظل ساكتين عن كشف هذا الواقع؟ يجب أن لا نظل متفرجين على الأوضاع الى أن تنهار البلاد لا سمح الله. سيادة الرئيس (ويعني شريف امامي رئيس مجلس الشيوخ). ارجو أن تطلب لقاءً مع (جلالة) الشاهنشاه آريامهر، لنتشرف جميعاً بلقائه ونطلعه على مجريات الأمور، فلعله لا يعلم بما يجري. إن حادثة اعتداء الضابط على قائد فرقته في خراسان، ليست بالأمر الهين، ألم يحن الوقت لنستيقظ من غفوتنا؟! سيادة الرئيس! لقد أثبت بانك كنت ولا زلت مخلصاً حقاً للشاه (المتحدث والرئيس كلاهما ما سوني)، فتشرف بلقاء الشاه. اين اردلان (وزير البلاط) لماذا لا تنقل هذه الحقائق الى الشاهنشاه؟! لماذا لا تشرف أنت يا دكتور سجادي بلقاء الشاه (أصبح فيما بعد رئيساً لمجلس الشيوخ)؟! لماذا لا تذهب أنت يا سيد دشتي؟! إن الشعب يريد الحرية، يريد تطبيق الدستور، يريد الأمن وبرأيي فإن المخلص للشاه حقاً هو ذلك الذي يوصل لجلالته الحقائق ولا يساعد على ظهور التذمر الشعبي. إن على الحكومة أن تفتح قنوات اتصال مع العلماء والحوزة للحفاظ على الوحدة الوطنية بإذن الله. إن ما نُسب الى الشاه إنما هو افتراء من قبل اناس محتالين، فجلالته مما يدعون براء، قلما نجد بين أبناء ايران الطاهرين من لا يحترم الشاه)!!** **[5] وعد شريف امامي بجملة انجازات، منها: إصدار عفو عن كل الفارين أو المتخلفين عن الخدمة العسكرية، وخفض الضرائب، واطلاق سراح السجناء السياسيين، وحل حزب رستاخيز، ومعاقبة مسؤولي الحكومة السابقين، وزيادة رواتب الموظفين والعمال، وتغيير وضع المحاكمات السياسية، والاستجابة لمطالب العمال، ومنح الاستقلال للجامعات، وحماية حرمة الاساتذة وإعادة المفصولين منهم الى الخدمة. أما الجنرال نصيري رئيس جهاز الساواك السابق فقد عُين سفيراً لإيران في باكستان، واعتبر النظام أن جرائم جهاز الساواك في عهد نصيري كانت من أهم أسباب تأزم الوضع، لكنه اعيد الى طهران بطائرة خاصة في 18 الأول 1978 ليتم التظاهر باعتقاله من أجل خداع الناس كما تم في نفس الفترة الإفراج عن عدة مجموعات من السجناء السياسيين.** **[6] كان شريف امامي وزيراً للطرق في حكومة (رزم آرا) عام 1950، وفي حكومة زاهدي عام 1954، أصبح رئيساً لمؤسسة التخطيط، وفي حكومة إقبال عام 1957، أصبح وزيراً للصناعة، وفي عام 1960 أصبح رئيساً للوزراء، ثم رئيساً لمؤسسة بهلوي، فرئيساً لغرفة الصناعة والمناجم، ورئيساً للهيئة الإدارية لبنك التنمية الصناعية، ثم عضواً في مجلس الشيوخ فرئيساً له منذ عام 1963 ولمدة 15 عاماً، كما كان رئيساً للمحفل الماسوني في إيران، وقد هرب الى الخارج قبل سقوط نظام الشاه.** **[7] علي أميني كان أحد الأشخاص الذي لجأ إليهم الشاه في أيامه الأخيرة، حيث كان يتصل به تلفونياً عدة مرات في اليوم في عهد حكومة شريف امامي، ليبحث معه أوضاع البلاد، ووفقاً لأشرطة الكاسيت التي سجلها الساواك، فإن الشاه كان يتصل تلفونياً بأميني في ساعات متأخرة من الليل يسأله: (عزيزي دكتور علي، إعذرني أن ايقظتك من نومك! ولكني أريد أن أعرف ماذا يريده العلماء أكثر من هذا؟! المسكين هويدا رميناه في السجن، واعقلنا عدداً آخر من المسؤولين لكنكل هذا لم يرضِ العلماء، بالله عليك إذهب وتفاوض معهم) (صحيفة اطلاعات ـ 1/ آذار/ 1979).** **[8] نشرت صحف يوم 10 تشرين الثاني، جوانب من التظاهرات المليونية للأمة، فقد كتبت صحيفة كيهان المسائية (شهدت طهران وباقي المدن أكبر تظاهرات سياسية دينية في تاريخ إيران، حيث استمرت حتى منتصف الليل. فققد اكتظت الشوارع بالمتظاهرين وبلغ طول التظاهرات عدة كليومترات واشترك فيها النساء والرجال والشبان والشيوخ والأطفال، فكانت بمثابة استعراض للقوة لم يسبق له نظير حسبما قالت وكالات الأنباء العالمية، فقد كان المتظاهرون يهتفون (نضالنا حسيني.. قائدنا الخميني). وقد أظهرت الصور المنشورة لهذه التظاهرات تحشد أعداد كبيرة من الجنود الذين انتشروا حول المظاهرة، او اجتمعوا داخل شاحنات عسكرية وسط المتظاهرين الذين كانوا ينثرون الورود عليهم بحرارة ويهتفون ( يا أخي العسكري لماذا تقتل إخوتك) مما خلق مشاعر بالتقارب بين الجيش والأمة. فقد قالت وكالة الأنباء الفرنسية في تقريرها عن التظاهرات: (قد تكون إيران دخلت مرحلة جديدة لا مناصَّ منها.. فالإسلام كشف قوته في طهران وباقي المدن، ويبدو أنه يملك من القوة ما يمكنه من تحقيق أهدافه). وجاء في ختام التقرير: وعلى هذا الأساس، وبالرغم من أن الحكومة تبدو ضعيفة إلا أنها لم تفقد السيطرة على زمام الأمور بشكل كامل، إذ لا يزال لديها جيش نظامي منضبط قوامه 500 ألف مقاتل، إضافة الى قوات الشرطة والساواك التي لم تنزل الى الساحة بعد، وبامكان الحكومة السيطرة على الوضع تماماً خلال يوم واحد من خلال الحل العسكري الذي اضحى الحل الأخير لأنهاء الفوضى، حتى لو أدى ذلك الى إصابة الكونغرس الأمريكي والرأي العام الأوربي بالحيرة والدهشة أما وكالة أنباء رويتر فقد ذكرت أن عدد المتظاهرين كان عشرين ألفاً! وعلى الرغم من أن الطابع العام لتلك التظاهرات كان طابعاً سلمياً إلا أن صدامات وقعت بين الشرطة والمتظاهرين في مدن قم وايلام وكرج وخمين، مما ادى الى مقتل عدد من المتظاهرين.** **[9] جاء في البلاغ الأول للحاكم العسكري لطهران وضواحيها: (حرصاً من الحكومة الشاهنشاهية على توفير الأمن والاستقرار، فقد أعلنت الأحكام العرفية في عدد من المدن، منذ الساعة السادسة من صباح الجمعة 8 تشرين الثاني 1978، وقد عُينت أنا حاكماً عسكرياً لطهران وضواحيها، ومن هنا، فأنا أطلب من جميع أهالي طهران وضواحيها المحترمين، الامتناع عن كل ما يخالف قانون الأحكام العرفية، وسيعاقب المخالفون طبقاً للقانون، وسيكون قرار منع التجول ساري المفعول اعتباراً من الساعة التاسعة مساء وحتى الخامسة صباحاً).. الحاكم العسكري لطهران وضواحيها الجنرال غلام علي اويسي** **وعندما تصدى الناس للأحكام العرفية بشكل واسع، وشاركت اعداد غفيرة منهم في الاجتماعات والمظاهرات دون علم بالأحكام العرفية، ووقعت تلك المجزرة المروعة، أصدر الحاكم العسكري بلاغه الثاني، الذي ضمنه تهديدات أكثر عنفاً، ففي الساعات الأولى من يوم 8 تشرين الثاني (17 شهريور) أصدر البلاغ الثاني الذي جاء فيه: ( بعد هذه السنوات الطويلة من خدمتي في الجيش الشاهنشاهي، فإن نمط سلوكي معروف للكثير من المواطنين. فقد اقسمت أمام القرآن الكريم وعلم البلاد على الدفاع عن استقلال البلد وحماية الدستور والنظام الشاهنشاهي في بلدنا العزيز، وكذلك الدفاع عن الدين الإسلامي المبين، وسأبذل قصارى جهدي، وأتعامل بحزم وصرامة من أجل الوفاء بهذا العهد المقدس حتى آخر لحظة من حياتي، وسأتعامل بمنتهى الصرامة طبقاً للقانون مع من يخالف القانون). ويلاحظ أنه أورد اسم القرآن والإسلام فقي محاولة لخداع الناس، لكنه سرعان ما كشّر عن أنيابه في نفس البيان، وهدد وتوعد بالصرامة لمن يعارض النظام الشاهنشاهي، حيث يسمي ذلك بانتهاك القانون، أما ممارسات النظام المخالفة أساساً للدستور والقوانين فلا تعتبر انتهاكاً للقانون في نظره أبداً.** **[10] بعد يومين من اعلان الأحكام العرفية وبدء المذابح الجماعية عاد أردشير زاهدي من واشنطن ـ حيث كان سفيراً لإيران فيها ـ الى طهران حاملاً رسالة سرية جداً من كارتر الى الشاه، وبعد تسليم الرسالة، عقد الشاه اجتماعاً سرياً جداً مع السفير الأمريكي في طهران سولفيان وزاهدي والجنرال أويسي الحاكم العسكري لطهران وضواحيها. كما أعقبه اجتماع مماثل ثانٍ حضره رئيس الوزراء شريف امامي إضافة لزاهدي وسوليفان واويسي. وقبل كل من الاجتماعين كان هناك اتصال هاتفي ببرجنيسكي مستشار كارتر لشؤون الأمن القومي، الذي قدم للشاه نصائحه وتعليماته وكان كل اجتماع منهما يتمخض عن جملة قرارات لم يكن أحد يجرؤ على اتخاذها من قبل، حيث صدرت الأوامر في الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم 16 شهريور(7 تشرين الأول) أي قبل يوم واحد من المجزرة بفتح النار على التظاهرات السلمية، كما تقرر إعلان الأحكام العرفية في طهران برئاسة الجنرال اويسي..).** **انقلاب إيران ومباني رهبري امام خميني** **سيروس پرهام الصفحة 55 (فارسي)** **[11] ورد في الصفحة 44 من كتاب ثورة إيران واسس قيادة الإمام الخميني (انقلاب إيران ومباني رهبري امام خميني) ادعاء للمؤلف سيروس برهام أن التقارير الواردة من مقبرة (بهشت زهراء) أن عدد قتلى مجزرة الجمعة السوداء بلغ أكثر من أربعة آلاف ومئتين وثمانين قتيلاً، إلا أن هناك احتمالاً كبيراً بأن 600 جثة أخرى قد دفنت في مكان آخر، مثلما حصل في المجازر التي وقعت فيما بعد، إذ لم يتم دفن جميع الشهداء في المقابر العامة. أما وزارة العدل فقد أعلنت أن عدد قتلى الجمعة السوداء بلغ خمسة وتسعين شخصاً فقط! (الصحف الخبرية الصادرة في 11 تشرين الثاني 1978).** **[12] تحدث أحد أعضاء حزب رستاخيز في البرلمان فقال (الحكومة جاءت بشعار الوفاق الوطني، لكنها باشرت العنف والقتل منذ الساعات الأولى، فكيف يمكنها ـ والحال هذه ـ التحدث عن الوفاق الوطني؟! كم من هذه الأموال التي تنفق كل يوم، يصل الى القرى؟! لقد جعلوا منا ـ نحن النواب ـ العوبة..). كما تحدث نائب آخر فاتهم الحكومة بإعلان احصائيات كاذبة عن ضحايا الجمعة السوداء وقال: (الحقيقة هي أن آلاف الناس قتلوا في هذا اليوم).** **[13] لعبت النساء دوراً في الثورة كان من الأهمية بحيث اعتبره بعض الأشخاص أكبر من دور الرجال، وقد وردت إشارة الى هذا الموضوع في مقدمة الدستور حيث جاء فيما يلي: (التلاحم الواسع للرجال والنساء من مختلف الفئات والشرائح والاتجاهات الدينية والسياسية كان له الدور المصيري في انتصار الثورة، ويحظى دور المرأة بأهمية خاصة، إذ شاركت في جميع مراحل الثورة وعلى جميع الصعد، ومن المشاهد التي تعكس حضور هذه الفئة الكبيرة من المجتمع في ساحة الجهاد ومساهمتها المصيرية في النضال، مشهد أم تحتضن طفلها مسرعة نحو ساحة المعركة في مواجهة فوهات الأسلحة الرشاشة).** **[14] من تلك الحوادث؛ إعلان شريف امامي عن اعتقال (1106) أشخاص منذ فرض الأحكام العرفية، وتقديم الحكومة وعداً للشعب بتخفيض نسبة الضرائب واختفاء سفير افغانستان في طهران، واختطاف الإمام موسى الصدر زعيم الشيعة في لبنان الذي كانت له أصداء واسعة في إيران إضافة الى حوادث أخرى كانت تصب في النهاية في نهر الثورة الجارف، من قبيل تشييع جثمان نجل آية الله العظمى الگلبايگاني الذي توفي في حادث سيارة أثناء الحملة الشعبية لدعم منكوبي الزلازل، وقد اقيمت له مجالس تأبين عديدة.** **[15] قالت صحيفة كيهان (5/10/1978): (الدكتور شاهبور بختيار، الأمين العام لحزب إيران والعضو التنفيذي في الجبهة الوطنية، طالب بالحريات المنصوص عليها في الدستور وطعن صلاحية حكومة امامي في إدارة البلاد، كما اعلنت الجمعية الإيرانية للدفاع عن حقوق الإنسان أنها بعثت ـ خلاف فترة نشاطها ـ بعشرات الرسائل الاحتجاجية الى الحكومة لكنها لم تتلق أي جواب واعلنت استعدادها لخوض مناظرة مفتوحة).** **[16] بدأت الحكومة في تلك الأيام تشيع أن مطاليب المضربين تتلخص في زيادة الرواتب ووضع سيارات نقل خاصة بهم، وامتيازات إضافية وترفيع وظيفي.. الخ، وهي محاولة متعمدة للتغطية على المطاليب الحقيقية.** **[17] من بين الوثائق التي عُثر عليها في مراكز الساواك؛ وثيقة تمثل تقريراً يحمل الرقم 7403/312 بتاريخ 24/أيلول/1978 حيث يروي فيه رئيس الساواك الجنرال مقدم الى الشاه تفاصيل اللقاء الذي تم بينه وبين شريعتمداري، وتكشف هذه الوثيقة طبيعة الخط المنحرف داخل الحوزة والذيظهر منذ حوادث 1962 وقضية تأسيس مجالس الولايات، وقد كان الإمام يشير الى هذا الخط بشكل غير مباشر ويبدي قلقه من وجوده، وفيما يلي نص الوثيقة كما وردت في صحيفة كيهان، العدد (11560) بتاريخ 24/نيسان/ 1982، وهي تكشف بوضوح طبيعة أحد الخطوط السرية التي كانت تعمل ضد مسيرة الثورة. (خلال اللقاء الذي دام حوالي 4 ساعات مساء يوم 1/7/1357(23/9/1978). مع السيد كاظم شريعتمداري في منزله بمدينة قم، قمت في البداية بإعطاء نبذة مختصرة عن الموقع الجغرافي لإيران، والأخطار المحدقة بالبلاد من جانب القوى الخارجية، شرقيها وغربيها، وكذلك الشؤون الداخلية في إيران والتحريض الذي يقوم به الشيوعيون وعملاء الأجنبي الآخرون. وقد أبدى آية الله شريعتمداري سروره الكبير لهذا اللقاء وأعرب عن تأييده للنظام حيث أدلى بحديث إشار فيه الى عدة أمور منها:** **1ـ قال: أبلغو سلامي الى جلالة الشاه وأحيطوه علماً بأن المشاكل التي يواجهها جلالته اليوم نواجهها نحن أيضاً، وآمل أن يواجه جلالة الشاه هذه المصاعب بصبر كبير، الى أن تتذلل بالشكل الذي يريده، بما يعود بالنفع على البلاد. قبل أيام، وعندما زارني ممثلوا الملك الحسن، طلبوا مني أنأبدي ليناً أكثر حيال جلالة الشاه، لكنني أخبرتهم بصراحة أن كل جهودي إنما تستهدف الحفاظ على الملكية، وطلبت منهم أن يبلغوا الملك حسن طلبي إليه بإن يقف الى جانب جلالة الشاه ويؤازره ليتمكن من الثبات أمام المشاكل الداخلية، كما طلبت منهم إبلاغ الشاه بضرورة الإسراع بالإصلاحات. إن النجف هي أحد مراكز معارضة النظام الملكي وانا ضد النجف تماماً، وأنا أفكر وأعمل من أجل الحفاظ على البلاد والدين والنظام الملكي. لقد التجأت الى الدستور من أجل الحفاظ على التاج والنظام الملكي وقد اخترت سبيلاً معتدلاً، يعود بالنفع على جلالة الملك وعليّ وكذلك على من يتلاءم نهجهم مع نهجي. إنني أسلك هذا السبيل للحيلولة دون أن يصبح زمام المبادرة بيد المتشددين، فلو شعروا بأنني أدعم النظام، فلن يكون بإمكاني اعتراض مسرة المتشددين، عليَّ أن أتصرف بشكل بحيث أكسب رضاهم، ولهذا اخترت طريقاً وسطاً بين جميع التيارات الفكرية داخل البلاد وخارجها، ولو لم أفعل ذلك، لكان المتشددون، قد قضوا على البلاد حتى الآن. لقد استندت في تحركاتي الى الدستور لأتمكن من العمل بنجاح على حماية التاج والعرش والبلاد.** **2ـ وقال أيضاً: إن الخميني معارض لنظام إيران، والنجف هي مركز التآمر على إيران، فالكثير من البيانات الواصلة من النجف، تسبب التظاهرات وإراقة الدماء، وإن كان أناس آخرون تسببوا في هذه الحوادث فإنهم ـ بالتأكيد ـ يتلقون التحريض من النجف. إن الخميني ومن يفكرون على شاكلته ويعتقدون بأن الحكومة الإسلامية هي أفضل حل لمشاكل البلاد، إنما يعملون على القضاء على مركز القوة ويسوقون البلاد الى الدمار وليس الاعمار، وإنني على ثقة من أن ما يفعله هؤلاء يجني ثماره أناس آخرون. إنني أعارض تماماً ما يقوم به هؤلاء من اعمال تؤدي الى خلق مصاعب للناس، مثل الاضرابات واغلاق الأسواق وايجاد الفوضى والتظاهرات والاخلال بالنظام. لقد اطلقوا شعارات عنيفة في مجلس تأبين ابن آية الله الگلبايگاني اليوم. والجدير بالذكر إن أحد الأشخاص المؤيدين لي ـ وكان يجلس بقربي في مجلس التأبين ـ قال مازحاً (الظلم الذي كان سائداً في السابق أفضل لدينا من العدالة التي يعد بها هؤلاء). إن الكثير من العلماء يزوروني ويستفسرون عن رأيي بنهج الخميني وهل اختلف معه أم لا؟ فأجيبهم بنعم، وأوضح لهم بأنه معارض للشاه، بينما أن لست كذلك، لقد أرسلت الى الخميني اسأله: مادمت تتصيد العثرات على الحكومة، فلماذا لم تحتج على حكومة العراق التي تقتل من يريد المشاركة في مسيرة الأربعين من النجف الى كربلاء، بينما الحكومة الإيرانية لا تقوم بشيء من هذه الأعمال؟ أنا لا أخاف من الخميني، لكن انصاره مجانين لا يتورعون عن استخدام السلاح في التخريب وقتل الآخرين. نحن لسنا مصونين من أذاهم حتى ونحن في بيوتنا، ويجب أن تعطونا الحق في أن نسلك نهجاً معتدلاً لنأمن من الضرر من هؤلاء ونؤدي واجبنا حيال جلالة الملك والأمة.** **3ـ وعن تأثير سلوك أنصار الخميني ومعارضيه قال شريعتمداري: الذين يملكون الشجاعة للوقوف بوجه الخميني وأنصاره قليلون جداً، فخلال السنوات الأخيرة أدى سلوك أنصار الخميني الى بث الرعب في قلوب غالبية الذين يؤيدونني في وجهة نظري، أي يؤيدون الحكم الملكي، خاصة وأن انصاري لا يملكون تنظيماً معيناً، ولذا فإنهم قلقون جداً. علينا العمل من أجل تبديد مخاوف هؤلاء تدريجياً، وايجاد تنظيم في صفوفهم، يمكنهم من الاتحاد والتصدي لخط النجف. ونهجي المعتل سيؤدي الى استقطابهم نحوي الأمر الذي يمهد الطريق لايجاد التنظيم اللازم والتمتع بقوة ملحوظة لبدء التصدي العلني في المستقبل. وعلينا تجنيد الطاقات كلها لإيجاد هذا التنظيم وبدء التخطيط للمستقبل.** **4ـ وعن الحكومة الجديدة قال شريعتمداري: إنني أؤيد جميع اجراءات هذه الحكومة باستثناء الاجراء الذي ادى الى مقتل العديد من الناس في بداية إعلان الأحكام العرفية. ويجب الاهتمام أكثر بعدة أمور منها: وضع الخبز واللحوم والثقافة والاهتمام بالشؤون الدينية فيا لمدارس لقطع الطريق أمام الشيوعية. واضاف: إن اعلان الحكم العرفي (العسكري) اجراء قيم ومفيد ويجب أن يستمر. وأنا أؤكد بصراحة ـ وارجو ايصال هذا الى جلالة الشاه ورئيس الوزراء ـ ضرورة تمديد فترة الأحكام العرفية قدر المستطاع. وقد أصبح اتهام الحكومة بكل ما يحدث موضة كما هو الحال في حادث السينما في آبادان. وللأسف فإن هناك أفراداً بسطاء كثيرين يتأثرون بدعايات الشيوعيين وبقاء الحكم العسكري كفيل بالتقليل منتأثير هذه التحريضات.** **5ـ وعن مجيء بعض الأشخاص الى منزله كممثلين لمنظمات الدفاع عن حقوق الإنسان قال شريعتمداري: إن باب بيتي مفتوح، فبعض هؤلاء تربطني به علاقة قديمة، وليس بامكاني اغلاق باب بيتي بوجه الزوار. فهؤلاء يجلبون الصحفيين الأجانب لاجراء مقابلات معي. وبالطبع فإني أعرف واجبي الشرعي، كما انني قلت رأيي بوثيقة حقوق الإنسان، وأكدت أنها مجرد مزاح. فعندما تملك خمس دول كبرى حق النقض(الفيتو)، فما الذي يبقى من حقوق الإنسان؟ فكل قانون له قيمته في وقته، وفي الإسلام لدينا بعض القوانين كانت واجبة التطبيق في زمن معين، لكنها مرفوضة اليوم، فنحن لدينا الإسلام الذي يعطينا ما هو أفضل من الاعلان العالمي لحقوق الإنسان، مثل الإحسان والمساواة والورع والتقوى.** **6ـ وعن علي اميني قال شريعتمداري: أقول بصراحة إن اميني يحاول كثيراً ـ وعبر وسطاء ـ التقرب مني لكنني أعلن بصراحة بانني لا أرغب بتزكية شخص يتولى رئاسة الحكومة، لانني أعتقد أن الحكومة تؤدي واجبها، وكل ما اطلبه هو أن تسرع الحكومة بمكافحة الفساد ومعاقبة كل الذين خلقوا المشاكل والمصاعب ومارسوا سياسة التمييز والتفرقة.** **7ـ وعن السجناء السياسيين أبدي شريعتمداري رأيه كالآتي: أنا لا أؤيد اطلاق سراح جميع السجناء، بل اطلقوا سراح أولئك الذين تتأكدون من أنهم لن يعودوا الى نشاطاتهم المعارضة. أما الباقون فابقوا عليهم، خاصة أولئك الذين تطاولوا على مقام الملوكية وجلالة الشاهنشاه.** **8ـ وعن تردد المراسلين الصحفيين عليه وادلائه بالأحاديث الصحفية قال شريعتمداري: يزورني عدد كبير من الصحفيين، وفي الأحاديث التي ادلى بها لهؤلاء، استند بشكل رئيس الى الدستور والالتزام به، بينما الخميني لا يعترف بالنظام ولا بالدستور. وخلال اجاباتي عن أسئلة الصحفيين، فانا اقترح دائماً القيام بإصلاح الأوضاع. وقد سألني أحد الصحفيين حول رأيي بتعديل الدستور أو إضافة بعض المواد إليه ومن أجل أن أعطي جواباً معتدلاً قلت له: تغيير الدستور يستدعي اجتماعاً مشتركاً لمجلسي الشورى والشيوخ وأن يملك هذان المجلسان الأهلية اللازمة لتغيير الدستور. وهذا سيتدعي أن يكون اعضاؤهما قد انتخبوا من قبل الشعب بشكل سليم، ولأن هذين المجلسين لا يحظيان حالياً بثقة الناس، فإن أصل موضوع اجراء تعديلات على الدستور أمر مستحيل حالياً، وهكذا ربطت المر، بشيء مستحيل. وفي أغلب المقابلات الصحفية، يسألني الصحفيون عن رأيي بالمادة (19) من مواد الدستور وأنا أجيب دائماً بأنني أوافق على هذه التطورات، مهما سُميت، ولكن من غير الصحيح أن يصفونا بالرجعية، لأننا نعارض القمار والزنا والسرقة وفساد الشيوعيين، لكننا لا نعارض التقدم العلمي والصناعي.** **9ـ ومن مطاليبه، الاهتمام بأوضاع مدينة قم حيث قال: بعد طهران ـ باعتبارها العاصمة السياسية ـ فإن الانظار في الخارج تتجه الى قم، ففيها أكبر حوزة علمية دينية للشيعة بعد النجف، ولهذا فنحن نأمل عدم تعيين مسؤولين غير لائقين وضعيفي الشخصية هنا، بل ينبغي اختيار اناس لائقين وجديرين بإدارة المدينة ليقوموا بإعمارها وتطويرها.** **10ـ على ضوء التوضيح الذي قدمته له في بداية اللقاء حول أوضاع إيران قال شريعتمداري: كم هو جيد أن تقوم الحكومة بتوضيح هذه الأمور للشعب باستمرار فذلك كفيل بتوعية الناس على الأخطار المحدقة بهم وببلادهم، وهنا ستنجحون في شق عصا المعارضين، وعندها سيمكننا إيجاد قوة من هؤلاء للوقوف بوجه الخميني، وسيؤدي ذلك الى معارضة شعبية علنية لتحركاته وتحريضاته. يجب أن تقولوا للناس إنه لو استمر الوضع على حاله، فإن أرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم في خطر. هذا التحذير يجب أن يتم بصور مختلفة، من قبيل نشر المقالات في الصحف وبث الاحاديث في الإذاعة والتلفزيون. وهنا أؤكد من جديد أن على الحكومة أن تبادر بسرعة الى اجتثاث جذور الفساد واستخدام الحزم في تعاملها مع المسيئين، وكسب رضى الناس، خلافاً لما كان يحدث سابقاً. وفي الختام، كرر آية الله شريعتمداري طلبه بإبلاغ سلامه الى جلالة الشاه).** **[18] استقلال خلال تلك الفترة أشخاص مقربون للشاه مثل وزير العلوم نهاوندي والجنرال من مزين ممثل الشاه المفوض في الشمال والذي مارس الظلم والاستبداد لسنين طوال. كما هرب مدير عام منظمة إعمار جزيرة كيش. ووصل الى طهران الجنرال نصيري لبذل ما يمكنه من أجل انقاذ الشاه. كما رفض الدكتور صديقي نصيري تولّي منصب وزير العلوم.** **[19] في خطابه الذي القاه بتاريخ 21/6/1979 قال الإمام الخميني: (القوى الكبرى مثل أميركا وروسيا والصين وبريطانيا، كانت كلها تدعم الشاه. وليس عبثاً أن يمنعوا عبوري من الأراضي الكويتية، لم يكن عبثاً أن تمارس الحكومة العراقية ضغوطاً علينا لاسكاتنا أو خروجنا من العراق. فكلهم كانوا متحدين، القوى الشيطانية كانت متحدة، وعندما رأيت أنهم منعوني حتى من دخول الكويت أدركت أن الأمر لا يقتصر على الكويت وحدها، فجميع الحكومات التي تُسمى اسلامية كانت متوحدة في سياساتها ومصالحها. ولهذا قررتُ من هنا الذهاب الى بلد لا يرزح تحت هيمنة أحد، فاخترت فرنسا).** **[20] اعترف المقدم لهراسبي ـ آمر وحدة طيران القوة البرية لجيش الشاه في كرمانشاه ـ أو الوثائق التي عثر عليها تؤكد أنه كانت هناك خطة لاختطاف الإمام الخميني واعتقاله في جزيرة كيش في الخليج فعندما رفضت السلطات الكويتية السماح للإمام بدخول أراضيها، ووفق تعليمات صدرت عبر الهاتف قام جلاوزة العميل خسروداد ـ الذي كان من أخبث قادة قاعدة طيران القوة البرية في كرمانشاه ـ بإرسال عدة طائرات سمتية باتجاه منطقة خسروي الحدودية لاختطاف الإمام حيث كان قد توقف قرب البصرة. وتزامناً مع ذلك تم إعداد طائرة نقل من طراز فالكس في مطار كرمانشاه لنقل الإمام الى جزيرة كيش وفي الجزيرة كانت هناك طائرة سمتية لنقل الإمام من هناك الى مكان مجهول. ولكن هذه الخطة فشلت بسبب اندساس عناصر ثورية في العملية، وعدم ايصال الوقود اللازم للطائرات مما احبط الخطة كلها.** **[21] عثر على وثيقة عند الساواك ضد الإمام جاء فيها: (تنفيذاً للأوامر الصادرة، فقد توجه وفد من دائرة الساواك الى بغداد بعد ظهر يوم 2/10/1978م، وقد ورد في تقرير الوفد ما يلي: تم الاجتماع بسعدون شاكر لمدة ثلاث ساعات ونصف الساعة وتم فيه ما يلي:** **1ـ تم ابلاغ سعدون شاكر شكر رئيس الساواك لتعاون معنا في هذا المجال.** **2ـ اعتبر سعدون شاكر الاجراءات الأخيرة المتخذة بحق الخميني سليمة وقائمة على أساس اتفاقية الجزائر، وبهدف تقوية علائق التعاون والجوار.** **3ـ شكا سعدون شاكر مما تكتبه الصحف الإيرانية ضد العراق، وعرض نماذج من المواضيع التي تحوي صور الخميني، وقد قدمنا التوضيحات اللازمة فيما يخص وضع الصحافة في إيران، وقد أيد أهمية حرية الصحافة لكنه أكد أن نشر مواضيع تعرض المصالح الوطنية للخطر يعتبر خيانة لا يمكن التغاضي عنها.** **4ـ اخبرنا أنه التقى الخميني وقال إنه رجل صعب المراس قوي الإرادة في مواصلة طريقه، وأبدى اعتقاده بأن الخميني لن يكف عن السعي لتحقيق أهدافه.** **5ـ قال إن الخميني رد على طلبه بالتخلي عن العمل السياسي بالقول: أنا رجل سياسة ودين، ولن أحيد عن وجهات نظري السياسية.** **6ـ أبلغناه باقتراح رفع الحصار عن الخميني نسبياً ومراقبته أكثر، فوعدنا بطرح الأمر في مجلس قيادة الثورة، لكنه يعتقد بأن أعطاء الحرية للخميني سيؤدي الى تصعيد نشاطاته المعارضة لإيران والعراق على حد سواء.** **7ـ أكد أن بقاء الخميني في العراق مضرٌّ للعراق وإيران، ويعتقد أن ذهابه الى مكان آخر، قد يزيد الأمر تعقيداً.** **8ـ الخميني حصل على تأشيرة خروج من العراق ولا أحد يعلم تاريخ مغادرته العراق، وقد يحدث ذلك في أي وقت.** **9 أكد أن الحكومة العراقية غير قادرة على منع الخميني من مغادرة العراق وقد تأكدنا من صحة ما يقول).** **[22] ياسر عرفات كان من بين الذين أبرقوا الى الإمام حيث جاء في برقيته: (حضرة المجاهد الأكبر والإمام الأعظم الخميني. إنّ الحزن ليملأ قلبي لما عانيتموه من ألم الغربة والبعد عن وطنكم العزيز إيران، ولما يحيط بكم من مؤامرات. لا أدري كيف اواسيكم ـ أيها المجاهد الكبير ـ فلا أستطيع دعوتك الى وطني، لأنه ممزق دامٍ يرزح تحت نير المستعمرين واذنابهم الصهاينة. كم اتمنى لو كنت في وطني لادعوك إليه، فوطني أرض الأبطال والأحرار أمثالكم إن المؤامرات تحيط بنا من كل جانب، فحتى في لبنان، يتعرض اخوتنا اليوم للموت، لكن النضال ضد الاستعمار وأذنابه مستمر حتى تحرير الوطن الحبيب. أيها الإمام المجاهد ... إن اسلوب نضالكم يأخذ الألباب خاصة وإننا نراك تواصل نضالك المرير بالرغم من كل المضايقات التي أوجدتها دول تدّعي الثورية، وكما أنكم وجميع المناضلين الإيرانيين دعمتم الثورة الفلسطينية دائماً فغننا نعلن وضع جميع إمكاناتنا تحت تصرفكم). وقد أجاب الإمام عن البرقية كالتالي:** **(السيد ياسر عرفات، رئيس اللجنة التفنيذية لمنظمة التحرير الفلسيطنية. وصلتني برقيتكم بيد مبعوثكم الخاص. اشكرك على مشاعرك ودعمك للشعب الإيراني في الظروف الحساسة الحالية... لقد كنا دائماً ضد إسرائيل ومع من يعارضها. كنا معكم دائماً، نطلع العالم على جرائم إسرائيل ضد الشعوب، واليوم حيث يمر الشعب الإيراني بظروف حساسة للغاية، ندعوكم لضم صوتكم الى صوت هذا الشعب وإيصال صوته ـ من خلال وسائل اعلامكم ـ الى أسماع العالم انقلوا ما يعانيه شعب يريد أن يستقل بعيداً عن التبعية للشرق والغرب. وإنني على يقين بأن النصر حليف شعبنا الواعي لا محالة) (نقلاً عن صحيفة كيهان بتاريخ 8/11/1978).** **[23] بعض موظفي الدولة الطماعين، وبعض الذين يعانون من ضائقة مالية، حاولوا استغلال الاضرابات التي كانت قد سرت الى الدوائر والمصانع لتحقيق مطاليبهم على صعيد الرفاهية، دون الاهتمام بالجوانب السياسية لها، فأخذوا يطرحون مطاليب من قبيل زيادة الرواتب ومخصصات السكن، وقروض السكن باقساط طويلة الأمد، وتحسين وضع التقاعد وتوزيع الأراضي والبيوت، وقد عملت الحكومة على ترسيخ هذه المطاليب لحرف الاضراب عن الهدف الحقيقي، لكن يقظة الأمة احبطت هذه المؤامرة.** **[24] في بيانه للشعب بتاريخ 26/10/1978 قال الإمام الخميني: (..الأوضاع الجارية في إيران تثير قلقي بشدة.. فأنا أختشى من أن يدفع الانهيار العصبي للشاه وأعوانه الى ارتكاب المزيد من هجماته الجنونية وإراقة المزيد من دماء الشعب الإيراني. إنّ مذبحة كرمان الجماعية، وإحراق مساجد المسلمين ومهاجمة النساء والرجال العزل من قبيل ما حصل في مجازر همدان وباقي المدن في أنحاء إيران التي يتعذر تعداد اسمائها كلها تستدعي من أبناء الشعب الشريف وكل الفئات المحبة للإسلام والبلاد، أن لا تهمل النظام، وأن تقضي على هذه الحكومة الغاصبة بأسرع وقت.** **إنّ شعار (العمل بالدستور) الذي طرحه مؤخراً عملاء الشاه في مجلس الشورى والشيوخ خيانة للإسلام والبلاد، وأن الحديث عن زوال الشاه وبقاء النظام، بمثابة قتل الحية وتربية حربشها). (صحيفة جمهوري اسلامي بتاريخ 25/6/1979).** **[25] هنأ كارتر وبريجنيف وهو اكوفنع وباقي رؤساء الكتلتين الشرقية والغربية الشاه بذكرى ميلاده معلنين دعمهم له في تلك الظروف العصيبة. فقد جاء في برقية كارتر: (جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي، شاهنشاه إيران ـ طهران. نقدم لك ـ أنا وروزلين ـ أسمى آيات التبريك في ذكرى مولدك، وكما أكدنا لك في الماضي، فإننا نراقب الوضع في إيران باهتمام كبير خلال الأشهر الماضية، وأنا أعلن بأن الاضرابات الأخيرة قد اشغلت ذهن جلالتك، لكنني واثق من أن جلالتك وقد استطعت خلال 37 عاماً دفع بلادك نحو التقدم والازدهار بهمة عالية وثقة بالنفس، سيتمكن من اجتياز المرحلة الحالية متغلباً على المشاكل كافة، وسيصبح الشعب الإيراني شعباً قوياً مقتدراً بفضل برنامج الاصلاحات السياسية الذي طبقته. جلالة الشاه: إسمح لي أن أؤكد لك ـ مرة أخرى ـ أن الولايات المتحدة الأمريكية تدرك جيداً أهمية العلائق العريقة التي تربطها بإيران، وما تحظى به من أهمية كبرى لدى الجانبين، وسيتواصل تعاون شعبنا من أجل توفير السعادة لكل العالم، وتقبّل أحر تحياتي.. جيمي كارتر) (نقلاً عن الصحف المسائية ليوم ـ 28/10/1978).** **[26] يوم الجمعة 3/10/1978 التقى علي أميني بشريعتمداري في قم لعدة ساعات، وفي اليوم التالي عكست صحيفة اطلاعات هذا اللقاء ما يلي: قال آية الله شريعتمداري في معرض الاعلان عن مطاليب العلماء التي لا تنفصل عن مطاليب الشعب: ما نريده هو الالتزام بالدستور فنتحن لا نطمع بمنصب، وأساساً فإن علماء الشيعة لا يريدون تولي مقاليد الأمور. وحينما نطالب بإقامة حكومة اسلامية فاننا نعني بذلك أن تقوموا انتم السياسيين بمراعاة الأحكام الإسلامية كافة ، وتشكلوا حكومة مؤلفة من القوى التقدمية الإسلامية والوطنية، وتوفروا أرضية سليمة لاجراء الانتخابات. إن العلماء لا يمكنهم غض الطرف عن مصير 35 مليون مسلم، وعندما يتم تشكيل المجلس الوطني (البرلمان) فإن على العلماء ـ وطبقاً للدستور ـ الاشراف على سن القوانين والمصادقة عليها. وما دام المجلس الحالي لا يحظى بثقة الناس، وأكثر النواب لم ينتخبهم الشعب، فكيف يمكن ممارسة هذا الاشراف؟ وعندما طالبوا منا انتخاب خمسة علماء لهذا الاشراف أجبنا بأنه متى ما جرت انتخابات حرة، فسنقوم عندها بأداء مسؤولياتنا.** **وفي هذا اللقاء طرح الدكتور علي أميني ـ بدوره ـ وجهات نظره وأكد أنه يبذل مساعيه الحثيثة لدعم بعض قوى المعارضة التي تؤمن بالدستور والعلماء التقدميين). وقد وجد أمين في هذا اللقاء أملاً كبيراً في امكانية تحطيم حاجز العلماء وإعادة الأوضاع الى سابق عهدها. وقد نشرت صحيفة اطلاعات تفاصيل اللقاء وما طرحه أميني من اعتراف بالإمام الخميني ودوره، وفي نفس العدد من الصحيفة ـ والذي كان آخر عدد يصدر لها قبل الاضراب الذي دام شهرين ـ أوردت الصحيفة تصريحاً للإمام الخميني نقلاً عن وكالة الأنباء الفرنسية قال فيه: (النظام الحالي يجب أن يتغير، لقد أراد هذا النظام فتح الحوار مع عدد من المعارضين، لكن الوقت قد فات. لقد أخبرنا المتحدثين باسم المعارضين، أمثال الدكتور اميني والدكتور سنجابي أنهم متى ما قبلوا بالمفاوضات مع النظام فسيطردون من المعارضة).** **[27] قال الدكتور سنجابي زعيم الجبهة الوطنية لدى توجهه الى باريس: (أعتقد أن ذهابي الى باريس واللقاء بآية الله العظمى الخميني هو أهم عمل يمكن أن أؤديه في المرحلة الحالية، حيث وصل الغليان الشعبي ذروته وقتل المئات من أبناء الشعب، وقد ذهب صديقنا المهندس بازركان الى باريس لنفس الغرض فالجبهة الوطنية كانت ولا زالت حامية للدستور، وتعتبر مواده الثابتة تقدمية وصالحة للتطبيق في كل زمان، وكل ما في الأمر أن مواده يجب أن تطبق كلها معاً، لا أن تطبق المواد التي تعود بالنفع على رأس الهرم القيادي فقط.** **[28] قال سنجابي في مقابلة صحيفة له بتاريخ 9/1/1979 حول لقائه بالإمام: (زرت الإمام باعتباري فرداً مسلماً وإيرانياً، وباعتباره قائداً حاضراً في جميع ما يحدث في إيران اليوم وقد أكدت للإمام بأانني أشهد الله على أنني لا ارتبط بأية جهة سياسية للنظام سواء بشكل مباشر أو غير ذلك، ولا علاقة لي بأية جمعية سرية أو علنية، ولم التقِ بأي من مسؤولي الحكومة أو البلاط، بل جئت لباريس لأوضح لكم وجهة نظر الجبهة الوطنية فقط). هذا الحديث يدل على الشروط التي كان يطلب توفرها فيمن يريد اللقاء به من رجال السياسة. ويضيف الدكتور سنجابي (لقد أعددت مشروعاً من 3 مواد وكتبته هنا بخطي أنا وأرسلته الى الإمام، حيث اضاف عليها كلمة (الاستقلال) وعلى الفور وقعت الورقة وأرسلتها إليه في اليوم التالي، وقلت له هذه الورقة ستبقى سنداً ومنهجاً لعلمنا فأجاب: أعلنوا هذه المواد الثلاث. فخرجت الى باحة الدار وقرأت ما في الورقة في جمع يضم حوالي 100 شخص، حيث تناقلته وكالات الأنباء بسرعة وكانت المواد الثلاث هي:** **1ـ النظام الحالي يفتقد القاعدة القانونية والشرعية بسبب انتهاكه المستمر للدستور وممارسته الظلم والجور وإشاعة الفساد والخضوع أمام سياسات الأجانب.** **2ـ نظام الحكم في إيران يجب أن يقوم على أساس الإسلام والديمقراطية والاستقلال من خلال الاعتماد على آراء الشعب). ويلاحظ أن الدكتور سنجابي ذهب الى باريس ممثلاً عن الجبهة الوطنية ظناً منه بأنه سيُطلع الإمام على حقائق الأمور في إيران، مما اضطر سنجابي الى الانصياع لرأي الإمام دون مناقشة، حيث أصدرت الجبهة بعد ذلك بياناً من ثلاث مواد تعلن فيه الطاعة للإمام، لكننا نرى ـ فيما بعد ـ عضواً آخر من هذه الجبهة يرتمي في أحضان الشاه. فقد قبل شاهبور بختيار تولي رئاسة الوزراء فخالف ـ بذلك ـ المواد الثلاث للجبهة، مما أوجد مشاكل جديدة في طريق الثورة كانت أمريكا المخطط لها.** **[29] شارك مؤلف هذا الكتاب في حوادث ذلك اليوم، فقد كانت له كلمة في اجتماع القضاة قال فيها (زملائي الأعزاء، نمر اليوم بلحظات تاريخية حساسة، فشعبنا بجميع فئاته نهض اليوم ضد الظلم والجور، وإن المرحلة التي نمر فيها من حياة بلادنا لم يسبق لها نظير في التاريخ، ولن يكون لها نظير في المستقبل أيضاً. فالنظام محاصر من كل الجهات، وقد اتضحت اليوم الكثير من جرائم النظام الفاسد، وانكشفت للعيان جوانب من ممارسات النهب التي تمارسها الحكومة. لقد أدركنا اليوم مدى التعذيب والمجازر والجرائم التي ترتكب ضد أبناء هذا البلد الأحرار المسلمين، بالرغم من أن النظام حاول التعتيم على كل ذلك، لقد طلع علينا شريف إمامي الخادم القديم للأجانب، بثوب جديد، من خلال ما يسميها بحكومة الوفاق الوطني، في محاولة أخرى للحفاظ على مصالح ووجود الاستعمار في هذا البلد. ورأينا كيف أن اعلان الحكم العسكري أدى الى مقتل الناس العزّل بالجملة. لقد مضى ذلك الوقت الذي كنا نطلب فيه من الحكومة تقديم مشروع قانون الى المجلس لإعطاء السلطة القضائية مزيداً من الصلاحيات، فالحكومة اليوم لا علاقة لها بالشعب بل هي توجه رصاصها الى قلوب أبناء الشعب. فكيف نطلب شيئاً من هذه الحكومة وهي التي لا تملك أية صفة قانونية؟ كيف نريد من المجلس المصادقة على منحنا صلاحيات أكثر، وهو المجلس الرستاخيزي الذي يأمر أحد أعضائه وهو (سردارجاف) بإطلاق النار على جموع الشعب في منطقته؟ ما هذا البيان الذي اعددتموه. إن على الجهاز القضائي أن يلعب دوراً بناءً في هذه النهضة التي يقودها مرجع الشيعة، لا أن نطلب صلاحيات من هذه الحكومة. علينا أن نعلن احتجاجنا على التدخل الأجنبي الذي يستهدف حماية هذا النظام الفاسد. أمعنوا النظر في تصريحات وزراء خارجية الدول الكبرى وانظروا كيف يدعم هؤلاء الحكومة المعادية للشعب، متجاهلين كل هذه المذابح التي ترتكب ضد الشعب علينا أن نضع حداً لهذه المذابح التي ترتكب بحق الشعب الأعزل عن عمد. الأسلحة التي اشتريت من ثروات الشعب يجب أن تستخدم على الحدود دفاعاً عن استقلال البلاد، وليس في شوارع المدن وازقتها لتطلق رصاصها في صدور الناس. هذا البيان الذي اعددتموه يعد انحرافاً عن جادة الصواب، فلا الحكومة ولا المجلس الرستاخيزي المفضوح يملكان أهلية للمصادقة على قانون للجهاز القضائي. إن الجهاز القضائي يتحمل في هذه المرحلة، مسؤوليات حساسة وخطيرة عليه النهوض بها ليظل الى جانب أبناء الشعب). (راجع كتاب(نظرة الى تاريخ القضاء) باللغة الفارسية/ الصفحتان 8و 9).** **[30] الاحصاءات التي توفرت حول عمالة أعضاء حكومات هويدا واموزغار وشريف امامي وأزهاري هي كالاتي (القياس على أساس 59 شخص من مجموع 100 شخص): 38% من الماسونيين، 24% مرتبطون بالمخابرات المركزية الأمريكية و11% أعضاء في الساواك.** **[31] عقب سقوط حكومة شريف امامي، وصل بيان الإمام الى الشعب، حيث جاء فيه: (.. اقدم شكري للشعب الإيراني الشريف الذي أسقط بشجاعته عروش الظلم الواحد تلو الآخر، وحطم هذا الصنم الشيطاني بصموده وبطولاته اعزائي.. اصبروا وصابروا فالنصر قريب والله مع الصابرين. فبصمودكم سترفعون هامات جبل المستقبل، فإيران أضحت اليوم معقلاً للأحرار، لا تدعوا الخوف يأخذ طريقه الى قلوبكم، وهكذا عهدي بكم. ولا تصغوا الوساوس عبيد الجهاز الظالم الحاكم. فشجاعتكم أضحت حديث العالم، وقدوة لكل التحرريين. إنني ومن هذا المكان البعيد، اُعلّق عليكم الآمال، وسأقدم لكم كل ما في وسعي لخدمة الحق وقد أوصلت وسأواصل إيصال نداءكم التحريري الى أسماع العالم أجمع).** **[32] صادف يوم الجمعة 17 تشرين الثاني 1978، عيد الجيش الإيراني فكانت جموع الشعب تنثر الزهور على العسكر في الشوارع وتناديهم بـ(الأخوان) وتدعوهم لدعمها. أما قادة الجيش فقد أقاموا احتفالاً واستعراضاً بالمناسبة، عرضوا خلاله الآلاف الصواريخ فكان بمثابة عرض للعضلات أمام الشعب. أما الشعب فقد واجه ذلك بباقات زهور، مؤكداً للعسكر أن الجيش يجب أن ينضمّ الى الشعب، لا أن يصبح اداةً بيد الأجنبي.** **[33] الجيش الشاهنشاهي الذي كان يعتبر القلعة الحصينة للنظام الملكي والذي كان الشاه يشيد به باستمرار، ويستند إليه في القيام بالممارسات المخالفة للقانون، أصبح مهدداً بالانهيار من الداخل، فقد بدأ المتدينون داخل الجيش بالتحرك انطلاقاً من واجبهم الديني. فقام شخصان هما سلامتبخش واميدي عابد باطلاق النار داخل مطعم الضباط على من فيه ظهر يوم العاشر من محرم فبعثت هذه الحادثة الرعب في قلوب قادة الجيش (صحيفة اطلاعات/ 17 تشرين الثاني 1980).** **[34] اعلنت الحكومة العسكرية في اوائل محرم حرية إقامة مجالس العزاء يومي التاسع والعاشر ـ كما قللت ساعتين من المدة اليومية المقررة لمنع التحول، وكانت تأمل أن يكتفي الناس بمواكب العزاء الحسيني، لكنها واجهت مسيرات حاشدة، ولافتات معارضة للنظام، وكان الآوان قد فات للتصدي لها. وهكذا التزمت الحكومة الصمت بينما شهدت المسيرات المليونية ذروتها.** **[35] المئات من المصورين الصحفيين سجلوا بكاميراتهم مشاهد هذا التجمع الحاشد. عدد منهم كان قد صعد على سقوف سيارات تتحرك داخل الجموع، بينما كانت الجموع تطلق شعار (الخميني قائدنا) و(الله، القرآن، الخميني، وترفع يافطات تحمل عبارات مثل (الحكومة الإسلامية بقايدة الإمام الخميني هي مطلب كل الشعب).** **[36] نص البيان الذي صدر في ختام مسيرات التاسع والعاشر من شهر محرم في ذلك العام كان كالآتي:** **بسم الله الرحمن الرحيم ... في هذا اليوم التاريخي العظيم، حيث تحل ذكرى استشهاد ملهم الأحرار وإمام الثائرين والمسلمين، الإمام الحسين بن علي (ع) واصحابه الأوفياء، يجدد الشعب الإيراني ـ بكل طبقاته وفئاته ـ بمسيرات عظيمة قل نظيرها، التحامه وسيره على نهج ثورة كربلاء التاريخية وأهدافها المقدسة. ويعلن في نهاية هذه المسيرات ما يلي:** **1ـ إن سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني هو قائد الأمة، ومطاليبه هي مطاليب الشعب كله. وهذه المسيرة هي بمثابة ثقة تامة يمنحها الشعب من أعماقه قلبه ووجدانه وروحه لقائده، تقديراً من الشعب المسلم لزعامته وجهاده المرير.** **2ـ نطالب باسقاط الشاه وإلغاء النظام الملكي الاستبدادي وإنهاء كل اشكال الاستعمار الخارجي الذي التقى مع الاستبداد الداخلي في نهجه وأهدافه، ونطالب باستقلال حقيقي وامساك الشعب بزمام أموره.** **3ـ نطالب بإقامة حكومة اسلامية عادلة استناداً الى رأي الشعب والحفاظ على استقلال البلاد ووحدة أراضيها وتوفير الحريات الفردية والاجتماعية وفقاً للمعايير الإسلامية.** **4ـ نغتنم فرصة تزامن هذه الأيام المقدسة، مع ذكرى اعلان الميثاق العالمي لحقوق الإنسان ونعلن أن حركتنا لا تستهدف تأمين الحقوق الطبيعية والفطرية للبشر فحسب، بل إن الإسلام نفسه هو الذي وضع اسس حقوق الإنسان.** **5ـ لابد من اجتثاث جذور كل أشكال الاستعمار والاستقلال والتبعية للامبريالية الشرقية والغربية والقوى السلطوية الأجنبية واستبدالها بعلائق سليمة على أساس مصالح وحقوق الجانبين، مع كل الدول التي لا تملك اطماعاً أو مواقف خيانية حيال بلدنا.** **6ـ صيانة الحقوق السياسية والاجتماعية لجميع أفراد المجتمع، والأقليات الدينية وجاليات الدول الأخرى المقيمين في إيران.** **7ـ نطالب بمنح الحرية الحقيقية المستندة الى العفة والشرف والكرامة الإنسانية للمرأة التي حضيت باهتمام الإسلام، وكذلك توفير سبل نمو جميع الابداعات والمواهب النسائية بشكل بناء.** **8ـ نطالب بإقرار العدالة الاجتماعية وتأمين حقوق العمال والفلاحين.** **9 ـ نطالب باجتثاث جذور كل اشكال التفرقة والتمييز القانوني والاجتماعي واستقلال الإنسان بواسطة اخيه الإنسان، وجني الأرباح غير المشروعة والهيمنة الاقتصادية التي تؤدي الى تكدس الثروات لدى قلّة من الناس الى جانب الفقر والحرمان لدى غالبية أبناء الشعب.** **10ـ نطالب بتحقيق الاستقلال واحياء الزراعة ودعم القطاع الصناعي المستقل للوصول الى الاكتفاء الذاتي والتخلص من التبعية للأجانب.** **11ـ نؤيد اضرابات العاملين في مؤسسات القطاع الخاص والحكومي الذي وجه صفعة قوية للنظام المنهار، الى الحد الذي لا يخلق مصاعب في تأمين الحاجات اليومية للشعب.** **12ـ نوصي الشعب البطل بالصبر على شحة بعض المواد حتى يتسنى له اجتياز هذا النفق المظلم، وذلك يستلزم تعاضد الجميع وتعاونهم من أجل سد الحاجات الضرورية للآخرين، كما ندعو الى تحاشي عمليات احتكار السلع الضرورية.** **13ـ نحن نعتبر إنزال الجيش الى الشوارع ووضعه في مواجهة الشعب خيانة كبرى للجيش والشعب معاً وعلى الجيش الإيراني أن يعلم أن واجبه الإسلامي والإنساني والوطني يقضي بوقوفه بوجه أعداء الشعب وليس الشعب نفسه.** **14ـ الاعلام الفارغ للنظام، بخصوص الاختراق الشيوعي الدولي للتحرك الإسلامي والوطني الإيراني ولجوء النظام الى أساليب الإجرام وافتعال الحرائق لتشويه سمعة الحركة الإسلامية، لن تحقق أهدافه في ثني امتنا الواعية المؤمنة بالقرآن والإسلام وحب الوطن، عن مواصلة ثورتها.** **15ـ نحيي الأرواح الطاهرة لشهداء الحركة الإسلامية في إيران وخاصة شهداء السنوات الخمس عشرة الأخيرة التي كانت لها الدور الكبير في دفع مسيرة الثورة الى الأمام استلهاماً من مدرسة الحسين بن علي (ع) الذي ضحى بدمه من أجل أهدافه المقدسة.** **16ـ نشدد على ضرورة إطلاق سراح جميع السجناء وإعادة جميع المبعدين بتهمة الدفاع عن الحق والإسلام والوطن.** **17ـ ولتحقيق الأهداف السالفة الذكر فإن جهاد الأمة الواعية سيستمر بشتى الأساليب حتى تحقيق النصر، ولن تنفع كل الدسائس والمؤامرات والممارسات الحكومية في ثني الأمة عن هذا التحرك التحرري.** **النصر للجهاد العادل لامتنا المسلمة بقيادة الإمام الخميني) (لجنة إقامة مسيرات التاسع والعاشر من محرم)** **[37] حل الجنرال رحيمي محل أويسي كحاكم عسكري، بعد أن أدرك أويسي أن عقاباً صارماً ينتظره بسبب مذبحة 17 شهريور، لذلك رجَّح الهرب من البلاد. أما رحيمي فكان ضمن اوائل الذين وقعوا في قبضة الثوار فنفذوا بحقه حكم الإعدام.** **[38] قبل سقوط الشاه قال اردشير زاهدي ـ سفير إيران في أمريكا خلال عهد الشاه ـ: إن يأس كارتر من الشاه أوقعه في خطأ كبير، لأن أمريكا لو تركت الشه يسقط، لخرجت إيران من قبضتها الى الأبد (صحيفة آيندكان 14/1/1979 نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية).** **[39] عندما كان الإمام في باريس، كان العالم يتابع حديثه وتصريحاته بدقة، ولهذا فقد تدفقت على (نوفل لوشاتو) أعداد كبيرة من الصحفيين، ليتمكنوا من نقل أخبار الإمام وتصريحاته الى العالم بأقص سرعة. فقد كان العالم قد أيقن أنه زعيم إيران المقبل. ولكي نعرض شيئاً من آراء الإمام بخصوص أوضاع إيران والعالم آنذاك ننقل جانباً من الأسئلة التي كان يطرحها عليه الصحفيون، وهي أسئلة الدكتور جيم كوكررفت استاذ جامعة روتكرز الأمريكية في 28 ديسمبر 1978:** **س ـ ما هو تقييمكم للنضال الحالي وكيف يسير؟** **ج ـ جهاد الشعب الإيراني بلغ الآن ذروته، وآمل أن نستطيع في المستقبل القريب طرد الشاه من البلاد، فالشعب يعي أهدافه وجهاده جيداً، ويدرك مدى صعوبة الطريق الذي سلكه، لكن النصر سيكون حليفه باعتماده على إيمانه وإرادته.** **س ـ ما رأيكم بالحكومة الإئتلافية؟ وما هي الخطوة الأولى للحكومة الإسلامية؟** **ج ـ لقد قلت مراراً بأن الشعب وانا نرفض بتاتاً أية حكومة مع وجود الشاه، وأن حكومة كهذه ستقوم بخيانة الشعب والوطن والإسلام. أننا مصممون على اجتثاث جذور هذه المآسي، وأعني أننا سنطرد الشاه من ايران.** **س ـ كيف ستعاملون الاقليات الدينية في ظل الحكومة الإسلامية كالمسلمين السنة والصوفية، والآشوريين والمسيحيين، والأرمن واليهود والبهائيين؟ وهل سيكون للمرأة دور في النشاطات العسكرية مستقبلاً؟** **ج ـ أولاً: إن الأخوة أهل السنة ليسوا من الأقليات الدينية أبداً، وقد اكدت مراراً بان معاملتنا للأقليات الدينية ستكون حسنة جداً، فالإسلام يحترمها، وسنمنحهم جميع حقوقهم. فسيكون من حقهم انتخاب نائب لهم في مجلس الشورى، وسيمارسون نشاطات سياسية واجتماعية بكل حرية، كما سيمارسون طقوسهم الدينية بكل حرية، إنهم إيرانيون وسيتمتعون بالأمان في ظل الجمهورية الإسلامية. وبامكان المراة المشاركة في المجالات العسكرية كما هو الحال في باقي المجالات. وفي صدر الإسلام كانت النساء في الجبهات وكن يتولين رعاية شؤون الجرحى.** **س ـ هل سيتمتع البهائيون بالحريات السياسية والدينية في ظل الحكومة القادمة؟** **ج ـ لن نعطي الحرية للأشخاص الذي يضرون بالبلاد.** **س ـ وهل ستعطي حرية ستعطي حرية إقامة المراسم الدينية لهم؟** **ج ـ كلا.** **س ـ لو قطعتم علائقكم مع إسرائيل لقولكم أنها ظلمت شعبكم، الا تعتقدون أن عليكم أن تقطعوا علائقكم مع بعض الدول العربية لنفس السبب؟** **ج ـ نحن ضد كل دولة تريد ممارسة الظلم، سواء كان هذا البلد شرقياً أم غربياً. لكن إسرائيل اغتصبت حقوق العرب، وسنقف بوجهها، فضلاً عن أنها من أكبر حماة الشاه والمسؤولة عن إدارة شؤون الإعلام الساواكي. إذن فهي شريكة للساواك والشاه في كل جرائمهما (صحيفة كيهان: 14/آيار/ 1980).** **[40] ادى بختيار القسم خلال إلقائه خطاباً مكتوباً له عبر الإذاعة والتلفزيون العسكري، ودعا الناس الى الهدوء، محاولاً فرض (مصالحة وطنية، على الشعب كما فعل قبله شريف إمامي، أما الآن، وبعد المذابح الوحشية، فقد ارتدى لباس المعارضة للشاه والحكومة، لكنه كان يسعى في السر الى خدمة الشاه وحكومته. وفي تصريحاته يؤكد بختيار القول (أنا أعرف ـ أكثر من غيري ـ معاناة الشعب الإيراني)، كما ألقى مسؤولية كل الحوادث التي مرت خلال 25 عاماً على عاتق جميع المسؤولين مستثنياً الشاه منهم، وواصل خطابه قائلاً: (أنا وانصاري في الجبهة الوطنية وحزب إيران، لم يكن لنا أي دور في الحوادث التي وقعت. وها نحن اليوم نشاهد نتائجها المأساوية فقط. وبالرغم من أن ضميرنا لا يؤنبنا، إلا أن مسؤوليتنا الوطنية لم تنته. بل إننا (أنا وأنصاري) نأخذ هذه الأمور بنظر الاعتبار في أحاديثنا وكتاباتنا. إنني وفيٌّ لجميع أفكاري ومعتقداتي السياسية خلال الثلاثين عاماً الماضية! وسأسخر كل الامكانات والصلاحيات القانونية المتاحة لتحقيق تلك الأهداف. وأنا على استعداد لإناطة هذه المسؤولية الجسيمة، بأي شخص إيراني يتطوع للتضحية من أجلها. وأنا لست على استعداد لترك البلاد تسير نحو الدمار، حتى لو كلفني ذلك حياتي وكرامتي. وباعتباري ابن أحد زعماء الحركة الدستورية، ومن أكثر انصار وفاءً لقائد الشعب العظيم الدكتور محمد مصدق، اقسم هنا بأانني سأتصدى ـ وحتى آخر نفس ـ لكل من يريد تقسيم إيران ويرفع علماً غير العلم الإيراني. اقسم بأن أكون مبلغاً للإسلام في وطني، وأن أكنَّ الاحترام لكل الأديان الأخرى المعترف بها. اقسم بأن اطلق سراح جميع السجناء السياسيين، واقسم بأنني سأمنح الحريات السياسية والاجتماعية التي نص عليها الدستور والأعلان العالمي لحقوق الإنسان، وسيتم اطلاق سراح كل السجناء السياسيين. الحكومة العسكرية سيتم إلغاؤها تدريجياً، ليكون الجيش مستعداً للدفاع عن حدود البلاد. الجيش الإيراني لا يمكنه الانفصال عن الشعب. فنحن جميعاً أخوة، من دم واحد ودين واحد، كما سأضع الترتيبات السريعة لعودة صدور الصحف الحرة المستقلة وفق القوانين الجارية، وبعيداً عن كل أشكال الرقابة. سأعالج الأمور بدقة، وسأفعل ما يضمن تقديم الدعم المادي والمعنوي لعوائل شهداء الأشهر الثلاثة الأخيرة. وبإمكان جميع الأحزاب السياسية القانونية بعدء نشاطاتها السياسية حالاً، وبامكان الأحزاب الممنوعة الحصول على الترخيص شرط عدم ارتباطها بالخارج. وهكذا، ومع الأخذ بنظر الاعتبار الأوضاع الخطيرة في البلاد، واستناداً الى التجربة التي خضتها خلال ثلاثين عاماً من العمل السياسي، أطلب من جميع المواطنين الكف عن كل الممارسات التي تؤدي الى التخريب والقتل وإرباك الهدوء العام، فإن لم تشهدوا خلال فترة مناسبة الوفاء بوعودنا فستكونون أحراراً في تغيير موقفكم. لكن على أعداء البلاد أن يعلموا بأنني قبلت عبء هذه المسؤولية وأنا على علم تام بالأوضاع المؤسفة التي تمر بها إيران، وآمل أن استطيع معالجة الأوضاع اعتماداً على إيمان الشعب العزيز ودعمه لنجعل من البلاد، بلداً ديمقراطياً اشتراكياً حقيقياً. أطلب من الله تعالى والذين يعرفونني جيداص العون، ولن يثنيني أي خطر أو تهديد عن مواصلة خدمتي).** **[41] يقول هادينك كارتر، المتحدث باسم الخارجية الأمريكية، إن أمريكا طلبت من الجيش يوم الجمعة تقديم الدعم الكامل لحكومة بختيار والامتناع عن القيام بانقلاب عسكري لأن ذلك لن يحل مشاكل إيران أبداً، وأبلغت الجيش الإيراني بأنها ـ أي أمريكا ـ بانتظار كسب بختيار ثقة البرلمان. كما دعا وزير الخارجية الأمريكي آنذاك (سايروس فانس) الجيش الإيراني لنفس الأمر لأن عدم نجاح بختيار في هذه المهمة، سيقوي احتمال حدوث انقلاب عسكري. وقد انيطت مهمة ترطيب الأجواء بين بختيار وقادة الجيش بالجنرال الأمريكي (هويزر) الذي كان يقيم في إيران، ويذكر أن قضية الوضع في إيران قد نوقشت في مؤتمر غوادالوب من قبل الحلفاء الأساسيين لأمريكا ومنهم فرنسا. (صحيفة آيندكان 14/1/1979 نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية).** **[42] مجرد خرود الشاه من إيران لا يغير من الوضع شيئاً، بل يجب اجتثاث جذور هذا النظام الحاكم في إيران، فكل مؤسسات النظام كانت غير شرعية كالنظام نفسه؛ الحكومة ومجلس الشيوخ والنواب ومجلس الوصاية. والشعب سيواصل انتفاضته مصراً على تغيير النظام كله. إن حكومة الشاه كانت تعارض تطورنا الاجتماعي، وفقد البلد كل استقلاله وحريته. إن الحكومة الإسلامية لا تتراجع، إنها لا تعارض التحضر والمدنية، إلا ما يمس منها استقرار الشعب واستقلاله، وما يعارض العفة والعقيدة. فالإسلام لا يؤيد حرية المرأة فحسب، بل إنه هو الذي وضع أسس حرية المرأة، في جميع أبعادها(من مقابلة أجرتها مع الإمام إذاعة وتلفزيون(لوكسمبورغ) نقلاً عن صحيفة كيهان في 1/6/1979).** **[43] جاء في بيان للجبهة الوطنية ما يلي: (تفيد التقارير الواصلة الدكتور بختيار عضو الجبهة الوطنية الإيرانية قد قبل مسؤولية تشكيل الحكومة دون مراعاة الضوابط الجبهوية. إنّ الجبهة الوطنية لا يمكن أن توافق على أية حكومة ما دامت تحت ظل النظام الملكي غير الشرعي. والجبهة في الوقت الذي تستنكر فيه تصرف الدكتور بختيار، فإنها تعلن للجميع أن ما فعله، لا يتطابق مع أي من أهداف الجبهة الوطنية الإيرانية وضوابطها ومقرراتها وعليه فإننا نعلن فصله من عضوية الجبهة. (30/12/1978 ـ اللجنة المركزية للجبهة الوطنية).** **[44] صحيفة كيهان بتاريخ 6/8/1979.** **[45] من حديث أدلى به الإمام للتلفزيون الإيطالي في 12/1/1979، نقلاً عن صحيفة كيهان بتاريخ 4/5/1980.** **[46] محمد رضا شاه الذي هو آخر ملك حكم إيران، واجه مصيراً لم يكن يقوى حتى على تصوره، ولعل مصيره أصاب بالرعب العديد من الطغاة المعاصرين، فتشرد الشاه وبحثه عن مأوى منذ خروجه من إيران وحتى موته في 27 أيلول 1980، على الرغم من امتلاكه الأرصدة الضخمة من الأموال، فيه الكثير من العبر والدروس لكل إنسان. وفي إيران، أضفى خبر موت الشاه ـ البالغ من العمر ستين عاماً ـ جواً من الفرح والبهجة على البلد وأخذ الشعب يعبر عن فرحته بأساليب شتى، فالسيارات اطلقات العنان لابواقها، والحلوى توزع على المارة في الشوارع. وقد هلك الشاه بعد سنة ونصف من خروجه من إيران، وخلال هذه الفترة، كان يعرض للخطر كل من كان يؤويه، وحتى أمريكا لم تستطيع أيواءه، والحكومة الإسلامية كانت تطالب بتسليم الشاه وأمواله التي سرقها من البلاد. وقد دفع عدم استجابة أمريكا للطلب الشعب الإيراني الى احتلال وكر التجسس الأمريكي في طهران الذي كان سفارة لها، واحتجاز الجواسيس العاملين فيها. إذاعة القاهرة أعلنت موت الشاه دون ذكر أية تفاصيل أخرى فبادرت أمريكا واسرائيل وبريطانيا وفرنسا ومصر الى إرسال برقيات التعازي الى عائلته. فقد أصدرت حكومة كارتر بياناً مقتضباً جاء فيه (علمنا أن شاه إيران السابق قد توفي في القاهرة، وبهذه المناسبة يقدم السيد كارتر وعقيلته التعازي لعائلة الشاه ويواسيها بمصابها). أما أنور السادات فقد قال لدى سماعه موت الشاه في إحدى مستشفيات القاهرة: (أنا حزين لموت صديقي) بينما أعلنت إذاعة سوريا أن عدو الشعب الإيراني والعرب (الشاه) مات اليوم ذليلاً الى جوار الرئيس المصري. كما أصدر مكتب رئيسة وزراء بريطانيا بياناً رسمياً جاء فيه (خلال حكمه الطويل لإيران، اقامت الحكومات البريطانية المتعاقبة علائق وثيقة مع الشاه وصداقته لبلادنا لا يمكن أن تنسى)، وقال عنه كيسنجر (إنه كان صديقاً حميماً للولايات المتحدة .. لكنه مات وحيداً في القاهرة) وقد أصدر روكفلر بياناً قال فيه: أن على أمريكا أن تتذكر الخدمات التي أسداها لنا الشاه خلال سبع وثلاثين عاماً من حكمه. كما شارك الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون في تشييع جنازته وقال (كان صديقاً وفياً للولايات المتحدة طيلة 30 عاماً، كما كان صديقاً لي شخصياً، وأنه لمن المفجع أن يموت بعيداً عن الوطن)! ريغن، المشرح آنذاك لرئاسة الجمهورية قال، (موت الشاه يذكرنا بأن نقف دائماً الى جانب أصدقائنا الحقيقيين). أما إذاعة موسكو فقد اذاعت تحليلاً سياسياً جاء فيه (أن القوى الامبريالية هي التي اوصلت الشاه الى الحكم، ولهذا فقد كان يعتمد عليها خلال ممارساته القمعية والإجرامية بحق شعبه، وهي التي ارسلته الى مصر لتجعل منها قاعدة للعمل المضاد لإيران).. ولا يفوتنا أن نذكر بأن الاتحاد السوفيتي كان يتخذ المواقف التي تنسجم مع مصالحه، حتى في عهد الحكم الاستبدادي للشاه، وقد مر بنا كيف أنه وقف الى جانب الشاه في توجيه الاتهامات الباطلة لانتفاضة 5 حزيران (1963م).** **[47] طائرة الشاه الخاصة التي عاد بها طيارها من المغرب الى إيران تعتبر من أغلى الطائرات في العالم، فهي من طراز بوينغ وفيها من التجهيزات الترفيهية والكمالية ما قيمته 300 مليون تومان، فضلاً عن الديكورات المصنوعة من الذهب والبالغة قيمتها 15 مليون تومان، وأجهزة التلكس والهاتف وغيرها، البالغة قيمتها 40 مليون تومان و6 دوائر تلفزيونية داخلية. وفي الطائرة 6 مرافق صحية؛ خمسة منها لسائر الركاب المرافقين للشاه وواحدة في مقدمة الطائرة خاصة بالشاه وزوجته، كلها من الذهب، بدءاً من مقبض الباب وحتى المقعد وأصغر قطعة أو جهاز فيها. وفي صالة الطعام توجد منضدة تتكون من (40) قطعة مرصّعة بالجواهر، استغرقت عملية صنعها (6) آلاف ساعة وانفقت عليها ملايين التومانات. أما غرفة النوم فليست أقل من باقي الأقسام بذخاً وترفاً، ففيها الكثير من المناظر والديكورات والأثاث الثمين، حتى أنها تعتبر لوحدها متحفاً صغيراً، وجميع مقابض الأبواب مصنوعة من الذهب الخالص، وهكذا جميع حنفيات الحمام والساعات الجدارية. وفي غرفة العمل الخاصة بالشاه توجد عدة ساعات تشير الى الوقت حسب أنواع التوقيت ففضلاً عن التوقيت المحلي، تشير الى توقيت غرينتش وتوقيت المقصد الذي يتوجه إليه، عن أجهزة ومقاييس تشير الى سرعة الطائرة وارتفاعها واتجاهها. ويقول طيارها أنه لا توجد طائرة أغلى من هذه غير طائرة الآواكس. فالمطبخ يضم أواني وأدوات طبخ ذهبية وفضية نفيسة. وهكذا صالة الطعام التي يوجد فيها بار مخصص للمشروبات الكحولية صنع من أغلى أنواع الخشب. كما كان الشاه يملك طائرات أخرى مشابهة خاصة لباقي أفراد العائلة، وتتجاوز قيمة طائرات الشاه وعائلته ثلاث مليارات تومان. وفي رحلة العودة الى البلاد، بلغت كلفة وقود طائرة الشاه (شاهين) التي غادر بها إيران (78) ألف تومان. ويتألف طاقم الطائرة ـ فضلاً عن الطيار ـ من ثلاثة رجال وأمرأة واحدة كانت مسؤولة عن ملابس زوجة الشاه (فرح ديبا) وأحد الثلاثة مسؤول عن الحقائب والكلاب الخاصة بالشاه داخل الطائرة، فقد كان لديه 9 كلاب ترافقه في حله وترحاله! (صحيفة اطلاعات ـ 20/شباط/ 1979).** **[48] تمت قراءة بيان الإمام الخميني أمام أكثر من 500 صحفي بتاريخ 16/1/1979 وجاء فيه:** **1ـ إنّ خروج الشاه من إيران هو بداية المرحلة الأولى لانتهاء سلطة النظام البهلوي المجرم التي دامت 50 عاماً، وقد تحقق هذا بفضل الجهاد البطولي للشعب الإيراني. وانني هنا اهنئ الشعب الإيراني على اجتيازه هذه المرحلة بنجاح وسأوجه بياناً الى الشعب قريباً.** **2ـ سنعلن قريباً عن أسماء أعضاء الحكومة الانتقالية المؤقتة التي ستتولى اجراء انتخابات مجلس المؤسسين والمصادقة على الدستور الجديد.** **3ـ ساعود الى إيران في أول فرصة سانحة. (صحيفة كيهان 16/6/1978).** **[49] صحيفة اطلاعات/ العدد 16169/ 22 تموز ـ يوليو 1980.**

**الفصل الثامن عشر**

**انتصار الثورة الإسلاميةوسقوط النظام الملكي**

**1ـ نظرة عامة:**

**غادر الشاه إيران وهو في ذروة اليأس، فالجيش الذي كان يعتبره قلعته الحصينة فقد قوته، والضباط الكبار قلقون من المستقبل، وبختيار الذي جاء الى الحكم بعد اجتماع قمة (غواد الوب) مصحوباً بدعم أمريكا له، لم يكن يتمتع بأي قاعدة شعبية، والقوة الحقيقية كانت بيد الخميني المنفي من وطنه والمصمم على العودة إليه، والذي كان يقود الأمة من باريس.**

**عبر تلك المسافات الطويلة، كان الخميني يطلب من الشعب الاضراب، فيعم ذلك ارجاء البلاد، ويأمر الجنود بترك المعسكرات فيمتثلون. كان يوقف ـ وهو في باريس ـ تصدير النفط الإيراني، ويعلن عدم شرعية مجلس الوصاية ويجبر رئيسه على الاستقالة، ويأمر بإغلاق مباني الوزارات بوجه الوزراء، ويأمر أعضاء المجلس بالاستقالة، كان يفعل كل ما يريد ـ باذن الله ـ بإرادة وعزم راسخين.**

**أما بختيار فقد حاول إضفاء الشرعية على حكومته، والسعي لاستمهال الإمام، وتجميع أكبر عدد من الانصار وقد أعلن استعداده للسفر الى باريس والتفاوض مع الإمام، وتعديل الدستور وفق ما يشاء الإمام وبذلك كان يسعى لكسب عدد من العلماء الى جانبه[1]، لكن المؤشرات كانت تؤكد فشله الحتمي إنه حصل على الثقة من المجلس الذي يفتقد نفسه الى الشرعية. وقد اعتقل بعض رجال الحكم للتمويه، وتظاهر بالتستر تحت اسم مصدق وأعلن اتباعه لنهجه، ومن أجل ذلك أعلن عن تشكيل تجمع (طريق مصدق)، إلا أن الثورة كانت قد وصلت الى مرحلة متقدمة بحيث يمكنها أن تحطم كل عقبة توضع في طريقها. وهكذا كان الزوال مصير هذا التجمع الخاوي.**

**إيران كانت مركز الأخبار.. مئات المراسلين تدفقوا على إيران لمشاهدة مجريات الجهاد الشعبي الدامي، مسؤولو الطيران المدني قرروا إرسال طائرة خاصة تقل الإمام الى الوطن لكن النظام حال دون ذلك. الشعب الغاضب أقام تجمعات حاشدة أمام الجامعة وفي الشوارع المؤدية الى المطار، وكانت شعاراته تخاطب بختيار بالقول (أن لم يأت الإمام غداً، فانتظر الرشاشات). أما الإمام فقد تحدث في مقابلة صحيفة بعد إعلان اغلاق المطارات بوجهه قائلاً:**

**(أشكر الإيرانيين الذين عاضدوني، وكنت أود لو أكون غداً مع أبناء الشعب لاشاركهم ما يعانونه من الألم، إلا أن الحكومة الخائنة حالت دون ذلك وأغلقت جميع مطارات إيران. لكنني سأعود الى إيران بمجرد فتح المطارات، وسافهم بختيار بأنه خائن للشعب. فلن نتحمل بعد اليوم وجودكم يا عبيد الأجانب، على هؤلاء أن يعلموا أن زمن الاستهتار والقمع قد ولّى.**

**إنني أدعو الشعب الإيراني الى مواصلة نهضته والتصدي لهؤلاء الصعاليك كما أشكر جميع أفراد الشعب الإيراني، وأؤكد لهم بأنني سأعود بأسرع وقت لأقتل مع الشعب أو استرد حقوقه المغتصبة، وأسأل الله التوفيق لكم جميعاً.**

**على الشعب الإيراني أن يعلم أن هذا الشخص الذي يترأس الحكومة إنما يخون حتى قبيلته، تلك القبيلة التي كانت دعامة لإيران، وتعرضت للقمع على يد رضا شاه، أنه يخون قبيلته، وعلى قبيلة بختيار أن تعلم بان عليها القضاء على هؤلاء الأشخاص الذين يقفون بوجه أماني الشعب الإيراني.**

**وعلى الجيش أن يعلم أن هؤلاء خونة، وعليه أن لا يقدم أي دعم لهم. وعلى الإيرانيين جميعاً أن هناك مؤامرة تدبر ضدهم، وعليهم احباطها. فهذه هي الخطوة الأخيرة التي يقدم عليها هؤلاء الخونة، وسنقوم بعون الله، بإفشال هذه الخطوة، وسنأتي اليكم قريباً).**

**ثم سأله المراسل: برأيكم متى سيكون بامكانكم العودة الى إيران؟**

**أجاب الإمام:**

**(سأعود متى ما ازيلت العقبات وفتحت المطارات، وأن كان لابد لدمي من ان يراق، فليرق بين رفاقي والى جانب شباب إيران، ونحن لا نخاف أحداً ولا نريد سوى عزة الإسلام ورفعة إيران).**

**فسأله المراسل: هل توصون الناس بحمل السلاح وفتح المطارات بالقوة؟**

**أجاب الإمام:**

**(حالياً لا أنوي ذلك، وسأفعله متى رأيت مصلحة في ذلك وعندها سأعلن للشعب ما يتوجب عليه فعله).**

**وسئل الإمام: ألا تنوون الذهاب الى مطار دولة قريبة من إيران ومن هناك تدخلون البلاد؟**

**فأجاب (رض):**

**(هذا الأمر بحاجة الى دراسة).**

**وسأله أحد المراسلين: عودتكم قد تؤدي الى إراقة المزيد من الدماء، فهل إنكم تصرون على العودة؟**

**أجاب الإمام:**

**(عليّ أن أكون الى جانب إخوتي).**

**وأخيراً سُئل الإمام: هل إن ما تقومون به سيكون بداية جهاد جديد؟**

**فأجاب:**

**(قد يكون ذلك).**

**ونعود الى بختيار، فقد ظل يحاول تهدئة الأوضاع واسترضاء الإمام والادعاء بأنه قريب من الإمام وتظاهر بأنه تقرر اللقاء به في باريس، لكن الإمام بادر الى نفي هذه الخديعة الجديدة وحذر الأمة منها عبر رسالة قصيرة وجهها الى علماء إيران ونشرت بين الناس جاء فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**حضرات حجج الإسلام في طهران وباقي المحافظات (دامت بركاتهم).**

**إن ما نسب إليّ من موافقتي على استقبال بختيار وهو رئيس للوزراء، إنما هو كذب محض، وما لم يستقل من هذا المنصب لن يستطيع لقائي، فأنا لا اعتبره شرعياً. أيها السادة ابلغوا الأمة أن هناك مؤامرة جديدة تدبر ضدَّهم، وعليهم أن لا ينخدعوا بهذه اللعب، فأنا لم أتحدث ولم اتفق مع بختيار على شيء، وما نسب إليه في هذا المجال فيما مضى كذب محض. على الشعب أن يبقى على مواقفه وأن يحذر المؤامرات.**

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

**روح الله الموسوي الخميني**

**28 صفر 1399**

**2ـ الاعتصام داخل جامعة طهران:**

**بعدما قرر الإمام العودة الى إيران واثر حيلولة النظام ـ الذي توجس منها الخطر ـ دون هذه العودة، اضحت هذه القضية هي المطلب الأول للشعب الغاضب في اجتماعاته الحاشدة واضراباته واعتصاماته وتظاهراته المليونية، وأصبح مسجد جامعة طهران مركزاً للمطالبة بهذا المطلب الجديد. وقد أعطى اعتصام العلماء ومدرسي الحوزة في جامعة طهران عملية الجهاد الشعبي زخماً أكبر مما أجبر بختيار على فتح المطارات مسجلاً تراجعاً آخر الى الوراء.**

**3ـ الاستقبال التاريخي:**

**منذ مغادرة الشاه إيران والجميع بانتظار عودة الإمام. غالبية الشعب كانت تعتبر هذه العودة نصراً كبيراً وأن وجوده في إيران ضروري لدفع عملية الجهاد بزخم أكبر والحصول على الحرية والاستقلال وإقامة الحكومة الاسلامية. وقد سعت حكومة بختيار ـ وبدعم من أمريكا ـ الى تأخير هذه العودة قدر الامكان لفسح المجال أمام حكومة بختيار للسيطرة على الأوضاع، لكن الإمام كان قد قرر التعجيل بالعودة للسبب نفسه.**

**ويوم الأحد الحادي والعشرين من يناير/ كانون الثاني 1979، ظهرت الصحف المحلية بعنوان كبير يقول (الإمام الخميني سيأم مصلي الجمعة في طهران). فيما كانت الملايين من الناس تتقاطر على مطار طهران بانتظار العودة المظفرة. موظفو الإذاعة والتلفزيون المضربون أعلنوا أنهم سيعودون إلى عملهم من أجل تسجيل مراسم العودة والاستقبال.**

**العسكر احتلوا مطار مهر آباد بطهران لمنع الطائرة التي تقل قائد الثورة من الهبوط في المطار. صحف المساء أعلنت (الإمام في طهران غداً) لكن الخبر لم يكن مؤكداً. وفي اليوم التالي، أعلنت الوكالات أن طائرة (ايرفرانس) التي تقل الإمام، هي في طريقها الى طهران. شبكة التلفزيون الإيراني كانت على أهبة الاستعداد لنقل مراسم الاستقبال على الهواء، لكن البث انقطع فجأة لتظهر صورة الشاه ومعها (السلام الملكي) مما أجج الغضب الشعبي أكثر فأكثر؟ وعندما وصل الإمام إلى طهران، خطب في الجماهير المليونية فقال:**

**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**اشكر جميع فئات الشعب على عواطفها تجاهي، وأنا عاجز عن رد الجميل لهذا الشعب، فقد تحملتم الكثير، وضحيتم ما استطعتم.**

**إنني أقدم شكري هنا لجميع فئات الشعب الأبي وشرائحه من جامعيين وتجار وكسبة وطلاب وأساتذة جامعات وقضاة ومحامين وموظفين وعمّال وفلاحين، فقد بذلتم ما استطعتم وانتصرتم بوحدتكم. وهذا النصر هو المرحلة الأولى، فقد طردتم الخائن الأصلي محمد رضا من البلاد، وهو الآن مشرّد في أنحاء العالم. حتى أسياده أغلقوا أبوابهم بوجهه، فالتجأ إلى أمثاله علهم يستطيعون مساعدته، بعد أن دمر هو وسلالته البلاد على مدى خمسين عاماً، وأكثر من ثلاثين عاماً من حكمه المليء بالإجرام والخيانة.**

**لقد دمر البلاد وحول ثقافتها الى ثقافة استعمارية، وجعل الجيش، تابعاً للجيوش الأجنبية والمستشارين الأجانب. إن انتصارنا الكامل سيتحقق يوم تقطع كل الأيادي الأجنبية عن هذا البلد، ونقتلع جذور النظام الملكي تماماً.**

**إن على العملاء الذين يحاولون إعادة الشاه أو الابقاء على النظام الملكي أن يعلموا أن الأوان قد فات وأن تحركاتهم بتأديبهم. علينا أن نشكر جميع فئات الشعب التي حققت النصر بوحدة كلمة المسلمين ووحدة كلمة الأقليات الدينية ووحدة العلماء والسياسيين، علينا جميعاً أن نعي أن الوحدة هي العامل الأكبر للنصر، وعلينا الحفاظ على هذا العامل وينبغي عدم السماح للشياطين بالتغلغل بينكم وتفريق صفوفكم.**

**أشكركم جميعاً، واسأل الله أن يقطع أيدي الأجانب وعملائهم).**

**ومن مطار طهران اتجه مباشرة الى مقبرة الشهداء في (بهشت زهراء) جموع المستقبلين كانت بحراً تتلاطم أمواجه، والسيارة التي اقلت الإمام كانت تشق طريقها بصعوبة بالغة، بحيث إن الوصول الى مقبرة الشهداء استغرق ساعات عديدة بالرغم من قصر المسافة. عشرات الدراجات النارية كانت ترافق سيارة الإمام، وفوق السيارة يجلس عدد من أفراد لجان الثورة التي شكلت قبيل وصوله.**

**كان هؤلاء يطلبون من الناس فتح الطريق أمام السيارة، وأمام سيارة الإمام، كانت تسير سيارات تقل مئات المراسلين والمصورين لنقل دقائق هذا الحدث التاريخي الى أنحاء العالم. ملايين المستقبلين ملأوا الطريق من المطار الى المقبرة الذي يبلغ طوله حوالي 33 كيلومتراً، كانوا أكثر من خمسة ملايين شخص لكن بعض المراسلين قدر عددهم بـ(ثمانية) ملايين شخص. سيارة الإمام لم يكن بامكانها دخول مقبرة الشهداء، فكانت الطائرة العمودية هي الحل.**

**ودخل المقبرة وبجوار مراقد آلاف الشهداء، القى الإمام خطابه التاريخي، وعندما وصل الى عبارة (سأقوم ـ وبدعم من هذا الشعب ـ بتشكيل الحكومة، سألقن الحكومة الحالية درساً لن تنساه) تعالت الصرخات (الله اكبر) من ملايين الحناجر. وفي هذا الخطاب أكد الإمام أن النظام الملكي ليس شرعياً، ودعم قوله بالأدلة والبراهين، وعدد المصائب والويلات التي جلبها لهذا البلد، واستمر في خطابه يوضح معالم المستقبل.**

**كان ذلك الخطاب خطاباً تاريخياً، في حشد مليوني لم يشهد له التاريخ مثيلاً، وهذا نص الخطاب:**

**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**لقد حلت فيما مضى مصائب كبرى، كما حققنا انتصارات كبرى؛ مصائب نساء فقدن أبناءهن ورجال فقدوا ابناءهم، واطفال فقدوا آباءهم. عندما تقع عيني على الآباء والأمهات الذين فقدوا ابناءهم، أشعر بعبء أكبر على عاتقي، لا استطيع تحمل ذلك، لأنني عاجز عن تعويض الشعب عن كل هذه الخسائر.**

**أنا لا استطيع تقديم الشكر لهذا الشعب، لأنه قدم كل شيء في سبيل الله، والله سبحانه تعالى هو الذي يعطيهم أجرهم الجزيل. أنا اقدم مواساتي للأم التي فقدت إبنها، والآباء الذين فقدوا أبناءهم، والأبناء الذين فقدوا آباءهم.**

**ما الذي فعله الشعب ليحل به كل هذا؟ ما الذي قاله وطالب به حتى يتحمل كل هذا القتل والظلم والنهب؟ كل الذي قاله الشعب هو إن هذه السلطة البهلوية ليست شرعية، بل قامت على أساس مخالفة القانون منذ البداية. والذين هم بعمري، رأوا بأنفسهم كيف جرى تأسيس مجلس المؤسسين بالحراب، ولم يكن للشعب أي دور في ذلك. اعضاؤه اجبروا على منح أصواتهم للسلطة الملكية لرضاشاه. إذن فهذه السلطة قائمة على الباطل منذ البداية. كما أن أساس النظام الملكي كان منذ البداية مخالفاً للقوانين والقواعد العقلية وحقوق الإنسان، فلو افترضنا أن الشعب ينتخب شخصاً ليكون سلطاناً عليه، عندها سيكون هذا هو الحاكم، وليس من حقه أن يورث هذا الحكم لأبنائه وأحفاده، فالشعب انتخبه هو وليس من سيأتي بعده. كما أنه ليس من حق الشعب أن ينتخب من سيحكم أبناء الجيل القادم. فكل شعب وكل جيل يملك حق تقرير مصيره هو فقط.**

**ونحن نفترض هنا أن الشعب قد انتخب الحكم البهلوي وقت تأسيسه، كما نفترض أن مجلس المؤسسين جرى تأسيسه باختيار الشعب وموافقته. لو افترضنا هذا المحال، فإن ذلك الانتخاب يخص الشعب في ذلك العهد، ولا يجب أن يسري على الأجيال التي تلته، فيصبح ابن ذلك الملك حاكماً وملكاً على الأجيال القادمة.**

**إذن فإن سلطة محمد رضا شاه غير قانونية، لأن سلطة ابيه لم تكن قانونية، ولو افترضنا أن سلطة ابيه كانت قانونية، فإنه لم يكن يحق للشعب آنذاك رسم مصيرنا، فكل شعب وكل جيل يحق له تقرير مصيره هو فقط، فهل إن أمرنا مِلك بيد أجدادنا حتى يقوموا من قبل (80) أو (100) عام برسم مصيرنا ومستقبلنا، هذا دليل آخر على عدم مشروعية حكومة محمد رضا.**

**وفضلاً عن ذلك، فلو افترضنا أيضاً أن الانتخاب كان صحيحاً وأن المجلس المؤسسين كان قانونياً، لكن الشعب اليوم يرفض هذه السلطة وهذا النظام، ومن حق هذا الشعب أن يقرر مصيره بنفسه، وهذا دليل آخر على عدم مشروعية هذا النظام.**

**والآن سنأتي الى الحكومات التي يعينها محمد رضا شاه والمجالس الموجودة في ظل حكمه. ففي عهد الحركة الدستورية. لم يكن النظام يتدخل بشؤون المجالس إلا في بعض الحالات، وبخصوص أشخاص معينين، أما الآن فالأمر يختلف تماماً، فانتم يا شعب إيران، ويا أهالي طهران، هل انتخبتم بأنفسكم النوّاب الموجودين في مجلس الشيوخ أو مجلس الشورى؟! إن الجميع يعلم أن غالبية أعضاء هذين المجلسين جرى تعيينهم دون موافقة الشعب أو علمه وطبيعي أن يكون المجلس الذي يجري تعيين أعضائه بهذا الشكل غير قانوني. إن رواتب أعضاء هذين المجلسين أنما هي مغصوبة من أموال الشعب. أما الحكومة التي يجرى تعيينها من قبل ملك غير شرعي، فلن تكون شرعية بطبيعة الحال.**

**لقد أعلن الشعب في عهد محمد رضا رفضه لهذا الملك، وطالب بتعيين مصيره بنفسه. وهذا الشعب نفسه يعلن اليوم رفضه لأعضاء مجلس الشورى والشيوخ والحكومة التي شكلها الشاه. وكيف تكون هذه الحكومة شرعية، وقد جرى تأسيسها من قبل الشاه والمجلسين، وهؤلاء جميعاً ليسوا شرعيين؟! إننا نقول إن جميع هذه المؤسسات الملكية غير شرعية ويجب أن تتنحى جانباً.**

**إننا نعلن أن هذه الحكومة التي تدّعي أنها شرعية، ليست شرعية، وهي بنفسها لا تعترف بشرعيتها، فأعضاؤها كانوا يشككون، قبل وصولهم الى السلطة بشرعية الحكومات القائمة في ظل الشاه، فما الذي تغير من الوضع لتصبح حكومتهم شرعية؟!**

**هذا المجلس ليس شرعياً. إسألوا النواب، هل إن الشعب هو الذي انتخبهم؟ وكل من يدعي منهم ذلك، سنأخذه الى منطقته الانتخابية ونسأل أهالي المنطقة، هل انتخبتموه بأنفسكم؟ بالتأكيد سيأتي الجواب بالنفي. إذن فالشعب الذي يعلن عدم شرعية ملكه وحكومته ومجالسه هل يُجازى بالقتل لدرجة أن تقام مقابر خاصة لشهدائه في طهران وباقي المدن.**

**لقد ولّى محمد رضا بهلوي ـ هذا الخائن الخبيث ـ من إيران، وهرب بعد أن دمر كل شيء. دمّر البلاد وعمر المقابر، دمر الاقتصاد لدرجة إننا لو أردنا إعماره، لتطلب ذلك منا سنين طوال، وسيتطلب الأمر تظافر جهود الجميع، فليس بإمكان حكومة واحدة أن تعيد بناءه، ولا شريحة واحدة من المجتمع، بل الأمر يتطلب تكاتف الجميع وتظافر جهودهم لكي يتمكنوا من إنقاذ اقتصاد البلاد.**

**إننا نريد إحياء الزراعة، نريد فلاحين، وليس عبيداً، إن فلاحينا كانوا ـ لحد الآن ـ عبيداً للإقطاعيين، الاصلاح الزراعي الذي رفع النظام الملكي عقيرته به قضى على الزراعة بشكل كامل، وجعل البلاد تستورد كل شيء من الخارج. فقد فعل محمد رضا كل هذا ليجعل من إيران سوقاً لأمريكا، تستورد الحنطة والرز والبيض منها أو من إسرائيل التي هي صنيعتها.**

**إذن، فالممارسات التي قام بها هذا الشخص تحت عنوان الاصلاح الزراعي كانت فساداً ودماراً للبلاد. الإصلاح الزراعي كان ضربة مدمرة للبلاد وقد لا نستطيع محو آثارها لعشرين عاماً آخر، إلا أن تتظافر جهود كل فئات الشعب.**

**ثقافتنا ابقيت ثقافة متخلفة، فالتحصيل العلمي لشبابنا ناقص، فقد خططوا للتعليم بحيث يظل الطالب بحاجة الى اكمال دراسته في الخارج، فلدينا الجامعات منذ أكثر من خمسين عاماً، لكن الخيانات هي التي حالت دون تطور هذا البلد.**

**لقد دمر هذا الشخص كل طاقاتنا البشرية الخلاّقة، واشاع مراكز الفحشاء. التلفزيون كان قد أضحى مركزاً للفساد، وهكذا الإذاعة. في طهران أضحت مراكز بيع الخمور أكثر بكثير من المكتبات، أما مراكز الفساد والفحشاء فحدّث ولا حرج. فلماذا يجب أن تصبح دور السينما مراكز للفحشاء؟ فنحن لنسا ضد السينما، بل ضد الفساد والفحشاء، نحن لا نخالف الإذاعة، بل نخالف ما فيها من فساد، نحن لسنا ضد التلفزيون، بل ضد الفساد الذي فيه، نحن ضد كل ما يخدم الأجانب ويعمل على تدمير طاقاتنا البشرية. فمتى عارضنا التقدم والتطور؟!**

**إن السينما هي إحدى مظاهر التحضر، ويجب أن تكون في خدمة الشعب، يجب أن تقوم بتربية الشعب وتثقيفه، وقد رأيتم كيف جرّوا شبابنا الى الفساد بواسطة هذه المراكز. لقد خانوا البلاد على كل صعيد.**

**واما نفطنا، فقد قدموه للأجانب على طبق من ذهب، ووهبوه للأمريكيين وغيرهم. ومقابل بعض هذا النفط المهدى الى أمريكا، حصلوا على أسلحة ومعدات عسكرية، وهذه أيضاً استخدموها في إنشاء قواعد لأمريكا في البلاد. وكانت النتيجة أن إيران منحت النفط والقواعد العسكرية لأمريكا.**

**لقد عملت أمريكا ـ وبمساعدة من الشاه ـ على نهب نفطنا وأنشأت قواعد عسكرية لها في أراضينا، أعطونا أسلحة لا يحق لجيشنا استخدامها إلا بوجود المستشارين والخبراء الأمريكيين).**

**4ـ أمريكا تهدد الشعب بالانقلاب:**

**الانقلاب كان أحد الأخطار التي تهدد الشعب وخاصة بعد خروج الشاه من إيران، انقلاب أمريكي يستهدف القضاء على المقاومة الشعبية. وغالباً ما يستخدم مصطلح (الانقلاب) للتعبير عن قيام مجموعة عسكرية مدعومة من إحدى القوى الكبرى بالاستيلاء على الحكم في بلد معين وكثيراً ما شهد القرن الماضي حصول مئات الانقلابات في العالم الثالث كانت معظمها مدبرة من خلال السياسات الاستعمارية.**

**وفي إيران وخارجها كان الحديث يجري عن احتمال حدوث انقلاب تدعمه أمريكا، فالثورة كانت قد وصلت ذروتها والحكومة العسكرية ـ التي هي نوع من أنواع الانقلابات ـ لم تستطع إخماد لهيب الثورة، والشعب يمر بأيام دامية وعصيبة مثل الجمعة السوداء (17شهريور ـ 8 أيلول) ولهذا فإن الانقلاب لم يكن بإمكانه أن يغير من الوضع شيئاً، ولكن احتمال هذا الانقلاب كان قائماً، فلم يكن بإمكان أمريكا التخلي عن إيران بهذه السهولة. والتحليل السائد آنذاك هو أن أمريكا لابد وأن تلجأ في النهاية الى إخماد نار الثورة وإعادة البلاد الى الحكم السابق أو المجيء بمجموعة جديدة من العسكريين الى سدّة الحكم، تقوم باعتقال زعماء الثورة وإعدامهم والقيام بمذابح كبرى في أوساط الشعب.**

**أما بختيار فكان يصرح بأن عدم انصياع الشعب له، سيجعله عُرضةً للانقلاب، وكان في هذا الاعلان رسالة مؤداها أن أمريكا ليست مستعدة لترك إيران تقرر مصيرها بحرية. لكن صفوف الشعب المتراصّة لم تكن تترك مجالاً لأي انقلاب، بل إن الحديث عن ذلك بدأ يتلاشى بحدوث التطورات الجديدة وأهمها تمرد الجيش والتحاقه بركب الثورة الشعبية.**

**5ـ موقف القوى الدولية من الثورة:**

**يعتبر الموقف الأمريكي من الثورة الأهم من غيره على صعيد المواقف الدولية، فأمريكا كانت تتصرف رسمياً وعلنياً وكأنها صاحبة حق ثابت في إيران. فخبراؤها يقومون بإدارة الجيش، وسفارتها في طهران كانت وكراً للتآمر، والمستشارون الأمريكيون يرسمون الخطط لمستقبل إيران ويقدّمون التعليمات والاقتراحات الى الحكومة. فالشاه كان عليه التصرف وفقاً للإرادة الأمريكية، أما كارتر فكان يواصل التظاهر بسياسة الدفاع عن حقوق الإنسان، لكنه وقف متفرجاً ومؤيداً حيال مذبحة الجمعة السوداء.**

**وكانت أمريكا تتصور في البلدية وكأن الأزمة ستُحلُّ من خلال المجيء ببيادق جديدة لها صبغة وطنية مؤيدة للغرب، وأن الشعب سيوافق على ذلك وسيعتبره نصراً كبيراً، وهكذا ستهدأ الأوضاع بتعاضد المشروع الأمريكي لحقوق الإنسان مع نشاطات المنظمات التي اسست في إيران لهذا الغرض[2]، ولهذا فقد بدأت الدوائر الأمريكية اتصالات بالرموز التي تتظاهر بالوطنية والتي كانت تهاجم الشاه بدعم من أمريكا وتدّعي النضال لإقامة حكومة وطنية، وكان أغلب هؤلاء، من مؤيدي مصدق واصدقائه، فقد قامت الصحف المؤيدة للنظام بالدعاية لهؤلاء لمدة طويلة من خلال طرح اسمائهم ونشر مقالاتهم التي تهاجم النظام بشدة.**

**فقد أدركت أمريكا خلال الأشهر الأخيرة من عمر النظام الملكي ان الشعب الإيراني قد حطم قيود الذل والعبودية وأخذ يسعى لنيل حقوقه بجدية ولم يعد يعير أهمية لمشروع كارتر المتعلق بحقوق الإنسان، كما أدركت أن هناك نقاط ضعف عديدة في سياساتها تجاه الثورة، وأن زمام الأمور قد خرج من أيديها، لكنها ظلت تبذل مساعيها لتهدئة الأوضاع وإعادة القوة الى بيادقها السابقة في الحكم. كما كانت تجهل تماماً طبيعة الحكومة الإسلامية التي كان الإمام يعلن إقامتها.**

**التهديد الأمريكي بالانقلاب العسكري ظل مستمراً لكنه لم يتعدّ مرحلة التهديد ليس إلاّ، وقد أدرك الإمام ـ قبل غيره ـ خواء هذا التهديد، فكيف كان يمكن للجيش المشاركة في مثل هذا الانقلاب وافتعال المذابح وقد بدأ يتفكك من الداخل واستمرت حالات العصيان على الحكومة وإعلان الولاء للإمام والثورة، ولم تعد أية مجموعة عسكرية تجرؤ على التحرك ضد الثورة، أما لو كانت أمريكا تفكّر بالتدخل العسكري المباشر، لكان مصير قواتها أسوأ من مصيرها في فيتنام وهذا ما كان يدركه الساسة الأمريكيون حتى عندما لا يأخذون بنظر الاعتبار وجود الاتحاد السوفيتي سابقاً ـ وهو أمر يجب أخذه بنظر الاعتبار ـ على الحدود الشمالية لإيران.**

**وبشكل عام فإن السياسة الأمريكية حيال الثورة الإسلامية في إيران قد وصلت الى طريق مسدود، لكنه لم تكن تريد أن ترضخ لحقيقة الثورة الإسلامية، بل ظلت تبذل جهودها لإحلال بديل محل الشاه وزمرته، يدين بالولاء لها، لكنها لم تكن قادرة على تنفيذ إرادتها، فالأمريكيون فشلوا حتى في تأخير عودة الإمام الى البلاد من أجل منح بختيار فرصة أكبر لمعالجة الموقف، و(هايزر) الذي انصبّ جهده آنذاك على دعم بختيار، اصيب بالعجز التام.[3]**

**أما الموقف السوفيتي منالثورة فيمكن استعراضه من خلال طبيعة العلاقة التي كانت تربط الحكومة السوفيتية بالشاه فبينما كانت الثورة قد بلغت ذروتها، كانت العلائق السوفيتية ـ الإيرانية في ذروة ازدهارها، بالضبط كما كانت عليه خلال انتفاضة15 خرداد(5 حزيران/1963) الشعبية، ففي تلك الفترة، تناست القيادة السوفيتية كل خلافاتها مع حكومة الشاه، واندفعت تشيد بما يسمى بالثورة البيضاء وتطلق صفة الرجعية على الانتفاضة الشعبية، وبهذا اتخذت موقف التأييد لحكومة الشاه، لأن الشعار الذي كان يرفعه الشعب هو الإسلام، وهو ما لا يرضي السوفيت الذين توجسوا خطراً على مستقبل افغانستان خاصة وأن الإسلام يعتبر الشيوعية كفراً وإلحاداً، ويرفع هو شعار الدفاع عن المحرومين والمستضعفين في العالم.**

**وقد استمر الموقف السوفيتي المؤيد لنظام الشاه على حاله، الى أن تيقن السوفيت من حتمية سقوط النظام الملكي، عندئذ، اتجهوا الى تأييد الثورة تحاشياً للموقف الذي قد تتخذه الحكومة القادمة في إيران، كما حاولوا استغلال الموقف المعادي للامبريالية والذي اتسمت به الثورة، للحصول على مواطئ قدم لهم في إيران، وجاء تطبيلهم وتهويلهم لخطر التدخل الأمريكي في هذا السياق.**

**وبعد الانتصار، حدث الاحتلال السوفيتي لافغانستان المسلمة، وهو أمر لم تواجهه القيادة الإسلامية بعدم الاكتراث.**

**أما بريطانيا الاستعمار العجوز، فقد كانت تراقب حوادث الثورة بدقة، وجندت كل أذنابها في إيران لدعم النظام الملكي والحيلولة دون سقوطه، وفي هذا السياق قامت بدفع كل الأشخاص الذين ادخرتهم لمثل هذه الأيام الى التحرك العلني ودعم الشاه، الأمر الذي ساعد على فضحهم أمام الشعب وبالتالي فشل بريطانيا في سياساتها.**

**لقد عجزت بريطانيا عن العثور على طريق يضمن ترسيخ النظام، للتعويض عن فشل سياساتها في إيران، كما لم تستطع دعم الموقف الأمريكي والحيلولة دون انتصار الثورة، لكنها ظلت تصرّح بدعمها لنظام الشاه، حتى أنها استطاعت قبل انتصار الثورة اقناع كارتر بإجراء تعديل على (نظريته) حول حقوق الإنسان.[4]**

**6ـ القوة الجوية تلتحق بالثورة:**

**بعد خروج الشاه من إيران، ظل الجيش مشكلة كبرى تطرح العديد من الأسئلة، هل يقوم بانقلاب عسكري؟ وضد من؟ هل يستطيع الجيش صون حكومة بختيار من ضربات الثورة المتلاحقة؟ هل سيظل يفتح نيران أسلحته على ملايين الناس؟ هل يطيع الجنود أوامر الإمام ويتمردون على أوامر قادتهم، ويفرون من المعسكرات؟ هل ستنتشر ظاهرة مهاجمة الجنود للقادة العسكريين التي تزايدت مؤخراً؟ هل سينجح الجيش في قمع الشعب؟ هذه الأسئلة ومئات غيرها كانت تطرح نفسها في تلك الفترة.**

**كما قيل حينها إن الشاه ـ وقبل مغادرته إيران ـ أمر أحد قادة سلاح الجو بإعداد العدة لقصف بعض المدن، كما نقلت الصحف أن (2800) من ضباط قاعدة شاهرخي الجوية الواقعة في همدان، ومراتبها، قد بدأوا إضراباً عن الطعام لمدة اسبوع، كما توالت التقارير لتخبر عن التحاق عدد آخر بالمضربين، بعدها أعلن عن التحاق قاعدة بندر عباس الجوية بالثورة وبدئها إضراباً كاملاً، كما خرج ألف شخص من منتسبي القوة الجوية في مسيرة سلمية.[5]**

**ومنذ ذلك الحين بدأت قضية التحاق منتسبي القوة الجوية بالثورة تأخذ أبعاداً واسعة، كما كانت أخبار اعتقال هؤلاء، والإشاعات عن إعدام بعضهم تؤجج غضب الأمة أكثر فأكثر، فقامت عوائل المعتقلين بمهاجمة المراكز القضائية، وأعلن الشعب دعمه لها، وتدريجياً سرت هذه الظاهرة الى باقي قطاعات الجيش، إذ كان يبدو أن قلوب منتسبي القوات المسلحة مع الثورة، لكن وجود مجموعة من القادة الموالين للشاه، والعقوبات الصارمة تحول دون إعلان هذا التأييد، لكن الدعم السري للثورة كان مستمراً عبر إصدار بيانات بهذا الشأن.**

**فقد أصدر مجموعة من الضباط والمراتب في لواء (نوهد 22) للقوات الخاصة المحمولة جواً، بياناً جاء فيه:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**{ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}**

**أولاً: منذ أكثر من عام والشعب الإيراني قد اجتاز، بقيادة الزعيم الأعظم، نائب إمام العصر، السيد الخميني، مرحلة الغفلة، ونهض بوجه الظلم الذي يمارسه الجهاز الحاكم في هذا البلد.**

**ثانياً: إن الخونة وباعة الوطن الذين يؤلفون الجهاز الحاكم في هذا البلد وعلى رأسهم الشاه المخلوع، قد عبأ أقوى الجيش ومنها قوات لواء نوهد بقيادة العميد شفاعت، بهدف مواجهة هذه النهضة، فارتكبوا مجزرة قم، وبعدها تبريز وتلتها مذبحة 17 شهريور ـ 8 أيلول (الجمعة السوداء) الوحشية التي نفذتها فرقة الحرس.**

**ثالثاً: إن جميع الذين أطاعوا أوامر قادتهم الخونة، ونفذوا جرائم بشعة بحق الشعب، كالتي سلف ذكرها، والذين شنوا الهجوم على الشباب الفارين في جبال (دركه) و(ايفين) على يد كتيبتي 181 و 291 من هذا اللواء، والهجوم على منطقة (سنكى) على يد الكتيبة الخامسة، والهجوم على عمال مصانع ناشينال بالهراوات، وإرسال مجموعات من أفراد هذه الكتيبة الى المساجد متسترين بملابس مدنية لإشاعة الفوضى فيها، والتعاون المستمر مع جهاز الساواك الذي يعرف الجميع خيانته. هؤلاء جميعاً قد ادركوا أن ما قاموا به، كان خيانة للنهضة الشعبية، واننا ندين جميع هذه الممارسات.**

**رابعاً: إن تعليمات الجنرال الأمريكي هايزر ـ ومعه سبعون شخصاً من المتخصصين في مسائل القمع من الذين عملوا في شيلي والفلبين وفيتنام وغيرها لمدد طويلة ـ كلها مرفوضة من قبلنا، وإننا ندين بشدة تنفيذ الأوامر الصادرة من الهيئات الاستعمارية الأمريكية الهادفة الى القضاء على الثورة الأصيلة والشعبية.**

**خامساً: قامت الحكومة الغاصبة بتاريخ 24/1/1979 بزج عدد كبير من العسكريين، ومنهم أفراد الكتيبتين 181 و 154 وخلافاً لرغبتهم في مظاهرات معادية للثورة والشعب، دعماً للشاه، وهذا دليل بارز على خيانة العقيد(ركني)، آمر لواء نوهد 22.**

**سادساً: يعلن عدد كبير من ضباط لواء (نوهد 22) ومراتبه عن دعمهم للبيان الصادر في يوم عاشوراء والمؤلف من 17 مادة، والذي صادقت عليه عدة ملايين من أبناء الشعب الإيراني.**

**وفي الختام نعلن تضامننا الكامل مع الشعب الإيراني، من خلال الإضراب عن الطعام والأساليب الأخرى، ونحن بانتظار عودة الإمام الخميني).**

**7ـ إقامة الإمام في طهران:**

**عودة الإمام جعلت جميع الناس ينتظرون تطوراً كبيراً في الوضع، وهذا التطور كان متوقعاً في أية لحظة، ملايين المشتاقين لرؤية الإمام كانوا يتدفقون على محل إقامة الإمام، يقفون ساعات طويلة في الأزقة المحيطة بالمدرسة التي أقام فيها الإمام، بانتظار وصول الدور لهم في لقائه، أما النساء فقد خُصص لهن وقت للقاء وهو عصر كل يوم، الجموع كانت تدخل من الباب الإمامي للمدرسة وتخرج من بابها الخلفي، لكن شدة الزحام كان تبطئ من حركة الجموع بشكل كبير، أما الإمام فكان يطل من نافذة تشرف على الباحة ليردّ على مشاعر الزوار وأحاسيسهم تجاهه، الجميع كانوا يهتفون(نحن جميعاً جنودك أيها الخميني)، وانتشر هذا الهتاف حتى أنه لم يبق للنظام أي جندي، بل إن هذا الشعار، غيّر معنى (الجندي) من الأساس.**

**والجدير بالملاحظة أن الإمام لم يقم في منزل أي شخص، بل اختيار مدرسة كانت قد تحولت الى مقر للجنة الاستقبال، حيث تقع في وسط المدينة، وقد اطلق على المنطقة فيما بعد اسم (نوفل لوشاتو) تخليداً لمكان إقامة الإمام في باريس. وقد عمد أمين العاصمة ـ بعدما أحس بجدية الأمور ـ الى تقديم استقالته الى الإمام، لكنه كلّف بمواصلة مهامه مؤقتاً.[6]**

**وبعودة الإمام الى الوطن، انظمت فئات أخرى من الجيش الى الشعب، وكان مؤملاً أن تؤدي ظروف الوحدة الشعبية وظهور القائد بين الناس، الى التحاق كل القوات المسلحة بالشعب، لكن ذلك لم يحدث، لأن قادة الجيش كانوا قد تربوا في اطار مفاهيم ومقاييس تجعلهم غير قادرين على هضم احتمال أن يستطيع الشعب البقاء على قيد الحياة بدون (شاه)!**

**أما الإمام فقد أعلن في هذا المجال:**

**(... عندما نقول إن الجيش يجب أن يكون مستقلاً، فهل جزاؤنا أن تنزلوا الى الشوارع وتضرجوا الشباب بدمائهم؟! أذلك لأننا طالبنا باستقلالكم؟ نحن نريد أن تكون سادة أنفسكم. أنا أشكر تلك الفئات من القوات العسكرية التي التحقت بالشعب، فقد حفظوا كرامتهم، وكرامة بلدهم وشعبهم. فهؤلاء ضباط القوة الجوية ومراتبها يستحقون الشكر والإشادة من قبلنا، وكذلك هم الذين في اصفهان، وهمدان، وباقي المدن فقد عرفوا واجبهم الشرعي والوطني، والتحقوا بالشعب ودعموا النهضة الإسلامية. ونحن نشكر هؤلاء جميعاً، وندعو الذين لم يلتحقوا بالشعب بعد أن يسارعوا الى ذلك. فالإسلام أفضل لكم من الكفر، والشعب أفضل لكم من الأجانب. إننا نريد مصلحتكم، فافعلوا ذلك من أجلكم أنتم، اتركوا هذا النظام.**

**لا تتصوروا أن تخليكم عنه يعني أننا سنعدمكم، فهذه إشاعات يبثها المغرضون فهؤلاء الضباط والمراتب الذين التحقوا بالشعب، يتمتعون بحمايتنا الكاملة. فنحن نريد أن يكون البلد قوياً، ونريد نظاماً مقتدراً، ولا نستهدف زعزعة النظام والاستقرار، بل تقويته ودعمه، لكننا نريده نظاماً نابعاً من الشعب، وفي خدمة الشعب، وليس نظاماً يديره ويسيره الآخرون).**

**اما بختيار فقد هدد قائلاً: ( كل من يشعل الحرب الداخلية سيعدم رميا بالرصاص)!!.**

**8ـ الإمام يشكّل الحكومة المؤقتة:**

**الأيام الأربعة الأولى التي قضاها الإمام في طهران كانت أياماً عاصفة مليئة بالحوادث والاضطرابات، فالحكومة العسكرية لم تكن تمسك بزمام الأمور، وهي تسير نحو الانهيار، لكن بختيار ظل يصارع من أجل البقاء، وظل يتظاهر بأن زمام الجيش مازال بيده وأن الحكومة الدستورية! هي الأقوى. ولكن أي جيش هذا؟ اهو الجيش الذي يخاف قادته بشدة من الجند، أم الحرس الملكي؟ فبختيار لم يستطع الحيلولة دون عودة الإمام الى الوطن، كما فشل في فتح قناة اتصال معه، ولم يستطع ثنيه عن مواقفه الصلبة فحكومة بختيار، كانت تحكم في بلد لا تتمتع فيه بتأييد أحد.**

**لكن الإمام اتخذ قراره الحاسم ـ وفي مدرسة (علوي) التي أقام بها ـ وكان ذلك أحد اهم القرارات التاريخية، فأمام أكثر من 300 صحفي أجنبي ومحلي، تحدث الإمام الخميني، ثم تلا العالم المجاهد الشيخ هاشمي رفسنجاني نص قرار الإمام بتعيين مهدي بارزكان رئيساً للوزراء، وكان مثاراً لدهشة العالم بأسره أن تبادر شخصية دينية عادت لتوّها من المنفى الى تعيين حكومة لا تتطابق مع أي من المعايير المعمول بها في باقي الدول، لأن الإمام جسّد في ذلك قوة الإمامة في المدرسة الشيعية. وبعد الإعلان عن ذلك اعترفت ليبيا بالحكومة رسمياً في برقية بعثها القذافي الى الإمام[7].**

**وفيما يلي نص قرار الإمام بتعيين بازركان:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**حضرة السيد المهندس مهدي بازركان بناء على اقتراح مجلس الثورة، وعلى أساس الحق الشرعي والقانوني الناتج عن تأييد الغالبية الساحقة من الشعب الإيراني لقيادة هذه النهضة والذي تجلى من خلال التجمعات الكبرى والمظاهرات الواسعة في أنحاء البلاد، وانطلاقاً من ثقتي بإيمانك الراسخ بالعقيدة الإسلامية المقدسة، ومعرفتي بممارساتك الجهادية الإسلامية والوطنية، وبغضّ النظر عن ارتباطك التنظيمي والحزبي، اكلفك بتشكيل حكومة مؤقتة، لتتولى إدارة البلاد، والإعداد لانتخابات عامة وكسب رأي الشعب بشأن تغيير النظام السياسي الى نظام جمهوري اسلامي، وتشكيل مجلس المؤسسين من أفراد ينتخبهم الشعب، يتولّى المصادقة على دستور النظام الجديد وانتخاب مجلس لنواب الشعب على أساس الدستور الجديد.**

**ومن الضروري تقديم اسماء أعضاء الوزارة بأسرع وقت، وعلى أساس الضوابط والشروط التي حددتها. موظفو الدولة والجيش وأبناء الشعب سيدعمون حكومتك، وسيلتزمون بالانضباط الكامل من أجل بلوغ الأهداف المقدسة للثورة وتنظيم شؤون البلاد.**

**اسأل الله التوفيق لك ولحكومتك في هذه المرحلة التاريخية الحساسة**

**روح الله الموسوي الخميني**

**اما بازركان ـ رئيس الوزراء المؤقت المكلف تواً ـ فقد قدم شكره الى الإمام الذي طالب ـ بدوره ـ الشعب بإعلان تأييده للحكومة المؤقتة من خلال الصحافة والمسيرات السلمية. لكن الذي حدث، كان خلافاً للضوابط التي حددها الإمام، فقد شكّل بازركان حكومته على أساس الانتماءات الحركية والحزبية.**

**9ـ تأييد الدستور:**

**يوم الجمعة 9 شباط 1979 بذل بختيار ومؤيدو الشاه آخر محاولة مستميتة، لتجميع المؤيدين وإقامة تجمع باسم تأييد الدستور. وقبل أسبوع من ذلك نظموا مثل هذا الاجتماع أمام مجلس الشورى، حيث هتف له مؤيدوه (اصمد في متراسك يا بختيار)!! كما قال بختيار في حديث صحفي: (إن بازركان كان من المؤيدين للدستور وكذلك الإمام، فقد طالب قبل 15 عاماً في برقية الى وزير البلاط، بالالتزام بالدستور واعتبر مخالفته جريمة. ولكن يالي من مسكين فقد بقيت ادافع عن الدستور، لقد أضحت المشاركة في المسيرات، نوعاً من الترفيه، لأن جميع مرافق العمل معطلة، والشعارات التي يطلقونها، لا يدركون معناها)!!**

**وعن اتصاله ببازركان، قال: تربطني به علائق شخصية منذ 30 عاماً، واكنّ له احتراماً كبيراً، لكن لا يمكن القبول بوجود حكومتين في إيران، وأنا مستعد للتفاوض معه حول مصير بلادي).**

**وقال: (إن الجيش هو الآن تحت امرة الحكومة، ولا يمكن القبول بحكومة داخل حكومة، كل ما في الأمر أن عدداً من الفنيين في الجيش غير راضين عن الوضع، أما هروب الجنود من المعسكرات فهو ظاهرة موجودة في كل الدول).**

**وعندما سُئل عن رأيه بتشكيل جمهورية إسلامية في قم قال: أنا مستعد لعزل قم بجدار كبير واجعل منها (فاتيكاناً) ثانياً واسلمها لهؤلاء، فإذا كان بالامكان إدارة البلاد من قم فانا مستعد لإنشاء فاتيكان فيها)!!.**

**10ـ الجيش يلتحق بالثورة:**

**الأيام التي قضاها الإمام في مدرسة (علوي) بطهران، كانت مليئة بالغليان الشعبي، ففي كل يوم كانت مئات الآلاف من مختلف فئات الشعب تتهافت على المدرسة لزيارة الإمام وإعلان دعمها للثورة. التظاهرات كانت تعم أرجاء البلاد، وحكومة بختيار ترفض الاستقامة.**

**وهنا كان الجيش بمثابة مشكلة كبرى، فقادته كان يجري توجيههم من قبل أمريكا، والشاه أوصاهم بدعم حكومة بختيار، وهذا الدعم كان يقترن بإراقة الدماء، فكل يوم كان يستشهد عدد من أبناء الثورة، لكن أعدداً كبيرة من أفراد الجيش كانوا ينظمّون الى الثورة سراً، وبعضهم شارك في التظاهرات بملابس مدنية، كما استمرت ظاهرة هروب الجنود من المعسكرات، كما تصدى بعض الجنود لقادتهم انطلاقاً من واجبهم الشرعي، لكن الجيش كان لايزال بيد النظام الملكي.**

**وقد زاد وجود الإمام في طهران شوق الأمة لرؤيته، فكانت الجموع الغفيرة تتهافت على محل اقامته، ولم يكن بالامكان منع الجنود المتدينين من الالتحاق بهذه الجموع، ولهذا فقد سرت هذه الظاهرة الى الجيش أيضاً، أما القوة الجوية فكان أفرادها قد نفذوا عدة ضربات في أنحاء البلاد، واقتربوا من الشعب اكثر فأكثر.**

**ويوم الخميس، زار جمع كبير من قادة هذه القوة الإمام في مقر إقامته معلنين البيعة له، وقد نشرت صحيفة كيهان صورة جماعية لهم وهم يلقون التحية العسكرية للإمام وانتشر الخير في ارجاء العالم كله بعدما اعتبر بمثابة التحاق الجيش بالإمام.**

**اما بختيار فقد كذب صحة الصورة واعتبرها فبركة صحفية فنية (تستهدف بث الفرقة بين وحدات الجيش)!!**

**أما قيادة الجيش فقد أصدرت بياناً جاء فيه: (في الصفحة الأولى من صحيفة كيهان ليوم 8 شباط 1979، نُشرت صورة مزوّرة حول استعراض لآلاف العسكريين حيث إن طبيعة (المونتاج) والتزوير التي حصلت على الصورة واضحة لكل من يعرف مبادئ مهنة التصوير، وهي تستهدف بث الفرقة بين صفوف الجيش المتلاحمة، والوصول من خلال ذلك الى أهداف وتطلعات معينة.**

**إنّ قيادة الجيش تلفت أنظار الوطنيين الأعزاء الى هذه الممارسات الوضيعة، وتلاحق قانونياً كل المتورطين بالتزوير ونشر الأكاذيب التي تستهدف استفزاز الجيش وإهانته، بينما لا يتدخل الجيش بالشؤون السياسية، وذلك وفقاً لضوابط قانون العقوبات العسكرية).**

**أما الإمام الخميني فقد أكد (إنّ الصورة المنشورة صحيحة وحقيقة تماماً، وأن كوادر عسكرية قد زارتني يوم الخميس). والحقيقة أن الجيش الشاهنشاهي كان قد خسر فئات كبيرة من افراده، كما أنه أضحى خارج سيطرة قادته.**

**وفي مساء الجمعة، أعلن التلفزيون أنه سيعرض فلماً عن مراسم عودة الإمام الى الوطن، وفي فترة الأخبار، تم أولاً عرض فلم عن تظاهرات النظام التي نظمها تأييداً لدستوره وبينما كان هذا الفلم يعرض من شاشة التلفزيون، كان طلاب العلوم الفنية في القوة الجوية متجمعين في إحدى صالات معسكرهم لرؤية فلم عودة الإمام، وهكذا بدأوا بالاستهزاء بفلم تظاهرات النظام لكن أفراد الحرس الشاهنشاهي كانوا قد أعدوا العدة للهجوم على معسكر القوة الجوية رداً على زيارتهم للإمام وبيعتهم له.**

**وعندما بدأ التلفزيون ببث فلم العودة، وبمجرد ظهور الإمام على الشاشة تعالت أصوات الحاضرين في الصالة بالصلاة على محمد وآله ثلاث مرات وقبل أن يتموا الصلاة الثالثة، تحطّم زجاج النوافذ بمدفع دبابة اقتحمت الصالة وبدأت الأسلحة الرشاشة تطلق نيرانها على الجالسين فيها، وتعالت هتافات (الله اكبر) لتملأ الصالة، ووقعت معركة غير متكافئة، أحد طرفيها جلاوزة مسلحون بأحدث الأسلحة والمعدات، والطرف الآخر مجموعة من الشباب المؤمنين العزّل من السلاح.**

**أصوات أنين الضحايا واستغاثاتهم وصلت الى مسامع المارة في الشارع، مما أدى الى انتشار الخبر في طهران، فتدفقت جموع الناس باتجاه معسكر القوة الجوية هاتفة(الله اكبر)، فقد تصوروا أن الحرس الملكي شنّ هجوماً على مقر إقامة الإمام، لكنهم أدركوا ما حدث، فاتجهوا نحو المعسكر، وبعد برهة من الزمن بات المعسكر محاصراً من قبل عشرات الآلاف من الجماهير الغاضبة العزلاء من السلاح.**

**ولم يكن أحد يجرؤ على دخول المعسكر، لكن انين الضحايا دفع الناس الى الهجوم خاصة بعد سماعهم نبأ مقتل عدد من أفراد القوة الجوية داخل المعسكر، فهاجموا أفراد الحرس بالحجارة، مما حدا بهؤلاء الى فتح النار على الناس وقتل العديد منهم. وقبيل صباح السبت كان عدد القتلى قد تزايد.**

**أما أفراد الحرس الملكي فكانوا قد قرروا القضاء على تمرد القوة الجوية تماماً وإحباط الثورة، لكن جنونهم جنّ وهم يرون التصدي البطولي من قبل الجماهير.**

**أما أفراد القوة الجوية، فقد هاجموا مخازن السلاح ووزعوا محتوياتها على الناس مما قلب الوضع، فأصبح أفراد الحرس محاصرين من قبل الناس وقتل العديد منهم. بينما راح الناس يعدون قنابل المولوتوف ويتصدون بها لتقدم الدبابات. وما هي إلا ساعات حتى كان الجميع قد أقام المتاريس، وتهيأت آلاف القناني لصنع المولوتوف. ولم تستطع قوات الامداد التي جاءت لإنقاذ الحرس، من الوصول الى المعسكر، إذ تصدى لهم الناس وقضوا عليهم في الطريق.**

**وفي الساعة الثانية من بعد ظهر السبت، تخندق أفراد القوة الجوية في المعسكر، فيما كان الشعب يدعمهم بشدة أما طائرات الحرس العمودية، فلم تعد تجرؤ على الاقتراب من المنطقة.**

**وتحولت طهران بأسرها الى جبهة للجهاد ضد السلطة، فكان الجميع يتحركون ويشعرون بالمسؤولية. مئات السيارات الخصوصية كانت تقوم بجميع الأغذية والدواء والأغطية وتتجه بها صوب معسكر القوة الجوية. الآلاف تدفقوا على مراكز التبرع بالدم لإنقاذ الجرحى. واينما يسمع صوت إطلاق النار، كانت الجماهير تندفع مسلحة صوب منطقة الصوت. المئات من سيارات الاسعاف تطلق صفاراتها، وتنقل الجرحى الى المستشفيات.**

**طهران كانت قد اتخذت شكلاً آخر، جموع غفيرة من الشباب كانت تستقل الدراجات البخارية حاملة أسلحتها وهي تهتف (الله اكبر) وتهرع لدعم الجماهير اينما اقتضى الأمر.**

**وفي هذه الأثناء أصدرت الحكومة العسكرية قراراً بمنع التجول ابتداء من الرابعة والنصف عصراً بعدما بيتت مؤامرة ضد الثورة، فقد كشفت الوثائق التي تم الحصول عليها فيما بعد أن الخطة رسمت بحيث يتمركز الجيش خلال ساعات منع التجول في المراكز المهمة من المدينة، ويبادر الى اعتقال قادة الثورة، وباعدامهم وقتل أعداد كبيرة من الشعب، يتم إخماد الثورة نهائياً.[8]**

**لكن الإمام، لم يغفل عن ذلك أيضاً، وأصدر قراره التاريخي الذي أحبط المؤامرة، فقد أمر الإمام، الناس بالبقاء في الشوارع وعدم الانصياع الى قرار منع التجول، وانتشر الأمر بواسطة مكبرات الصوت، وقرر الناس التمرد على أوامر الحكومة العسكرية ولم تستطع الأسلحة الرشاشة فرض سيطرة قوى الأمن على الشوارع.**

**لقد كان ذلك اليوم يوماً تأريخياً، ففي تلك الليلة لم يغمض لأغلبية الناس جفن، والكثير منهم ظل خلف المتاريس حتى الصباح. وفي الرابعة صباحاً، شنت دبابات الحرس هجوماً على معسكر القوة الجوية لكن الناس تصدوا لها بقنابل المولوتوف. كما اشيع حينها أن قوات إسناد إضافية قد ارسلت من باقي المحافظات الى طهران، لكن الناس تصدوا لها في الطريق وأعاقوا تحركها بحفر خنادق في طريقها.**

**بعض العسكريين كانوا مترددين في اتخاذ مواقفهم بسبب القسم الذي أدّوه في بداية دخولهم الجيش، لكن فتوى الإمام ببطلان ذلك القسم أنهت المشكلة[9]. بعدها أعلنت القوة البحرية دعمها للقوة الجوية، فهاجم أفرادها ـ ومعهم الشعب ـ مخازن السلاح، فأصبحت أسلحة الجيش في يد الثوار، وبدأت المعسكرات ومراكز الشرطة تسقط في أيدي الشعب الواحد تلو الآخر.**

**11ـ انتصار الثورة الإسلامية:**

**يوم 22 بهمن (11 شباط)، كان يوم انهيار النظام الملكي والى الأبد ففي هذا اليوم، تجسدت أمام العالم وحدة الشعب الإيراني، القصور انهارت في هذا اليوم، والمعسكرات سقطت الواحد تلو الآخر، والحاكم العسكري لمدينة طهران اعتقل بأيدي الناس، لكنه لم يكن يصدق أن الوضع تغير، فكان يتحدث مدافعاً عن ممارساته بأنه (جندي مطيع لأوامر معالي الشاهنشاه!).**

**الناس احتلوا مراكز الساواك والسجون، وهويدا ونصيري اللذان اختارا السجن الطوعي لخداع الناس، سقطا بأيدي أفراد لجان الثورة الإسلامية، رجال النظام السابق اختبأوا وهرب بعضهم.**

**أبناء الإسلام كانوا يلاحقون اتباع النظام السابق في كل مكان. قادة الجيش أصبحوا أسرى بيد الجنود السجناء، بقايا أفراد الحرس والساواك ظلوا كامنين في بعض الأماكن. بهدف فتح النار على الشباب الثوري. الناس كانوا يحملون السلاح ويتولون حماية أمن كل محلة وحارة.**

**المساجد أضحت مراكز حصينة للجهاد ضد أعداء الثورة، رجال الدين كانوا نشطين في كل مكان، من مدرسة (علوي) التي كانت مركز القرار السياسي، وحتى أبعد منطقة في البلاد، كانوا يتحملون أعباء كل مسؤولية، ويعملون ليل نهار.**

**وفي أرجاء البلاد، زحفت الجماهير على ما تبقى من آثار الشاه، فحطموا تماثيله وتماثيل أفراد عائلته، التي كانت تملأ الساحات والأماكن العامة. الحكومة المؤقتة بدأت عملها استناداً الى قوة القيادة والشعب. شعار ( في فجر الحرية نفتقد الشهداء) كان ينتشر في كل مكان وخاصة التلفزيون. إيران تحررت، والنظام الملكي انهار بالرغم من قوته وعلى الرغم من الدعم الكبير الذي كان يتلقاه من الخارج.**

**كان شيئاً عجيباً لكنه حقيقة واقعة. فدبابات النظام المدمرة والمحترقة كانت متناثرة في جميع المدن، والشباب يتمركزون خلف متاريسهم في كل مكان، ويراقبون الأوضاع بدقة، ومقبرة (بهشت زهراء) صارت مركز لدفن جنائز الشهداء الذين سطروا ملاحم بطولية بتضحياتهم وانتصروا بإيمانهم الراسخ على دبابات النظام. مئات الآلاف من الناس كانوا يتدفقون على هذه المقبرة الكبيرة لدفن الجنائز. أعداد الشهداء كانت كبيرة جداً، وكانت هناك حاجة ماسة لتشخيص هويتهم.**

**وهكذا أصبحت الأمة الثورية المسلمة ممسكة بزمام أمورها وجميع مراكز النظام السابق انهارت... الشباب المسلح يحافظ على الأمن في أنحاء البلاد... المتاريس في كل مكان واليقظة تحبط محاولات بقايا أزلام النظام،... لا أوامر تطاع غير أوامر الإمام الخميني... المئات من اللجان الثورية تشكلت في المساجد حاملة إسم الإمام والناس تولوا إدارة الشؤون العامة.**

**بدأت تتناهى الى الأسماع عبارة (حرس الثورة الإسلامية) هؤلاء الشباب وضعوا أرواحهم على الأكف لحماية الثورة من كل سوء. بدأوا عملهم الطوعي بمراقبة الأوضاع واعتقلوا المئات من كبار أزلام النظام البائد، وهم في المخابئ، أو وهم يهمّون بالهروب من البلاد، واقتادوهم جميعاً الى مدرسة (علوي).**

**(شارع إيران) حيث تقع مدرسة (علوي) مركز قيادة الثورة، كان مركز ثقل البلاد والثورة الساخنة التي تنبعث منها الأخبار وترسل في كل ساعة الى شتى أنحاء العالم. فهنا قضى على الحكومة، وأعلنت حكومة إسلامية مؤقتة، وهنا صار يُجلب قادة النظام البائد، مدنيين وعسكريين، مكبّلين أذلاء. وهنا أيضاً كانت تكدّس الأسلحة التي يتم الاستيلاء عليها من مراكز النظام المنهار. وهنا يقطن مراسلوا الوكالات والصحف ومراكز الأنباء في العالم، ليوصلوا المستجدات المتلاحقة أولاً بأول.**

**لقد اجتاز الإمام، باعتباره شخصية دينية كبيرة، هذا الامتحان الصعب بنجاح كبير، وأثبت أنه قائد محنك مقتدر لهذه الثورة الكبرى، فقد كان هو مركز القرار السياسي.**

**أما مجلس الثورة فقد لعب دوراً مصيرياً في تثبيت أركان الثورة في أيامها الأولى، وكان مقره في مدرسة (علوي) أيضاً.**

**حكومة بازركان المؤقتة حلت محل حكومة بختيار بدعم كامل من الإمام، وهو ما أدى الى كسب تأييد الشعب لهذه الحكومة. المرحلة كانت حساسة جداً، لكن الحكومة المؤقتة لم تكن ثورية بمستوى تلك المرحلة، بلحاظ الأفراد الذين اختارهم بازركان لعضويتها. فبازركان وجماعته لم يدركوا ذلك المعنى العميق للثورة، فكان يتصرف على أساس تشكيل حكومة وطنية إصلاحية، وهذا الأمر دفع القوى الثورية الى تشكيل مؤسسات وتنظيمات الى جانب الحكومة، مما أدى الى إثارة حفيظة الحكومة التي لم تستطع السيطرة على كل الأمور.**

**وفي الوقت الذي كان يتعين فيه على الحكومة الحيلولة دون هروب المجرمين من رجال الحكم البائد، نراها تلعب دور الوساطة مع هؤلاء وتمهد الطريق لهروب بعضهم. وفي تلك الأحيان، برزت الى السطح محاكم الثورة وقوات اللجان الثورية، وحرس الثورة الإسلامية التي تشكلت من بين صفوف الشعب الثوري، لتمسك بزمام الأمور بيدها، واضحت الحكومة عاجزة عن كبح جماحها.**

**ومن جهة أخرى، بدأت تتشكل تنظيمات صغيرة وأحزاب سياسية عديدة، لكنها لم تكن تتمتع بالدعم الكافي.**

**المناصب الحكومية كانت في أيدي أتباع مصدق، وحكومة بازركان التي تسلمت الحكم بفضل دماء عشرات الآلاف من الشهداء وتضحيات الشعب المظلوم، وفي ظل ولاية الفقيه لم يكن ايّ من أعضائها قد عانى مصاعب الجهاد ضد الحكم البائد، بل إنهم كانوا ينتقدون صلابة الإمام ضد نظام الشاه.**

**ومنذ تولّي هؤلاء مناصبهم الوزارية، بدأت حكومة بازركان ترسخ في أذهان الناس أن مهمة الإمام قد انتهت، وكانوا ينتظرون أن يترسخ نهج مصدق، لكن المؤسسات والقوى الثورية كانت حائلاً دون ذلك بعد أن أخذت هذه الحكومة تسير في غير خط الثورة.**

**وظلت الحكومة تعزو فشلها الى تدخل المؤسسات الثورية الجديدة وتطالب بحلها باستمرار، وانسحب هذا الأمر الى مجلس الثورة الذي ظهرت فيه خلافات بين الأعضاء حول عدة قضايا ومنها السياسة الخارجية للبلاد، والتي كان يجب الإسراع برسمها على أساس مبادئ الثورة الإسلامية. فالصورة لم تكن واضحة بعد، على الرغم من أن إيران قطعت روابطها مع إسرائيل ونظام جنوب أفريقيا العنصري، وخرجت من حلف السنتو.**

**أما سفارات إيران في الخارج فلم تكن مع الثورة، وعموماً فإن نهج الحكومة لم يكن يتطابق مع نهج الثورة، إذ أراد بازركان تشكيل حكومة على نمط حكومة بختيار بحيث يظل بقاؤها مرهوناً بالدعم الأمريكي، وكان اصلاحياً وليس ثورياً.**

**ولا ننوي في هذا الكتاب الخوض في مجريات الأمور بعد الثورة الإسلامية. فهذا عمل يجب أن يجري بحثه بشكل مستقل ومفصل، ولكن نقول بشكل عام أن دور الحضور الشعبي المستمر في ساحة الجهاد من أجل حماية الثورة، ودور قيادة الإمام الحكيمة ـ التي كان لهما أكبر الأثر في اجتياز الثورة عقبات خطيرة ـ استطاعا صون البلاد من السقوط في الهاوية، عندما كانت عرضة للتقسيم، وعندما دُبرت المؤامرات الكبرى ضد الثورة من الخارج، وتعرضت إيران لهجوم عسكري أجنبي حينما كان التشتت الداخلي قد ألقى بظلال اليأس على قلوب الجميع.**

**لقد أوصل الإمام الخميني الشعب الإيراني الى حد الوقوف بصلابة أمام أكبر القوى الدولية، بكل ثبات، والرد بقوة على كل أحابيلها ومؤامراتها. لقد أقام جمهورية إسلامية، يقوم دستورها على أساس التعاليم الإسلامية.. وهذا بحد ذاته إنجاز عظيم.**

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**[1] ادعى شاهبور بختيار أن تسعة أعشار العلماء والمراجع يؤيدونه بسكوتهم، مما احدا بالمراجع الى إصدار بيانات أعلنوا فيها عدم شرعية حكومة بختيار وكذبوا ادعاءاته (صحيفة اطلاعات 22/1/1979). ولم يكن أحد من العلماء يجرؤ على إبداء وجهة نظر تخالف مطاليب الإمام آنذاك، وحتى الذي كان يعارضها، فإنه يضمر ذلك أو يتظاهر بالتأييد، وفيما يلي نورد وثيقة حول مكالمة تلفونية بين أحد الأشخاص والشاه، تم نشرها في صحيفة كيهان بعددها (11561) عام 1982. وطبيعي أن الإمام كان يعرف طبيعة هذا الشخص ونهجه الفكري منذ عام 1962، أي منذ انطلاقة الثورة، وفي كتابه (ولاية الفقيه) شن الإمام هجوماً عنيفاً على رموز هذا النهج المنحرف. فقد جاء في نص الوثيقة التي نشرت في كيهان: (تحدث آية الله السيد كاظم شريعتمداري في مكالمة هاتفية حول وضع روح الله الخميني وطلب منا عرضها على محضركم المبارك، إذ يقول: خلال الأيام الأخيرة، راجعني عدد كبير من أبناء الشعب من مختلف الطبقات بشأن موضوع عودة الخميني الى البلاد. وإنني أعلن لحضرتكم بصراحة أنني أعارض هذا الأمر تماماً، لكنني أقدم اقتراحاً من أجل تحاشي ردود الفعل والضغوط التي لا تحمد عقباها، أرى فيه مصلحة، وآمل أن ينال رضاكم. فإنا اقترح أن تطلب الحكومة ـ وفي ضوء المشاكل الموجودة، وبأمر من جلالتكم ـ الى سفيرها في باريس الاتصال بآية الله الخميني وابلاغه بعدم معارضة الحكومة لعودته الى إيران، وذلك على الرغم من اعلان الحكومة معارضتها الصريحة ـ من خلال الصحف ـ لعودته.**

**وإنني (أي شريعتمداري) على ثقة من أن الخميني سيرفض العودة الى البلاد، لأنه إنسان عنيد، وإن وفد السفارة سيتشرط عليه ـ بالتأكيد ـ التعهد بالالتزام بالدستور، بينما هو لا يؤمن بهذا الدستور أبداً ولهذا فأنا واثق من أنه سيرفض وستنتهي هذه المشكلة. إن إصدار هذا الإعلان من جانب الحكومة الإيرانية سيترك أثره الإيجابي على الرأي العام الداخلي والخارجي فضلاً عن الآثار الإعلامية المترتبة عليه، ومن هذه الفوائد:**

**أولاً: سيوضح هذا الإعلان مدى تسامح وعفو معالي الشاهنشاه الذي هو أقدس وأعلى منصب في الدولة الإسلامية.**

**ثانياً: سيكتشف ذلك أن الدولة لا تعير أهمية للخميني، وتبدّد أوهام أنصار الخميني في هذا المجال.**

**ثالثاً: التخفيف من حدة التوترات الناتجة عن الحوادث الأخيرة.**

**رابعاً: إصدار هذا الإعلان سيوضح آمرية وتفوق جلالة الشاه في العالم، خاصة بين الشيعة في العالم، وسيضعف بالطبع موقف الخميني).**

**[2] دافع الدكتور سنجابي في مقابلة أجرته معه صحيفة اطلاعات في عددها المؤرخ 18/3/1980 دافع عن نفسه وعن الجبهة الوطنية فيما يخص العلاقة مع باتلر رداً على سؤال بهذا الخصوص. فقد سألته الصحيفة:**

**(س ـ اعترف الدكتور (ميناجي) ـ بعد كشف الطلبة الذين احتلوا السفارة الأمريكية لوثائق السفارة ـ بأنك كنت تتعاون مع لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان التي ورد ذكرها في الوثائق بل أنك عضو فيها فما هي حقيقة علاقتك مع اللجنة وما هو مستواها؟**

**ج ـ قبل أن اجيب عن هذا السؤال، أرى لزاماً عليّ القول إن السيد ميناجي لم يكن في قيادة الجبهة الوطنية في أي وقت من الأوقات، بل إنه لم يكن عضواً في الجبهة أساساً، والأمريكي الذي كتب تلك الوثيقة، إما أنه كان جاهلاً بالأمور، أو أنه فعل ذلك عن عمد ونية سيئة. أما حول اعترافات السيد ميناجي في دفاعه عن نفسه، وقوله إن لجنة حقوق الإنسان تم تشكيلها بتنسيق مع الدكتور سنجابي والمهندس بازركان وعدد من الحقوقيين، فأنا أرى لزاماً عليّ هنا لتوضيح هذا الأمر أكثر، فأنا شاركت في تشكيل لجنة حقوق الإنسان، وأن كنتم تتذكرون فإن أول حديث صحفي، للصحافة المحلية والأجنبية قد تم في منزلي. وأنا قرأت بيان اللجنة وأجبت عن أسئلة الصحفيين الأجانب، وكانت أجوبتي تُترجم الى الإنكليزية والفرنسية. وقد أعلن حينها بأنني رئيس اللجنة والناطق باسمها والرسائل الأولى التي رفعناها الى الحكومة كانت بتوقيعي. وأحياناً نشترك أنا والسيد بازركان بتوقيعها.**

**وقد رغب السيد بازركان بأن يترأس لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان، وقد يكون ذلك بسبب ايحاءات الأصدقاء هنا وفي أمريكا واتفاقهم على أنه هو الأصلح لهذا الأمر، ولم أبدِ أنا أي معارضة لهذا الأمر. ومع مرور الزمن، تأكد لي أن هذه اللجنة على علاقة مع جهات أجنبية في أمريكا، واللجنة الموجودة في انجلترا، وخاصة بعد زيارة السيد باتلر الى إيران، فقد لاحظت أنه يملك مع السادة في هذه اللجنة روابط قديمة وعلائق حميمة، ومنذ ذلك الوقت لم اشترك في هذه اللجنة، ولا مانع من تسجيل هذه النقطة بكل صراحة وهي أن قدمي لم تطأ أرض مقر اللجنة منذ مجيء باتلر). وفضلاً عن الوثائق التي حصل عليها الطلبة السائرون على خط الإمام خلال احتلالهم السفارة الأمريكية والتي تكشف مدى اتساع النشاط الأمريكي في إيران وأساليب زج أفراد من عملائهم داخل صفوف الثوريين، فإن تصريحات نظير ما قاله سنجابي تكشف بوضوح أن أمريكا علّقت آمالها ـ خلال العقود الماضية ـ على إعداد بيادق يجري دفعها في الوقت المناسب الى إطلاق شعارات لخداع الناس، وبالتالي الوصول الى مراكز حساسة في البلاد، بالضبط كما فعل الإنجليز خلال حوادث الحركة الدستورية والوطنية.**

**[3] زار غيران في كانون الثاني 1979 (أي قبل سقوط نظام الشاه) الجنرال هايزر. وفي 9/6/1981 أكد أمام إحدى لجان الكونغرس الأمريكي كانت تتولى التحقيق في الروابط الإيرانية الأمريكية، أن زيارته لإيران استهدفت تشجيع الجيش على الإمساك بزمام الأمور، وقال أنه طلب من الجيش دعم حكومة بختيار، وأقرار الهدوء، وأنه كان يعتقد أن الجيش قادر على إنهاء التوتر.**

**وفي إبريل/ نيسان من عام 1980 كتبت صحيفة نيويورك تايمز أن الجنرال هايزر كان يحمل أوامر للجيش بالقيام بانقلاب عسكري فيما لو قررت القوات الدينية المؤيدة لآية الله الخميني الإطاحة بالحكومة. ويقول هايزر: (عندما وصلت إيران، فوجئت بأن قادة الجيش الكبار يريدون مغادرة إيران وكان من الصعب إبقاءهم فيها. كان علينا أ، نشجعهم بشتى الوسائل على البقاء، لأن خروجهم كان يعني انهيار الجيش، وقد كنت أنا والجنرال هيغ نرى أن حظ نظام الشاه فيا لبقاء لا يتعدى الواحد من عشرة آلاف). (كيهان 11/6/1981نقلاً عن رويتر).**

**[4] يقول ديفيد اوين: (.. كنا دائماً نخشى أن يؤدي برنامج التحديث السريع الى حصول توترات في إيران وهكذا صرنا نرى أن المعارضة الأقوى تأتي من جانب العلماء الذين يمثلون اليمين، فلو كان الشاه سيسقط على يد مجموعة يمينية، ثم تبادر مجموعة يسارية الى الاستيلاء على الحكم، فإن من الضروري دعم نظام الشاه فذلك لمصلحة الاستقرار في المنطقة، علينا أن نساعد الشاه لتنفيذ برنامج التحديث ومنح الحريات... فهل يمكن أن نأخذ أموال هؤلاء، ونقوم ـ بدوافع المصالح الاستراتيجيةـ بتزويدهم بالدبابات والسيارات ودفعهم الى إبقاء سعر النفط منخفضاً لمصلحة العالم. ثم نقف موقف المتفرج عندما يتعرضون لهجوم؟! إن هذه السياسة تزعجني، وإن سقوط نظام الشاه سيكون بمثابة هزيمة لحقوق الإنسان وليس نصراً لها) (اطلاعات ـ كانون الأول/1979).**

**[5] صدر عن هذه المسيرة بيان يتضمن سبعة بنود جاء فيها:**

**أولاً: أفراد قاعدة بندر عباس الجوية، ضباطاً ومراتب، يعلنون تضامنهم مع الشعب وافراد قاعدة شاهرخي في همدان وافراد قاعدة (وحدتي) في اضرابهم عن الطعام.**

**ثانياً: لن نطيع الأوامر الصادرة ضد الشعب الغيور والبطل، وضد القرآن والتي تصب في مصلحة الجهاز الطاغوتي الحاكم.**

**ثالثاً: لسنا بحاجة الى المستشارين الأمريكيين الذين هم أعضاء في وكالة المخابرات المركزية.**

**رابعاً: لن نؤيد انقلاباً ـ عسكرياً ـ يصب في مصلحة الحكومة غير القانونية والاستبدادية.**

**خامساً: كل قائد عسكري يصدر أمر الانقلاب، سيتعرض للقتل قبل غيره، ومن بعده سيُقتل جميع أعوانه.**

**سادساً: نطالب بإخراج المستشارين الأجانب من قاعدة بندر عباس بسرعة.**

**سابعاً: نطالب بإخلاء القاعدة بسرعة من كل عناصر الساواك الذين أدى وجودهم الى إشاعة القلق بين أفراد القاعدة وعوائلهم. (صحيفة جمهوري اسلامي 13/10/1979).**

**[6] جاء في نص استقالة امين العاصمة: (نزولاً عند رغبة الشعب وامتثالاً لرأي الزعيم الديني والاجتماعي للشعب الإيراني سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني الذي اعتبر الحكومة الحالية غير شرعية، فإنني أعلن استقالتي من منصب أمانة العاصمة اعتباراً من اليوم 3/شباط/ 1979).**

**[7] جاء في برقية القذافي الى الإمام:**

**حضرة الإمام آية الله الخميني ـ طهران**

**بعد السلام:**

**الآن وقد حقق الشعب الإيراني انتصاره العظيم الذي كان هدفه الإسلام الخالد المحرك للشعب دوماً، وحيث أن الشعب الإيراني قد تخلص بثورته الوطنية والإسلامية التي لا نظير لها في العالم من الظلم والجور وفتح صفحة جديدة في التاريخ، فقد بات واضحاً لشعوب الشرق والغرب مدى قوة الشعب المؤمن بالقرآن واقتداره. ولاشك في أن جميع المسلمين الذين يشاركون الشعب الإيراني أفراحه، يأملون أن لا تنحصر هذه الثورة داخل أطُر الأنظمة المعروفة في الغرب، مثل النظام الجمهوري والملكي، فالثورة الإسلامية التي انتصرت بقوة الشعب لن تستطيع تحقيق أهدافها السامية إلا بتشكيل جمهورية إسلامية يشكّل القرآن دستورها.**

**[8] بعد انتصار الثورة كشف العقيد نصرتي، رئيس مقر شرطة طهران تفاصيل المؤامرة التي خطط النظام لتنفيذها مساء يوم السبت 10 شباط في ظل نظام منع التجول. فقد أوعز الجنرال رحيمي الحاكم العسكري الى رئيس الشرطة بإقامة متاريس فوق جميع الأبنية المطلقة على الساحات والمراكز العامة في طهران حيث ستلتحق قوات الجيش بأفراد الشرطة. كما أصدر رحيمي أوامره بإطلاق النار على كل شخص يشاهد في الشوارع. وعندما اعتقل العقيد نصرتي، ادعى أنه يؤيد الثورة وأنه لم يطع أوامر رئيس الشرطة وترك لأفراد مراكز الشرطة الثلاثة التي كان مقرراً أن تصبح مركز العمليات، حرية التمرد. (اطلاعات 21/شباط/1979).**

**[9] جاء في نص فتوى الإمام: (القسم الذي يؤدي لحماية القوة الطاغوتية باطل، ومعارضة هذه القوة واجبة، والذين ادّوا هذا القسم عليهم العمل بعكسه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته           13 ربيع الأول 1399.**